



فدوه
مصادر المعلومات
عن
العالم الإسلامي

المجلد الأول

مكتبة الملك عبد العزيز العامة
الرياض ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

سلسلة الأعمال المحكمة (٥٥)

ندوة
مصادر المعلومات
عن
العالم الإسلامي

المجلد الأول

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة
الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

٢ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي / مكتبة الملك عبدالعزيز العامة . - الرياض . ١٤٢٤هـ .

٤ مجلدات (المجلد الأول ٦٤٠ ص) ؛ ١٧×٢٤ سم (سلسلة الأعمال المحكمة ٥٥٤)

ردمك ٩٩٦٠-٩٤٤٣-٣-٦

١ - العالم الإسلامي - مصادر المعلومات - مؤتمرات أ - العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٤ / ٢٧٧٧

رقم الإيداع : ١٤٢٤ / ٢٧٧٧

ردمك ٩٩٦٠-٩٤٤٣-٣-٦

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة

الرياض ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م

ص.ب: ٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢ - هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٩١١٣٠٠

ناسوخ: ٠٠٩٦٦١٤٩١١٩٤٩ - برقياً: ٤٠٦٤٤٤

URL/Kapl.Sakhr.com

E-mail: Kapl@anet.net.sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

الصفحة

ط	تصدير المكتبة
ك	مكتبة الملك عبدالعزيز العامة
ق	مقدمة
الجلسة الافتتاحية	
ش	كلمة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز
ذ	كلمة وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
أ ج	كلمة رئيس البنك الإسلامي للتنمية
	كلمة وكيل الحرس الوطني للشؤون الثقافية والتعليمية والمشرف العام على
أ ز	المكتبة ورئيس اللجنة التحضيرية
أ م	أهداف الندوة
أ س	محاوّر الندوة

أولاً: البحوث العربية

١ . بعض الرحلات الإسبانية إلى الحجاز مصدر من مصادر المعلومات عن
العالم الإسلامي

١ الدكتور عبدالحكيم سلامة

٢ . الرحلات المغربية إلى الديار المقدسة خلال القرن التاسع عشر وبداية
القرن العشرين مصدرًا للمعلومات عن العالم الإسلامي

٢٩ الدكتور سعيد بن الأحروش

- ٣ . صورة القدس من خلال فن الرحلات : المعالم والتحويلات - الرحلة المغربية نموذجاً
- ٦١ الدكتور أحمد الطريق
- ٤ . الرحلة في الآداب الشرقية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي : الرحلة اليابانية نموذجاً
- ١٤٧ الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم
- ٥ . الرحلة العرب مستكشفو غرب افريقيا جنوب الصحراء المهندس لطف الله قاري
- ٦ . نظرة في المصادر العربية المحلية في تاريخ الدولة الصكتية
- ١٨٧ الدكتور محمد بن علي السكاكر
- ٧ . Accion De Espana En Maruecos مصدراً من مصادر المعلومات حول شمال المغرب خلال الحماية الإسبانية (١٩٥٦ - ١٩١٢)
- ٢٦٩ الدكتور أحمد الشعرة
- ٨ . الرحلة الفرنسيون مصدراً للمعلومات عن الدولة العثمانية
- ٣١٥ الدكتور مصطفى الغاشي
- ٩ . مصادر المعلومات الإيرانية الأستاذ/ صادق العبادي
- ٣٦١ بعض المصادر المهمة عن العالم الإسلامي في باكستان
- ٤٠٣ الدكتور ظهور أظهر

ثانياً : البحوث الأجنبية

1. Muslim Communities of Russia: The Information Sources in the St. Petersburg Libraries
Asvaturov A.S. 1
2. Treatment of Problems Faced by the Muslim Communities: The Issue of Liberation of Kashmir
Prof. Dr. Anis Ahmad 47
3. The Plight of Muslims in Jammu and Kashmir: A Review of Information Sources
Zahiruddin Khurshid 67
4. Sources of Information on Muslim Minorities: A case of Singapore
Prof. Dr. Abdus Sattar Chaudhry 103
5. British Military Research on Afghanistan, Iran, and the Arabian Peninsula- the Gazetteer Projects
Prof. Dr. Ludwig W. Adamec 125

تصدير المكتبة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد .

كدأبها دائماً منذ افتتاحها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ، ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الحرس الوطني ، والرئيس الأعلى لمجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، تحرص المكتبة على تقديم خدماتها للمجتمع من خلال قنوات تواصلية متوازية قوامها المحتوى الفكري والمعلوماتي والثقافي متجسدة في طائفة متنوعة من الخدمات القرائية والمعلوماتية والنشاطات والبرامج الثقافية ، هذا فضلاً عن برنامج النشر العلمي للنتاج الفكري العربي والأجنبي الذي يساهم في تحقيق أهداف المكتبة . وقد استفاد من تلكم الخدمات حتى الآن ما يزيد على المليون مواطن ومقيم ما بين خدمة قرائية ومعلوماتية أو حضور ندوة أو مؤتمر أو مشاهدة معرض أو الحصول على أحد الأعمال العلمية التي تصدرها المكتبة .

وإدراكاً من المكتبة لأهمية المعلومات العلمية للشعوب عامة وللشعوب الإسلامية خاصة من حيث إنها ، أي المعلومات ، من أبرز مقومات التقدم والازدهار إذا ما أحسن تنظيمها وإدارتها وتيسير الحصول عليها والإفادة منها في المجالات كافة ، فقد بادرت المكتبة بتنظيم ندوة عالمية حول مصادر المعلومات في العالم الإسلامي بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، والبنك الإسلامي للتنمية ، في الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ رجب ١٤٢٠ هـ الموافق ٣١ أكتوبر إلى ٢ نوفمبر ١٩٩٩ م . وكان الهدف الرئيس للندوة هو تناول الأنواع المختلفة لمصادر المعلومات عن العالم

الإسلامي ، المطبوع منها وغير المطبوع ، الببليوجرافي وغير الببليوجرافي ، التاريخي منها والجغرافي ، المؤسسي وغير المؤسسي ، بالوصف والتحليل والدراسة والتقييم من أجل تقديم رؤية علمية استراتيجية في مجال تنظيم المعلومات عن عالمنا الإسلامي وتوفيرها للباحثين والدارسين وغيرهم من المهتمين بقضايا العالم الإسلامي بصورة صحيحة وغير مغلوطة ومشوهة وتوحيد الجهود نحو إيجاد شبكة معلومات إسلامية عالمية .

وقد شارك في هذه الندوة لفيف من العلماء والباحثين وأساتذة الجامعات وغيرهم من أهل الاختصاص من المملكة العربية السعودية ، والعالم العربي والإسلامي ، ومن أوروبا والولايات المتحدة ، من خلال تقديم البحوث أو المشاركة في جلسات النقاش أو تقديم المداخلات مما أثرى فعاليات الندوة وحقق لها عالمية المستوى حقاً .

وحرصاً من المكتبة على تعميم الفائدة العلمية من البحوث التي قدمت للندوة ، عربية وأجنبية ، فقد رأت ضرورة تحرير وإعداد وإصدار هذه البحوث في سجل علمي موثق وتوفيره للباحثين والدارسين وأهل الاختصاص وغيرهم من المهتمين بالشأن الإسلامي .

وقد رتبت البحوث داخل هذا السجل حسب الترتيب نفسه الذي قدمت به داخل جلسات الندوة وبحيث تأتي البحوث العربية أولاً وتليها البحوث المكتوبة بلغات أجنبية داخل أعمال الجلسات نفسها . وقد زود كل مجلد بقائمة محتويات عربية وأجنبية تسهلاً للرجوع إلى أي منها .

ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة إذ تقدم هذا العمل للقارئ العربي وغير العربي لتأمل أن يحقق الهدف الذي أعد من أجله .

والله من وراء القصد . ، ، ،

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض

مكتبة الملك عبد العزيز العامة، مؤسسة خيرية أنشأها ويرعاها صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني والرئيس الأعلى لمجلس إدارتها وافتتحها سموه الكريم في العاشر من رجب (١٤٠٨ هـ) الموافق (٢٧/٢/١٩٨٧ م) تأسست وفق تصور عام يعنى بالدرجة الأولى بالإنسان، وتنمية جوانبه الفكرية والروحية، وبناء شخصيته الواعية انطلاقاً من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، الذي يدعو إلى العلم وبارك البحث على التعليم.

وخلال سبعة عشر عاماً من التواصل الحميم ما بين القاريء والكتاب، كانت مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، جسراً ممتداً بين الباحثين ورواد الثقافة ومحبي القراءة، وبين رفوف المكتبة كصرح عامر بكل جديد ومفيد. وظلت المكتبة طوال هذه السنوات، تقدم الزاد المعرفي والغذاء الثقافي لمرتاديها، وتنهض برسالتها التي شيدت من أجل تحقيق أهدافها النبيلة. . كونها تضم بين رفوفها روائع الكتب ونفائس الموسوعات وبدائع المخطوطات والترجمات والمعاجم والموسوعات النادرة؛ فتبوّأت هذه المكتبة مكانتها اللاتفة بها بين نظيراتها محلياً وإقليمياً ودولياً، وباتت محط أنظار الباحثين والكتّاب؛ لعظم ما تحتويه من كنوز الفكر في شتى المعارف والعلوم وما أنتجته البشرية منذ تعلمت الكتابة حتى عصرنا الحاضر. .

تتمتع هذه المكتبة بأهمية خاصة من قبل القراء، حيث يبلغ قاصديها سنوياً حوالي ربع مليون قاريء وقارئة؛ لما تقدمه من خدمات نوعية في قاعاتها المختلفة، تبدأ من

منتصف السابعة صباحاً وحتى العاشرة مساءً دون توقف وطيلة أيام الأسبوع؛ وحرصها على اقتناء الجديد من الإصدارات من ناحية، وتطبيق آخر ما توصلت إليه التقنية في حقل الاتصال والمعلومات من ناحية ثانية، تضعها كلها في خدمة المترددين والمعنيين بأمر الكتاب ولعل آخرها قاعة الإنترنت التي تتيح للباحث في دقائق ما يحتاج الى ساعات بين الرفوف!

قطاعات الأداء الوظيفي :

تضم المكتبة ثلاثة عشر قسمًا: قاعة الملك عبدالعزيز، مكتبة خاصة تحتوي على جميع أوعية الإنتاج الفكري العربي والأجنبي التي تتعلق بحياة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - خاصة والجزيرة العربية عامة، وتستهدف المكتبة من إنشاء هذه القاعة أن تكون مركزاً للمعلومات الوثائقية التاريخية لمن يرغب في دراسة تاريخ المملكة إبان عهد الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وشخصيته وحياته؛ قسم خدمات المعلومات والخدمات المرجعية والبحثية وهو القسم المواجه للزائر والذي يلبي حاجاته وطلباته من الكتب؛ وقسم الفهرسة والتصنيف وخدمات الضبط البليوجرافي؛ وقسم التزويد والاقتناء وبناء المجموعات؛ وقسم المخطوطات الوثائق النادرة؛ وقسم الدوريات والمطبوعات الحكومية؛ وقسم العلاقات الثقافية؛ وقسم العلاقات العامة؛ وقسم المواد السمعية والبصرية؛ وقسم الحاسب الآلي وقواعد المعلومات؛ ومركز دراسات الفروسية: بالإضافة إلى قسم الشؤون المالية والإدارية. وإلى جانب خدمات قسم الإعارة التي تقدمها المكتبة للقراء، هناك قسم الاستنساخ الوثائقي والتصوير والتجليد.

المحتويات :

وتتكون المكتبة الأساسية من عدة قاعات للقراءة بشكل عام، وقاعة الدوريات والقاعة السمعية البصرية، وقاعة الإنترنت، بالإضافة إلى خلوات البحث العلمي .

وتتضمن بين جدرانها حوالي نصف مليون مادة (٣٢٠) ألف عنوان عربي ، و (١٨٠) ألف عنوان أجنبي في مجالات الفكر جميعها بدءا بالمعارف العامة والفلسفة ومرورا بالآداب والفنون والعلوم واللغات والديانات والتاريخ والجغرافيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية وغيرها ، ويحتوي قسم الدوريات على (٢٨٣٢) دورية عربية وأجنبية فيها أوائل الدوريات التي صدرت في العالم العربي وما يصدر منها بانتظام وينضم إلى المقتنيات ليجد طريقه إلى الأرفف ، في حين يمتلك قسم المخطوطات (٣٦٧٢) آلاف مخطوطة أصلية ومصورة على ميكروفيلم يشرف عليها متخصصون وباحثون في هذا المجال .

فمكتبة الملك عبدالعزيز العامة ذات بنية مكتملة الأركان من التجهيزات الحديثة والنظم المستجدة التي ترضي وتوافق متطلبات باحث هذا الزمان وما بنيت عليه فكرة إنشائها وتضمنته من أهداف سامية نبيلة وما سبق قيامها مواكب نشأتها من تخطيط متفق مدروس يهدف جملته إلى المضي بها إلى أسمى غايات الكمال في كل أقسامها ومجالاتها المتعددة الفروع والشعب ، والراقي بها على أحدث المجالات وأرقاها لتخدم الثقافة والعلم والمعرفة ، وتبلي في الوقت نفسه حاجات قاصديها بمختلف مشاربهم ، ليجد فيها الكل مبتغاه من عالم وباحث أو طالب أو امرأة أو طفل كل وفق رغبته وبحسب فئة العمرية وطاقته المعرفية وبمقدار استيعابه الفكري والتحصيلي .

الخدمات المكتبائية المقدمة للنساء:

حينما أخذت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة مكانتها الطبيعية في موكب الرسالة الثقافية تجاه الوطن ودارت عجلاتها ؛ أدرك القائمون عليها أن الوقت قد حان لإيجاد قسماً خاصاً بالمرأة يتوافر به جوانب الثقافة والبحث والعطاء كافة ، حيث تفاعل القسم النسائي مع قضايا المجتمع بما يقدمه من برامج وخطط خاصة واستعداد تام للمواسم المختلفة ببرامج عديدة تحظى باهتمام ومتابعة المعنيين بها وتلقى تغطية إعلامية مناسبة . جهزت هذه المكتبة بأحدث أنواع الأثاث والأجهزة . . حيث تعد المكتبة النسائية من أهم

الروافد الثقافية المهمة لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، وأولى المكتبات النسائية العامة في المملكة العربية السعودية المتكاملة في العناصر ، والأساليب المعلوماتية الحديثة .

واحتلت المكتبة النسائية مكانتها الطبيعية في أفئدة النساء في الرياض خصوصاً والمملكة بشكل عام ، حيث أقام القسم النسائي العديد من الندوات والأنشطة التربوية والتعليمية التي يستفيد منها الطفل وتنمي قدراته الإبداعية والإدراكية بالإضافة إلى بعض المشاريع الصغيرة التي تخدم الطفل وتوفر له مجال التعلم واكتساب المهارات .

الخدمات المكتبائية المقدمة للأطفال :

تبت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة منذ سنها الأولى نشاطاً متميزاً باحتوائها جميع فئات المجتمع ومنها الطفل الذي حظي باهتمام خاص من المكتبة حيث ترجم هذا الاهتمام بإنشاء قسم مستقل ، ثم تنامي هذا الاهتمام به تربوياً وفكرياً وثقافياً بافتتاح مكتبة الطفل ضمن التوسعة الحديثة التي شملت أيضاً مكتبة عامة للنساء حيث جهزت مكتبة الطفل المستقلة وفق تنظيم وتجهيز فني وإداري وتقني حديث ، يتناسب وطبيعة الطفل ويخاطب مداركه وينمي مواهبه ؛ تحتوي على عدد من الأقسام الفنية اللازمة لتفعيل أهدافها المبتغاة في قاعة القراءة والمطالعة وقاعة الأعمال الفنية ، والألعاب وقاعة الأجهزة السمعية والبصرية وقاعة الكتب والدوريات وقاعة سرد القصص والحكايات ومسرح متكامل ومجهز للأنشطة المنبرية والتمثيلية .

وترجم البرامج والأنشطة التي تقدمها مكتبة الطفل مدى حرص مكتبة الملك عبدالعزيز العامة على التقريب بين الأطفال والكتب وفتح آفاق قرائية وتعليمية وثقافية وفق قواعد محكمة لذلك ، منها :

- أن تخدم الأنشطة أهداف مكتبة الطفل ، وإن كان إطارها العام ترفيهياً .
- أن تكون متنوعة وهذا يتطلب الإعداد المستمر المتجدد لها .

- أن تخدم الفئات العمرية المرتادة لمكتبة الطفل من (٥-١٤) للبنات ، ومن (٥-١٠) للبنين .
- أن تخدم الأنشطة المناسبة التي تمر بها البلاد وتحثي بها .
- مساهمة الأطفال في صياغة محتوى النشاط ، والبعد ما أمكن عن جعل الطفل في وضع المتلقي .
- الاعتماد على تقنيات ووسائل متجددة لتقديم البرامج والأنشطة لجذب اهتمام الطفل .
- الإعلام عن البرامج والأنشطة في وسائل الإعلام المختلفة .

نادي كتاب الطفل:

تقوم فلسفة هذا النادي على توفير الكتاب الجيد بين يدي الطفل السعودي ، وتسهيل الحصول عليه ، حيث يمثل جسر تواصل ونماء بين المكتبة والطفل من ناحية والمكتبة والأسرة من ناحية أخرى خصوصاً وأن الأخيرة مازالت تواجه صعوبات وعقبات تحول دون وصول الكتاب إلى الطفل نتيجة انشغال الوالدين أو عدم القدرة على اختيار الكتاب المناسب أو بسبب بعد المسكن عن المكتبات العامة والتجارية . . حيث يشرف على هذا النادي وفعالياته لجنة من ذوات الخبرة والتخصص في مجال أدب الأطفال .

وكتاب الطفل في نادية كصناعة وثقافة وفن : تأليفاً ومضموناً وشكلاً فنياً وإخراجاً وضبطاً وتشكيلاً ورسوماً وألواناً ومخاطبةً للمراحل العمرية التي يمر بها الطفل وانتهاءً بدور المكتبة التي يهتماها في المقام الأول تقديم الكتاب الذي نتمنى لأطفالنا من حيث الشكل والمضمون ؛ كان له ضوابط ومعايير ومراحل عمرية ، خصوصاً مع التطور الملحوظ على مدى السنوات العشر الماضية من حيث الجودة والتنوع والملاءمة لعقل الطفل ، وظهور مجموعات من الكتب الرفيعة المستوى شكلاً ومضموناً ؛ إذ يحق لأي

طفل سعودي، ينتمي للفترة العمرية من (٣-١٢) الانضمام إلى النادي ؛ حيث قسّمت المكتبة إلى مجموعات حسب المراحل العمرية، تراعي الاعتبارات النفسية والتربوية والذهنية لكل مرحلة عمرية، المتعارف عليه عند المربين والدارسين في أدب الأطفال .

فرع مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمربع:

في وسط مدينة الرياض ، وفي أحد أشهر أحيائها التاريخية- حي المربع- تجتمع كل كنوز التراث والمعرفة والعلم والتاريخ في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي ، الذي يضم مرافق معلوماتية عدة، يبرز من بينها صرح ثقافي . . يتكون من ثلاث مكتبات : مكتبة للرجال ومكتبة للنساء وأخرى للأطفال؛ لتكون جميعها فرع المكتبة في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، وتم تجهيزه وفق أحدث التقنيات المتبعة في خدمات المكتبات والمعلومات للباحثين والمرتادين بما يحقق أهداف المكتبة ويبرز دورها الفاعل في المسيرة الثقافية والعلمية بالمملكة .

أبرز إنجازات المكتبة :

- تقديم الخدمات البحثية والمرجعية للباحثين بشكل مستمر ومتواصل لأكثر من (١٨) ساعة يومياً .
- بناء مجموعة متنوعة من الكتب والدوريات والمخطوطات والوثائق في شتى المعارف والفنون، خاصة تاريخ المملكة وتاريخ الملك عبد العزيز والتراث الإنساني والإسلامي منه بشكل خاص .
- إتاحة جميع فهارس المكتبة وقواعد بياناتها على موقعها في شبكة المعلومات الدولية «إنترنت» وبذلك أصبحت المكتبة من أوليات المكتبات العربية التي يمكن تصفح محتوياتها إلكترونياً على الخط المباشر > أقامت أكثر من (٤٠) ندوة ومحاضرة، كما أقامت أكثر من (٢٠) معرضاً ، بينما شاركت في حضور وتنظيم ما يقارب (٧٠) معرضاً محلياً وإقليمياً ودولياً .

- أقامت المكتبة عدداً من الندوات والمؤتمرات الدولية، أبرزها (استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات ١٤١٢هـ)؛ (اللغة العربية والتقنيات المتقدمة ١٤١٢هـ)؛ (الأندلس : قرون من التقلبات والعطاءات ١٤١٤هـ)؛ (مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي ١٤٢٠هـ)؛ (مستقبل الثقافة في العالم العربي ١٤٢١هـ)؛ (الإسلام وحوار الحضارات ١٤٢٣هـ) .
- اشترك المكتبة في المنظمات العربية والدولية للمكتبات والمعلومات IFLA & ALA.
- ربط المكتبة بجميع المؤسسات المماثلة في شتى المجالات بغية التعرف على احتياجاتها الثقافية والمعلوماتية ، والتعاون معها بما يخدم الوطن والمواطن .
- إنشاء وبناء قواعد المعلومات المختلفة ، من أبرزها :قاعدة معلومات الملك عبدالعزيز وقاعدة معلومات الفروسية .
- إصدار مجلة «أحوال المعرفة» الفصلية .
- إنتاج برنامج حاسوبي (C.D) عن الملك عبدالعزيز آل سعود
- إصدار حوالي (٦٠) كتاباً من مجموعة «الأعمال المحكمة» فضلاً عن أكثر من (١٣٠) مطبوعاً آخر ما بين كتاب ودليل ونشرة .
- إنشاء قواعد البيانات المتخصصة ، حيث أنجزت المكتبة قاعدة بيانات عن تاريخ الملك عبدالعزيز ، وقاعدة معلومات الفروسية ؛ وقاعدة معلومات الفهرسة لكتب الأطفال ؛ وقاعدة معلومات الفهرسة للكتب الأجنبية . .
- تقتني المكتبة مجموعات متميزة من الكتب النادرة والوثائق والصور النادرة والمجلات في مجال تاريخ المملكة العربية السعودية وتاريخ الجزيرة العربية ، منها وثائق المستشرق الأميركي، جورج رنتز ؛ ووثائق خير الدين الزركلي ؛ ومجموعة الصور النادرة ومجموعة الخرائط النادرة التي تعد من أندر وأقدم الخرائط يرجع بعضها إلى القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابه
أجمعين ، أما بعد :

فتحتل المعلومة (الصحيحة والوافية) أهمية كبرى في إيصال الحقائق والتعبير عن
الأشياء .

وغياب المعلومة الصحيحة إحدى المشكلات التي عانى ويعانى منها عالمنا
الإسلامي ، وخاصة في عصرنا الحاضر الذي يشهد ثورة في هذا المجال ، وفي مقابل
هذا امتلأت الساحة بمعلومات خاطئة ومكذوبة أسهمت كثيراً في تكوين صورة ذهنية
سيئة عن الإسلام والمسلمين ، إضافة إلى التعتيم على قضايا ومشكلاته .

ولعل هذه الندوة : « ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي » ، تكون قد
جاءت في الوقت المناسب ، ونأمل أن تأتي بما يسهم في إشباع هذه الحاجة ، وأن تصل
في نهاية مطافها إلى تقديم رؤية علمية استراتيجية في مجال تنظيم المعلومات عن عالمتنا
الإسلامي ، وتوفيرها للباحثين .

واللجنة التحضيرية ، وهي تقدم هذا الإصدار للتعريف بالندوة : « توقيتها - أهدافها
- محاور أبحاثها » ، تأمل أن تضع بين يدي القارئ الكريم ما يدفع الهمة ، ويزكي العزم
للإسهام الجاد في موضوع الندوة ، وأن تلقى عناية واهتمام الباحثين والأكاديميين
والمتخصصين .

والله ولي التوفيق .

اللجنة التحضيرية

**كلمة صاحب السمو الملكي
الأمير عبدالله بن عبدالعزيز**

ألقاها نيابة عنه

معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري

نائب رئيس الحرس الوطني المساعد

ونائب الرئيس الأعلى لمجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد . .

أصحاب السمو ، الفضيلة

أصحاب المعالي

الإخوة الحضور

ضيوفنا الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

بقدر ما لهذه المناسبة الكريمة من معان سامية في نفوسنا ، نحييكم أكرم تحية
ونبارك مسعاكم ونشكركم على استجابتكم لدعوة القائمين على مكتبة الملك عبدالعزيز ،
مؤسس دولتنا الحديثة - رحمه الله - ومما يطيب لي أن أحمل إليكم تحيات أخي خادم
الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ، وأن أرحب بكم باسمه وباسم شعب
المملكة العربية السعودية . . فحللتهم أهلاً ونزلتكم سهلاً .

نعم أيها الإخوة ، ما هذه المناسبة الكريمة التي نلتقي عليها اليوم مع فئة كبيرة من العلماء إلا مدخل واسع إلى ما جدّ في هذا العالم المعاصر من تغيرات وتبدلات كبرى تدعو إلى التأمل والتساؤلات ، أهذا الذي أخذ يتداعى بسرعة مذهلة في الأرض وفي الفضاء يمكن أن يكون منه وعظ قرآني لكل من ﴿ كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ يهديه إلى خالق الكون ومبدعه . على ضوء هذه المتغيرات العلمية التي نشكر الله عليها ونتعبده بها ونستحضر قوله تعالى للبشرية : ﴿ وما أوتيم من العلم إلا قليلا ﴾ هذا العلم القليل هو ما يجب أن يدخله الإنسان في حساباته ويتعامل معه دون وحشة أو تزمّت أو تعصب . فهو سلطان الله الذي أذن به للإنسان . فما هذه المتغيرات والتبدلات بإيجابياتها الكبرى وسلبياتها إلا مثيرة للجدل ، مذهلة للعقول ، تستقبلها بعض شعوب الأرض وتممررها من مسامعها إلى الرياح . ويا للأسف ، وقليل من أوقفها على أبواب مسامعها ، وساء لها بالحسنى قائلا لها : إن إنسانيتي ، إن آدميتي بحاجة لك ؛ إلى أن أتعرف إليك أكثر فأكثر وأقول لك ، من أنا؟ ما الحياة التي أحيّاها على وجه هذا الكوكب؟

نعم أيها الإخوة الحضور ضيوفنا الكرام ،

إننا أمة ذاكرتها إنسانية ، حافظة ما كان لها في التاريخ من حضارة ونسب علمي إلى ما في هذه الحضارة المعاصرة من خير ، ولا أدري لو أن هذه الحضارة المعاصرة حكمتها شرائع الله وعدله ، وأحاطتها بما فيها من أخلاق وقيم ومثل عليا وإحساس بالغ بكرامة الإنسان وأدميته ، أفي الأرض من يخاف؟ من يصيبه الرعب؟ لا نتصور ذلك ، ولو تغلب هاجس سلبى على أمة من الأمم لقاتل له حكمة الله وعدله ، وقالت الرسالات السماوية ، وقالت شريعتنا الإنسانية (تفسدوا في الأرض) وأقيموا العدل وازرعوا الفضيلة ، ولقاتل ، جادلوا بالحسنى ، وأوقفنا عند قوله تعالى : ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ .

الإخوة الحضور ، ضيوفنا الكرام ،

ما هاجسنا بهاجس لا نسب له مع العلم الهادي إلى الخير ، لهذا جاءت دعوة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة لكم قائمة على مفهومنا لهذا النسب العلمي الحضاري ، الذي نسعى إليه بكل وسيلة إنسانية وخيرة ، إلى أن يقوم بيننا وبين هذه الحضارة المعاصرة وأهلها تواصل إنساني وحضاري وتفاهم في عصر الاتصالات التي حولت الكرة الأرضية بمفاهيمها وفلسفتها وموارثها ومعتقداتها وخلافاتها وآرائها ، إلى ما يشبه مدرسة واحدة في قرية واحدة ، تسكنها عائلة إنسانية واحدة ، وما أكلفها من مدرسة على من قدر أنه معلمها الوحيد!! وهذا ما يجب أن يقف عنده الإنسان متأملاً حتى يتبين له كيف يكون التعامل مع الإنسان .

والإنسان هو أنا وأنت وهو ، لا تمايز ولا عصبية ولا تعصب ولا عنصرية . لا فرق في لون أو جنس الناس سواسية في عدل الله . بالأمس ، كان ينقص الإنسانية مبدأ التعارف حين كان الإنسان مبدداً على وجه الأرض ، يعيش بمفاهيم ولغات مختلفة العصبية والعنصرية تسيطران عليه . أما اليوم فما هو ذا القرآن الكريم ينادي البشرية ، كما ناداها بالأمس - بقوله تعالى - ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ لهذا يمكن أن نقول ، إنه لا عذر لأحد في عصر الاتصالات أن يتجاهل فضيلة التعارف ، فهو السبيل إلى السلام على الأرض وهو الأمن والاستقرار والرخاء ، هو الحضارة . فما في التاريخ البشري العام من فجوات واسعة من تجاهل هذه الحقيقة ، التي كانت سبباً في سقوط الحضارات وقيام غيرها .

الإخوة الحضور ، ضيوفنا الكرام ،

ما نتفأل به لحضارة الإنسان اليوم وما نريده لها هو أن يأمن فيها الخائف والجائع والمظلوم ، على إنسانيته ، نريد لها الاعتدال في كل شيء . لا نريد أن تكون فلسفتها فلسفة القوة (الإنسان الأعلى) نريدها إنسانية حضارية ، نوازعها تأتي من ضمير إنساني ، لا من حسابات القوة الجائرة .

الإخوة الحضور . . ضيوفنا الكرام ،

ماذا عما يقال عنه «صراع الحضارات»؟ وماذا يراد منه؟ الإنسان الحضاري هو الذي يقيم الحضارات ، وما بين هذه الحضارات من نسب وتلاقح وتزاوج وصلة وقربة ينفي هذه الفرضية . ممكن أن يكون بينها تنافس في الخير ، يمكن أن تحاكي حضارة أخرى ، وتحاورها ، لا لتخاصمها أو تعاديبها ، لكن لتعطيها وتأخذ منها ، وبروح لا تعرف التعصب ولا العنصرية . لو لم يكن الإنسان العربي وأخوه المسلم يملكان تراثاً حضارياً عظيماً في التاريخ ، لما سعى أولادهم إلى جامعات العالم ليتعلموا ويعودوا بقناعات تامة أنه لا صراع ولا وحشة بين حضارة وأخرى ، كما تروج هذه الفرضية اليوم ، والحضارة لا تحسب عليها السليبات .

الإخوة الحضور ،

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إنه لحظ عظيم وجليل أكرم به الله العلماء النافعين لعباده .

فحياكم الله ، ما هو منتظر منكم في هذه الندوة المباركة ومؤمل هو ، شهادة العلماء بالحق الذي تنكره بعض الأقلام في بعض الأعلام في حق المسلمين ، والمؤذي لأدمية الإنسان الذي قال الله تعالى بحقه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ - الآية - وصان حقوقه ، وحقوق كل شيء فيه حياة من حيوان ونبات ، أن تتذرع هذه الأقلام بمبررات تسيء إلى الإسلام والمسلمين يقول بها بعض الشواذ المحسوبين على الإسلام والشواذ موجودون في كل المجتمعات .

ضيوفنا الكرام ، إخواننا الحضور ،

في الختام نعيد ونكرر ترحيبنا بكم كما بدأنا ، راجين أن تتواصل مثل هذه اللقاءات المباركة إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ، ، ،

كلمة

معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والعاملين بهديه إلى يوم الدين .

الإخوة الضيوف والحضور ،

يسعدني أن أشارك في افتتاح هذه الندوة المباركة عن مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي ويشرفنا جميعاً أن تكون هذه الندوة تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ، ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ، تلکم الرعاية التي يلقاها من سموه كل عمل جاد صالح لنصرة الإسلام والمسلمين وخدمة العلم والثقافة والمعرفة .

وأرحب بكل المشاركين بعلمهم وبجهدهم في الإعداد لهذه الندوة الدولية ، وتوفير أسباب نجاحها والإفادة من أعمالها .

إن موضوع هذه الندوة هو : «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي» وهو الموضوع الذي تهتم له وتشرع الأبواب إليه وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، لأنه يتعلق برسالة المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين ونشر الدعوة إلى الله تعالى في أرجاء العالم ، وتعتمد الوزارة في ذلك على إيصال كلمة الحق والمعلومة الصحيحة عن الإسلام إلى الناس جميعاً على اختلاف

بلدانهم ولغاتهم ، وهو واجب ديني على الأمة الإسلامية كلها ، وتقوم المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود بفضل من الله ونعمة بالسعي الجاد لنشر الإسلام وخدمة المسلمين في أرجاء العالم ، منطلقاً من أصول ثابتة وهي :

- ١ . أن الاهتمام بالمقاصد والغايات لا بد له من الاهتمام بالوسائل وتهيتها ومن القواعد الشرعية : «الوسائل لها أحكام المقاصد» .
- ٢ . المملكة هي الراعية الأمانة على خدمة الحرمين الشريفين ، وخدمتها ورعايتها للحرمين تفرعت عنها رعايتها للمسلمين وسبل تقويتهم ودفع الشبه عنهم .
- ٣ . تحقيقاً لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .
- ٤ . التزاماً من المملكة - أرض الحرمين الشريفين ومنطلق رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً - منذ قيامها في عصورها الأولى ثم توحيدها على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بالعودة إلى الدين الحق ونشره بين الناس .

إن المعلومة الصحيحة والكلمة الصادقة وسيلة للوفاء بهذا الواجب في عصرنا الحاضر الذي تيسرت فيه سبل الانتقال والاتصال ، وتعاظمت فيه قوى الإعلام المسموع والمرئي والمقروء . ولا بد للعالم الإسلامي أن يعرف المصادر التي تعرّف به وترسم صورته أمام العالم المعاصر ، والتي يتكون منها لدى مئات الملايين من البشر المعرفة بالإسلام عقيدة وشريعة ، والمعرفة بأحوال المسلمين ومجتمعاتهم في العالم الإسلامي حضارة وثقافة وقوة وضعفاً ، وهذه الصورة التي ترسمها مصادر المعلومات عن الإسلام تؤثر بلاشك على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله فضلاً عن تأثيرها المباشر على أهم جانب من رسالة المملكة العربية السعودية وواجب الوزارة في الدعوة إلى الإسلام ونشر رسالته بين الناس .

الإخوة الضيوف ،

نحن نعلم أن الإسلام هو ختام الرسالات الإلهية للبشر ، ودعوة عالمية للناس جميعاً على امتداد الزمان والمكان ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ ، وهو دعوة الحق التي ينبغي أن تصل إلى الناس من خلال المعلومة الصحيحة والوافية .

لقد تعرضت المعلومة الصحيحة والوافية عن الإسلام إلى الإخفاء والإبدال وظهر ذلك في العصور الوسطى في أوروبا وبدايات العصر الحديث ، فكانت مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين سواء في الكتب أو التقارير والوثائق أو المؤتمرات أو حتى في الخطابات العامة للجمهور تتصف - في معظمها - بإخفاء المعلومات الصحيحة توصلاً إلى رسم صورة زائفة عن الإسلام ورسالة رسوله ﷺ تحقيقاً لأهداف دينية وسياسية استغلت ضعف المسلمين في بداية العصر الحديث ، وفي تلك الفترة من ضعف العالم الإسلامي .

ومن فساد مصادر المعلومات بدأت ترسم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين خاصة من خلال كتب بعض المستشرقين ودوائر معارفهم ومؤتمراتهم ، وكان يجري الرد على ذلك من بعض علماء المسلمين بما ينقض الزيف ويكشف الأهداف الخفية ، ولكن ذلك الجهد لم يكن يقوى بطبيعة الحال - بسبب قلة الاتصال والانتقال - على رسم الصورة الحقيقية للإسلام والعالم الإسلامي من خلال المعلومة الصحيحة والوافية ، وقد تسبب هذا الوضع في مظالم كثيرة للمسلمين فضلاً عن الإساءة للإسلام عقيدة وشرعية وقيماً وحضارة ، ودام ذلك عشرات السنين على الرغم من توفر المصادر للعلم بالإسلام وبلاده .

وعلى الضد من ذلك فلقد عامل العلماء المسلمون من خالفهم في المعلوماتية والعدالة في النقل ، والدقة في التعبير ، والأمانة في الحكم ، ممثلين في ذلك قول الله تعالى : ﴿ ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

إن أهمية هذه الندوة تنبع من إدراكنا جميعاً لأهمية مصادر المعلومات التي أصبحت تملك من وسائل الإعلام وأجهزته قوة كبيرة تؤثر في مفاهيم الناس ومواقفهم ومشاعرهم ، بل وتصوغ أفكارهم التي تتعلق بالإسلام والعالم الإسلامي على نحو معين ، وقد يكون مقدمة أو وسيلة لتحقيق أهداف معينة لا تعنى بالحقيقة أو تحاول إخفاء المعلومة الصحيحة عن الإسلام والعالم الإسلامي ، ولكن مع قوة وسائل أجهزة النشر والإعلام وسطوتها في هذا العصر ، فإن الحقيقة والمعلومة الصحيحة في ميزان الإسلام أقوى حجة وبرهاناً وأعز سلطاناً ، والمسلمون يملكون مثل غيرهم الكثير من هذه الوسائل والأجهزة ، وهم يتطلعون إلى اليوم الذي تصبح فيه مصادر المعلومات عن الإسلام والعالم الإسلامي جديرة بالثقة فيما تقدمه من معلومات صادقة تستند إلى العلم والخبرة والمعرفة بالإسلام والمسلمين في عصرنا الحاضر .

وقد التزم المسلمون في كل العصور فيما قدموه عن العقائد والأديان الأخرى واتباعها بمنهج علمي يستهدف إظهار الحق وهداية الناس ، ومن يطلع على ما كتبه علماء المسلمين عن مختلف العقائد والأديان والملل والنحل يرى الالتزام بالمنهج العلمي ، وحسن الأدب في الخطاب ، ونحن لا نطلب في هذا العصر من مصادر المعلومات عن الإسلام إلا الالتزام بشرف المقصد وصدق المعلومة التي تقدمها ، وهو ما التزمه المسلمون قديماً وحديثاً نحو كل العقائد والملل ، فقد نهينا عن الإساءة حتى لما يعبدّه الناس بالباطل ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ ونهينا عن الغش وقول الزور وأمرنا بالعدل حتى مع المخالفين ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

إن الدراسات التي تتناول موضوع الندوة تتميز بالإحاطة بكل عناصرها ، وتنطلق من التعرف على مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين ومدى نشاطها ومصداقيتها ، كما تتناول طرق حصولها على المعلومة وكيفية نشرها والاستفادة منها ، ولا شك أن

العالم الإسلامي المعاصر الذي يبلغ عدد دوله ما يقرب من ثلث دول العالم ويبلغ تعداده نحو خُمس سكان المعمورة ، له من الانتشار والتأثير الديني والحضاري والسياسي ما يفرض علينا الاهتمام بمصادر المعلومات عنه وصورته التي تكونها هذه المصادر ، بل إن العالم الإسلامي المعاصر - دولة وأقليته التي تنتشر في أركان المعمورة - مطالب بأن يخطط لإنشاء مصادر معلومات إسلامية لها منهجها العلمي والإعلامي السليم بحيث يكون لها تأثير ودورها الفاعل في رسم الصورة الصادقة عن الإسلام والمسلمين في عالمنا المعاصر ، مستفيدة إلى جانب خصوصيتها في العمل بجهود كل المصادر المعروفة بمصداقيتها على المستوى العالمي .

الإخوة الضيوف ،

أود قبل أن أختم كلمتي أن أوجه عظيم الشكر والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ، على رعاية هذه الندوة مما يزيد من نشاطها وقدر ما تنتهي إليه من قرارات أو توصيات ، كما أتوجه بالشكر إلى مجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة .

وأنوه بصدارة المملكة ، وعلو شأنها في مجال الدعوة الإسلامية ، والاهتمام بأمور المسلمين . جزى الله قاداتها كل خير ، ووفقهم وسددهم وهباً لهم أسباب النجاح والفلاح ، ودوام القوة والعزة .

كما أشكر القائمين على الإعداد لهذه الندوة أعضاء ورئيس اللجنة التحضيرية من مكتبة الملك عبدالعزيز ووزارة الشؤون الإسلامية والبنك الإسلامي للتنمية ، فلقد كان لجهودهم الأثر البارز في تنظيمها وحسن الإعداد لجميع جوانبها .

كما أقدم شكري لكل الشركات والمؤسسات والهيئات التي شاركت في أعمال الندوة والمعرض الذي أقيم بهذه المناسبة ، وأخص بوافر شكري الإخوة العلماء والدعاة والأساتذة المتخصصين الذين تقدموا بأبحاثهم وآرائهم وإلى جميع من أسهموا في الإعداد للندوة وتوفير عناصر نجاحها بإذن الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة
معالي الدكتور أحمد محمد علي
رئيس البنك الإسلامي للتنمية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا
ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري
نائب رئيس الحرس الوطني المساعد

أصحاب السمو الملكي الأمراء
أصحاب السماحة والفضيلة العلماء
أصحاب المعالي الوزراء
أصحاب السعادة الأساتذة المشاركين في الندوة
أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إنه لمما يثلج صدور العلماء أن تحظى هذه الندوة الدولية - ندوة مصادر المعلومات
عن العالم الإسلامي - بالرعاية القيمة من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن
عبدالعزیز ، ولي العهد ، ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني .

وإن احتضان المملكة العربية السعودية لهذه الندوة ليعد دلالة على عمق اهتمام
المملكة ، بقيادة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة ، بالاحتياجات الأساسية والأمور
الجوهرية للأمة .

إن أخذ المبادرة من قبل مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بتوجيهات صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز - رعاه الله - وتبني فكرة هذه الندوة العالمية وإقامتها لجدير بكل التقدير وبكل الشاء ؛ وذلك للأهداف الجليلة التي وضعت لها ، من تأطير للمعلومات الصحيحة عن العالم الإسلامي مكاناً وزماناً ومصادقته ، والتعريف بالأوعية المعرفية ، ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي ، ووضع استراتيجية طويلة المدى لحماية المعلومات الصحيحة عن العالم الإسلامي من شوائب المغرضين ، ولتوحيد الجهود نحو إيجاد شبكة معلومات إسلامية عالمية .

إن المستوى الرفيع للندوة يدل على الجهود الكبيرة التي بذلتها المكتبة ، وإن الطاقات العلمية العالية التي استطاعت أن تستقطبها ، وأن تجندها من أجل التجهيز العلمي الدقيق للندوة منذ عام ١٤١٦ هـ والبلوغ بها وإخراجها على هذه الدرجة المشرفة ليعد بحق دليلاً على الجهود الكبيرة التي بذلتها المكتبة .

لقد استطاعت هذه الندوة بفضل الله عز وجل ، ثم بفضل الجهاز الذي قام بالإعداد والتحضير لها أن تثمر هذه البحوث العلمية الجادة المتخصصة ، ذات البعد الأكاديمي العالي ، وأن تستقطب هذا العدد من العلماء الضالعين الذين يشاركون في الندوة استجابة لدعوة المكتبة .

فيسرني أن أهنيء صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ، وجميع الأخوة في جهاز مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، بهذا الإنجاز الكبير .

وإن ذلك كله يجعلنا نتفاءل بعباء الندوة ونتائجها ، بإذن الله ، ولا سيما أنها تعقد وعالمنا الإسلامي في أمس الحاجة إلى مثلها ، وإلى ما يستسفر عنه ، بحول الله ؛ فأمتنا الإسلامية تعاني عناء شديداً من غياب المعلومة الصحيحة في هذا العصر الذي يشهد تقدماً هائلاً في مجال المعلومات وسهولة وسائل حفظها ونشرها ، حتى أصبح يعرف بعصر المعلوماتية .

فجميع هيئاتنا ومؤسساتنا في العالم الإسلامي ، ولا أعتقد أنني أجنب الصواب إذا قلت : جميعها بدون استثناء ، سواء أكانت مؤسسات علمية أم تعليمية ، أم ثقافية ، أم اجتماعية ، أم اقتصادية ، أم تجارية أم مهنية ، هي على علم ودراية ، بدرجات متفاوتة بمصادر المعلومات في الدول الأجنبية في أي مجال من مجالات الحياة ، بينما هي للأسف الشديد ، تجهل مصادر المعلومات في العالم الإسلامي .

فكل حديث عن تضامن الدول الإسلامية ، وعن التعاون بينها ، وكل ما يعقد من مؤتمرات على صعيد العالم الإسلامي ، بدءاً من مؤتمرات القمة ، إلى اللجان الدائمة للتعاون في مجالات الثقافة ، والإعلام ، والاقتصاد ، والتجارة ، والعلوم والتكنولوجيا ، وغيرها من اللجان ، والندوات ، والمؤتمرات ، وكل ما يصدر عنها من قرارات وتوصيات ، تظل حبيسة الأدراج والأرفف ، وإن كل ما يبذل فيها من جهود وأموال تذهب أدراج الرياح ، حيث لا ينفذ منها سوى النزر اليسير ، بل اليسير جداً ؛ والسبب في ذلك أن العالم الإسلامي يجهل بعضه بعضاً ، فمن أراد أن يصل إلى مصادر المعلومات لأي بلد إسلامي ، وفي أي مجال من المجالات ، يجد أن دون ذلك خرق القتاد .

ويمكن الإشارة في ذلك إلى مثل واحد ، وليكن من العلاقات التجارية بين الدول الإسلامية ، فهناك قرارات لا حصر لها ، صدرت في العديد من المحافل والمنتديات الإسلامية ، تهدف جميعها إلى تعزيز وتقوية العلاقات التجارية بين الدول الإسلامية ، ولكن لم ينفذ منها سوى النزر اليسير بل اليسير جداً ، كما سبق أن أشرت . وإن السبب في ذلك هو عدم معرفة مصادر المعلومات التي تمكن كل باحث أو تاجر من الوصول إلى المعلومة التي يحتاج إليها في بحثه أو في دراسته أو في تجارته . وهكذا بالنسبة لكل مجال من مجالات الحياة .

وقد أصبحت مصادر المعلومات في وقتنا الحاضر أحد أهم العوامل المؤثرة في تطور الأمم ، كما أنها تعد قاعدة أساسية لتقدمها ورفيها .

فبحكم عملي في البنك الإسلامي للتنمية ، كمؤسسة تعمل في ساحة هامة من ساحات العمل الإسلامي المشترك ، ألمس في عملي اليومي ، وفي كل مجال من مجالات العمل ، مدى حاجة العالم الإسلامي الماسة لمثل هذه الندوة .

ولهذا كله فإنني في الوقت الذي أدعو فيه لهذه الندوة بكل التوفيق وتمام النجاح ، فإنني باسم البنك الإسلامي للتنمية ، وباسم جميع الهيئات والمؤسسات الإسلامية العاملة في الساحة الإسلامية في شتى مجالاتها ، أناشد مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، أن تواصل مسيرة هذه المبادرة الرائدة لخدمة الأمة في حضارتها ، وتاريخها ، وثقافتها ، واقتصادها ، وتجارتها ، وفي جميع نواحي الحياة التي يحتاجها إنسان هذا العصر .

وسيستمر البنك الإسلامي للتنمية بإذن الله ، في مواصلة تعاونه مع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، وسيواصل دعمه لمثل هذه المبادرة الهامة ، وإنني أناشد جميع الفعاليات العلمية والمتخصصة أن تساند هذا العمل بالغ الأهمية .

والله العليّ القدير أسأل أن يوفق أخي الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر ، وجميع زملائه في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، والمتعاونين معهم ، لتحقيق الآمال الكبيرة التي يتطلع إليها صاحب السمو الملكي الأمير الجليل عبدالله بن عبدالعزيز - يحفظه الله - في هذا المجال الحيوي لخدمة عالمنا الإسلامي .

والله يحفظكم ويرعاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة

الأستاذ / فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

وكيل الحرس الوطني للشؤون الثقافية والتعليمية

والمشرف العام على المكتبة ورئيس اللجنة التحضيرية للندوة

صاحب المعالي الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري

نائب رئيس الحرس الوطني المساعد ، نائب الرئيس الأعلى لمجلس إدارة

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

راعي حفل الليلة نيابة عن سيدي صاحب السمو الملكي

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ، ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء ،

رئيس الحرس الوطني ، والرئيس الأعلى لمجلس إدارة مكتبة الملك

عبدالعزیز العامة

أصحاب السمو الأمراء

أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

أيها الحضور الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يشرفني أن أرحب بضيوف الندوة والمشاركين فيها من العلماء والباحثين

والمتخصصين وأشكرهم جزيل الشكر على تلبية دعوتنا ومشاركتهم لنا في حفل افتتاح

هذا الملتقى العلمي الكبير .

ضيوف المملكة الأعزاء ،

تغمرنا السعادة بتواجدكم بيننا اليوم مشاركين لنا في حفل افتتاح هذه الندوة الدولية وما يتبعها من جلسات وفعاليات في الأيام المقبلة إن شاء الله ، وتؤكدون بحضوركم ، أيها الأخوة الكرام مع زملائكم المشاركين من أبناء المملكة ، على أن قضية المعلومات عن الإسلام والمسلمين في عالم اليوم باتت من أولويات العمل الإسلامي التعاوني ، مما يتطلب منا نحن - المسلمين - أن نعمل سوياً لاستثمار المجالات الحيوية كافة بما يتفق ومعطيات ديننا وثقافتنا الإسلامية وحضارتنا وخصوصيتنا؛ حتى نتمكن من إبراز حقيقة عالمية للناس جميعاً مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الآية ، وهكذا أدركت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد والبنك الإسلامي للتنمية أهمية قضية المعلومات الإسلامية ورأت ضرورة إقامة ندوة دولية لمناقشة المحاور المختلفة لها والخروج برؤية علمية مشتركة .

صاحب المعالي ،

الإخوة الحضور ،

منذ عدة سنوات صدرت موافقة سيدي صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ، ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ورئيس الأعلى لمجلس إدارة المكتبة على إقامة ندوة «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي» وقد وجه - حفظه الله - بأن يشارك فيها العلماء والمتخصصون من أنحاء العالم كافة ، وأن تتاح لها وسائل الدعم حتى تأتي بالصورة الملائمة .

وهذه التظاهرة العلمية تأتي ضمن الجهود الضخمة التي تبذلها حكومتنا الرشيدة بقيادة مولاي خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - متعه الله بالصحة والعافية - وتواصل مع دور المملكة العربية السعودية ، المعهود عنها على الصعيد

الإسلامي ، التي لا تألو جهداً في تقديم يد العون والمساندة في سبيل نصرة قضايا الإسلام والمسلمين على الأصعدة كافة .

الإخوة الحضور،

إن ما يوصف به العصر الحاضر من أنه عصر المعلومات والاتصالات ، لأن المعلومات وإنتاجها وبثها واستقبالها أصبحت سمة العصر ، وقد تطورت تقنياتها بشكل مذهل ، وأصبحت شبكة العلاقات الدولية تغطي العالم كله بحيث جعلته أشبه ما يكون بالقرية الكونية ؛ ولذلك ما أجددنا نحن المسلمين أن نقدم أنفسنا إلى الآخرين عبر هذه الشبكات عن طريق المعلومات الصحيحة الموثقة ؛ حتى نتمكن من مجابهة الكثير من المعلومات المغلوطة التي تبث سواء عن الإسلام أم المسلمين ، عن قصد أم عن غير قصد ، وهي نفسها التي يبني عليها الآخرون أحكامهم وآراءهم ومواقفهم من العالم الإسلامي ، لذلك يحدونا الأمل من إقامة هذه الندوة أن تكون جزءاً من جهود أخرى حثيثة ، تقوم بها المؤسسات العربية والإسلامية المعنية ، بحيث نعمل على إيجاد توجه حقيقي لإعادة التأليف والمراجعة لكل المعلومات عن العالم الإسلامي وأن تكون هناك صلات قوية وإيجابية مع مراكز البحوث والدراسات ومراكز المعلومات في بلد من البلاد بالتعاون من أجل بناء شبكات معلوماتية متكاملة وقوية عن العالم الإسلامي ؛ لأننا على ثقة بأن الموارد البشرية والتراكمات المعرفية المتاحة في العالم الإسلامي تعد مقومات أساسية لبناء المنظمة الإسلامية للمعلومات ، وذلك إذا خلصت النيات وتوحدت الجهود ، ووضحت المقاصد ، واتفقت إرادة الشعوب الإسلامية المخلصة مع العزم المتواصل على تحقيق هذا الهدف السامي ؛ حتى نجدد لنا مكاناً في العالم المتنامي في المجالات كافة ونلحق بركبه على أسس علمية متطورة وثابتة واقعياً وتقنياً .

الإخوة الحضور ،

تعلمون جميعاً أن ثمة مئات بل آلاف من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي من كتب وموسوعات ودوائر معارف وفهارس وأعمال بيلوجرافية وتقارير الدبلوماسيين وأدلة وما إلى ذلك . . منها ما صدر في عالمنا الإسلامي ومنها ما صدر في البلاد الغربية ، مما يجعلنا نعتقد أن كثيراً من هذه المصادر ليس فوق مستوى الشبهات والبراءة خاصة في ظل روح لا تتحلى بالحيدة والنزاهة العلميتين في كتاباتها ؛ حتى أضحت صورة المسلم المطبوعة في أذهان الغربيين مشوهة ومضللة بل مزيفة وغير حقيقية ؛ لأنها صورة ينقصها التحليل الموضوعي ويغلب عليها نظرة مغلوطة من المواقف والأحكام المسبقة .

وتمشياً مع روح العصر واستثماراً لمعطياته التقنية لصالح أمتنا وديننا ، فإنه يجب علينا أن نقدم أنفسنا للآخرين عبر شبكات المعلومات العالمية ، عن طريق المعلومات الصحيحة الموثقة المبنية على المعطيات المستقاة من مراجعنا المعتمدة في شتى مجالات المعرفة الإسلامية والحضارية ، وعلينا أيها الإخوة أن نتسلح بقوة المعلومات حتى ندفع عن أنفسنا أي هجوم فكري من هنا أو هناك .

صاحب المعالي ،

وفي الختام ؛ يطيب لي أن أرفع نيابة عن المشاركين في الندوة وضيوفها وبالأصالة عن نفسي أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان لمقام سيدي صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ، ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ، والرئيس الأعلى لمجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، على رعايته الكريمة للندوة وغيرها من الفعاليات وعلى دعمه المتواصل للمكتبة والحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية وتوجيهات سموه الكريم السديدة في هذا الخصوص ، والشكر موصول إلى معاليكم على رعايتكم حفل افتتاح الندوة .

كما يسرني أن أتوجه بالشكر إلى كل من معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ، وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، وإلى معالي الدكتور أحمد محمد علي ، رئيس البنك الإسلامي للتنمية ، اللذين لم يدخرا وسعاً في تقديم الدعم الكامل لأعمال الندوة .

كما أود أن أنوه بالدور المتميز الذي قام به معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، المستشار في الديوان الملكي ووزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السابق ، كما لا يفوتني أن أنوه بما قام به معالي الدكتور علي بن إبراهيم النملة وزير العمل والشؤون الاجتماعية من خلال ترؤسه للجنة العلمية للندوة والجهد البارز الذي بذله مع زملائه في مراجعة البحوث العلمية وإجازتها وتقويمها وفقاً للشروط العلمية المطلوب توافرها للمشاركة في فعاليات الندوة .

كما أتوجه بالشكر إلى الإخوة الزملاء ، أعضاء اللجنتين التحضيرية والعلمية وسكرتارية الندوة واللجان العاملة كافة على حسن متابعتهم ومثابرتهم وتعاونهم وعلى جهودهم الملموسة على صعيد الندوة ، وإلى كل من أسهم في إخراج هذه الندوة وإقامتها خالص التحية والتقدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أهداف الندوة

تسعى الندوة إلى تحقيق جملة من الأهداف :

- تأطير المعلومة الصحيحة عن العالم الإسلامي مكانًا وزمانًا ومصادقية .
- توفير الإشارات المرجعية إلى أهم الأوعية المعرفية ذات الصلة بالعالم الإسلامي .
- التعرف على مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي كتابًا ومؤلفين ، مسلمين وغير مسلمين ، وتصنيفهم حسب المصادقية والشمولية .
- استشراف المستقبل المعلوماتي للعالم الإسلامي من خلال آراء الباحثين .
- وضع استراتيجية طويلة المدى لحماية المعلومات الصحيحة عن العالم الإسلامي من شوائب المغرضين ، وتوحيد الجهود نحو إيجاد شبكة معلومات إسلامية عالمية .

محاور الندوة

تركز أبحاث الندوة على دراسة مصادر المعلومات ذات العلاقة بالعالم الإسلامي المعاصر ، على النحو التالي :

(أ) دراسات مصادر المعلومات :

- ١ . المنشورة في كتب مستقلة .
- ٢ . التي تكون فصولا ، أو أجزاء من كتب تحتوي عليها ، في إطار معلومات أخرى .
- ٣ . المنشورة في المعاجم ، والقواميس ، ودوائر المعارف ، والأدلة .
- ٤ . التقارير الرسمية ، الكتب الإحصائية .
- ٥ . أعمال المؤتمرات ، والندوات .
- ٦ . الوثائق غير المنشورة .

(ب) دراسات على المراكز المنتجة للمعلومات ، عن قضايا

العالم الإسلامي المعاصر :

- ١ . صلة المركز بقضايا العالم الإسلامي المعاصر .
- ٢ . طرق حصوله على المعلومات .
- ٣ . كيفية معالجة المعلومات .
- ٤ . سبل الاستفادة من هذه المعلومات .
- ٥ . نشر المعلومات .

(ج) دراسة سبل التعاون المتوافرة حالياً بين مراكز المعلومات ، في العالم الإسلامي:

- ١ . على المستوى المحلي .
- ٢ . على المستوى الإسلامي .
- ٣ . على المستوى العالمي .
- ٤ . مدى توافرها للباحثين ، من خلال الاستخدام الآلي «تقنية المعلومات» .

(د) التخطيط لإنشاء شبكة معلومات إسلامية ، مع الأخذ في الاعتبار :

- ١ . الموقع .
- ٢ . سبل التمويل .
- ٣ . التجهيزات الآلية والبرامج .
- ٤ . القوى العاملة .
- ٥ . مدى إمكانية التغلب على التقصير القائم في الحصول على المعلومات عن قضايا العالم الإسلامي ، من خلال هذه الشبكة .

بعض الرحلات الإسبانية إلى الحجاز مصدر من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي

د. عبدالحكيم سلامة(*)

المستخلص

تناول هذه الدراسة رحلتين قام بهما إسبانيان للحج إلى مكة وكتب كل منهما انطباعاته وملاحظاته على رحلته بطريقته الخاصة ؛ تعدان مصدراً من مصادر المعلومات عن الحج وعن تلك البقعة من العالم الإسلامي . الرحلة الأولى رحلة «الموريسكي» (Puey Monzón) وتوضح الدراسة المقصود بالموريسكيين ، فتعود إلى الفترة التي فتح فيها المسلمون الأندلس ، حيث مكثوا هناك زهاء ثمانية قرون . ومنذ أواخر القرن الخامس الهجري بدأ الإسبان يستعيدون الأندلس من المسلمين حتى سقطت آخر المدن الإسلامية في أيديهم وهي غرناطة سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢ م . وقد رحل كثير من المسلمين إلى المغرب إلا أن من بقي منهم بالأندلس أجبروا على ترك الإسلام واعتناق النصرانية . وقد سمي هؤلاء بالموريسكيين (Moriscos) . وقد أظهر هؤلاء النصرانية خوفاً من محاكم التفتيش ومارسوا التعاليم الإسلامية سرّاً ، وكانت نفوسهم تهفو دائماً إلى بيت الله الحرام . والرحلة الأولى إلى مكة قام بها الموريسكي Puey Monzón . وكتابه عن رحلته ليست أدب رحلات بالمعنى المعروف ، وإنما كتبها شعراً في شكل قصيدة تحتوي

(*) باحث بالمعهد الوطني للتراث بتونس .

على ٧٩ قطعة (oplas) ، وتتكون كل قطعة من ٨ أبيات ، وكتبها بلغة أعجمية أي قشتالية وبحروف عربية وهي لهذا صعبة الفهم جداً . وتعد الدراسة هذه الرحلة مصدراً تاريخياً حول قافلة الحج وكسوة الكعبة ، وحول بعض معالم مكة المكرمة في زمنها ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م ، وتعدّها كذلك مصدراً حول بعض معالم المدينة المنورة .

أما الرحلة الثانية فهي رحلة مغامر إسباني أقنع وزيره بالذهاب إلى المغرب ، وادّعى اعتناق الإسلام وتسمّى باسم علي بن عثمان باي العباسي الشريف ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م ، واسمه الإسباني (Domingo Badia y Leblich) . ولا تتحدث الدراسة عن رحلته إلى المغرب ، وإنما تتحدث عن رحلته إلى مكة بعد أن طرد من المغرب بعد أن افترض أمره . وتتساءل الدراسة عن مدى جديته وإخلاصه للعقيدة الإسلامية حيث إن سلوكيات الرجل وتعاونيه مع الاستعمار الإسباني ثم الفرنسي مثيرة للشك . ثم تتحدث الدراسة عن الرحلة ذاتها وكيف أنها تعد مصدراً تاريخياً حول الحجاز في تلك الفترة التي قدم فيها علي باي ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م . وتعد الدراسة هذه الرحلة بما اشتملت عليه مصدراً تاريخياً حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وحول اقتصاد الحجاز في تلك الفترة ، وحول السكان في مكة والمدينة ، كما أنها تعد مصدراً تاريخياً حول مكة المكرمة والمعالم المقدسة : الكعبة ، والحرم المكي الشريف ، وبئر زمزم ، ومقام إبراهيم ، وباب السلام ، والمنبر ، والمقامات ، حيث وصفت هذه المعالم وصفاً مفصلاً إلى حد كبير .

بعض الرحلات الإسبانية إلى الحجاز مصدر من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي

المقدمة :

عاش المسلمون في الأندلس زهاء ثمانية قرون ، ثم أخذ الإسبان في استرداد الأندلس فكان استيلاؤهم على طليطلة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) ثم قرطبة سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م وتلتها بلنسية سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م إلى أن تم أخذ غرناطة سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م . وسمي المسلمون الذين بقوا تحت حكم النصارى مدجنين ، وهم بذلك يعدون إسباناً من الدرجة الثانية ومن رعايا الدولة الإسبانية . وسرعان ما قامت الحكومة الإسبانية بإعداد سياسة لتنصير المدجنين بالقوة . ونتيجة لذلك تنصّر المدجنون رسمياً إلا أنهم مارسوا التعاليم الإسلامية خُفيةً . وسمي هؤلاء «الموريسكيين» (Moriscos) أو العرب المتنصرين الذين تم ترحيلهم من إسبانيا نهائياً بداية من سنة ١٠١٨هـ / ١٦٠٩م . وبالرغم من ذلك بقي الحجاز الملاذ الأمثل ومحل أنظار الإسبان .

وسوف نقوم في هذا البحث باستعراض بعض الملامح من رحلة «موريسكي» ومسيحي إسباني معتنقي الإسلام الحنيف ، قاما بأداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة بالحجاز سنتي ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م و ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م .

١- رحلة «الموريسكي» (Puey Monzón) ١٠١٢هـ - ١٦٠٣م

كانت الرغبة في زيارة البقاع المقدسة والحج إلى بيت الله الحرام رغبة ملحة لدى «الموريسكيين» . وتوجد أمثلة عديدة تبين ذلك فيستنتج من محاكمة «الموريسكي»

(Gerónimo de Rojas) بطليطلة سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م أنه يرغب في زيارة البيت الحرام (La casa de Meca) وأنه كان متعلقاً بنافذة موجهة إلى مكة المكرمة عندما كان مسجوناً^(١).

ويؤكد الباحث الإنجليزي Harvey المختص في الأدب الأعجمي (Aljamiado) الذي أنتجه «الموريسكيون» ما يلي «كان الموريسكيون من خلال الكتاب الذي كتب في (Segovia) "Kitab Segoviano" ملمين بمناسك الحج على المستوى النظري»^(٢). وهو يؤكد كذلك : «ونجهل إن كان (el mancebo de Arevalo) قد حقق رغبته في الحج إلى مكة».

ويثبت الباحث نفسه أنه توجد في مخطوطة (Cambridge) التي كتبها الفتى (el mancebo) بالتعاون مع «موريسكي» يدعى (Baray de Ramijo) نصوص كثيرة الأهمية تتعلق بالحج^(٣).

ويبرز من خلال نبوءة كتبها «موريسكي» مجهول : «أن الأندلس رفعت إلى مكانة بيت المقدس أو الكعبة . وتملك الكعبة صورة نموذج سماوي أطلق عليه «البيت المعمور» الموجود مباشرة فوق الجنة»^(٤).

وتمثل رحلة (Puey Monzón)^(٥) مثالا حياً لهذا الأدب ولهذه الرغبة في زيارة البقاع المقدسة . كتبت هذه الرحلة شعراً على شكل قصيدة تحتوي على ٧٩ قطعة (Coplas) وتتكون كل قطعة من ثمانية أبيات . وكان تأليف القصيدة بالأعجمية أي بلغة قشتالية وبحروف عربية كالآتي :

لش كاله تشار يراش

كاها مش بافدوش

ويصبح هذا البيت عند كتابته بالقشتالية الحديثة وبحروف لاتينية :

Los que Alá no serviremos

Que haremos pecadores^(٦)

ويعني هذا : إذالم نتبع طريق الله
كيف نعمل كمذنبين

وهذا يبين بوضوح صعوبة فهم هذا الأدب وصعوبة هذه القصيدة التي تتصف بأسلوب متفكك ناتج عن الإيجاز والتلميح بالرغم من أن الشعر يحمل صوراً نابضة بالحرارة والحماسة والإخلاص ، خاصة وأن الهدف من أداء الفريضة والقيام بهذه الرحلة هو التقرب إلى الله تعالى ومحو الذنوب وطلب رحمة الله وغفرانه . هذا على المستوى الشخصي ، أما على المستوى العام فإن الشاعر يرمي - حسب رأبي - إلى إبراز أهمية الإسلام وعظمته وعجائبه وسماحته .

مراحل الرحلة :

خرج صاحب الرحلة لأداء فريضة الحج من قريته (Puey Monzón)^(٧) قاصداً بلنسية براً . ومنها التحق بتونس بحرراً على متن سفينة (galión) بقيادة راييس من البندقية . ومن تونس مرت بالموانئ التونسية الآتية : الحمامات ، هرقل ، سوسة ، المنستير ، المهدية ، صفاقس ، المحرس ، جربة . ومن جربة وصلت السفينة إلى الأسكندرية وذلك بعد ١٨ يوماً من خروجها من تونس . وتواصلت الرحلة براً إلى القاهرة والوصول إلى مكة مروراً بجزيرة سيناء ومدينة جدة .

منهج الرحلة :

يقوم منهج الرحلة على الواقعية والمثالية والالتزام في آن واحد . فكانت العاطفة قوام الرحلة ومصدرها . وكان الشعر من وحي الفطرة والوجدان ينقاد وراء الحس الذي يهيمن على العقل والأفكار من غير ترتيب ولا تدرج ، وينطلق هذا الشعر وراء عاطفة ملتبهة هائجة مضطربة متألمة حزينة صريحة من غير حدود . وتزداد هذه العاطفة قوة بالذكرى والحنين والشوق إلى زيارة البقاع المقدسة .

وتعتمد الرحلة كذلك على المثالية، فالشعر يندفع وراء المثل الإسلامية السمحة اعتماداً على الخيال الواسع الذي يضخم العاطفة ويجعلها سائحة وراء صور مشوقة ترمي إلى مخاطبة الله وتعتقد في الإيمان بعفوه وتسعى إلى الابتعاد عن هموم الدنيا .

ويرتكز المنهج على الالتزام فالرحالة يهدف من وراء شعره إلى الدفاع عن أمته وإسلامه فهو منهج ملتزم يقوم على الفخر والتمدح والابتهاج بالانتساب إلى الإسلام الحنيف .

الرحلة مصدر تاريخي حول قافلة الحج وكسوة الكعبة :

يمكن الاستفادة من الرحلة للاطلاع على بعض المظاهر المتعلقة بقدوم الحجيج وقافلة الحج وتنظيمها تحت إشراف أمير الحج . فقد كانت القافلة تعد ١٠٠,٠٠٠ حاج و ٦٠٠ عسكري و ٤٠,٠٠٠ بعير وبغل و ١٦ مدفعاً . كما تشير هذه الرحلة إلى اللقاء بين شريف مكة وأمير الحج وتسليم كسوة الكعبة (Cobertura) والأفراح والرقص بالمزامير والطبول التي تتبعها .

الرحلة مصدر تاريخي حول بعض معالم مكة المكرمة :

استناداً إلى بعض الإشارات المندثرة الواردة في الرحلة ، يمكن أن نتعرف على بعض الجوانب من المعالم المقدسة بمكة المكرمة ، من ذلك الحرم الشريف الذي كان يحتوي على ٧٠٠ عمود و ٩٠٠ مصباح و ٣٩ باباً . وفضلاً عن هذه الجزئيات المهمة فإن الرحالة يهتم بالكعبة، وباب السلام ، والمقامات (Almihrales) وبشر زمزم ، ومقام إبراهيم عليه السلام وقبر خديجة - رضي الله عنها - ودار الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم - ودار أبي بكر الصديق ودار علي - رضي الله عنهما - ورحى فاطمة - رضي الله عنها -، وجبل أبي قبيسة وغار حراء ، وعرفة ومنى . ومما يذكر في هذا الشأن أنه بالمقامات تكون الصلاة بالتداول بين أئمة المذاهب الأربعة . وأما صلاة الجمعة فيقوم بها الإمام الشافعي ويده سيف !

الرحلة مصدر حول بعض معالم المدينة المنورة^(٨) :

استعرض الرحالة في رحلته بإيجاز المدينة المنورة ومعالمها المقدسة كالمسجد النبوي الشريف وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقبر فاطمة رضي الله عنها وقبر مالك بن أنس وقبر إبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبالرغم من أن هذه الرحلة لا تضم معلومات مهمة إلا أنها تفيد عن هذه الأماكن المقدسة سنة ١٠١٢ هـ / ١٦٠٣ م وبذلك يمكن مقارنة هذه المعلومات الجزئية ببعض المعلومات الأخرى المتناثرة في المصادر المتعددة .

وفضلاً عن هذه المعلومات فإنه يمكن الاستفادة من الرحلة لمعرفة بعض العوامل الطبيعية التي طرأت أيام الحج كوصف عاصفة في كثبان مكة المكرمة . وتعد هذه الرحلة كذلك مصدراً مهماً للاطلاع على بعض الجوانب القاسية عند القيام بالحج في ذلك القرن ، فالرحالة يستعرض في قصيدته المشاق والآلام التي تكبدها والمخاطر التي تعرض إليها (أحوال البحر ، أحوال الصحراء ، العذاب بعد فراق الأهل والوطن وترك الملذات) وتشبث المسلمين في ذلك الوقت بدينهم وهو يتهم . ويعد هذا من الإشارات المهمة في دراسة العقلية أو الذهنية في الماضي والحاضر .

٢- رحلة الأمير علي بن عثمان باي العباسي الشريف (Domingo Bodia y Lebllich) ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م^(٩)

حياته :

سجّل العباسي كثيراً من وقائع حياته في رحلته المسماة «رحلات علي باي العباسي إلى أفريقيا وآسيا في السنوات ١٨٠٣ م ، ١٨٠٤ م ، ١٨٠٦ م ، ١٨٠٧ م» التي صدرت بالفرنسية سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م^(١٠) . ويرجع ذلك إلى أن الرحالة التجأ إلى فرنسا بعد

استقالة الملك الإسباني شارل الرابع ، وهروب الوزير Godoy ، ودخول الجيش الفرنسي إلى إسبانيا تحت قيادة نابليون بونابرت ، وتعيين أخاه Joseph على العرش ، وقيام الثورة الإسبانية بداية من ٢ مايو ١٨٠٨ م وتعاطفه مع جيش الاحتلال .

وتمكننا مذكرات الوزير Godoy وكتاب الكاتب الفرنسي شاتوبريان ١٨٤٨/١٧٦٨ "L'itineraire de Chateaubriand الذي يحمل عنوان «الرحلة من باريس إلى القدس» "Paris à Jerusalem من الاطلاع على العديد من مراحل حياته^(١١) .

ولد العباسي ببرشلونة الإسبانية في ١ أبريل ١٧٦٧ م، وكان أبوه موظفًا ملحَقًا لدى واليها . وتنحدر أمه من عائلة فلمندية (Flamande) استقرت بإسبانيا منذ أكثر من قرن . ومضت طفولته بين برشلونة ومدينة (Vera) الواقعة على الساحل الأندلسي حيث كان أبوه يشغل خطة مكلف بالشؤون المالية الخاصة بالمنشآت العسكرية بالمغرب . وتعلم هناك العربية وعرف الكثير عن العرب^(١٢) . وعندما بلغ سن التاسعة عشر تولى نفس الخطة إلا أن الأمور الإدارية لم تستهوه ، وظل مولعا بالمغامرات والعلوم . ومن ذلك أنه كان يرغب في الصعود إلى السماء بواسطة منطاد (سنة ١٢١٤هـ / ١٧٩٠م) واكتشاف أفريقيا . وتمكن من إقناع أكاديمية التاريخ الإسبانية والوزير Godoy . ونتيجة لذلك قام Domingo برحلة إلى إنجلترا وفرنسا ، واشترى عدة آلات فلكية . وفي سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م أسلم وأبدل هويته وأصبح يسمى نفسه الأمير علي باي بن عثمان العباسي الشريف المولود في حلب وقد أغفل المؤرخون الدوافع والأسباب التي حملته على اعتناق الإسلام الحنيف .

رحلته :

تمثل هذه الرحلة تأليفاً نفيساً ثرياً بالمعلومات حول أرض الحجاز وعن الحرمين الشريفين وعن بعض بلدان المشرق العربي . انطلق من إسبانيا ووصل إلى طنجة التي

كانت تحت السلطة الإسبانية في ٢٩ يونية ١٨٠٣ م، وعاش هناك حياة البذخ بفضل الأموال التي كانت توفرها الحكومة الإسبانية .

وتمكن - نتيجة لمعرفته العربية وثقافتها وسعة اطلاعه العلمي - من فرض شخصيته . فصارت له شهرة واسعة ، فاستقدمه السلطان المغربي إلى بلاطه وأهداه حريماً ومزرعة كبيرة بمراكش . وقد اتسمت حياته في هذه الفترة بالمغامرات والخداع إلى حد أنه كان على وشك إعداد ثورة ضد السلطان المغربي إلا أن الملك الإسباني شارل الرابع لم ينسق إلى هذه المؤامرة الدنيئة خوفاً من عواقبها على العلاقات المغربية الإسبانية المتوترة . فوقع طرده من المغرب سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م ولم يتم عقابه نظراً لكونه شريعاً . فادعى أنه سوف يقوم بأداء فريضة الحج إلى البقاع المقدسة . هذا مع العلم بأنه لم يقع التفطن إلى هويته الحقيقية في المغرب .

وبدأت رحلته من العرائش (Larache) عن طريق البحر . وقف المركب بجزيرة قرقة التونسية وطرابلس والمغرب وقبرص والأسكندرية . ومن هناك واصل طريقه براً إلى القاهرة فالجيزة فالسويس فالحجاز فالبقاع المقدسة . وبعد أداء مناسك الحج ارتحل إلى القدس الشريف واسطنبول حيث ربط علاقات مع السلطات التركية . ويظهر أنه كان يرغب في توفير المساندة لفرنسا وإسبانيا اللتين كانتا في حرب ضد إنجلترا .

وسرعان ما وقع التفطن إلى هويته الحقيقية وأنه نصراني متنكر ففر ولم يقع القبض عليه نظراً لخيانة موظف تركي عرفه في الأسكندرية ورجع إلى أوروبا منهكاً مادياً ومعنوياً وقابل الملك الإسباني المخلوع شارل الرابع بمدينة (Bayonne) الفرنسية . وسمي واليا لمنطقتي قرطبة و (Segovia) وذلك بين سنتي ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م و ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م . وبعد الهزيمة القاسية التي منيت بها فرنسا سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ضد التحالف المتكون من إنجلترا وروسيا والنمسا وألمانيا التجأ مرة ثانية إلى فرنسا (باريس) . وبقي بها إلى سنة

١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م ومنح رتبة عالية (général) . واحتك هناك بالأوساط العلمية والسياسية . وقدم مشاريع رحلات إلا أن الحكومة الفرنسية رفضتها مؤقتاً . وفي سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م وافقت على إرساله إلى الجزيرة العربية وإثيوبيا وأفريقيا السوداء ليقى بهذه المناطق ثلاث سنوات للتعرف على أحوالها السياسية . فقد كانت الدول الأوروبية العظمى تسعى إلى إثارة الفتن الداخلية لإضعاف العرب والمسلمين في هذه المناطق تلبية لأطماعها الاستعمارية .

وفي سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م مات العباسي بالقرب من مدينة دمشق في ظروف مازالت غامضة والأرجح أنه قتل .

والجدير بالذكر أن هذه الرحلة لاقت نجاحاً باهراً بأوروبا لاحتوائها على معلومات ضافية عن هذه المناطق التي كانت محل أطماع الدول الأوروبية ، ولدقة الملاحظات العلمية وخاصة منها الفلكية التي شملتها وكذلك للأسلوب الشيق التي كتبت به . لذلك ترجمت الرحلة إلى الإسبانية والكتلانية والألمانية والإيطالية والإنجليزية^(١٣) .

وقبل الانتهاء من هذا الباب لابد أن نشير إلى اعتناق الإسلام الحنيف من طرف العباسي ومدى إخلاصه لهذا الدين .

مدى إخلاصه للعقيدة الإسلامية الحنيفة :

بالرغم من أدائه فريضة الحج حسب القواعد والمناسك المفروضة وحسب المذهب المالكي^(١٤) ، وبوجود بعض الإشارات الدالة على ممارسته الدينية بحماسة ومنها : وضع سجاد بالقرب من الإمام بجامع جدة^(١٥) - تيسير الصلاة بمكة المكرمة وكان المصلون من خدمه وأتباعه وغيرهم وذلك بعد رمي جمرة العقبة^(١٦) - إظهار التوبة عند القيام بمناسك الحج^(١٧) ، بالرغم من هذا كله فإنه لا يغضب ولا يرد أي فعل عندما شاهد مصاحف قرآن تحتوي على «أخطاء» وأن الكتابة سيئة^(١٨) . وبالإضافة إلى ذلك

فإنه لا يستعمل في كتابة المصطلحات الدينية المخصصة فهو يستعمل الكلمات الآتية :
 الطواف (tourn  e)^(١٩) ، إحرام الكعبة (purification ou lavage)^(٢٠) . الوقوف بعرفة
 فهو يستعمل الحج إلى عرفة (P  lerinage)^(٢١) ، يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذي
 الحجة وهو يستعمل عبارة نصرانية (le 1  r jour de la p  que)^(٢٢) ، رمي جمرة العقبة
 وهو يستعمل (jeter les pierres sur la maison du diable)^(٢٣) .

يمكن أن تدل هذه الإشارات إلى عدم إخلاصه للدين الإسلامي الحنيف . ومما
 يؤكد ذلك أن العباسي عندما ذهب إلى القدس قام بزيارة فئة التابعين للقدس (ordre de
 Santo Sepulcro) وذلك لإصلاح نظام هذه الفئة^(٢٤) . وكما رأينا من قبل فإنه وقع حد
 للممارسته الدينية .

منهج الرحلة :

تقوم الرحلة على الملاحظة والسماع والاتصال والاطلاع ، فهي تنطلق من
 المشاهدة والمعاناة والرؤية ، وتعتمد الرواية الشفوية والشهادات والاتصال المباشر
 بالسكان وممارستهم . إن الخبرة التي اكتسبها العباسي بفضل طموحه وحبهِ للتجوال
 والمغامرة واستعماله للخداع والعلاقات المريبة ، وتضلعه في الأمور السياسية
 والإدارية ، وتعلمه العربية ، وإظهاره لاعتناق الإسلام ، وتعرفه على الكثير من طبائع
 العرب في المغرب وتونس وليبيا ومصر وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية ، وإطلاعه
 على الأحوال السياسية في البلاط المغربي وتركيا وإنجلترا وفرنسا وإسبانيا ، واحتكاكه
 بالتجار ، إن هذه الخبرة قد مكنته من تجميع المعلومات المختلفة المستقاة من مختلف
 المصادر «الحية» أو من التقارير والكتب التي اطلع عليها . فهو يبنّي معلوماته أو
 «مذكراته» على الملاحظة والرواية . فهو يستعمل التسجيل والتوثيق وتدوين نتائج
 ملاحظاته واستقصاءاته . وهو يقوم بذلك على إنشاء «قاعدة بيانات» . وتولد عن هذه
 المادة الوثائقية التي حصل عليها . بعد القيام بالتقصي والترتيب والتصنيف والتحليل
 والتدرج من العام إلى الخاص - مجموعة من الاستنتاجات والتفديرات والحوادث .

وتمثل الرحلة ترجمة ذاتية تكشف عن بعض التفاصيل حول الأحداث التي تعرض لها أو الأحداث التي عاشها ، فرحلته تخليد لذاكرة شخصية وجماعية . فكان العباسي بذلك شاهد عيان ، وكان منهجه إذن استعراضياً بالأساس لأن العباسي سلك سبيل التبسيط بعيداً عن الإسهاب والتفاصيل فهو لا ينفذ إلى الحقائق واستيعاب الأحداث ومعرفة أسبابها . وكانت مشاهداته جزئية ينقصها التمهيص والتحليل . وكانت الإحاطة بأحداث العصر وتنسيقها وربط حلقاتها واستخراج خواصها مفقودة أو اقتصر على ذكر الحوادث البارزة والنبد التاريخية والاقتصادية والاجتماعية . وهي تمثل بذلك وجهة نظر متأثر بالعاطفة والأهواء والمؤثرات القومية والدينية . وتسم بعدم الإنصاف والتحامل في بعض الأحيان لأنها غير مدعمة بالوثائق والنصوص والقرائن خاصة فيما يتعلق بالمعطيات المدققة حول عدد سكان مكة المكرمة مثلاً . فهل يمكن الاطمئنان إليها والتعويل عليها والوثوق بها؟ فضلاً عن هذه النقص والثغرات فإن العباسي لم يطرح القضايا التي كان يتخبط فيها العالم العربي الإسلامي في ذلك الوقت ولم يهتم بطبيعة العصر وخصائصه والحركات الفكرية والدينية وأهمية الحج لدى الأمة الإسلامية . وبالرغم من هذه السلبات فإن الرحلة لا تخلو من أهمية حول بعض المظاهر من الواقع السياسي والاقتصادي والسكاني بالحجاز .

الرحلة مصدر تاريخي عن الوهابيين :

اهتم العباسي ، في الفصل ٢٠ من كتابه ، بالوهابيين ومبادئهم الدينية وأعمالهم العسكرية والخيرية وأسلحتهم وتنظيمهم الإداري والسياسي . واستعرض في الفصل نفسه حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومقتل الأمير عبدالعزيز في سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م^(٢٥) . وحدثنا كذلك عن وصول الوهابيين إلى مكة المكرمة بقيادة «سلطان» جيش الوهابيين وذلك في ذي الحجة ١٢٢٢هـ / ٣ فبراير ١٨٠٧م لأداء فريضة الحج والاستيلاء عليها^(٢٦) وذكر بأن هذه الحركة السياسية قامت بأعمالها بمكة دون إسالة الدماء^(٢٧) وأن الأمير سعود قام بترميم ١٤ حوضاً للماء بمكة المكرمة^(٢٨) .

ويظهر من خلال هذه النبذة حول الوهابيين أن العباسي لم يتفطن إلى أن نجداً المشهورة بخيولها وطيب هوائها هي المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية وأنها بقيت مستقلة عن السيادة العثمانية ، وأن الحجاز كان ولاية عثمانية ، وأن الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة يتمتعان بالاستقلال وهما بذلك يخضعان إلى نفوذ شريف مكة الذي ينحدر من البيت النبوي .

ولم يتفطن العباسي كذلك إلى أن محمد بن سعود هو الذي بنى الحركة الإصلاحية والسياسية وذلك بداية من سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م بعد أن جمع في يده الزعامة السياسية والدينية وبسط نفوذه على نجد . وفي عهد ابنه عبدالعزيز تم توحيد معظم الجزيرة العربية والخليج ، وبلغت هذه الدولة ذروتها في عهد سعود بن عبدالعزيز . بجانب ذلك عُني العباسي بوصف العمال ولباسهم بالحرم المكي الشريف^(٢٩) وبالوقاد الذي يسميه «منجم باشي»^(٣٠) .

الرحلة مصدر تاريخي عن الاقتصاد :

تحتوي الرحلة على معلومات عن الأوضاع الاقتصادية وخاصة عن المبادلات التجارية والتجار . فهو يتطرق إلى التجارة البحرية والبرية بين الحجاز والهند وأفريقيا وأوروبا ، ويشير إلى الدور الذي لعبه التاجر الكبير سيدي العربي الجيلاني الذي كانت له علاقات تجارية مع الإنجليز والمصريين (تجارة الإبل) ومع أفريقيا (تجارة الخشب والحبوب) . ويؤكد أن التجار الحجازيين تنقصهم التجربة البحرية وأن التجارة البحرية مع الهند وأوروبا ليست بأيديهم . ونتيجة لذلك فإنه يثبت أن مكة المكرمة لا يمكن لها أن تلعب دوراً كبيراً في التجارة العالمية . وفضلاً عن ذلك فإنه اعتنى بالعملة الأجنبية المتداولة وبالسكة الحجازية المكونة من الرصاص وجيوب القهرة . وتتضمن الرحلة كذلك على بعض المعلومات المتعلقة بالأسعار والمواد الغذائية . وعلّمنا أن هذه الأخيرة متوفرة بمكة المكرمة إلا أن أسعارها مرتفعة . ويظهر العباسي إعجابه بخبز جدة

إلا أنه يذكر بأن الصناعات مفقودة بالجزيرة العربية^(٣١) . وتنطوي الرحلة كذلك على بعض الإشارات الخاصة بالأسواق وتجارة الأنسجة والعطورات والزراعي والمواد الغذائية والأسلحة بمكة المكرمة .

الرحلة مصدر تاريخي عن السكان :

أورد الرحالة في الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر عدة معلومات حول السكان وبعض المظاهر الديموغرافية (النساء ، الأطفال ، الزواج ، الولادات ، الأموات) . وأكد أن مكة المكرمة كانت تعد بين ١٦٠٠٠ و ١٨٠٠٠ ساكنًا^(٣٢) . واستعرض بجانب ذلك بعض المظاهر المتعلقة بالجاليات المنحدرة من بلاد الحبشة (العبيد) والمغاربة والأقباط والمصريين والإنجليز المتعايشة بالحجاز^(٣٣) . وأشار إلى بعض العادات كاستعمال النار جيلة والسم وتزيين الوجه بالجروح وتعليق الأخراس في الأنف والشفاه^(٣٤) والسرققة بمكة المكرمة انطلاقاً من حادثة انتشار ثيابه ومتاعه وصوره وأوراقه . كما اهتم بالتطبيب والدفن واللغة واللهجات واللباس . وأبرز الرحالة في ارتساماته بعض المظاهر الحسنة والسيئة من ذلك أنه أبهر بجمال وأناقاة الضباط وبالوجوه الباسمة للوهابيين بجدة^(٣٥) ولباس العمال بالحرم المكي . وتحدث بجانب ذلك عن فقر السكان وخطر الكلاب السائبة بنفس المدينة .

الرحلة مصدر تاريخي عن مكة المكرمة والمعالم المقدسة :

مكة المكرمة : بلاد الحرم أو الأرض المقدسة (Bilad al Haram, terre sainte) . خصص العباسي الفصول ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ إلى الحجاز والبقاع المقدسة واهتم في الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر بمكة المكرمة وذلك بتناوله المواضيع الآتية : الموقع الجغرافي ، التضاريس ، المناخ ، الجفاف ، المباني ، المعالم الدينية ، الأبراج ، الأسوار ، دار شريف مكة .

وتضمنت الرحلة كذلك بعض المعلومات حول جامع الرحمة وجامع إبراهيم وجامع العمرة^(٣٦) . فضلاً عن ذلك فإنه ذكر بأنه قام بإعداد تصاميم ومساقط لمكة ولباب السلام والحرم المكي ومنى ولجميع أنهجها الأصلية^(٣٧) ودار شريف مكة التي تقع بجانب الحرم الشريف^(٣٨) .

واستعرضت الرحلة بجانب ذلك بعض المظاهر المتعلقة بالفنون . كما أنها تطرقت إلى الخيول والحمير والإبل وبعض الحيوانات الأخرى .

وصف المعالم المقدسة بمكة المكرمة^(٣٩) :

- الكعبة (Maison de Dieu) : اهتم بكسوة الكعبة (Chémise) وحجر إسماعيل^(٤٠) ومناسك أحرام الكعبة (purification) وذلك باستعمال ماء الزهور^(٤١) . كما انشغل بأطوال الكعبة وقاعدتها الرخامية والحجر الأسود الذي له باب ومفتاح فضي^(٤٢) .

- الحرم المكي الشريف (Temple de la Mecque) : ذكر العباسي أن الحرم المكي الشريف يتكون من الكعبة في وسطه ، وبئر زمزم ومقام إبراهيم . ويعد الحرم الشريف ١٩ باباً و ٣٨ قوساً و ٧ صوامع مثمثة الشكل إلا أنه لم يتعرض إلى التوسيعات^(٤٣) .

- بئر زمزم : حسب العباسي للبئر ثلاث جرارات من البرنز واسطل من جلد . وتوجد بجانبها مزولة من الرخام وسجل مخصص لتقييد أسماء الشخصيات المرموقة التي تشرب من مائها^(٤٤) .

- مقام إبراهيم : يتألف المقام من قفص من البرنز يحتوي في الداخل على قبر مغطى بكسوة مصنوعة من خيوط الذهب^(٤٥) .

- باب السلام : يتكون من قوس مبني من الحجارة المنحوتة^(٤٦) .

- المنبر : بني المنبر من الرخام الأبيض وتعلوه قبة هرمية من البرنز المذهب فوق قاعدة مثمنة الشكل . وتقوم هذه القبة على أربعة أعمدة تربط بينها داريزين . وأما القناديل أو المصابيح فإنها على شكل كرة من البلور^(٤٧) .

- المقامات : يعتني العباسي اعتناءً خاصاً بالمقام المالكي الذي يتكون من رواق منعزل ويشتمل على ١٢ عموداً وثلاثة أقواس .

الخاتمة :

يتبين إذن من هذا العرض السريع أن البقاع المقدسة بالحجاز والجزيرة العربية كانت محل اهتمام من طرف «الموريسكيين» والمغامرين الإسبان . وبالرغم من أن الأثر الذي تركه كل من (Monzòn) والعباسي يعدد أحوال السفر ونعيم الزيارة وخاصة مناسك الحج والمعالم الدينية المقدسة ، فإنه لا يبتعد عن الرحلات التي كتبت في العهد الإسلامي الأول أو العهد العثماني ، إلا أنه يمدنا بمعلومات مفيدة تمكنا من معرفة التطورات التي أحدثت طوال هذه الفترات المتعاقبة ، ولابد أن نشير هنا إلى شجاعة «الموريسكيين» الذين تشبثوا بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف وبلغه القرآن الكريم رغم العراقيل وحملات المطاردة^(٤٨) .

الهوامش

(١) Earolaillac, Louis Morisques et chrétiens : un affrontement polémique (1492-1640). Paris: Klincksieck, 1977. pp.76, 421, 423.

(٢) Las moriscos y los cinco pilares del Islam: Actas del Almposium (٢) Internacional. las procticas..(zoghauan) C.E.R..M.D.i, (1989, 1991), pp. 96, 148.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) لويس لوبان-بادالت (تعريب عبد الجليل التميمي) . النبوة في الأدب الالخمياو -الموريسكي للأندلس من خلال مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس . المجلة التاريخية المغربية (تونس) ٢١-٢٢ (١٩٨١م) ، ص ٥٦ .

(٥) Almonaciol de la Sierrs اكتشاف الخطوط في

Biget, Henri. Les shophes du pèlerin de Puey Monçon. Révue Tunisienne, (Tunis) 114 (1916) 87-124.

Tuniga Hopez, Ramón. Las coplas del Alhichante de Puey Monzón. Peregrinsción a la Meca de un moisco aragones a finales del Aeglo xvi, "Miscelánea de Estudios Ansbesy hebaicos" (Ganada) 2 (1988-1989) 449-479.

Easino, Luisa Grace del. Edición y estudio de las coplas del alhiyante de Puey Monçon, University of Pensylvania, 1982, 350p.

عثمان الكعك ، حجاج . الأندلس بعد سقوطها . «الشرية» (تونس) . السنة الثانية ، العدد ١٢ (محرم ١٣٦٥هـ/ ديسمبر ١٩٤٥م) .. ص ١٧-١٩ .

(٦) Biget ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(٧) تقع هذه القرية بجانب نهر (Einca) بولاية (Huesca) وبجهة اداغون . وكانت تسمى (Pueyo de Santa Eruz) أو (Puey de Moros) ، انظر Zuniga ، المصدر نفسه ، ص ٤٥٥ .

(٨) انظر ملحق رقم (١) .

(٩) Easas, A. Viajes por Africa y Asia realizados y recopilados por Domingo Badia y Leblich, utilizando el nombre de púncipe Ali Bey el Abbasi. Barcelona: L. Miré, 1943.

Easas, A. Ali Bey el Abbasi en Marruecos. Madrid, 1344.

Easas, Henri de. La fin d'un roman d'aventure: les dernières années d'Ali Bey el Abbasi (1808-1818). Revue des deux mondes. (Paris) 53 (1909) 160-181.

Mayrath, Ramón. Ali Bey el Abbasi: un cristiano en la Meca. Barcelona: Planeta, 1995. 334p.

Epalza, Mikel de. Auteur d'un centenaire: le neyazeur espagnol Domingo Badia (1761-1818) en Tunisie. S.B.L.A. (Tunis). 121 (1968) 51-61.

(١٠) وليس بالإسبانية كما يذكر المرحوم المؤرخ التونسي عثمان الكعاك ، المصدر نفسه .

Voyages de Ali Bey el Abbasi en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806, 1807. Paris: Atlas Didel, 1814. 3vol.

وسوف نعتد المجلد الثاني أساساً ، وسوف نرمز إليه برحلات مج ٢ .

(١١) Epalza, M. مصدر سابق .

(١٢) عندما التقى العباسي بشريف مكة ، ذكر هذا الأخير أن العباسي يتكلم عربية ممتازة ، وبالإضافة إلى العربية فإن العباسي كان يتقن الإيطالية والإسبانية والفرنسية ، رحلات ، مج ٢ ، ص ٣١٠ .

P.P. Viajes de Ali Bey el Abbassi por Africa y Asia durante los anos (١٣) 1803, 1804, 1805 y 1807, Volencia, 1836.

Ali Bey, viajes de Ali Bey/Domingo Badia y Leblech. Madrid, Eompania Literaua, 1996, 749p.

Viatges de Ali Bey El Abbassi per Africa y Asia durentes les anos 1803, 1804, 1805, 1806 i 1807. Barcelona, 1892.

Bertuch, F. J., Reisen in Africa und Asia in dem jahren 1803 bis 1807, Weimar.

Ticozzi Stefano. Viaggi di Ali Bey El Abbassi in Africa, Asia del arno 1803 o. tutto il 1807, Milano, 1816-1817.

Travels of Ali Bey in Morocco, Tripate between the years 1803 and 1807. London, 1816 .

(١٤) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٣٠ .

(١٥) رحلات ، مج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(١٦) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٣٨ .

(١٧) رحلات ، مج ٢ ، ص ٢٩٢ .

(١٨) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٩١ .

(١٩) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٢٠) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣١٦ .

(٢١) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٢٢) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٣٨ .

(٢٣) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٣٨ .

Noman, J. El coballero Badia y Leblich y su plan de refoma de la (٢٤) orden del Santo sepulcro de Jerusalem. Barcelona, 1954.

(٢٥) رحلات ، مج ٢ ، ص ٤٥٣ .

- (٢٦) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٢٠ .
- (٢٧) رحلات ، مج ٢ ، ص ٤٣٥ .
- (٢٨) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٣٢ .
- (٢٩) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٧٤ .
- (٣٠) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٧٩ .
- (٣١) رحلات ، مج ٢ ، ص ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ .
- (٣٢) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٩٧ .
- (٣٣) رحلات ، مج ٢ ، ص ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ .
- (٣٤) رحلات ، مج ٢ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣١٤ ، ٣٣٨ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤١٥ .
- (٣٥) رحلات ، مج ٢ ، ص ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٢٣ .
- (٣٦) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٣٢ ، ٣٤٢ .
- (٣٧) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٢٦ ، ٣٦١ ، ٣٧٩ .
- (٣٨) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٠٢ ، ٤١٤ .
- (٣٩) انظر الملحق رقم (٢) .
- (٤٠) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٥٢ .
- (٤١) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣١٩ .
- (٤٢) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٠٩ .
- (٤٣) شهد المسجد الحرام أو الحرم المكي عدة توسعات من أهمها ما وقع سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م حين أنشأ الخليفة العباسي المهدي أروقة جديدة مقامة على أعمدة من الرخام ، وفي سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م أمر بتوسعته من ناحية الجنوب وبذلك أصبحت الكعبة المشرفة في وسطه كما وقع توسيع المسجد سنة

٣٠٦هـ/٩١٨م . وأثر هذه التوسعة بلغ المسجد الحرام أقصى مداه . وبقي كذلك إلى أن حدثت التوسعة السعودية . انظر علي الشنوفي ، مكة المكرمة والكعبة المشرفة في كتب الرحالة المسلمين ، قرطاج ، بيت الحكمة ، ١٩٨٩م ، ص ص ١٢ ، ١٣ .

(٤٤) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٥٦ .

(٤٥) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٤٦) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٦١ .

(٤٧) رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٤٨) انظر ملحق رقم (٣) .

ملحق رقم (١)

Ainsi ribamos a Macca esa bendita cibdad que sus puertos son Albáracas y susparedes piedad sus tejados claredad y ella toda es bendición, pues cualquiera que a ella vá tiene ganado el perdón	وهكذا وصلنا إلى مكة هذه المدينة المباركة أبوابها بركة سقوفها ناصعة كلها رحمة كلها مباركة لأن كل من يقصدها يفوز بالمغفورة	المقطع ٤
---	---	-----------------

Deziros he de la casa, que de Meca se dezira, y de la orden y causa que en esta habia casa de tanta valia casa de tanta nobleza, oro y plata y riqueza, que estimar no se podría	كيف أحدثكم عن البيت الذي نسماه مكة؟ نظام وأركان موجودة بيت قيم بيت نبيل ذهب وفضة وثروة	المقطع ٤٧
---	---	------------------

Allí están cuatro almihrabes De las nuestras cuatro reglas: hay de ricas açomuas muy altas, ricas y bellas, a cuanto las cuatro d'ellas	هناك توجد أربع مقامات لمذاهبنا الأربعة صوامع غنية عالية ، زاهية أربع مقامات	المقطع ٤٨
--	--	------------------

De nuestros cuatros doctores
a la casa dan mil favores,
cosas son de maravillas

لأصحاب مذاهنا
تفضي على البيت
ألف فضل وروعة

el Alcaba y alharam
estaban al escubierto,
a una parte más gran
de aquesta casa por çierto
salvo un rico cubierto
que alrededor tenía
con setecientos pilares
que las cubiertas sostenia

المقطع ٥٠ كانت الكعبة والحرم مكشوفين
إلا المكان الأكبر
من هذا البيت
ذي السقف الثري
برواقه الذي
يحملة ٧٠٠
عمود

Novcientas son las lampadas
qu'esta casa alumbraban,
con cuales toda la noche
la gente en ella velaban;
y jamás nunca cesaban
de hacer su petiçion
rogando el rey del cielo
los atorgase perdón

المقطع ٥١ ٩٠٠ مصباح
تضيء البيت
كامل الليل
وتسمح للناس
بالسهر والذكر
الذي لا ينقطع أبداً
طالبين مالك السماء
المغفرة

Aquesta casa preçiosa
Está en medio la çibdad,
Guarnida de ricas puertas

المقطع ٥٢ يوجد هذا البيت
وسط المدينة
وهو محلي بأبواب ثرية

y muchas por cada part	من كل جانب
Treinta y nueve en la verdad	له ٣٩ بابا
Por cuales a rodear	وهي مداخل
Entra y sale la gente	تستعمل للقيام بالطواف

Diros he del alcaaba	كيف أحدثكم عن الكعبة	المقطع ٥٣
y de su tanta nobleza,	ونبلها الكبير	
oro y plata y riqueza	ذهب ، فضة ، وثروة	
Que no se lefalla cuenta	لا تعد	
Tiene rica vestimenta	محلاة بكسوة	
de seda admasquina,	من حرير مزركش	
y chapada de plata fina	بالفضة الناعمة	
Muy rica tiene la puerta	بابها ثري	

ملحق رقم (٢)

- 1- "La kaaba est une tour quadrilatère placée presque au milieu du temple, couverte d'une immense toile noire qui ne laiss á découvert que le socle ou base saillante de l'édifice. La place où la pierre noire est incrustée á hauteur d'homme sur l'angle de L'Est, et un autre espace semblable sur l'angle du Sud qui est d'un marbre commun. Du côté du Nord-ouest s'élève un parapet á hauteur d'appui, formant presque un demi cercle et nommé El Hajer Ismail ou Pierres d'Ismail".
 - 2- "De bab, Safa on monte une petite rue qui se termine par un portique composé de trois arcs sur colonnes et où l'on monte par des gradins".
 - 3- "La porte de la kaaba est sur la façade du Nord-est, á peu de distance de la pierre noire et á six pieds environ d'élévation au-dessus du plan de la grande cour du temple. Pour y entrer, on place en dehors un escalier en bois porté par six rouleaux de bronze".
 - 4- "La Maison de Dieu couverte de sa toile noire et entourée de lampes formant un tableau imposant que jamais ne s'efface de ma mémoire".
١. «الكعبة برج مضلع يتوسط الحرم . وهي مغطاة بكسوة كبيرة سوداء ، لا تظهر إلا القاعدة البارزة . وأما الركن الشرقي ، وعلى مستوى القامة فإنه مرصع بالحجر الأسود ، وأما الركن الجنوبي فإنه مكسو بالمرمر . ومن جهة الشمال الغربي وعلى مستوى الكتف يرتفع حاجز يؤلف نصف دائرة ، وهو يسمى حجر إسماعيل» (رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٠٤ .
 ٢. «من باب الصفا نصل طريقاً ينتهي برواق مكون من ثلاثة أقواس مرتكزة على أعمدة ، ويتم الصعود إلى الرواق عن طريق صقالة» (رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٠٦ .
 ٣. «يوجد في الواجهة الشمالية الشرقية ، وعلى بعد قليل من الحجر الأسود ، وعلى ستة أقدام من مستوى الصحن الكبير للحرم باب الكعبة . وللصعود إليه يوضع سلم من الخشب محمول على ست قواعد من البرنز» (رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٠٦ .
 ٤. «الكعبة مغطاة بالكسوة السوداء . وهي مضاءة بمصابيح تشكل لوحة رهيبة لا تمحى من ذاكرتي مطلقاً» (رحلات ، مج ٢ ، ص ٣٠٢ .

ملحق رقم (٢)

قائمة الكلمات العربية المستعملة في الأدب الأعجمي الموريسكي

تبين هذه القائمة أن الموريسكيين بالرغم - من عدم قدرتهم على استعمال اللغة العربية التي تم تحريم استعمالها رسمياً وتبع المخالفين عن طريق محاكم التحقيق أو التفتيش - فإنهم تشبثوا ببعض الكلمات منها :

Acuna	الصمعة
Adahea	الضحية
Ahetelquivir	العيد الكبير
Alá	الله
Alcaba	الكعبة
Alchomaa	الجمعة
Alcodos	القدس
Alhache	الحج
Alharam	الحرم
Alhiche	قافلة الحج
Alhichante	الحاج
Almakam	المقام
Almedina	المدينة
Almihrabes	المقامات
Amobi	النبي
Arafa	عرفة
Asala	الصلاة
Asalam	السلام عند نهاية الصلاة
Ataçbih	التسبيح
Bab Asalam	باب السلام
Djemma	الجمعة
Djenna	الجنة
Din	الدين
Naha	حواء

Hadiche	خديجة
Jimaa	جامع
Kaba	الكعبة
Maca	مكة
Mina	مينا
Rawuscalum	أورشليم أو القدس
Romeaje	الحج
Toriciné	جبل سينا
Zenzén	زمزم

الرحلات المغربية إلى الديار المقدسة وتركيا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مصدراً للمعلومات عن العالم الإسلامي

سعيد بن الأحروش (*)

المستخلص

تتناول الدراسة ثلاث رحلات هي : رحلة المنى والمكة لابن طوير الجنية ، والرحلة الغيفائية لمحمد بن عبدالله الوريكي الغيفائي ، والرحلة الشرقية لمحمد بن يحيى الصقلي . بدأ ابن طوير الجنية رحلته من بلده تشيت بالمغرب سنة ١٢٤٥ هـ . وقد درس ابن طوير عدة ظواهر منها : الطرق الصوفية وطغيان المدينة الغربية في الأوساط الإسلامية ، وتغلغل الحضارة الغربية في بعض المجتمعات الإسلامية وخصوصاً في شاطئ طنجة وبجاية وتونس والأكندرية ، وسيطرة النصارى على المرافق المهمة على طول الشاطئ الأفريقي . كما لاحظ ابن طوير تأثر سكان المدن الساحلية بالمشرق بعادات وتقاليده بعض الجاليات الأوروبية المقيمة هناك . كذلك يصف ابن طوير النشاط الاقتصادي والرواج التجاري وهو ينتقل بين أهم المراكز الإسلامية التجارية . أما الرحلة الثانية فهي رحلة الغيفائي ، وتسير الدراسة على النهج نفسه في دراسة الرحلة بدءاً بالهدف منها وهو الحج . وتصف المصاعب والأحوال التي يلاقيها المسافرون للحج على المراكب والزمام والفوضى والشاحنات ، إلخ . ثم تنتقل إلى المضمون الاقتصادي

(*) أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبدالمالك السعدي بتطوان .

والتجاري في الرحلة فقد تحدثت عن بعض المؤسسات اللافتة للانتباه بالمشرق الإسلامي . وتفرد الرحلة قدراً لا بأس به للحديث عن مصر وعجائب الآلات التي شاهدها بها . ثم يتحدث عن الأزهر وعلمائه وطلابه من المصريين وغيرهم ، ثم يصف دار الكتب المصرية وغناها بالكتب في كل فن وفي كل لغة . أما الرحلة الثالثة فهي رحلة محمد بن يحيى الصقلي التي قام بها عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩ م . وتركز الدراسة على وصف الرحلة لتركيا بعد ١٩٢٣ م ، ثم ركز بعد ذلك على الجانب العمراني والأثري ووصف الآثار العمرانية والمعالم الحضارية في تركيا وخاصة المساجد .

الرحلات المغربية إلى الديار المقدسة وتركيا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مصدراً للمعلومات عن العالم الإسلامي

الأهمية المصدرية لكتب الرحلات :

الرحلة جنس أدبي مألوف ومتجذر في المنطق الإسلامي . فالحياة رحلة صغرى يهيم المؤمن نفسه للرحلة الكبرى ، ويعيش المسلم مستحضراً الدلالات الرمزية الكامنة في آخر سفر للرسول صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ؛ فالحج رحلة تعد النفس للرحلة المطلقة .

والرحلة بصفة عامة انتقال في الزمان والمكان قصد الاطلاع على آفاق جديدة من المناطق المجهولة ، وقد يصل الأمر بصاحبها إلى تسجيل أهم ما يتعلق بها في تقرير يصبح وثيقة تاريخية وجغرافية واجتماعية تفيد بعد ذلك في معرفة مرحلة دقيقة من تاريخ الجهة التي زارها الرحالة وخلّدها في تقايده . وهكذا فالرحلة عامة عملية تكشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس ^(١) .

ومن هنا تأتي الأهمية المصدرية لكتب الرحلات ، فهي تشكل مصادر لا غنى عنها لأي باحث بحضارات وثقافات الشعوب . والرحلات العلمية القائمة على المشاهدة والمعاينة هي أكثر إفادة ، فهي تقرب الواقع المراد دراسته ، ولذلك دأبت النخب الحاكمة على تشجيع مواطنيها الذين اشتهروا بالترحال في البلدان النائية على كتابة تقارير رحلاتهم لتستشف من خلالها وضعية الذهنيات والعقليات وتطورها عبر الزمان والمكان ، ولهذا عدت كتب الرحلات وتقارير المسافرين أهم قناة لمعرفة الآخر .

بداية الرحلة في المغرب الأقصى:

دأب المغاربة منذ القديم على الترحال والضرب في الآفاق . فقد كانوا يرون في السفر رمزاً للتحرر بمفهومه الوجودي والطبيعي .

ويعد الإدريسي^(٢) أعظم رحالة على عصره ، يليه ابن جبير^(٣) والعبدري^(٤) . ويأتي بعيد هؤلاء جميعاً رحالة العرب والعجم ابن بطوطة^(٥) صاحب الرحلة المشهورة التي تعد اليوم الأولى في تاريخ البشرية جمعاء^(٦) ، ثم معاصره ابن خلدون^(٧) فيلسوف العرب الذي رحل إلى المشرق وسجل ملاحظاته ومشاهداته في رحلته المعروفة^(٨) .

وتستمر رحلات المغاربة إلى المشرق ، وتتوالى زياراتهم إلى الحجاز والقدس ، بالرغم من الظروف القلقة التي عاشها المغرب أواخر دولة بني مرين وبداية الدولة السعدية .

وهكذا قرأنا عن أخبار مكة والمدينة والقدس والخليل من خلال رحلات أبي العباس المقري^(٩) وأبي سالم العياشي^(١٠) الذي رحل إلى القدس والخليل ، وخصص لهما حيزاً مهماً على ما جرت عادة الحجاج المغاربة فإنهم لا يملكون من أداء وصف مدقق لما يشاهدون .

وفي القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي تزداد رحلات المغاربة إلى المشرق وتكثر جولاتهم في البلاد الإسلامية وتتعدد بذلك التقايد والتقارير والكتب ، وفيما يأتي بُنيت بأهم تلك الرحلات والتقارير بنوعيتها الحجازي والسياحي .

١- رحلات حجازية :

- رحلة عبد السلام بن السلطان محمد العلوي كانت عام ١١٨٥ هـ وأكثر ما في هذه الرحلة هو حديث المؤلف عن بلاد مصر حاضراً وماضياً^(١١) .

- رحلة أحمد بن محمد الفاسي^(١٢) كانت عام ١٢١١هـ-١٧٩٧م. وقد وصفها الأستاذ محمد الفاسي في مجلة دعوة الحق وأشار إلى نسخ منها في المغرب ومصر^(١٣).
- رحلة محمد الناصري. للناصري هذا رحلتان: كبرى وصغرى، وتوجد من الرحلة الكبرى نسخة باقية في الخزنة العامة بالرباط^(١٤). وفي كتاب الأعلام وصف وتلخيص لهذه الرحلة^(١٥). وقد كتب المؤلف في هذه الرحلة مجموعة من الفوائد المهمة تتعلق بهيئة ركب الحاج المغربي والتونسي والمصري، ومجموعة من الإجازات للشيخو المغاربة والمشاركة، إلى جانب نصوص نادرة وأجوبة فقهية عن النوازل التي سئل عنها خلال رحلته.
- رحلة محمد التامراوي^(١٦). ألفها عن حجته عام ١٢٤٢هـ وقد طبع نصها كاملاً ضمن كتاب المعسول^(١٧) والرحلة حافلة بالمعلومات والمواد النادرة عن البلاد الإسلامية مشرقاً ومغرباً.
- رحلة أحمد بن العربي الوزاني، وهي الموسومة بالرحلة الوزانية الممزوجة بالمناسك المالكية. دَوّن فيها مشاهداته وتقائده عن حجته عام ١٢٦٩هـ^(١٨).
- رحلة محمد بن كيران الفاسي، وتعرف بالرحلة الفاسية^(١٩)، كتبها عن حجته عام ١٢٩٣هـ. صاحبه جماعة من الحجاج المغاربة.
- رحلة الحسن الغسال، وهي الموسومة بالرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية. كتبها عن رحلته الحجازية عام ١٣١٥هـ/١٨٩٨م وللرحلة تعريف بها مع مستخلص لها في الملحق الثقافي لجريدة العلم^(٢٠).
- رحلة علي بن أحمد الإلغي ت ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، نشرها ولد المصنف محمد المختار السوسي وسماها «أصفي الموارد في تهذيب الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»^(٢١).
- رحلة أحمد السكيرج. كتبها عن رحلته عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م وكان قد ذهب على رأس وفد من الحجاج برسم النيابة عن العاهل المغربي السلطان يوسف في تهنتة

شريف مكة، الحسين بن علي بالاستقلال مع الإشراف على تأسيس رباطين مغربيين بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة^(٢٢).

ب - رحلات سياحية:

- للمغاربة رحلات عديدة إلى البلاد الإسلامية وإلى غير البلاد الإسلامية قصد السياحة واستطلاع أحوال الناس في شتى أرجاء العالم ومن أشهر تلك الرحلات:
- رحلة محمد بن يحيى الصقلي، كتبها عن سفره إلى بلاد مصر وسوريا وفلسطين وتركيا خلال عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م. ونظراً لأهمية هذه الرحلة قام المؤلف بنشر القسم الخاص بتركيا، وذلك رغبة منه في تعريف المغاربة بواقع الأتراك المسلمين بعد قيام الجمهورية التركية بقيادة مصطفى أتاتورك سنة ١٩٢٣.
 - رحلة أحمد بن محمد بن محمد بن محمد السلوي الصبيحي ت ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، وكانت إلى مصر عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م قيد فيها كلمات عن المآثر المصرية الفرعونية والإسلامية وعن مكتباتها وعلمائها الذين اجتمع بهم وجلس إليهم^(٢٣).
 - ونظراً لكثرة الرحلات، الحجازي منها والسياحي، ولكثافة مضامينها وامتدادها الزماني والمكاني فإن البحث سيكتفي بمجرد الإسهام في التعريف بثلاث منها وهي:
 - رحلة المنى والمنة لابن طوير الجنة.
 - الرحلة الغيائية لمحمد بن عبد الله الوريكي الغيائي.
 - الرحلة الشرقية لمحمد بن يحيى الصقلي.

رحلة ابن طوير الجنة :

ليس من هدف هذا العرض استيعاب كل ما احتوته رحلة ابن طوير الجنة من مشاهدات وتقاييد وملاحظات فذلك أمر عسير، وإنما القصد هو التعريف بالرحلة وبصاحبها وبموادها مما يدخل في باب: مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي.

التعريف بابن طوير الجنة:

ابن طوير الجنة هو أحمد المصطفى الصحراوي الحميري التشيتي، المشهور بالسنجيطي، ذكره المؤرخون المغاربة وأثنوا عليه. فقد ذكره صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى وأثنى عليه وذكر بعض مؤلفاته التي منها فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان^(٢٤). وأشار إليه المؤرخ عبد العزيز بن عبد الله في موسوعته الأعلام البشرية تحت اسم الطاء، وعرف به وبرحلته إلى الحجاز وذكر أن خروجه كان من مراكش عام ١٢٤٥ هـ برعاية السلطان عبد الرحمن بن هشام الذي حكم من سنة ١٢٣٨ إلى ١٢٧٦ هـ^(٢٥).

وورد ذكره في كتاب الأعلام تحت اسم أحمد^(٢٦) ويشير مؤلف الكتاب إلى رحلته الحجازية لكنه لم يترجم له، وبقي وعده بتقديم ترجمة له تحت حرف الطاء وعدا لم يكتب له أن يرى النور سواء في الأجزاء الخمسة أم في الجزأين المحفوظين في الخزانة العامة بالرباط في شكل ميكرو فيلم.

وابن طوير الجنة عالم متصوف شغوف بالاطلاع والتدوين والاتصال بأعلام الرجال في المشرق والمغرب، والاستفادة مما يرى ويسمع، وله رؤية ذاتية خاصة يرى بها الحياة والأحياء.

التعريف برحلة ابن طوير الجنة «المنى والمكة»:

هذا كتاب يشتمل على رحلة قام بها عالم صوفي، واسع الذكاء والمعرفة من أهل الصحراء الغربية إلى الديار المقدسة بطريق البر والبحر أواسط القرن التاسع عشر الميلادي الثالث عشر الهجري. وقد اعتمد البحث النسخة المصورة على الشريط بالخزانة العامة بالرباط رقم الحفظ ١٥٣٤. وعدد صفحات المصورة ١٣٨ ورقة.

خرج ابن طوير الجنة من بلدته تشيت سنة ١٢٤٥ هـ متجها إلى وادي درعة^(٢٧) بالمغرب الأقصى ليلتقي هناك ركب الحاج المغربي السجلماسي^(٢٨) لكنه وجد الركب قد فاته فمكث في مراكش مدة من الزمن زار خلالها حواضر المغرب .

وقبل أن يتوجه إلى الجزائر بلغه خبر دخول الجيوش الفرنسية إليها عام ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م، فكان خبرا مشؤوما عليه . فعدل عن التوجه إلى الحج على طريق الجزائر إلى طريق أخرى هي طريق الإبحار من مرسى العرائش ومنها إلى الإسكندرية إلى السويس فالحجاز .

ولدى عودته من الحجاز وقف بالقاهرة ثم بطرابلس الغرب وتونس وفيها لقي مساعدات من طرف الحامية الفرنسية حيث إنهم أركبوه هو وصحبه سفينة حربية^(٢٩)، ومنحوا أصحابه كل التسهيلات حتى وصلوا بهم جبل طارق فاستقبل هناك استقبالا رسميا وأقيمت له الحفلات^(٣٠) .

وقد كان بإمكان ابن طوير الجنة أن يتوجه من جبل طارق إلى تشيت بلده بالصحراء الغربية، لكنه أصر على النزول بطنجة والمرور بالمغرب ليلتحق مرة ثانية بالسلطان عبدالرحمن بمراكش الذي لم يدخر وسعا في إكرامه والاحتفاء به .

قضايا الرحلة :

الظاهرة الطرقية : رغم تبرم ابن طوير الجنة من الظاهرة الطرقية (الطرق الصوفية) وفسادها إلا أنه كان مولعا بزيارة الأولياء ولقاء الصالحين والعباد فهو عندما حل بمراكش انطلق لزيارة الأضرحة المشهورة بالمغرب .

وعندما نزل الإسكندرية خرج إلى زيارة دور العبادة والأضرحة والمعالم الروحية التي اشتهرت بمصر . وقد قدم لنا استطرادات قصيرة في هذا الباب ولولا الطول لجلبنا العديد من المواقف ومظاهر الحياة الصوفية في مصر .

وما يهم أن نشير إليه في هذه العجالة هو مناهضته برغم تصوفه للطرق الصوفية الضالة، والتنديد بأهل الدجل. ويظهر هذا من خلال حديثه عما استفحل في البلاد الإسلامية وانتشر فيها من زوايا وتكايا ودور العبادة تعطلت بسببها بيوت الله ومساجده.

ففي طرابلس وبنغازي بليبيا وجد الناس هناك في كل واد يهيمون فأخذ يعظهم ويصبرهم في أمور دينهم ودنياهم فكتب لهم رسالة سماها «فيض المنان في الرد على مبتدعة الزمان»^(٣١) وهو يعني بالمبتدعة الطوائف الصوفية الضالة التي انتشرت في ليبيا وغير ليبيا وأعمت البصائر والأبصار.

وفي مراكش يحدثنا ابن طوير الجنة عن حركة السلطان عبد الرحمن ومناهضته للطرق الصوفية الضالة وبالأخص أتباع الزاوية الشراعية بأحواز مراكش التي ظهر فيها الفساد، وعمت الرذيلة. وقد أيد ابن طوير الجنة سياسة السلطان عبد الرحمن في قمع المتمردين، وأطلعه على كتاب فيض المنان فاستحسنه في وقت هو أشد ما يكون فيه إلى دعم معنوي في مواجهة خصومه الطريقين، وأمر بقراءة الكتاب بجامع القرويين.

طغيان الصنعية الغربية في الأوساط الإسلامية :

من القضايا التي استأثرت باهتمام ابن طوير الجنة وتكلم عنها كثيراً في رحلته قضية المدنية الغربية وطغيانها في الأوساط الإسلامية فقد استغرب لما شاهد من تغلغل مظاهر الحضارة الأوروبية في بعض المجتمعات الإسلامية وخاصة في شاطئ طنجة وبجاية وتونس والإسكندرية، ولاحظ سيطرة النصارى على المرافق المهمة على طول شاطئ الشمال الأفريقي، كما لاحظ سيطرة الأوروبيين على المؤسسات النشيطة كالملاحة البحرية والتجارة، وتفتيش الأمتعة من أجل أداء الرسوم الجمركية، وعنده أن تشدد الأوروبيين في ذلك يرجع إلى نشوة الانتصار التي يعيشون فيها بعد احتلال عاصمة الجزائر. هذه رؤيته وهكذا كان يفكر.

ومما لاحظته على بعض ساكنة المدن الساحلية بالمشرق تأثرهم بعبادات وتقاليده بعض الجاليات الأوروبية المستوطنة هناك وانصياح فئات مجتمعية من ذوي الثراء واليسار لعبادات وتقاليده النصارى حتى ليصعب على الزائر الوافد عليهم التفرقة بين بعض السكان الأهالي والجاليات الأوروبية المتواجدة هناك ؛ لأن زيهم فيهم واحد لافرق بينهم في ذلك .

وكثيراً ما كان ابن طوير الجنة يقارن بين الأوضاع الاجتماعية في المشرق بما يراها في المغرب ويقول «والأمر مختلف في بلاد المغرب نصر الله سلطانهم وأصلح به العباد والبلاد، إذ ليس للنصارى ولا لليهود فيه شأن ما، بل هم فيه تحت الأقدام وتحت الذمة، فلا تكاد ترى في المغرب نصرانياً ولا يهودياً إلا ميزته عن المسلم» وقد استنكر ابن طوير الجنة سلوك المشاركة وندد بمن ينهجه ويتبعه .

النشاط الاقتصادي والرواج التجاري:

لم يهمل ابن طوير الجنة، وهو يتنقل بين أهم المراكز التجارية في البلاد الإسلامية، الحديث عن النشاط الاقتصادي والرواج التجاري والحركة الدائبة في الموانئ والمراكز التجارية كالعرائش وطنجة وبجاية وتونس وطرابلس الغرب والإسكندرية والقاهرة، ففي هذه المراكز تجارات مهمة وأسواق نافعة .

وأطرف ما في تقارير ابن طوير الجنة عن النشاط الاقتصادي والرواج التجاري التجاؤء إلى المقارنة والموازنة بين موازين التجارة في الأسواق المختلفة، ووزن العملة ونوعية البضائع المعروضة للبيع والتبادل والمقايضة !

كما اهتمت تقارير ابن طوير الجنة بذكر الشركات والمجموعات الاقتصادية الكبرى التي كانت تسيطر على التجارة وطرق تصريفها، وأغلب ذلك كان في يد النصارى واليهود باستثناء بعض الشركات التي كان يملكها التجار المسلمون لنقل البضائع والتجار والمسافرين والحجاج .

ومن الشركات الإسلامية التي عرّف بها ابن طوير الجنة شركة أحد الملاكين المغاربة الموصوفين بالحركة الدؤوبة والنشاط المتزايد في مجال النقل البحري والملاحة التجارية . فقد كان لصاحب هذه الشركة خط ملاحى منتظم يربط طريق الحج من العرائش بالمغرب الأقصى إلى آخر نقطة في السواحل الشرقية ، وصاحب هذه الشركة تاجر مغربي من فاس ، استوطن إحدى مدن جنوب إيطاليا الساحلية وأقام بها يراقب من خلالها نشاط أسطوله .

ويخبرنا ابن طوير الجنة عن نشاط تاجر مغربي آخر واسمه أحمد المغربي كان يقيم بالإسكندرية ويملك قافلة تعبر الطريق الواصل من الإسكندرية إلى الأقاليم الغربية .

وقد وجد ابن طوير الجنة في التاجر المغربي كل أنواع المساعدة والمبرة والرعاية المادية والمعنوية ، إذ في قافلة هذا التاجر سافر ابن طوير الجنة محفوفاً بالتكريم والرعاية .

خلاصة القول : إن لرحلة ابن طوير الجنة قيمة مصدريّة مهمة فيها من المعلومات عن العالم الاسلامي الشيء الكثير فهي تتوافر على لوحات ومشاهد غنية عن العمران والمجتمعات .

رحلة الغيغاني:

التعريف بالغيغاني صاحب الرحلة:

الرحلة تعرف باسم كاتبها الغيغاني ، وهو محمد بن عبد الله بن مبارك بن علي بن أحمد العمري الوريكي ثم الغيغاني . كان حيّاً عام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٨ م^(٣٢) .

نشأ الغيغاني بقبيلة غيغاية الواقعة بأحواز مراكش ، وكان كاتباً عدلاً ، معاصراً للسلطان عبد الرحمن بن هشام^(٣٣) . يقول الغيغاني في مقدمة رحلته : يقول محمد بن

عبدالله بن مبارك بن علي بن أحمد الغيغائي : إني قيدت بعض المسائل والأخبار في سفري هذا إلى الحج وهو سفري الأول ، فكتبت مسائل في طريق الحج مما يقع لمريده ، وما يشاهده وما يلقاه من المشقة ويكابه من المحنة وما يرتكبه بعض الناس ^(٣٤) .

مؤلف الرحلة الغيغائية رجل عالم له مشاركة مباركة في أصناف العلوم وأشتات الفنون . قرض الشعر بالعربية وباللسان البربري . نستفيد بذلك من إشارة لطيفة له في الموضوع وردت أثناء حديثه عن رؤية المدينة المنورة لأول مرة ، وابتهاجه بها : «كنت أول مرة في سفري نظمت على لساننا البربري قصيدتين الأولى تدل على ما يقع من السرور للوفود عند رؤية المدينة المنورة وهي طويلة والأخرى هي أيضا مثل الأولى في رجزها ووزنها على اللسان المذكور» .

التعريف بالرحلة الغيغائية:

تحتفظ المكتبة العامة بالرباط ، ضمن مخطوطاتها النفيسة ، بمجموعة من الرحلات الحجازية ذات قيمة تاريخية واجتماعية وحضارية في معرفة أوضاع البلاد الإسلامية وأحوالها وتأتي رحلة الغيغائي في مقدمة هذه الرحلات من حيث وفرة المعلومات التي تقدمها عن العالم الإسلامي .

تقع الرحلة الغيغائية المحفوظة بالخزانة المذكورة رقم الحفظ ٩٨٨ هـ . في حوالى ٣٨٤ صفحة أولها مخروم ، وآخرها أيضا . وهي محشوة بالأخطاء والتصحيحات .

الغاية من الرحلة ومنهج المؤلف فيها:

استهل الغيغائي رحلته بتحديد غايتها فبين أن هدفها هو أداء فريضة الحج ثم شرح أسباب التأليف وظروف التصنيف وملابساته ، ثم ذكر بعد ذلك المنهج الذي سار عليه في تركيب الرحلة وتبويبها إذ قسمها إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

- الباب الأول: في السفر إلى الحج وما يقع فيه من الركوب في البحر وأحواله إلى الإسكندرية.
- الباب الثاني: في مصر وأخبارها وأحوالها ووصف أهلها وأهل البيت المدفونين بها، وأسماء بعض الفقراء بها وعجائبها، ومن دخلها من الصحابة والتابعين وأمراء الإسلام وحكام الترك وذكر طلبة الأزهر وجوامعها وفيه اثنا عشر فصلاً.
- الباب الثالث: في مكة المشرفة وفيه أربعة فصول.
- الباب الرابع: في المدينة المنورة وهو أربعة فصول أيضاً.

وإلى جانب الأبواب الأربعة التي تتألف منها الرحلة الغيغائية فهناك مقدمة مُسَهِّبة تضمنت أحكام السفر في البر والبحر وآدابه وما ينبغي للمسافر أن يتزود به ويتحلى به أو يتخلى عنه وهي في ورقات سبع.

ويغلب على المؤلف في رحلته دقة وصف كل ما كان يشاهده، وتقييد كل ما كان يسمعه ويشافهه له الناس مع الشرح والتعليق.

مضمون الرحلة الغيغائية:

١- مأساة الحج المغربي إلى مكة أو آفة الركوب في البحر:

خصص المؤلف الباب الأول لوصف المراحل التي اجتازها منذ خروجه من قرية وريكة القرية من مراكش يوم ١٥ شعبان عام ١٢٧٤/ ٣١ مارس ١٨٥٨، لأداء فريضة الحج. وأبحر يوم السبت ١٣ رمضان من العام نفسه من الصويرة^(٣٥) دار جهاد وثغر عبادة.

تناول الغيغائي بالوصف والشرح الجو المتوتر الذي طبع مسيرته المضنية، فرسم صورة مؤلمة عن الوضعية المزرية التي كان يعيشها الحجاج المغاربة، حيث كانوا

مستغلين من طرف الشركات الملاحية الأوروبية، ومعرضين لأبشع المضاربات، ونجد في كلامه دقة متناهية في الملاحظة وصدقاً في العاطفة والإدراك العميق لما يتعرض له هؤلاء المتوجهون إلى الحج من محن، بالإضافة إلى أخطار الجوع والأوبئة التي كانت تفتك بأعداد وافرة منهم، مبدئياً أسفاً عميقاً لما يحدث لهم على ظهر السفينة (البابور) من الضيق والازدحام والمضاربة والمشاتمة والقتال والجراح وقلة الحياء والبغض وكلام الفحش^(٣٦).

ويجسد الغيغائي فداحة المشكل بقوله « . . إذا دخلوا السفينة وحصل لهم الضيق، ووقع منهم ما ذكرنا، تركت الصلاة ولا يصلحها إلا النادر من أجل المزاحمة وكثرة النجاسة . ولا يجد الإنسان أين يقضي حاجته أياماً، وربما ترك الأكل من أجلها . وإن أراد الحاجة في طرف السفينة يمر على الناس، يطأ عليهم أو على أمتعتهم، ولا يتركوه أن يصعد إلى محل القضاء . ودفعوه ورموه على وجهه بلا رأفة ولا شفقة، ويندم ويرجع أو يصيح أو يبكي . ولا يرحمه إلا الله تعالى » .

ويرخي الغيغائي لقلمه العنان، فيسترسل في وصف أحوال الناس على ظهر السفينة ويقول: «ربما حصل للحجاج العطش من قلة الماء ويشترونه من بعضهم بعضاً أو من البحرية، وربما بلغت الشربة ثلاثة دراهم أو أكثر» .

ويتحدث عن وضعية المرأة في السفينة ويتأسف لعدم وجود موضع مخصص بالنساء، ومكان يمنعهن من اختلاطهن بالرجال والنصارى . يقول الغيغائي: «ومن أعظم آفة الركوب في البابور (السفينة) اختلاط الرجال والنساء، وليس لهن موضع مخصص بهن، ولا تجد المرأة كيف تقضي حاجتها إلا بالمشقة العظيمة وإزالة الحياء»^(٣٧).

ويقترح الغيغائي على من يريد أن يتخلص من الازدحام الواقع في البابور، وينجو من آفة الضيق ومضايقة الناس والحرمان من المرافق العمومية أن يركب الدرجة الممتازة،

وهي، وإن كانت مكلفة بعض الشيء، إلا أنها مريحة ونافعة. وقد قدر الغيغائي ثمن الركوب في الدرجة الممتازة بنحو ثلاثين ريالاً لكل نفس. وهذا يعني أن ثمن التذكرة بالدرجة الأولى أضعاف أضعاف ثمن الدرجة الدنيا.

ويصف الغيغائي الدرجة الممتازة ويسمّيها بالقمرة فيقول: «والقمرة من البابور بمثابة القبة الزاهية من البيت، مزوقة ومزينة بأنواع الزينة والفرش، ومعدة للأكابر والتجار وأرباب النظافة والنقاوة والأموال، فلا يدخلها إلا من سَخِيَ بالدراهم، وأراد أن يباعد المزاحمة، والنظر إلى العورات»^(٣٨).

٢. المضمون الاقتصادي والتجاري في الرحلة:

وإلى جانب ما ذكره الغيغائي عن ظروف الحج والحجاج وما يلاقونه من مشقة وعناء في رحلتهم الطويلة إلى الديار المقدسة، فقد تحدث أيضاً عن بعض المؤسسات التي استرعت انتباهه، ولفتت فضوله بالمشرق الإسلامي، حيث خصص لها حيزاً لا بأس به من الاهتمام والعناية؛ لأنها في نظره من الأسس الضرورية في الإقلاع الاقتصادي والنهوض بالتجارة والتنمية الشاملة.

فمن التجهيزات التي أخذت بالرحالتنا بمصر وبغير مصر شق الطرق وتعبيدها وإنشاء القناطر والموانئ فقد شيدت الحكومات الإسلامية على طول الطريق المؤدية إلى الحج وفي أماكن أخرى مختلفة، الكثير من الطرق وأنفق المسؤولون على ترصيفها وتعبيدها أموالاً طائلة، غير مبالين بالصعاب الطبيعية التي قد تعوق مشاريعهم. وقد قدم الغيغائي كل المعلومات التي ترتبط بالطرق والقناطر المشيدة فوق الأنهار.

ولعل مما يميز الغيغائي في تقاييده وتقاريره، تركيزه على مظاهر قد لا ينتبه إليها غيره من الرحّالة المغاربة من ذلك مثلاً حديثه الشيق عن المواصلات السلوكية واللاسلكية، فقد استرعت هذه الظاهرة انتباه الغيغائي واعتبرها أداة ناجعة لمعرفة الآخر

وما يجري في العالم وبسرعة مذهلة ، ولذلك وجدناه يفيض عنها الحديث بكثير من الكلام . من ذلك مثلاً قوله : «تذكر كيفية هذا السلك وهو الذي أحدثه الروم نحو خمسة أعوام ، وهو يجلب الأخبار ، وصفته أنه مصنوع من حديد رطب على قدر شريط الحصر المصنوع من الدوم كالخيوط تورده الأخبار وتصدر بها في الحين من كل ديوان وبها رجال من الروم واقفون عليها عارفون بها»^(٣٩) .

وعن الكيفية التي يتم بها إيراد الأخبار وتصديرها يحدثنا الغيغائي حديث العارف المعجب المتمرس بهذا الاختراع العجيب فيقول : «وإذا أراد أن يخبر بها عنك قيدت له حاجتك في كتاب ، ويطرحه أمامه ، وينظر إليه وهو يحرك الآلة . . . فإذا أردت أن تخبر صاحبك عن سلعة أو أمر تقيد كلامه وتعطي عليه درهما عن كل حرف ويخبر به صاحبه بالسلك يخبر صاحب السلك الآخر صاحبك . . .»^(٤٠) .

ومن الظواهر الأخرى التي استرعت انتباه الغيغائي وأثارت فيه الفضول المعرفي ظاهرة القطار أو البابور البري كما يسميه فقد وقف عند هذا الاختراع وخصص له صفحات طوالا وصفه فيها وصفا شاملا مبتدئا بوصف القاطرة التي هي بيت صغير من النحاس ، مركب على أربع عجلات من حديد ، وهو على طبقتين : الطبقة الداخلية فيها النار والطبقة البرانية (الخارجية) وفيها الماء ، يذهب البيت ماشيا بقوة وتربط به بيوت (عربات) على قدره .

«والقطار عند المشاركة يسمونه آنثذ ببابور السكة ، إذ السكة عندهم هي الطريق ، إنما البابور منه الموضع المقدم الذي هو رأسه ، وفيه الحركات والآلات . . .» .

ومزيداً من البيان والإيضاح يضيف الغيغائي معلومات أخرى إضافية تعرف القطار أكثر وتميزه عن البابور البحري . فالقطار هو على غير شكل البابور البحري ، لأنه يحمل على قطع أعواد لها أدوار من الحديد وهي غاية ما يكون من الصنعة والحكمة والإتقان . وهذه السكة (الطريق) التي يجري فيها مفروشة بالحديد من الجانبين^(٤١) .

ويختم الغيغائي حديثه عن غرائب المخترعات وعجائب الآلات التي شاهدها بمصر وبغير مصر بالإشادة بمخترعها والاعتراف لهم بالتقدم والتفوق، وهو يقصد هنا بالدرجة الأولى أوروبا بما أنشأته بالمشرق من وسائل وأسباب النهضة الاقتصادية والتجارية واعتبر ذلك من الإلهامات الربانية والاستنباطات البديعة.

وضعية المصريين والتسلط الأجنبي:

أفاض الغيغائي في الحديث عن خطورة الوجود الأوروبي بالشرق، لا سيما وأنه اتخذ شكل التحدي والسيطرة، والمعلومات التي يقدمها تبرز مدى وعيه بالأخطار التي كانت محدقة بالعالم الإسلامي، فقد كان خير مترجم وشاهد على ما آلت إليه الأمور على عهده، يقول الغيغائي: «ومن يحاج النصرارى اليوم ويغال بهم لعلو كلمتهم وقوة شوكتهم في البحار والمراسي وفي سائر الثغور»^(٤٢).

وازداد إحساس الغيغائي بتخلف المسلمين وتقدم غيرهم ويعجزهم عن مقاومة أوروبا الصناعية التي أصبحت تشكّل تهديداً حقيقياً، وإلى هذا المعنى يشير المؤلف بقوله: «ولا يخفى أمر النصرارى وقوتهم في هذا العدد على من له عقل أو سلك بلادهم، أو جاورهم دمرهم الله، وكسر شوكتهم وفرق جمعهم»^(٤٣).

ونجده يدق ناقوس الخطر بقوله: «وحاصل الأمر وغايته أن النصرارى، لعن الله دينهم، تفوقوا على المسلمين وعلت كلمة الكفر بالثغور، وذلت كلمة الإسلام في كل الأمور، ووقع الهول والفتنة وخمدت الفكرة والفطنة وبهذا سلط الله على قلوبنا خوف أعدائنا. . فاخترنا التلذذ بالغالي بترك الجهاد. .»^(٤٤) إذ منذ ترك الناس قتال عدوهم جلبوا الفقر والذل لأنفسهم، ومنذ أن ترك ملوك الاسلام مع الكفار القتال حرموا طيبات الحلال»^(٤٥) وقد اتخذ الغيغائي من بلاد مصر نموذجاً للتخاذل والانحطاط والتأخر وخضوعه المطلق للسيطرة الأوروبية والانصياع لها. فقد احتل حديثه عن مصر حيزاً

كبيراً من الرحلة ، فتعرض للعادات الجارية في اللباس والمأكل والمشرب كما شرح التقاليد المتبعة في إقامة الحفلات ودون ارتساماته عن الشرائع الاجتماعية ملاحظاً أن من دناءة هذا القطر المصري خدمة النصارى ، مشيراً إلى أن الفقراء أكثر الناس حياةً وخجلاً إزاء هذه الوضعية المزرية .

اجتماع الغيغاني بعلماء الأزهر وبيان وضعيتهم:

حرص الغيغاني في رحلته على ذكر فحول الفقهاء والعلماء وممن انتهت إليهم الإمامة والقضاء والفتيا كحديثه عن اتصالاته مع إمام المالكية محمد بن عبد الله بن علياش الذي أفناه بمنع الحج على ظهر السفينة مما يحصل من المزاحمة والضيق ، كما أجرى حديثاً طيباً مع كبار الحنفية الشيخ الرافعي وإمام الشافعية إبراهيم الباجوري ، فضلاً عن ذلك فقد تناول حلقات الدرس التي كانت تعقد بالأزهر ، وأبدى اهتمامه بالأزهريين ، وبوضعيتهم وأحوالهم . وفي هذا الصدد يقول الغيغاني : «وهم اليوم غير معينين بهم ولا مبالغين بأحوالهم من الدولة وقد كان لهم في الزمن القديم رواتب وأعلى المراتب أما اليوم فلا معين لهم إلا الله تعالى . . . »^(٤٦) .

ويشير في النهاية إلى وضعية الطلبة الوافدين من الأقطار العربية والإسلامية على الأزهر للدراسة والأخذ ، ويتحدث عن نظام سكنائهم وطريقة العيش وتوفير الأحياء لهم ، وهذه الأحياء السكنية غالباً ما تكون متصلة بالجامع الأزهر أو قد تكون بداخله . ومن الأروقة التي ذكرها رواق الترك ورواق الشامية ورواق الصعيدية ورواق الشرقية ورواق المغاربة^(٤٧) . وعلى كل حال ، فليس هذا كل ما في الرحلة الغيغانية بل في الرحلة تقايد أخرى كثيرة تهم جوانب عديدة من حياة المسلمين في المشرق كما فيها أيضاً إشارات ضافية وشروحات وافية للعديد من المظاهر الحضارية والمؤسسات العلمية من ذلك مثلاً شرحه للطبعة البولاقية ووصفه لدار الكتب المصرية « . . . وهذه الدار مملوءة كتباً من كل فن وعلى كل لغة من الأحباس . . . » .

هذا باختصار شديد مجمل ما اشتملت عليه رحلة الغيغائي . فيها من التقايد والإشارات ما يكفي لإعطاء صورة عن انطباعات رجل عدل أمام مظاهر التقدم الحديث والتغلغل الأوروبي في العالم الإسلامي ، كما تؤكد لنا القيمة المصدرية للمعلومات التي أوردتها الرحلة ، وقيمتها تكمن في كونها معلومات معاصرة لمرحلة متميزة من تاريخ البلاد الإسلامية ، وهو مما لا نقف عليه أو نجده في الرحلات الأخرى أو في حصيلة البحث التاريخي بالعالم الإسلامي .

رحلة محمد بن يحيى الصقلي:

تدخل رحلة محمد بن يحيى الصقلي ضمن المجموعة التي أطلق عليها البحث اسم الرحلات السياحية ، والمقصود بها الرحلات الصادرة عن رغبة مؤلفيها في مشاهدة أقطار البلاد الإسلامية والتجول في بقاعها ، وتسجيل انطباعاتهم عنها .

وإذا كانت الرحلات الحجازية تهتم باتجاه معين كما سبق بيان ذلك في الصفحات السابقة ، فإن الرحلات السياحية تفتح أمام الباحثين آفاقا قد تكون فسيحة في الكشف عن حياة شعوب إسلامية ، وهذا واقع بعض الرحلات المغربية التي تتحدث عن عادات السكان في المأكول والملبس والسكن ، وعن اقتصاد الجهة المعنية ، وأحيانا على المستوى الثقافي وأشكال البناء ومظاهر العيش إلى جانب خدمات أخرى يسديها هذا الصنف من المصادر .

والمعروف حاليا من الرحلات السياحية إلى البلاد الإسلامية رحلة أحمد الصبيحي وكانت إلى مصر وفلسطين ولبنان عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م . ورحلة محمد بن يحيى الصقلي المعروفة بالرحلة الشرقية . وكان قد قام بها إلى مصر وسوريا وفلسطين وتركيا عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م . ويهم البحث في هذه العجالة تقديم عرض سريع حول مضمون رحلة محمد بن يحيى الصقلي بصفتها ممثلة للرحلات السياحية إلى البلاد الإسلامية .

والموجود حاليا من الرحلة القسم الذي نشره صاحبها عن تركيا رغبة منه في تعريف المغاربة بواقع الأتراك المسلمين بعد قيام الجمهورية التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٣م^(٤٨). فقد كان المغاربة مولعين بزيارتهم للبلاد التركية متعطشين لمعرفة كل شيء عنها وتكفي الإشارة هاهنا إلى العدد العديد من الرحالة المغاربة الذين زاروا تركيا وعرجوا على الإمبراطورية العثمانية ، فما من مغربي رحل إلى المشرق حاجا أو طالبا للعلم أو للتجارة إلا وكانت تحده الرغبة في زيارة تركيا عند الذهاب أو الإياب ، وهذه الرغبة إن تحققت لبعضهم فإنها لم تتحقق للكثير منهم .

وقد خصصت الرحلات المغربية مكانة متميزة لتركيا فتحدثت بإعجاب كبير عن دولة الأتراك والأدوار التي لعبوها في صيانة دار الإسلام وعدتهم القوة الوحيدة القادرة على مواجهة المد الأوروبي والدفاع عن حوزة الإسلام والمسلمين وعن حدود بلادهم .

وقد أدرك مكانة الأتراك وقوتهم وهيبتهم كل من سلك بلاد النصارى بأوروبا ، فالناس هناك لا يميزون بين المسلم والتركي ، فكل المسلمين في نظر الأوروبيين أتراك وكل الأتراك مسلمون فهم يقولون : رجل تركي ويعنون بذلك الرجل المسلم كما يقولون أيضا : حمام تركي وقبة تركية والقصد عندهم الحمام الإسلامي والقبة الإسلامية .

وبالرغم من كون رحلة محمد بن يحيى الصقلي تدور أحداثها ومشاهدها في تركيا ، الفضاء الأوروبي الذي يشعر فيه المغربي المسلم المسافر الحاكي بنوع من الغربة والغربة إلا أن هذا سوف لن يحصل لرحالتنا الصقلي ؛ لأنه رغم وجوده في الفضاء الغربي الأوروبي ، إلا أنه ينتقل داخل منظومة مألوفة هي دار الإسلام ، ومن ثم فإنها سوف لن تختلف في منطقتها عن الرحلات التي يقوم بها المغاربة إلى البلاد الإسلامية الأخرى .

وتزامن سفر محمد الصقلي إلى الدولة العثمانية مع ميلاد تركيا الجديدة ، تركيا الفتاة التي تمخضت عن تلك الرجة العنيفة التي عرفتها الإمبراطورية العثمانية أواخر القرن

التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، فقد اهتز مركز الخلافة العثمانية بسبب الفوضى الداخلية التي عمّت الإمبراطورية من أقصاها إلى أدناها. فلم يستطع خلفاء بني عثمان أن يسيطروا على تلك الحدود الواسعة لا بسبب تعدد الأجناس التي تكونت منها إمبراطوريتهم فحسب، وإنما بسبب السياسة القمعية التي استخدمها السلاطين ضد الشعوب كلها، فتداعت للسقوط، وصارت تنحدر من عليائها وتفقد كثيرا من الولايات التابعة لها، وهكذا تخلت الإمبراطورية العثمانية عن الجزائر ومصر والسودان. واقرن هذا السقوط بالضعف والجهل والتخلف الاجتماعي والاقتصادي والخضوع للأوامر والخرافات. ولولا حركة الإصلاح ونشاط دعائه الذين تداركوا الموقف لكان الوضع على غير ما نحن عليه اليوم.

وقد أشار محمد الصقلي في رحلته الشرقية إلى واقع تركيا السياسي سواء تعلق الأمر برجال الدولة أم تعلق بمؤسساتها. وانبهر بشخصية حكامها وفصل الكلام فيهم وعنهم، كما أطلال الكلام عن إعلان الجمهورية التركية.

إن إقامة محمد الصقلي في تركيا مدة ليست بالقصيرة أتاحت له فرصة الاطلاع على حياة الأتراك السياسية والاجتماعية والعلمية، ومكنته من الموازنة والمقارنة، والرجوع إلى بلده المغرب بمعلومات مفيدة، وتجارب جديدة. ويهم البحث هاهنا أن يشير إلى تعلق محمد الصقلي بحضارة الترك وبدهشته إزاء المعالم الاسلامية الحضارية والمآثر العمرانية الضخمة التي تزخر بها مدن تركيا وحواضرها الكبرى وذلك في وصف دقيق وتصوير عجيب.

ولعل ما دفع البحث إلى الوقوف عند الجانب العمراني كون رحالتنا محمد الصقلي أول رحالة قدم لنا وصفاً شاملاً ودقيقاً للمعالم والمباني الإسلامية التي تشتهر بها تركيا عن غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى، ذلك أن الصقلي لم يكن سائحاً عابراً، بل كان يبحث ويفهم ويسأل، ويقف ويتأمل ويعتبر ويتعظ... والمتأمل في أوصافه للآثار

الإسلامية وغير الإسلامية في تركيا يحس إحساساً صادقاً أنه يقرأ للعالم الآثار المتمرس بوصفها، حيث استعمل الحس الحضاري الأثري الذي قد لا نجده عند غيره من الرحالة المغاربة الذين زاروا تركيا ونقلوا لنا وصفاً لآثارها العمرانية ومعالها الحضارية .

وقد ندهش أكثر عندما نقرأ لرحالتنا هذا رأيا صائباً في قيمة الآثار ودورها كمصادر مادية في دراسة تاريخ وحضارة الأمم والشعوب .

كان الصقلي شديد الإعجاب بالآثار الإسلامية الباقية في تركيا، فيندهش كثيراً لرونق مدنها وجمال مبانيها وعظمة آثارها . وقد عبر عن هذه الدهشة فيما قدمه لنا عن تاريخ عاصمة العثمانيين ونظامها العسكري وما يحف بها من حصون وثكنات الجيوش، وأبراج لمراقبة المضايق وحراسة الخلجان . كما أشار إلى الحذر الشديد الذي عليه الأتراك والتيقظ المستمر الدائم لما يمكن أن يطرأ من مفاجآت من طرف الأعداء، كما حاول أن يشرح الكثير من الاشارات التاريخية والملاحم العمرانية اعتماداً على ما يسمعه أو على ما يشافهه به الدليل، وفي الوقت ذاته تبهره عظمة المباني والأسواق والحركة الدائبة التي لم يألّفها في بلاده .

ولكي نعرف جهود الصقلي في مجال وصف الآثار الإسلامية في تركيا ماضياً وحاضراً، ونقترب أكثر من عالمه السحري الذي ينقل لنا أجواء عبر صور في غاية من الدقة والروعة، نقدم فقرات وأمثلة لما رآه ولمسه عن كُتب، وهو يتجول عبر المدن والحوضر التركية الكبرى .

فمن المآثر التي وقف عندها الصقلي بإعجاب شديد مسجد أيا صوفيا الذي خصه بوصف بارع امتزج فيه التاريخ والاعتبار والإشادة بعظمة الإسلام والمسلمين الذين فتحوا القسطنطينية وجعلوا من كنيسها العظمى مسجداً للمسلمين . ولقد وجد الصقلي في أيا صوفيا مسجداً تحار في كنه عظمته وبهائه وبديع وصفه العقول^(٤٩) .

ومن المساجد الأخرى التي زارها الصقلي المسجد الأعظم الذي أسسه السلطان محمد الفاتح، فهو مسجد من عجائب الدنيا، فيه خزائن صقيلة، فيها من نفائس الكتب الخطية شيء كثير وعلى الأخص مجموعة مصاحف قلمية على الرق، فيها مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه، ومصحف سيدنا علي كرم الله وجهه ومصحف عبد الرحمن ابن زيدان^(٥٠) نقيب الأشراف بحاضرة كبرى مكناس الإسماعيلية. وذكر أن بمكتبة هذا المسجد العظيم ما يزيد على ثمانية آلاف وتسعمائة مجلد. ويقرب المسجد ضريح بانيه السلطان محمد الفاتح، عليه قبة فخيمة جدا تحف بها مقابر رخامية.

ولا تغفل عين المؤلف عن كل ما تقع عليه، بل تلتقطه وتصفه، وتحدث عنه في إعجاب شديد، فهو لدى فراغه من زيارة مسجد محمد الفاتح زار جامع السلیمانية، وفي طريقه إليه شاهد مقبرة قديمة بها قبر قسطنطين الروماني الذي شاد القسطنطينية التي سميت باسمه. وعن جامع السلیمانية يقول: «إن هذا الجامع يفوق غيره مهابة وجلالا بناء السلطان سليمان القانوني، وأغلبه من الرخام البديع والحجر الملون الذي لا يوجد نظيره، وله أربع مآذن عجيبة وبواسطة قبة ثريا عظيمة الكبر»^(٥١).

ويقرب جامع السلیمانية متحف آثار الأوقاف، وهو كما يصفه الصقلي متحف عظيم. وحكى له الدليل وقال: إن بهذا المسجد من النفائس الخطية والزرايب الأثرية والأشياء الكثيرة ما يحتاج إلى استيعاب النظر. ولم يتمكن الصقلي من زيارة هذا المتحف واكتفى بما حدث به عنه الدليل بسبب ما كان يشكو منه من ضيق الوقت وكثرة الشغل^(٥٢).

ويحدثنا الصقلي عن معلمة أخرى كانت في الأصل كنيسة، ثم حولت إلى مسجد جامع تلك هي مسجد السلطان محمود باشا، فهو الذي جدد بناءه، ويذكر الصقلي أن بداخل هذا المسجد شمعندانان عظيمان بهما شمعتان كبيرتان قديمتان، وبه منبر من الرخام الأبيض عجيب الصنع كأنه قطعة واحدة عظيمة الارتفاع.

ومن أفخم المساجد وأعظمها مسجد السلطان أحمد الأول، به منارات عجيبة الصنع، عظيمة الارتفاع، وهيئة صحته على كيفية مسجد الكعبة المكرمة، ومما يذكره الصقلي عن هذا المسجد أن السلطان أحمد الأول كان في وقت بنائه يشتغل مع العملة مرة في الأسبوع اكتساباً للأجر والثواب. وبقرب مسجد السلطان أحمد الأول شاهد محمد الصقلي أضرحة رخامية بديعة الصنع، وبقرب منها مسلتان عظيمتان على إحداهما كتابات هيروغليفية وبيزنطية. أما حيطان هذا المسجد من الداخل فكلها رخامية... أبوابه من الخشب المرصع ومصفحة بالنحاس المنقوش على هيئة أبواب مسجد جامع القرويين بفاس، ولكن هذه أبدع وأفخم.

ويصل الصقلي إلى مسجد سيدنا أيوب الأنصاري في الأستانة رافع اللواء النبوي. ويصف الطريق المؤدية إلى هذا المسجد فيقول: «أخذت تسير بنا عربة في محل كله جنان بأسقة الأفنان، على جانبي الطريق مقبرة الإسرائيليين، وهي عظيمة الاتساع لكنها مهملة، مقابرها كلها عليها نقوش عبرانية مبشرة هنا وهناك، وبقرب المقبرة حي اليهود وهو حي كبير بناياته كلها خشبية قديمة تلوح عليها آثار الفاقة»^(٥٣).

ومن حي اليهود وصل الصقلي إلى الشاطئ الآخر حيث قبر الصحابي الجليل سيدنا أيوب الأنصاري، وبهذا الحي أيضاً قبر شيخ الإسلام محمد رشاد أفندي الخامس، وبقربه مدرسة عظيمة بناها هو من ماله الخاص.

تقدم محمد الصقلي لزيارة قبر الصحابي الجليل من الخارج، إذ لم يتمكن من زيارته من الداخل لأنه من جملة الأماكن التي أغلقت، ولكنه نظر داخل قبته من شبك، فرأى من عظمة ذلك المكان وجلاله ما لا يطيق الفكر تصوره، والتعبير عنه. وبمسجد سيدنا أيوب الأنصاري أدى محمد الصقلي صلاة الجمعة. وهنا يفسح المؤلف المجال لقلمه ويرخي له العنان ليلتقط لنا صورة حية نابضة بالحركة عن مراسيم صلاة الجمعة بأحد مساجد تركيا العامرة. يقول الصقلي: «خرج الخطيب على الساعة الثانية عشرة

وربع لابسا جبة خضراء، وهو كهل طويل القامة، جميل الوجه، كث اللحية. فصعد إلى المنبر وبعد الأذان أخذ يشنف الأسماع بصوته الجهوري... يلحن الخطبة تلحيناً بديعاً يأخذ بمجامع القلوب افتتحها بقوله: «الحمد لله الذي خلق الخلق، وعلمه البيان، وبعث سيدنا محمد رحمة لكافة بني الإنسان...» وختمها بآية: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون». فكانت كلها عربية إلا أنه فسر بعض الآيات والأحاديث باللغة التركية.

وعلى العموم فالرحلة زاخرة بمواقف الإعجاب والتكريم إزاء العديد من المعالم الحضارية الإسلامية والآثار التاريخية القديمة، التي تخر بها البلاد التركية، والحق أن كل من شاهد استانبول شاهد العالم كله.

- وفي الختام يجمل بنا أن نختم مواد هذا العرض بالتنصيص على الخلاصات الآتية:
- الرحلة ليست جنساً أدبياً بل هي ملتقى أجناس أدبية متعددة: الشعر والقصة والرواية والسيرة الذاتية والتاريخ والجغرافية والاقتصاد والمجتمع وهلم جرا.
 - الرحلة والرحلات المغربية على وجه الخصوص مستودع للعديد من المعلومات النادرة والأفكار والمشاهدة والآراء خاصة فيما يتعلق بالبلاد الإسلامية مشرقاً ومغرباً.
 - أن أية محاولة لاستجماع عناصر الصورة التي رسمتها عامة الكتابات العربية عن الدول الإسلامية لا يمكن أن تعزل عن إطار الرحلات المغربية لما تعكسه من مواقف ومواد نادرة لا توجد في غيرها من المصادر العربية الشرقية.

الهوامش

- (١) حسين محمد فهميم . أدب الرحلات . عالم المعرفة ، العدد ١٨٨ (يونيه عام ١٩٨٩ ص ١٥) .
- (٢) الشريف الإدريسي السبتي (٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م) جوال من العهد الموحد . صاغ نتائج رحلته في موسوعته العظيمة الموسومة بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق . ترجمته وأخباره في القسم الذي نشره المستشرق الفرنسي هنري بيريس عام ١٩٥٧ .
- (٣) محمد بن أحمد الكناني له رحلات متعددة إلى المشرق توفي بالإسكندرية حوالي ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م . حياته وأخباره وشيء عن رحلاته في : نفح الطيب ١ / ٧١٤ ، ٢ / ٣٠٠ ، وشذرات الذهب ٥ / ٦١ والمراجع المذكورة بالهامش .
- (٤) أبو عبد الله محمد العبدري الحيجي صاحب الرحلة المغربية ترجمته وأخباره في مقدمة رحلته المنشورة بتحقيق وتعليق محمد الفاسي ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- (٥) محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ترجمته وأخباره مفصلة في مقدمة رحلته تقديم وتحقيق د . عبد الهادي التازي . مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث ط ١٩٩٧ .
- (٦) انظر ما كتبه عن ابن بطوطة ورحلته عبد الهادي التازي .
- (٧) عبد الرحمن بن جابر الحضرمي المشهور بابن خلدون صاحب المقدمة توفي بالقاهرة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م . ترجمته وأخباره في مقدمة رحلته الموسومة التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا . طبعت بالقاهرة بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
- (٨) انظر ما كتبه محمد بن تاويت الطنجي عن رحلة ابن خلدون في مقدمة نشرته للرحلة .

- (٩) أبو العباس إحمد المقري مؤلف نفح الطيب وأزهار الرياض كانت له رحلة إلى المشرق عام ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م . زار خلالها القدس والخليل وأماكن أخرى كثيرة . مقدمة كتاب نفح الطيب بعناية الدكتور إحسان عباس .
- (١٠) أبو سالم العياشي عبد الله بن محمد ، رحلة مغربي من كبارهم ، رحل إلى المشرق وقيد ملاحظاته ومشاهداته في موسوعة كبيرة اسمها ماء الموائد وهي من أوفى الرحلات التي خصصت حيزاً مهماً للقدس والخليل . ينظر في الموضوع عبد الهادي التازي : القدس والخليل في الرحلات المغربية منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- (١١) مجلة دعوة الحق . السنة الثانية ، العدد ٤ . ص ٢٤ / ٢٥ .
- (١٢) أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي الفهري ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب ٥٠ / ٢ .
- (١٣) من نسخ هذه الرحلة النسخة المحفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط رقم ١٢٣٩٢ .
- (١٤) المكتبة العامة رقم الحفظ ١٣٢٧د .
- (١٥) العباس بن إبراهيم المراكشي . الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من العلماء الأعلام ١٩٧/٦ - ٢١٧ .
- (١٦) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله السوسي الرسموكي المزوراري . توفي حوالي ١٢٨٥هـ / ٦٨ - ١٨٦٩م . انظر في هذا : محمد المختار السوسي ، المعسول ٣١٣ / ٨ وما بعدها .
- (١٧) المصدر نفسه .
- (١٨) توجد منها نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط رقم ١٠١٢د .
- (١٩) منشورة في مطبعة النجاح بالدار البيضاء ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- (٢٠)
- (٢١) جريدة العلم . الملحق الثقافي عدد ١٧ / ١١ / ١٩٨١ .

- (٢٢) منها نسخة خطية مصورة على الميكرو فيلم بالمكتبة العامة بالرباط .
- (٢٣) طبعت بالمطبعة الوطنية بالرباط دون تاريخ .
- (٢٤) عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى .
- (٢٥) عبد العزيز بن عبد الله . الموسوعة المغربية للأعلام البشرية . ص ٣٠ . مطبوعات وزارة الأوقاف ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م .
- (٢٦) العباس بن إبراهيم : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من العلماء الأعلام .
- (٢٧) محمد المنوني : حضارة وادي درعة .
- (٢٨) محمد المنوني : ركب الحاج المغربي .
- (٢٩) بحوث ووثائق التاريخ المغربي ص ١٥٩ ، تونس ١٩٧٢ .
- (٣٠) تكريم ابن طوير الجنة بجبل طارق يدخل في نطاق ما يبذله التاج البريطاني من مساعٍ للتقرب من المغرب بهدف الحفاظ على نوع التوازن بمنطقة غرب البحر المتوسط بين القوى الأوروبية الأخرى .
- (٣١) فيض المنان مؤلف صغير لا يتعدى ٢٩ ورقة ، انتصر فيه ابن طوير الجنة للفكرة السلفية الوهابية ، وهاجم الطوائف الصوفية الضالة المبتدعة الذين يتخذون الدين رقصاً ولهوا . منه نسخة مصورة على الشريط بالخزانة العامة بالرباط رقم الحفظ ١٠٨٣ .
- (٣٢) عبد العزيز بن عبد الله : الأعلام البشرية ١ / ١٤١ ، قبائل المغرب ٨ / ٣٢٦ .
- (٣٣)
- (٣٤) الرحلة الغيغائية ورقة ٢ .
- (٣٥) مدينة على شاطئ المحيط الأطلسي بناها السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأولاه عناية خاصة وجعلها الميناء التجاري الرئيسي ، انتقل إليها مركز الثقل الاقتصادي بعد أن تضاعف في مدينة تطوان التي كانت دار جهاد وثمر عبادة .
- (٣٦) الرحلة الغيغائية ورقة ٥٨ / ٥٩ .

(٣٧) نفسه .

(٣٨) نفسه ورقة ٥٤ .

(٣٩) نفسه ورقة ٦٥ .

(٤٠) نفسه ورقة ٨٣ .

(٤١) نفسه ورقة ٨٥ .

(٤٢) نفسه ورقة ٦٦ .

(٤٣) نفسه ورقة ٨٠ .

(٤٤) نفسه ورقة ٣٤ .

(٤٥) نفسه ورقة ٥٨ .

(٤٦) نفسه ورقة .

(٤٧) نفسه ورقة ١٢٥ .

(٤٨) نشر المؤلف هذا القسم في جريدة السعادة الصادرة بالرباط بدءاً من عدد الخميس

١٧ جمادى الأولى ١٣٤٧ ، نوفمبر ١٩٢٨ ثم انتهاء عند عدد السبت ١٣ رمضان

١٣٤٧ ، ١٣ فبراير ١٣٢٩ .

(٤٩) الرحلة الشرقية جريدة السعادة ١٢ يناير ١٩٢٩ .

(٥٠) أبو زيد عبد الرحمن بن زيدان بن محمد الحسني نقيب الأشراف العلويين المتوفى

١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م . الأعلام للزركلي ٤ / ١١١ . تاريخ تطوان لداود ٤ ص ٤٢ .

بروكلمان ٢ / ص ٨٩١ .

(٥١) الرحلة الشرقية . جريدة السعادة . ١٢ يناير ١٩٢٩ .

(٥٢) نفسه .

(٥٣) نفسه .

المصادر والمراجع

- أدب الرحلات/ حسين محمد فهمي .. عالم المعرفة .. ع ١٨٨ (يونيه عام ١٩٨٩) .
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض / أحمد بن محمد المقري التلمساني ؛ تحقيق إبراهيم الإيباري ومصطفى السقا وعبدالحفيظ شلبي .. القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٢م .
- الأعلام بمن حل مراكز وأغمت من الأعلام / للعباس بن إبراهيم المراكشي .. الرباط : المطبعة الملكية ، ١٩٧٤م .
- بحوث ووثائق في التاريخ المغربي / عبد الجليل التيمي .. ط ٢ .. تونس [د.ن ، -١٩] .
- تاريخ الأدب العربي / كارل بروكلمان ؛ ترجمة عبد الحليم النجار .. ط ٣ .. دار المعارف ، ١٩٦٢ .
- تاريخ تطوان/ محمد داود .. الرباط : جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٧٠م .
- التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً/ عبد الرحمن بن خلدون ؛ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي .. مصر (القاهرة) : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .
- حضارة وادي درعة/ محمد المنوني .. [د.م : د.ن ، -١٩] .
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى/ تأليف عبد السلام بن سودة .. الدار البيضاء : دار الكتاب ، ١٩٥٠م .

رحلة ابن جبير/ محمد بن أحمد الكناني؛ تحقيق وليم رايت .. ليدن : [د.ن] ،
١٩٠٧م.

الرحلة الشرقية/ محمد بن يحيى الصقلي .. جريدة السعادة .. بالرباط بدءا من عدد
الخميس (١٧ جمادى الأولى ١٣٤٧ هـ ثم ١٣ رمضان ١٣٤٧ هـ).

الرحلة الغيغائية: مخطوط/ محمد بن عبد الله بن المبارك الغيغائي .. الرباط : الخزنة
العامة ، رقم الحفظ ٩٨ ج.

رحلة الصبيحي/ أحمد بن محمد السلوي .. الرباط : المطبعة الوطنية ، [١٩-] .

الرحلة الفاسية/ محمد بن كيران الفاسي .. الدار البيضاء : مطبعة النجاح ،
١٣٨٠هـ/ ١٩٦٦م.

الرحلة المغربية / لأبي عبد الله محمد العبدري الحيجي ؛ تحقيق وتعليق محمد الفاسي ..
[د.م. : د.ن] ، ١٩٦٨م.

ركب الحاج المغربي/ محمد المنوني .. تطوان : مطبعة تطوان ، ١٩٥٣م .

رحلة ابن بطوطة/ لمحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ؛ تقديم وتحقيق عبد الهادي
التازي .. الرباط : مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٩٧ .

فيض المثنان/ ابن طوير الجنة ، نسخة مصورة على الشريط بالخزانة العامة بالرباط رقم
الحفظ ١٠٨٣ .

قبائل المغرب/ عبد الوهاب بن منصور .. الرباط : المطبعة الملكية ،
١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

القدس والخليل في الرحلات المغربية / عبد الهادي التازي .. الرباط : منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

ماء الموائد / لأبي سالم محمد بن محمد بن سالم العياشي .. فاس : دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، ١٣١٦هـ طبعة حجرية .

المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث/ محمد المنوني .. الرباط : كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٨٩م .

المعسول/ محمد المختار السوسي .. الدار البيضاء : مطبعة النجاح ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١ .

الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية/ عبد العزيز بن عبد الله .. الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٩٥هـ / ١٩٩٥م .

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق/ الشريف الإدريسي السبتي ؛ بعناية المستشرق الفرنسي هنري بيريس .. [د . م : د . ن] ، ١٩٥٧م .

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب / لأبي العباس أحمد المقري ؛ تحقيق إحسان عباس .. بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨م .

صورة القدس من خلال فن الرحلات

المعالم والتحويلات

الرحلة المغربية أنموذجاً

د. أحمد الطريق اليديري (*)

المستخلص

تتناول الدراسة الاهتمام القديم بالقدس في معاجم البلدان الإسلامية ، ثم اهتمام الرحالة المسلمين بهذه البقعة المقدسة . وعن رحلة ابن جبير وزيارته للقدس وحديثه عنها ووصفه لها . والذي عاصر كثيراً من الأحداث . تتحدث الدراسة عن رحلات العصر المريني . وأخيراً تصل الدراسة إلى رحلتين هما : رحلة العبدري ، ثم رحلة ابن بطوطة . ورحلة العبدري هي النموذج المفضل الذي درسته بالتفصيل . وقد تمت الرحلة عام ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م ، تحت حكم المماليك للقدس ، والذين اهتموا بالقدس اهتماماً كبيراً . وقد درست الرحلة الموضوعات الآتية : الوصول إلى مدينة الخليل ، وذكر مقابر الأنبياء بمدينة الخليل ، والتوجه من الخليل إلى بيت المقدس ، ثم ذكر المسجد الأقصى . وقد وصف العبدري القبة والصخرة والمسجد الأقصى وغيرها . ثم تنتقل الدراسة إلى رحلة ابن بطوطة التي تعد بصفة عامة من أهم الرحلات على الإطلاق ، وبدأت سنة ٧٢٥هـ . وقد تحدث فيها عن الموضوعات : من غزة إلى مدينة الخليل ، ومن الخليل إلى القدس ، ثم من القدس إلى ثغر عسقلان . وقد وصف ابن بطوطة أيضاً

(*) أستاذ بقسم الدراسات العليا بكلية الآداب ، جامعة عبد المالك السعدي بظوان .

الأماكن والمشاهد المقدسة ، ولم يتف عند البنيان والمنشآت وإنما حاول أن يرصد طبيعة النسيج الاجتماعي السائد في المنطقة ، بجانب الكشف عن نظامها الفكري والاقتصادي وأنماط سلوكها وعاداتها . ودراسنا هذه ترصد ما كتبه ابن بطوطة وتقارنه أحياناً بما كتب العبدري .

صورة القدس من خلال فن الرحلات

المعالم والتحويلات

الرحلة المغربية أنموذجاً

١- توطئة :

(١) إن صورة القدس، كما سترسمه خطة البحث، ومنهجية الدراسة، لا يمكن الإحاطة بها، أفقياً أو عمودياً، نصيباً أو من خلال رحلة النصوص عبر تاريخها، إلا بالرؤية المقارنة للأحداث التاريخية التي واكبت تحولات المكان، والذي سِيرُصد من خلال المجهر الزمني لفن الرحلات العربية والإسلامية عامة، وفن الرحلة في الأدب الجغرافي المغربي، منذ أن استوى هذا الفن كاملاً، في تاريخ الأدب في الغرب، وأن المكان المرصود (القدس وفلسطين)، ليس بالمكان العادي: جغرافياً وتاريخياً، لأنه يشكل بؤرة الانجذاب الروحي للعالمين، الإسلامي والمسيحي من جهة، ويشكل في الوقت نفسه مركز الصراع وجدلية التوترات في قلب الشرق الأوسط، ولأنه من جهة ثالثة كان مدار الحروب الصليبية التي عرفها التاريخ القريب والبعيد لتلك المنطقة الواقعة في قلب العالم الإسلامي. إنه المثلث، الذي ستتحرك في فضائه عناصر الصورة الخلفية التي تمسك بآليات التصوير، وهي تلتقط الأبعاد والأحداث، كما ستزن الرجال بموازين العلم والسياسة والمواقف.

ولن يتأتى هذا إلا بوضع الصورة المستخلصة من فن الرحلات، داخل المرصد التاريخي، لأنه البوصلة الهادية إلى رؤية «المكان» لا في سكونيته، بل في حركته وحرارته المتوهجة تارة والقاترة تارة أخرى! وانطلاقاً من هذا المعطى، تتحدد الصعوبات المحيطة بالموضوع، لا من جهة النصوص الرائدة للصورة، بل من جهة الفراغات التي تحتاج إلى شيء من التاريخ لملئها وربط الاتصال بين الخيوط التي لا تكاد تبين، لاعتبارات

بداهية، وهي أن فن الرحلة لا يعتمد التوثيق التاريخي للأحداث، كما يسجلها المؤرخون ولو بالعين النسبية المحكومة بالذاتية البشرية، بل إن الرحلة تتحكم فيهم نوازع أخرى، هي نسبية أيضا وهي متفاوتة أيضاً، بحكم التباين والاختلاف في التكوين وفي حساسية الالتقاط والتصوير والتسجيل^(١).

إلى جانب العوامل التاريخية المخصصة تارة والمجدبة تارة أخرى. ونعني بهذا أن المكان المرصود، وتحت تأثير عوامل المد والجزر، لم يتخذ في إطاره صورة الثبات، وإنما ظل متوثباً للفتاة والتطورات، وظل أيضاً صامداً، محتفظاً بالجواهر الروحي الذي لا يفنى.

(٢) وانسجاماً مع المحور الأساس، المطروح على الندوة، بتحديد المظان المحددة لمصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، فإن اختيار فن الرحلات، في الأدب الجغرافي عامة، وفي الغرب الإسلامي منه بخاصة، له من الغايات ومن الأهداف، ما يجعله مستجيباً للمشروع الكبير الهادف إلى استخلاص واستجماع كل معلومة عن العالم الإسلامي ومن خلال المصادر المتعددة والمتنوعة.

ولاشك أن الرحالة المسلمين عامة استجابوا، وبتلقائية روحية، للحديث عن «القدس» وتصوير معالمها، لما لها من مكانة مقدسة، في الصدور والقلوب، ولأن الحديث عنها وتسجيل المعلومات عن مآثرها، هو عمل يكمل الحديث عن الأماكن المقدسة، حيث الحرم المكي والمقام النبوي الشريف. وإلى جانب المصادر التاريخية لهذه المنطقة المقدسة أو تلك، والتي سيتوالى السرد فيها إخبارياً، فإن فن الرحلات يجمع بين التسجيل الذي يفيد المؤرخ، وبين انطباع الحدث والمكان والموقف على السارد الرحال، فينقلب الخطاب في الكتابة من الخبرية إلى الإنشائية، إذ مقصدية الخطاب لها مكون ذاتي يستجلب في أسلوبه العناصر المحددة للموضوع. على عكس المؤرخ الذي يستجيب لما هو خارج الذات، قليل من الذاتية على الأحداث والمواقف.

من هنا يتم التضافيف بين فن الرحلة في أبعادها ومشاهداتها، وبين علم التاريخ في حقائقه ومعطياته المتداخلة. وليس المجال هنا لفرز التعريفات والحدود والماهيات، لهذا العلم، أو ذاك الفن، وإنما الغاية هي طرح التنبيهات والإشارات على قارة الطريق، والتي ستشهد الصحبة الموازية من أجل البيان والتبيين للصورة التي ينبغي على الباحث استجلاء التقاسيم فيها من المنظور الأدبي لفن الرحلة، في تراكماته العربية والإسلامية. وداخل هذا التراكم، وكما تمت الإشارة سابقا، فإن الغاية هي الوصول إلى مجال الإدراك الذي يكون فيه نص الرحلة مرتبطا بسياقه التاريخي، وتصبح فيه الإضاءات التاريخية مكملة للصورة الناقصة، والتي لم يستطع «أدب الرحلة»^(٢) بمفرده استكمال نقائصها.

ومهما بذل من جهد، في سبيل التضافيف المنشود، فإن هذا البحث ما كان ليطمح إلى تحقيق المثال، فبحسبه رصد المطالع في رحلة الاكتشاف، دون إخلال بما يتطلبه الموقف العلمي المحايد. وبالإعتراف الصريح، بأن الاستعانة بشيء من التاريخ، هو من قبيل التعامل مع مجال لا يدخل في دائرة التخصص والاختصاص.

(٣) أما الملحظ الثالث في هذه التوطئة، ونحن نقترّب من الإطار الزمني الجامع لأشأت الصورة عن القدس الشريف وفلسطين، فيتعلق بالإطار المرجعي الذي يأخذ عنه الرحالة ويفيدون منه، إذ إن أغلبهم إنما ينقل المعلومات الجغرافية والتاريخية عن مصادر سابقة، والحال أن عناصر التحويلات لا تنسجم والمنقول عنه، بحكم الحدث التاريخي المتجدد.

نقول هذا، انطلاقاً من تشابه «المعلومة» في زمن سابق مع «معلومة» في زمن لاحق، كما أن هذه النقول أحيانا تتعارض مع اللحظة التاريخية المصاحبة لعملية التقيد والالتقاط والتوثيق.

ويتضح ذلك ، عندما يتعلق الأمر بالمعطى الجغرافي وما واكبه من تحولات فرضها أمر الواقع السياسي . ولعل الأمر في غاية الوضوح أكثر ، عندما يتعلق الأمر بأرض تجاذبتها قوى الأطماع وشهوة المصالح ، ونوازع الحروب ، ونزعات السيطرة .

وإن القدس وأرض فلسطين قدر عليها أن تكون النموذج لكل هذا وذاك . ومن ثم فالقول بثبات الصورة هو من قبيل الرؤية السكونية للأحداث . وقد نجد في هذا النص أو ذاك ما يشكل تلميحات وإشارات ناطقة بمראה المسوخات والتحويلات التي يستشعرها الرحالة وهم يتحدثون عن أماكن معينة ، لها في النفوس وفي القلوب مكانة التقديس والتمجيد .

وإن ما يسمى بهجرة النصوص وتناصاتها ، له ما يؤكده في فن الرحلات العربية والإسلامية . وهذه الظاهرة تستدعي استحضار المتون الغائبة لمقايضة المتون الحاضرة . فمن رحلة في المكان إلى رحلة في النصوص ، ومن رحلة في الجغرافيا إلى رحلات في التاريخ .

(٤) ولا يفوت الباحث ، وهو ينثر أوراق التوطئة الموضحة ، بأن يشير إلى أن الموضوع ، وعلى شكل التصور المطروح ، لم يكن له وجود في الذهن ، بصورة من الصور ، وإن كنت على علم بأن بعض المستشرقين الأسبان سبق له أن تناول الموضوع من الوجهة التاريخية لفن الرحلات في الأدب الأسباني الحديث ، كما لا يمكن فصل هذا الاهتمام الاستشراقي بالجانب الديني أيضا لدى المسيحيين الأسبان . ومن الواضح يقول شيخ المستعربين المعاصرين ، بدرو مارتينث مونتابث «إن هذا النتاج في معظمه يتكون من نصوص يكمن وراءها ، في المقام الأول حافز ديني قوي ، ولذا فهي مشحونة بمضمون عاطفي غلاب . . » ويتابع كلامه ، بعد توضيح الغايات والأهداف من رحلات الأسبان إلى أرض فلسطين والقدس ، قائلا : «والحقيقة إن تاريخ فلسطين خاصة في كتابته يدين بشيء غير قليل لهؤلاء المخبرين الأسبان الذين لا يحصيهم العد ، والكثيرون منهم

مجهولون، فقد طاف هؤلاء المخبرون دون كلل بهذه الأرض الفريدة، ويضيف المستعرب الإسباني محددا المتون التي سيرصد من خلالها الصورة التي سجلها الرحالة الأسبان، من منطلق الروح الدينية والسياسية في آن واحد : «وسأعتمد في هذا البحث على ثلاثة كتب في أدب الرحلات لثلاثة كتاب أسبان في الربع الأخير من القرن التاسع عشر»^(٣) لقد مضى على كتابة الدراسة، التي أعدها المستعرب «مونتائب» أكثر من عشرين عاماً، وهو الباحث المهتم بالموضوع العربي الإسباني، تاريخاً وأدباً. والإشارة إلى دراسته تعني أن الموضوع عني به الباحثون في غير الكتابات العربية.

وخلال تصفحي لهوامش الطبعة المحققة لرحلة ابن بطوطة^(٤) وبخاصة الجزء الأخير منها، تبين أن محققها قد سبق أن تناول موضوع القدس والخليل من خلال رحلة مغربية متأخرة^(٥) والحال أنني كنت على غير علم بذلك، قبل صدور الطبعة المحققة أخيراً، فبادرت بالكتابة إلى الدكتور عبد الهادي التازي، من أجل إفادتي، أو إحالتي على مظان الدراسة المحال عليها في إحدى هوامش التحقيق. وبقيت انتظر منه الجواب، بعد أن حددت الإطار العام للبحث الذي سينجز للندوة. وطال انتظاري. وقد خرج بحث د. عبد الهادي التازي في كتيب صغير مزدان بالصور والوثائق الضافية. وطلبت منه منظمة الايسسكو [المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة]، فما كان من المدير العام لها، إلا إرساله في وقت قصير، فله الشكر والتقدير. وبعد مرور شهرين جاءني الكتاب من مؤلفه بإهدائه، والحال أنني قمت برحلات في فن الرحلات المغربية وغيرها، بغية الإحاطة بتقاسيم الصورة الكاملة، ولم يثنني عن عملي ما أورده الباحث، لأن التصور العام للموضوع في نظري له خاصية الشمولية، وإن هذه الخاصية ليست مبنية على التجزئية التاريخية، بقدر ما هي متسلسلة مع أحداث التاريخ وتحولات الجغرافية السياسية.

هذا هو القاسم المشترك بين الإطار العام وبين الإطار الخاص، وإن التلاقي قد يحدث، علي صعيد الفكرة الواحدة. ويبقى الموضوع المقارن مطروحاً للبحث.

تلکم هي الملاحظات التي استوجبتها التوطئة الدالة، بغية التوضيح والبيان.

٢- اهتمام قديم :

في معاجم البلدان الإسلامية، وكتب التقاسيم والجغرافيا، اهتمام بصورة القدس خاصة وأرض فلسطين بعامة. وإن المعلومات الجغرافية والتاريخية في هذه المصادر والمظان التي اعتمدها بطبيعة الحال والموضوع الرحالة المسلمون في كتاباتهم وتقييداتهم، هي ظاهرة علمية تنسحب على أدب الرحلة في المشرق كما في المغرب^(٦)، والاستثناءات نادرة.

وإن اعتماد هذه المصادر في كتابة أية رحلة هو من قبيل الأوليات والأولويات، وقد يحال عليها تلميحا أو تصريحاً، أو ينقل عنها دون عزو ملحوظ، وهذا راجع إلي طبيعة التأليف عند علماء المسلمين. من هنا تتشابه - كما أشرنا - النقول فيما بينها، وقد تنتقل الأغاليط من رحلة إلى أخرى، وقد يصحح الناقل المنقول منه.

ثم إن اهتمام الرحالة المسلمين بالموضوع كان سابقاً على غيرهم، انطلاقاً من تواريخ الرحلات وكتابتها، واعتباراً للتوقيت الكرونولوجي المتصاعد. وهكذا تكون الرحلة الإسلامية - بالمفهوم الجغرافي - سابقة على غيرها في هذا المجال. ففي «سفرنا مه - رحلة ناصر خسرو القبادياني» (٣٩٤ / ٤٨١ هـ) ما يزيد على عشرين صفحة^(٧) تتحدث عن القدس الشريف، وقبة الصخرة ومدينة الخليل إلى جانب التفاصيل والجزئيات التي لاحظها ناصر خسرو فسجلها بدقة بالغة.

وقبل التفاصيل يقدم إليك «بانوراما عامة»، هي بمثابة المفتاح لباقي الصفحات، حيث يرى «أن أهل الشام - ومن حولهم - يطلقون على بيت المقدس «القدس» وإذا لم يستطع أحد سكان الشام أداء فريضة الحج إلى مكة حضر إلى بيت المقدس في موسم الحج، ووقف وقدم الأضاحي وتلك عاداتهم. ويربو عدد القادمين إلى بيت المقدس في موسم الحج على العشرين ألف شخص في بعض السنين، ويحضر الناس معهم أبناءهم ويختنونهم هنا. كما يأتي إلى بيت المقدس خلق كثير من أرض الروم وبقية البقاع المسيحية، كما يؤم المكان الكثير من اليهود، ويزور المسيحيون كنائسهم واليهود

أكتاشهم»^(٨) وبعد هذا التقديم الموجز وما فيه من حقائق وملاحظات تحتل الأسئلة المفتوحة، (كاعتبار حج القدس ينوب عن الحج المفروض) قال بلفظه «والآن سأصف لكم بيت المقدس» . .^(٩)

وسنستعين بالملاحظات الدقيقة التي سجلها ناصر خسرو في «سفر نامه» باعتبار رحلته من البواكير التي أمدتنا بالمعلومات عن أرض فلسطين . وهو يصرح بالدواعي التي حفزته على القيام برحلته تلك ، والحال إنه في مقام بياب «التوبة» ضمن البوابات المحيطة بالمسجد الأقصى : «أما أنا ناصر خسرو فقد صليت في مقام التوبة هذا ، وسألت الله سبحانه وتعالى وطلبت منه التوفيق والطاعة وتبرأت من معصيته وطلبت منه سعة الرزق والعصمة من المعاصي بحق محمد وآله الطاهرين»^(١٠) ويذكر المترجمون له أنه مر بأزمة ضمير ، بعد انغماسه في الملذات وبحران الشراب ، فكانت الرؤية التي حولت مجرى حياته وبها كانت الرحلة . وأن الحالة نفسها تروى عن ابن جبير (٥٤٠/٦١٤هـ) بعده^(١١) ، وما كان من سبب زيارته إلى الديار المقدسة وكتابة رحلته . ومن المعلوم أن ابن جبير سيظل المصدر الرئيس في أغلب الرحلات التي كتبها من جاء بعده ، من المشرق والمغرب على حد سواء . وفي هذا الصدد يشير د . حسين نصار إلى أن توجه الرحالة المسلمين إلى القدس ازداد ازديادات واضحة منذ عصر الحروب الصليبية»^(١٢) ، أي بعد كتابة الرحلة الأولى لناصر خسرو بسنين ، وتدوين رحلة ابن جبير خلال تلك الحروب ، علما بأن ابن جبير ، كما يرى د . حسين نصار ، قد قام برحلتين إلى الحج ، وأن الثانية منهما تزامنت وانتصارات صلاح الدين الأيوبي وتحريره القدس الشريف عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م^(١٣) .

إن الغاية من هذه الإشارات ، حول الرحلتين ، من رحالة من العالم الإسلامي ، ومن صنوه من العالم العربي ، لها مؤشرها التاريخي المقصود ؛ لأننا سنتناول الرحلات من الغرب الإسلامي في فترات تتعرض فيها أماكن القدس الشريف للغزو تارة وللتحرير تارة ، للاغتصاب أحيانا وللإسترداد أحيائين وهي داخل عوامل المد والجزر ، تتعرض

بطبيعة الوقائع التاريخية إلى عوامل التعرية، والطمس والمسوخات والتحويلات، في آثارها ومآثرها. والحالة مستمرة إلى ما بعد التقسيم وما بعد الحروب العربية الأخيرة، وإلى يومنا هذا.

وكان من اللازم، الحديث عن شيء من التاريخ، خلال الفترات التي شهدت عهود الحروب الصليبية، باعتبار أن القدس محور الصراع الصليبي في طبعته القديمة والحديثة، على حد سواء.

٣- شيء من التاريخ :

إن القدس عبر التاريخ العربي الإسلامي، ظلت - كما قلنا - مركز تجاذب، خاصة بعد أن استقر وجودها ككيان روحي واجتماعي بعد الفتح الإسلامي لها، وتعتبر الوثيقة العمرية، من أسمى القوانين والمواثيق في شأن القدس وغيرها، باعتبارها ترجمة لسلوك حضاري إنساني، نابع من عقيدة الإسلام في تسامحه وتساميه. «إضافة إلى اهتمام الخليفة الفاروق وتنظيمه الجند في فلسطين وبناء المسجد عند الصخرة خلال العهد الراشدي، فقد اهتم الأمويون اهتماما كبيرا بالقدس، حيث بويع معاوية بن أبي سفيان بالحرم الشريف، كما أمر عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة، وغير ذلك من المآثر الإسلامية التي مازالت خالدة إلى اليوم»^(١٤). ويجمع المؤرخون بأن العصر الذهبي للقدس، كان في زمن الأمويين، حيث «أصبحت أحد أبرز المناطق الهامة في الامبراطورية الإسلامية التي امتدت من الأطلسي حتى السند، والسند الديني والموقع الأقدس في أعين الخلفاء، حيث سادت فيها الحرية الكاملة، واستقر نهائيا التوطن العربي السلمي وازدهر العمران والتطور الاقتصادي»^(١٥).

وبالرغم مما أصاب العباسيين في آخر عهدهم، من تفكك واضطراب، فلقد ظلت القدس مركز اهتمامهم الملحوظ،... ولقد لاحظ خسرو نامه الأثر العباسي بيّنا، حيث رأى اسم «الخليفة العباسي المأمون مكتوبا في أعلى الباب، فعرفت سر تميزه»^(١٦) حسب قوله.

وسيتبين من القراءة المقارنة أن هذا الأثر العباسي المنقوش ، إنما تمَّ بمحو الأثر الأموي بالتعديل والتشطيب . « فقد حذفوا اسم الخليفة عبد الملك بن مروان وأحلوا محله اسم الخليفة المأمون ، وإن فات عليهم تغيير التاريخ . » وهذا نصُّ ما هو مكتوب أيام العباسيين « بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين »^(١٧) هو تاريخ يعود إلى ما قبل العباسيين ، لأن زيارة المأمون لبيت المقدس إنما تمت في عام ٢١٦ هـ ، حيث أمر بترميم ما يستوجب الإصلاح والترميم^(١٨) بعد هذا التاريخ ، عاشت القدس تحت إمرة السلاجقة ، ثم عادت السيطرة عليها بالاسترداد من طرف الفاطميين ، إلى أن حصلت الواقعة الفارعة ، فسقطت في أيدي الصليبية الكبرى عام ٤٨٩ هـ موافق ١٠٩٩ م .

ويجمع المؤرخون كافة ، مسلمون وغيرهم ، بأن السقوط المريع للقدس في أيدي الصليبيين ، كان مصحوباً بسفك الدماء ، والاعتصاب والإفساد والوحشية التي لا مزيد عليها . فروح الحقد والكراهية هي التي كانت وراء الاحتلال والاقتتال ، فغابت الإنسانية من قوانين الحرب ، وعوضها قانون الغاب الأسود . وهناك أكثر من شاهد على عدوانية الصليبيين وفظاعة سلوكهم الحيواني . وشهد شاهد من أهلها ، كما يقال . قال غوستاف لوبون واصفاً ما ألمحنا إليه :

« وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه نحو النصارى . قال كاهن مدينة لوبوي : عندما استولى قوماً على أسوار القدس وبروجها ، فقد قطعت رؤوس بعضهم ، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم ، وبقرت بطون بعضهم ، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم على الأسوار ، وحرق بعضهم في النار فكان يموت بعد ذلك بعذاب طويل ، وكان لا يرى في شوارع القدس ومبانيها سوى أكداش من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم ، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم ، ولكن هذا لم يكن سوى ما نالوا منهم »^(١٩) .

ولابأس من إيراد شهادة أخرى، لمؤرخ أوروبي، حول تسامح صلاح الدين الأيوبي، مع الأسرى المحتجزين لديه، في انتصاره وتحريره المدينة المقدسة وأماكن أخرى في معركة حطين الشهيرة. يقول مصنف قصة الحضارة : «ويلوح أن نحو خمسة عشر ألفاً من الأسرى المسيحيين بقوا بعدئذ من غير فداء، فكانوا أرقاء، وكان ممن افندوا زوجات وبنات النبلاء الذين قتلوا أو أسروا في واقعة «حطين»، ورق قلب صلاح الدين لدموع أولئك النساء والبنات، فأطلق سراح من كان في أسر المسلمين من أزواجهن وأبائهن. أما النساء والبنات اللاتي قتل أزواجهن وأبائهن، فقد وزع عليهن من ماله الخاص، ما أطلق ألسنتهن بحمد الله، وبالثناء على ما عاملهن به صلاح الدين من معاملة رحيمة»^(٢٠).

وبين السطور، من كتب الرحلات الإسلامية، ثقب تفضي إلى دلالات المحنة التي كان يعيشها المسلمون في ظل الاحتراب والافتتال. وقد أشرنا إلى أن ابن جبير صادف الحرب الصليبية التي كان يخوض غمارها صلاح الدين الأيوبي. يقول ابن جبير «ومن الفجائع التي يعانها من حل بلادهم أسرى المسلمين، يرسفون في القيود، ويصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد، والأسيرات المسلمات كذلك، في سوقهن خلا خيل الحديد، فتتفطر لهن الأفئدة ولا يغني عنهم الإشفاق شيئاً»^(٢١) ويشير ابن جبير إلى الأسرى المغاربة وما كان من شأن اقتكاكهم لغربتهم ويعدهم عن أوطانهم. (ولم يتمكن ابن جبير من الوصول إلى القدس يومئذ، أو إلى أماكن فلسطينية أخرى، فحسبه من كل ذلك مروره بعكا وما هي عليه من حال ومآل).

وابن جبير ذكر المغاربة، في رحلته أكثر من مرة لا كمجاهدين، بل كحجاج يتعرضون لألوان العسف، شأنهم في ذلك شأن باقي المسلمين. والسؤال المطروح هو: هل تمت اتصالات بين صلاح الدين الأيوبي - حول الأوضاع وصليبية الحرب - وبين يعقوب المنصور الموحيدي^(٢٢).

شيء من هذا قد حصل ، ولكن التفاصيل غابت من كتب التاريخ .

على أية حال ، فإن الصورة التي سجلها المؤرخون ، وأصحاب الرحلات عن فظائع الصليبيين خلال غزوهم واستيلائهم على مناطق من أرض فلسطين ، لا تضاهيها في السواد إلا ما يقترفه الإسرائيليون اليوم ، من وحشية كاسرة ، ومن ممارسات لها من الإرث التاريخي الزاد الوفير .

و خلاصة التاريخ ، هو أن الإفرنج تمكنوا من اغتصاب المدينة المقدسة نحو تسع وتسعين سنة ، منذ اغتصابهم الأول ، لها حتى استردادها منهم من قبل الخوارزمية ، وذلك في فترات متقطعة ، على النحو التالي :

- من عام ١٠٩٩م إلى عام ١١٨٧م أي ٨٨ سنة ، وهي الفترة التي قامت فيها المملكة اللاتينية ، والتي انتهت بتحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي .
- من عام ١٢٢٩م إلى عام ١٢٣٩م ، أي ١٠ سنوات ، وهي مدة المعاهدة الفريديريكية الكاملة .
- من عام ١٢٤٢م إلى عام ١٢٤٣م ، أي سنة واحدة ، تنفيذًا للاتفاق الذي تم بين الإفرنج وملكين من ملوك الأسرة الأيوبية .

أما حكم الأيوبيين للقدس ، فكان نحو اثنين وخمسين سنة ، كالاتي :

- من عام ١١٨٧م إلى عام ١٢٢٩م ، أي ٤٣ سنة .
- من عام ١٢٣٩م إلى عام ١٢٤٣م ، أي خمس سنوات .
- ومن عام ١٢٤٤م إلى عام ١٢٥٠م ، أي سبع سنوات .

بعدها - يضيف د . شوقي شعث - «دخلت القدس تحت سيطرة المماليك ، وظلت في أيديهم إلى أن أخذها الأتراك العثمانيون . وبعد الحرب العالمية الأولى اغتصبها البريطانيون حتى عام ١٩٤٧م حين اغتصبها الصهاينة ، وهي لا تزال تحت نير ذلك الاغتصاب» (٢٣) .

٤- قبل العبدري :

يكاد الإجماع ينعقد بأن فن الرحلة في أدب الغرب الإسلامي سجل تراكمًا ملحوظًا، وأن هذا التراكم في مجال التأليف وراءه الدواعي العلمية والخلفيات الدينية . وفي هذا السياق يتحدث المقرئ في «نفحه» عن هذا التراث ، حيث يعترف بأن «حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ، ولا يعلم ذلك إلا علام الغيوب الشديد المحال ، ولو أطلقنا عنان الأقلام ، فيما عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطلال الكتاب وكثر الكلام . . .» (٢٤) .

وصاحب «نفح الطيب» ، إنما يقصد بالدرجة الأولى أصحاب الرحلة في بلاد الأندلس ، باعتبار أن هذا الاتجاه من التأليف عرف طريقه في تلك البلاد قبل المغرب ، وإن كانت العدوتان - خلال العهدين المرابطي والموحدي - لم تنفصلا ثقافيا وحتى سياسيا . ثم إن ندرة كتب الرحلات مرتبطة بطبيعة أهل العلم في بلاد المغرب ، حيث إن العلماء ، وغيرهم ، كانوا يعنون بفن الدراية لا بفن الرواية والإسناد . كما لاحظ ذلك غير واحد . (٢٥) إلى جانب ملاحظة أساسية لا يجب القفز عنها ، وهي أن بعض المصنفات في فن الرحلة إنما كتبت بدافع خارج عن المؤلف ، أو بأمر من تجب طاعته ، كما يقال . وأن بعض الرحلات تم تأليفها إملاء على الآخر ، وأن بعضها كذلك ، قام بتدوينها وتعديل فصولها تلميذ من تلاميذ صاحب الرحلة والتقييد . ولذلك أسباب (٢٦) .

وخلال القرن السادس وعقوده ، لانجد كثرة التصانيف المدونة في فن الرحلات ، لافي المغرب ولا في الأندلس . والأمر لا يعدو بضع رحلات مدونة ، ويأتي ذكر ابن العربي المعافري كأول أندلسي حاول تدوين الباكورة الأولى في فن الرحلة الأندلسية . وبعض الباحثين يرى بأن ابن العربي - الوالد - «رحل في عهد الدولة المرابطية صحبة ولده أبي بكر سنة خمس وثمانين وأربعمائة (١٠٩٢م) في سفارة لدى الخليفة المستنصر العباسي من قبل السلطان يوسف بن تاشفين ، كما يروي ذلك العلامة ابن خلدون» (٢٧) .

ومن المعلوم أن الرحلة السفارية المشار إليها، سبقت احتلال القدس من طرف الصليبيين، بسبع سنوات. ويبقى السؤال مطروحا عن الصورة التدوينية لرحلة «أبي بكر ابن العربي» هل هي رسائله أم غيرها.

ولقد قامت بتحقيق نصّ الرسائل ونشرها د. عصمت دندش، اعتمادا على مخطوطة الخزانة العامة، بمجلة «المناهل» المغربية^(٢٨) وبعد ابن العربي تأتي رحلة أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني القيسي الغرناطي (ت ٥٦٥هـ). له مشاهدات قيدها في كتاب «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب» منشور في «المجلة الآسيوية»^(٢٩) لتعقبها رحلة ابن جبير الذي توقفنا مع فقرات من رحلته في المبحث الأول.

ويشتغل أستاذنا - محمد بن شريفة - في إخراج كتاب عن «أبو مروان الباجي الاشيلي ورحلته إلى المشرق» (٥٦٤ / ٦٣٥هـ) ولم يبق من هذه الرحلة إلا ملخصها^(٣٠).

والاستنتاج الواضح، من خلال قراءتنا لشهادة المقرئ عن التراكم المشار إليه، هو أن الضياع لحق بجزء كبير من فن الرحلات في بلاد الغرب الإسلامي، قبل العصر المريني، الذي شهد ازدهارا وفيرا في هذا الميدان. وإن الرجوع إلى كتاب الحسن الشاهدي عن «أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني» من شأنه توضيح الصورة أكثر عن هذا الازدهار.

وبخصوص الحديث عن فلسطين والمشاهد القدسية في تلك البواكير الأولى من فن الرحلة في أدب الغرب الإسلامي، فإن الصورة اعترتها حالة الاقتضاب الشديد وسحابة من الاضطراب المديد. فأبو بكر بن العربي، في تقييده الموصوفة بـ «رحلة أبو بكر بن العربي» إشارات إلى بيت المقدس وإلى مشاهداته الطافحة بالشعور والحنين، والعزم المكين، بغية الإقامة الطويلة في تلك الديار، فاستجاب الوالد لرغبة ولده، والذي خاطبه قائلا:

«إن كانت لك نية في الحج، فامض لعزمك، فإنني لست برائم عن هذه البلدة (القدس) حتى أعلم من فيها وأجعل ذلك دستوراً للعلم وسلماً إلى أعلى مراقيها»^(٣١).

وفي نفح الطيب للمقري فقرات من مشاهدات ولقاءات أبو بكر بن العربي، وهو بيت المقدس، حيث يقول: «شاهدت المائدة بطور زيتا (جبل قريب من رأس العين)، مرارا، وأكلت عليها ليلاً ونهاراً، وذكرت الله فيه سرا وجهاراً، وكان ارتفاعها أشف من القامة بنحو الشبر، وكان بها درجان، قبلي وجنوبي، وكانت صخرة صلوداً لا تؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة إذ مسخ أربابها قردة وخنازير، والذي عندي إنها كانت صخرة في الأصل قطعت من الأرض محلاً للمائدة النازلة من السماء وكل ما حولها حجارة مثلاً، وكان ما حولها محفوفاً بقصور، وقد نحتت في ذلك الحجر الصلد بيوت أبوابها منها ومجاسها منها، مقطوعة فيها وحناياها في جوانبها، وبيوت خدمتها قد صورت من الحجر كما تصور من الطين والخشب، وإذا دخلت في قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مقدار (ثقل) ثمن درهم لم يفتحها أهل الأرض للصوفة بالأرض، وإذا هبت الريح وحثت تحته التراب لم يفتح إلا بعد صب الماء تحته والإكثار منه حتى يسيل بالتراب، وينفجر منفرج الباب، وقد بار بها قوم بهذه العلة. وقد كنت أدخل فيها للدرس، ولكنني كنت في كل حين أكس حول الباب، مخافة مما جرى لغيري فيها. . . وقد شرحت أمرها في كتاب «ترتيب الرحلة». وابن العربي يشير إلى المذاكرات العلمية التي كان يجريها مع رجال العلم المقيمين - أو الظاعنين - بيت المقدس، حيث كان مركز إشعاع علمي قبل السقوط في أيدي الصليبيين، ومنها - يقول المقري، قوله رحمه الله: «تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري الطرطوشي حديث أبي ثعلبة المرفوع إن من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خمسين منكم»^(٣٢) وابن العربي بتنصيبه على كتاب «ترتيب الرحلة» دليل على أن كتابة رحلته اتخذت صيغاً متعددة التقايد.

٥- الصورة في رحلات العصر المريني :

إن ازدهار فن الرحلات في أدب الجغرافيات، شهده العصر المريني في بداية قوته السياسية والثقافية. ومع بداية المائة السابعة صنف رحلات حجازية برسم الحج من جهة، وتدوين الروايات والإجازات من جهة ثانية. ينسحب الحكم على رحلات الغرب الإسلامي بكامله :

- «ملء العيبة» لابن رشيد السبتي (٦٥٧-٧٢١هـ / ١٢٦١-١٣٢٥م)

- «مستفاد الرحلة والاعترا ب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (٦٧٠-٧٣٠هـ / ١٢٧١-١٣٢٩م).

- «رحلة التيجاني»، أبو محمد عبدالله بن محمد (٦٧٥-٧٢١هـ / ١٢٧٦-١٣٢١م).

كلها رحلات تدخل في السياق المذكور، دون أن تعرج على الموضوعات الأخرى، كما أنها لم تسجل الارتسامات الجغرافية الدقيقة كما هي عليه في رحلات العبدري والبلوي وابن بطوطة وغيرهم، ممن لم نثر على رحلاتهم المدونة^(٣٣).

ومن جملة العوامل التي ساعدت على ازدهار هذا الفن من الأدب الجغرافي - ما كانت تشهده المنطقة، على العهد المريني، من بسط الأمان على الطريق الذي يسلكه ركب الحاج وعبر المسالك المغربية وغيرها، بل إن الخليفة يومئذ كان من مهامه السياسية، توفير الأمان للركب، لأداء فرض من فروض الإسلام الضرورية. حتى وإن تطلب ذلك خوض غمار الحرب والجهاد. ويشير ابن خلدون في تاريخه إلى أن السيادة المرينية وبسط نفوذها على أجزاء من جغرافية الغرب الإسلامي، كان من ورائه الإقبال على الرحلات إلى الديار المقدسة، وبخاصة في عهد يوسف المريني (٦٨٥-٧٠٦هـ). يقول ابن خلدون: «لما استولى السلطان على المغرب الأوسط بممالكه وأعماله، وهنائه ملوك الأقطار وأعراب الضواحي والقفار وصلحت السابلة ومشيت الرفاق إلى الآفاق، استجد أهل المغرب عزمًا في قضاء فرضهم ورجعوا من السلطان إذنه لركب الحاج في

لأنها صورت هذا الجانب تصويراً ناطقاً بمستواه . كما يجمع الدارسون والباحثون ، على أهمية الدور الذي قام به بعض علماء الاستشراق في اكتشاف هذه القيمة المضافة إلى الأدب الجغرافي الإسلامي .

وإن الذي يهمننا من الرحلة وصاحبها ما له علاقة بموضوعنا ، إذ جعلناه المنطلق في طريق الارتسامات التي احتفظت بمعالم الصورة عن فلسطين والقدس الشريف . منطلقين من التاريخ الذي حدده زماً للرحلة وكتابتها . دون الجزم بتاريخ الوفاة ، وإن كان الأستاذ الفاسي يحدس بأن ذلك كان بعيد رجوعه من رحلته ^(٤٣) . دون تحديد ، كما نص على ذلك حسين مؤنس في الثبوت المذيل به كتابه عن «أدبيات أدب الرحلة» ^(٤٤) .

فابتداء الرحلة ، في كتابة العبدري مصدرة بهذه العبارة : «كان سفرنا ، تقبله الله تعالى . في الخامس والعشرين من ذي القعدة ، عام ثمانية وثمانين وستمائة ، مبدؤه من حاحة ، صانها الله ، وكان طريقنا على بلاد القبلة . . . » ^(٤٥) وهذا التوقيت يوافق التاريخ الميلادي لعام ١٢٨٩ .

ولا بد من الإشارة أيضاً إلى رؤية المؤلف التي بنى عليها تصوراته في الكتابة من منظور فن الرحلات القائم على مقومات ذاتية وأخرى موضوعية ، عرضنا لها في التوطئة الأولى . يقول العبدري :

«وبعد ، فإنني قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما أمكن تقييده ، ورسم ما تيسر رسمه مما سما إليه الناظر المطرق في حين الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان وأحوال من بها من القطآن ، حسبما أدركه الحس والعيان ، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان ، من غير تورية ولا تلويح ، ولا تقبيح حسن ولا تحسين قبيح . . . » ^(٤٦) .

وإن رؤية العبدري في منهجية الكتابة انعكست على التفاصيل التي وسمت الرحلة بالطابع العبدري . فهو لم يردّها فقط برنامجاً للشيوخ ولا فهرسة للإجازات ، ولا مجمّعاً

للمرويات وأمثالها، ولكنه أرادها، أيضا، رحلة تنتمي إلى فن الرحلة الحجازية، وبما تحويه من طرف القول، ودقيق الارتسامات، من منطلق الارتباط بالمكان وأهل المكان. وهو من هذه الوجهة كان دقيق الملاحظة صريح العبارة، قاسي اللهجة، صارم المعاملة. وتلك هي الملاحظات التي تبادئ القارئ لرحلته. ثم إن الجانب الذاتي الانطباعي لا يمكن إغفاله من أسلوب الرجل، وهو القادم من جنوب المغرب، المتميز بالطابع الصحراوي.

وقد يستطيع القارئ تجريد الرحلة من مفردات تحمل دلالات الهجاء والاستهجان، استعملها العبدري في رحلته^(٤٧). ومهما يكن، فإن الجانب الأهم في رحلة العبدري هو وصفه الدقيق، وارتساماته الماسحة، وبما يغلب عليها أحيانا من إنشائية الأديب الأريب. كما سنلاحظ في كتابته عن مدينة الخليل وبيت المقدس، وأماكن من أرض فلسطين، والتي زارها، قادمًا من المدينة المنورة، وبعد أن أدى مناسك الحج وشعائره.

والباحث عندما يحاول الربط بين التاريخ المشار إليه في ابتداء الرحلة (عام ٦٨٨ هـ- ١٢٨٩ م) وبين تاريخ المنطقة، فإن رحلة العبدري تمت تحت حكم المماليك، الذين حكموا القدس وما حولها. فالحقوها بالإدارة المركزية في القاهرة، ثم أصبحت إدارة مستقلة عام ٧٧٧ هـ بعد أن كانت تابعة للعاصمة دمشق على عهد الأيوبيين. وبالتحديد فإن العبدري زار القدس والخليل، في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الذي تولى الملك عام ٦٨٦ هـ^(٤٨)، قبل عامين من ابتداء الرحلة المغربية. ويجمع المؤرخون على اهتمام المماليك المتزايد ببيت المقدس ومآثره الدينية والحضارية. وداخل هذا الإطار التاريخي توضع رحلة العبدري في سياقها الزمني والسياسي.

وإن تقاسيم الصورة، كما رسمها العبدري في الرحلة المغربية، يجب مقاربتها وفق المفاصل الدلالية التي هيكل بها العبدري كتابته عن القدس وما حولها. علما بأنه خصص أزيد من عشر صفحات لانطباعاته وتقييدها (من ص: ٢٢١ إلى ص: ٢٣٣).

وعناوين هذه الارتسامات، هي كالتالي:

- الوصول إلى مدينة الخليل.
- ذكر مقابر الأنبياء بمدينة الخليل.
- فصل ..
- التوجه من الخليل إلى بيت المقدس
- ذكر المسجد الأقصى.

ومن المعلوم، قبل مقارنة هذه الصورة، أن العبدري زار الخليل والقدس وهو راجع من زيارة قبر الرسول، عليه الصلاة والسلام، بالمدينة المنورة، ربما مع ركب الحاج بمنطقة الشام «صحبة الأمير الصالح علاء الدين الأعمى، وصل الله علاه، فرأيت - يقول العبدري - منه رجلاً قلَّ أن يسمح الدهر بمثله»^(٤٩). ويسترسل العبدري في الشاء على الرجل ثناء قلما يزري به مداده، وهو البخيل في هذا الباب. ولعل هذا الأمير الشامي واحد ممن كانوا يتولون أمر المنطقة الفلسطينية يومئذ، حسب الوصف العبدري له. كما تدل عبارته على أن مسؤولية الصيانة والترميم في حرم الخليل كانت موكولة إليه. بقول العبدري: «وأخبرني من أثق به أنه يقف على البناءين في حرم الخليل عليه السلام - وفي القدس، فيقول هذا متقن وهذا غير متقن. ولا يزال يعرفهم بما في بنائهم من عيب ويفهم على دقائق ما فيه من فساد مما لا يمكن البتة أن يُعرف إلا بالمشاهدة»^(٥٠).

وإنما أوردنا هذه الفقرة، للتدليل على ما شهد به المؤرخون، من أن دولة المماليك أولت الاهتمام الكبير بمآثر القدس والخليل، ولربما جاء الترميم على عهدهم، نتيجة ما تعرضت له خلال الحروب الصليبية وما اعتراها من المد والجزر.

ويجمع المؤرخون أيضاً ، على أن اهتمام المماليك ، خاصة ، تركز على مدينة الأنبياء ، والتي هي محل الوصف في رحلة العبدري . «وكان منهم السلطان بيبرس الذي أوقف قرية (أدنا) للحرم الشريف ، وأمر عام ٦٦٦هـ ، بتجديد عمارة مسجد الخليل . ذكر ذلك ابن شاعر الكتبي في (فوات الوفيات) بقوله» وجدد قبة الخليل عليه السلام ورم شعته وأصلح أبوابه وميضاته وبيضته»^(٥١) .

والعبدري ، بعد مقفله من المدينة المنورة ، متوجها إلى مدينة الخليل ، «بعد ثمانية أيام» من الرحلة ، أراد أن يسجل مآثر الرجل الذي أسدى إليه المعروف ، وهو - كما وصفه - من أهل العلم والفضل والمسؤولية .

وكان لابد من وصف قرية إبراهيم الخليل وصفاً ينبي عن إنشائية عرف بها العبدري في مثل هذه المواطن والأوطان . خاصة إذا كان وراءها تاريخ مقدس ، إنها : «المحل الأنيس ، والمعهد الذي يتخير فيه مقيل وتعريس ، والمنزل الذي حكم له القدر بالسعادة حين التأسيس ، مثوى كل خاشع ومنيب ، ومستقر كل خائف حذر من التأنيب ، ومناخ كل مشتاق يحن حنين النيب : رم الخليل عليه السلام»^(٥٢) . واقتربت هذه المدينة المقدسة بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، حيث استقر بها بعد عودته إليها ، ثم توفي بها ودفن في المغارة . والتي تحولت إلى المسجد الكبير كمشهد مقدس يضم قبر الخليل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام : «وتقابلها من ناحية يسار القبلة ثلاثة أخرى وهي قبور أزواجهم ، وكان في غربي المسجد قبر يوسف عليه السلام ، دفن هنالك ، حين نقل من مصر بوصيته»^(٥٣) .

ولاشك أن هذه المعلومات عن مسجد الخليل ومشهده ، إنما نقلها العبدري من الكتب الجغرافية الواصفة ، على العهد الذي كتبت فيه . ولقد سبق أن أشرنا إلى ما كتبه ناصر خسرو عن هذه المدينة ، لكن العبدري - وفي سياق التحويلات الحادثة ، يتجاوز المنقول ليضيف إليه ما تلحظه الأبصار ، حيث يقول : «والآن ، وقد زيد في المسجد حتى

رجع قبره - إبراهيم الخليل - في داخله وعلى يمين المنبر لاصقا بجدار القبلة نفق يهبط منه على درج من رخام متقنة العمل إلى مسلك ضيق هو ممر إنسان واحد . . « ثم يضيف العبدري ي ليؤكد الإبصار بالحركة والمعاينة فيقول «وقد نزلت إليه وتأملتته مراراً ، ودعوت الله فيه سرّاً وجهاراً»^(٥٤) .

ولم يكتف العبدري بهذا الوصف المنقول والمحسوس ، وإنما حاول وضع المسألة في إطارها العلمي وما يتعلق بها من أقوال خلافية حول صحة القبر ومشهده ومكانه ، ومعتمده في ذلك ما نقله عن أحد علماء الأندلس في عصره ، هو أبو عبد الله بن مفرج الأندلسي ، في تأليف لعلي بن جعفر الرازي ، بعنوان «المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب» . وكما هو معلوم عند المحدثين ، فإن هذا الموضوع يحتكم إليه في حديث الإسراء والمعراج . والعبدري في نقله عن المصدر السابق استوفى عناصر الإشكال كاملة وفصلها في بضع صفحات ، ليخلص منه إلى الحديث عن «تربة لوط» وهي شرقي حرم الخليل «وبمقربة من هذه التربة مسجد اليقين . . وبالقرب من المسجد مغارة فيها قبر يزار ويتبرك به وهو قبر فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم»^(٥٥) . ولقد وجد العبدري عند القبر لوحين رخاميين ، نقشت على الأول «بخط مشرقى مليح : بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء ، وله ماذراً وبرأ ، وعلى خلقه كتب الفناء ، وفي رسول الله أسوة وعزاء ، هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين . وفي اللوح الآخر صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحتة هذه الأبيات . . .»^(٥٦) . ويورد العبدري الأبيات التي ذهب منها عجز البيت الثالث ، فما كان منه إلا أن أكمله ، حسب قوله : «وكان موضع البيت الثالث من اللوح مثلوما ، فذهب عجز البيت ولم يبق الألف واللام من «الندب» فكمملت عليه بقية البيت والحمد لله . والبيت المشار إليه هو :
يا قبر بنت الزكي الطاهر الحسن الندب الهمام حسين أظهر البشر

وهذه إشارة منه إلى تمكنه من الثقافة الأدبية ومن قرص الشعر كذلك . وهي صفة لازمة لها عكسها الاتجاه الأدبي في الرحلة بما تضمنته من نصوص ونقذات وتراجم ومكاتبات .

وبعد هذا التطواف القصير - في بلد الخليل - كان لابد من التوقف عند أقدم بقعة في أرض فلسطين ، هي بيت المقدس ، والقدس الشريف . وفي الطريق إليه زار قبر يونس الذي يبعد عن بلد الخليل - حسب قوله - بثلاثة أميال . ولنعد إلى الارتسامات الإنشائية الموحية ، لأنها الغالبة في الوصف .

لنتوقف مع الدلالات التاريخية التي تؤثر لها بعض العبارات المنشورة بين الفقرات الأسلوبية . فكيف كانت مدينة القدس على هذا العهد . وكيف نفصل بين الجغرافية فيها والتاريخ ، وقد تعاور عليها الحدثان وحروب الأزمان . يقول العبدري واصفاً ولملحاً خاطفاً :

«والقدس المقدس المنفي من الآثام ، نجعة من راد وريُّ من حام ، خفق برقه فوق من شام . وتدقق ودقه فأفرق ذو الهيام . لو نطق محتجاً بفضيلته الشام ، لأفحم به العراق أي إفحام» .

بهذا التقديم ، وبإنشائية الأديب ، يخلص العبدري إلى الوصف التقريري بما يتضمنه من حقائق تاريخية وجغرافية ، ستقارنها بارتسامات من جاء بعده من الرحالة المغاربة :

«والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة كلها من صخر منحوت على نشز غليظ مقطوع بجهات الأودية . وسورها مهدوم هدمه الملك الظاهر خوفاً من استيلاء الروم عليها وامتناعهم بها . والخراب فيها فاش وليس لها نهر ولا بستان . وحواليها تلال مشرفة عليها . وبها كنيسة معظمة عند النصاري يحجونها في كل عام ، وهي التي يزعمون أن فيها

قبر عيسى عليه السلام، وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين وضروب من الإهانة يتحملها راغما. وبها رباطان متقاربان في غاية الإتيان، بنى أحدهما الملك المنصور، وبنى الآخر الأمير علاء الدين الأعمى. وفي كليهما رزق جار للمنقطعين وأبناء السبيل. وفي شرقي البلد واد يعرف بوادي جهنم، في بطنه كنيسة يعظمها النصارى، ويقال إن بها قبر مريم عليها السلام. وفي عدوته على تل مرتفع منارات بها قبر رابعة البدوية بالباء المنسوبة إلى البادية. ومنها بنية أخرى يقال إنها مصعد عيسى عليه السلام»^(٥٧).

هذه اللوحة الوصفية، هي على شكل بانوراما مركبة، تضمنت حقائق جغرافية وأخرى تاريخية. وفيما يتعلق بالوصف الجغرافي، فلا يمكن اعتبار التحولات فاعلة في المكان الجغرافي بصفته الطبيعية الثابتة، فالمدينة قديما وحديثا «محيط صخري قاحل لاسهل فيه ولا بحيرة ولا ينابيع. والمدينة، أيضا، آخذة في الامتداد إلى كل الجهات، حيث تقع على عدة تلال متقاربة الارتفاع وسط سلسلة جبال تنحدر غربا وشرقا وتكتنفها الأودية من كل جانب»^(٥٨).

وتلك خصائص جغرافية تضمنها الوصف العبدري بلغته القديمة. إما بارتسامات العين اللاقطة أو بواسطة الوصف الجغرافي المنقول. لكن الحقائق التاريخية في نص الرحلة عن مدينة القدس، هي لصيقة بظروفها وزمانها، وبعض من هذه الحقائق عن صورة القدس ومعالمها، قد يعثرها ما تحمله المتغيرات والتحولات، كالسور المهدوم الذي هدمه الملك الظاهر (بيبرس) لأسباب استراتيجية تفرضها متطلبات الحروب. والحال أننا أشرنا إلى ما تعرضت له القدس من خراب لمح إليه العبدري. حيث ارتبطت رحلته باسترجاع المدينة بعد احتلال الصليبيين لها للمرة الثانية.

والحقيقة التاريخية الأخرى هي التأكيد على الدور الحضاري للمماليك في مدينة القدس، وعلى هذا العهد، فالملك الظاهر، والأمير علاء الدين، ممن شادوا وبنوا، وأصلوا أعمالاً وجرايات خيرية للمنقطعين وأبناء السبيل.

إلا أن إشارة في نص العبدري ، وهو يتحدث عن النصاري من أهل الذمة ، تستوجب الوقوف معها قليلا ، حيث أشار إلى الضريبة المعلومة ، وإلى ضروب من الإهانة لحقت بهم ، مما يعني أن حكم المماليك يومئذ تجاوز حدود التسامح الإسلامي الذي ساد الفترة الإسلامية . ومن غير المعقول أن يكون العبدري - أيضاً - متجاوزا حدود الصديق إلى القول الجذافي ، كما لا يجوز محاكمة عهد المماليك بإطلاق ، في هذه النازلة ، لأنه «إذا كانت قد حدثت بعض الحالات الفردية من اضطهاد أهل الذمة ، فلا يمكن أن يكون ذلك اتجاها عاما بل الأساس أن أهل الذمة قد عاشوا في القدس ، أكثر أمانا واستقرارا من بلادهم خلال فترة العصور الوسطى .» وفي هذا السياق ، فقد نص بعض المؤرخين على أن المماليك أسقطوا عن أهل الذمة «الرسوم المفروضة على زائري كنيسة القيامة وأوصوا بالإحسان لهم ومعاملتهم معاملة حسنة»^(٥٩) . ولا شك أن مقالة العبدري عن أهل الذمة وما كانوا يتعرضون له - يومئذ - هي ترجمة للتجاوزات الفردية ، أو إنها إقرار لحالة منسوخة بمرسوم الإسقاط المنصوص عليه ، في كتب التاريخ التي اهتمت بالقدس كمدينة مقدسة .

وفي النص إشارات إلى معالم ارتبطت بتاريخ القدس ، قنبر مريم ، عليها السلام ، وقبر رابعة البدوية ، ومصعد عيسى عليه السلام ، ووادي جهنم الذي سماه بذلك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقبل العبدري سأل ناصر خسرو سكان المدينة قائلا : «من سمى الوادي بوادي جهنم . فأجابوا : إنه في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عسكر جيش من المسلمين على حافة هذا الوادي . وعندما نظر الخليفة إلى ذلك الوادي المخيف ، قال رضي الله عنه : إن هذا لوادي جهنم»^(٦٠) . وحيكت عن هذا الوادي أقاويل شعبية تداولتها الألسن بين جنبات القدس عبر التاريخ .

والجدير بالذكر ، أن العبدري لم يشر بتاتا إلى بوابات القدس وعددها كما سيتحدث عنها رحالة آخرون غيره . كما لم يتعرض إلى معاهد العلم بها ، علما بأن المدينة على عهد

الممالك ، كانت مركز إشعاع علمي إسلامي شهير . واكتفى بالإشارة إلى رباطين اثنين لاغير .

وبعد الحديث المختصر عن مدينة القدس ومعالمها وما التقطته الحاسة التسجيلية من صور ارتسامات ، ينتقل العبدري إلى أقدس ما في بيت المقدس من معالم دينية إسلامية ، ونعني به المسجد الأقصى وعلى مرمى البصر منه تنتصب قبة الصخرة المعظمة .

ويسجل التاريخ بأن المسجد الأقصى تعرض -عبر تاريخه- لزلازل وهزات ، كما أصابته كوارث ومسوخات على أيدي الصليبيين ، إلى أن استرد عافيته على أيدي الفاتح صلاح الدين الأيوبي . كما هو مسجل ومنقوش على جدران المحراب به : «بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى ، الذي هو على التقوى مؤسس ، عبدالله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه سنة ٥٨٣هـ . وهو يسأل الله إذاعة شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة»^(٦١) وتوالت الإصلاحات والترميمات في عهد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين .

(كان لابد من هذا التذكير المسبق ، لأننا بصدد قراءات ، سجلتها الرحلات بعيون مختلفة) .

قد تتعارض من خلال الصورة الأوصاف والمقاييس ، بين رحلة وأخرى ، ولعل قدسيته واهتمام سلاطين المسلمين بعمارته ، إضافة إلى عوامل أخرى ، هو الذي جعل الصورة لا تأخذ نمطاً واحداً ، ولا تستقر على هيكل ثابتة . كما أن بعض الرحالة - كما سبق أن قدمنا - يجمع بين الوصف المحسوس وبين الوصف المنقول دون إدخال العامل الزمني ومتغيرات الأحوال والظروف . فالعبدري - هنا - ينقل عن البكري في تحديد الطول والعرض للمسجد الأقصى . لنقرأ الصورة ، وهي مركبة كسابقتها :

«وأما المسجد المقدس، فهو من المساجد الرائقة المنشرفة الفسيحة، وهو متسع جدا، طولا وعرضا. وذكر أبو عبيد البكري أن طوله سبعمائة واثنا وخمسون ذراعا بالمالكي، وهو ثلاثة أشبار. وطوله من الجنوب إلى الشمال، وعرضه أربعمائة وخمس وثلاثون، وهو من الشرق إلى الغرب. وله أبواب كثيرة من الشرق والغرب والشمال. ولا أعلم له بابا قبليا سوى الباب الذي يدخل منه الإمام. وذكر بعض الناس أن عددها خمسون بابا»^(٦٢).

إنه القسم الأول من الوصف الهندسي المتضمن لحقائق جغرافية لها مرجعية مزدوجة، كما قلنا. وإن الأرقام التي ذكرها العبدري عن الطول وعن العرض، تتقارب والأرقام المقياسية التي ذكرها ناصر خسرو في «سفر نامه»^(٦٣). وهناك التباس في مفهوم الذراع المالكي، فهل ينسب إلى الملك، أم إلى المذهب المالكي. وعلى أية حال، فإن عملية النقول المتواترة هي التي تفتقد التحديد بالمقاييس المعلومة. مع العلم أيضا - وكما سبقت الإشارة - بأن حجم المساحة قد يتغير تبعا للزيادات والإضافات، ومن عصر إلى آخر.

ثم ينتقل العبدري ليصف المعمار في المسجد الأقصى «والمسجد كله فضاء غير مسقف، إلا الناحية الغربية، فهناك مسجد مسقف في نهاية الإحكام وإتقان العمل، وفيه تزويق كثير وتذهيب رائع مليح. وهذا المسقف في الركن الغربي من ناحية الجنوب، وفي ناحية الشرق مواضع مسقفة مع طول الحائط وعلى الأبواب. وهناك موضع مهد عيسى - عليه السلام - يقصد للركوع فيه والتبرك به. وهو هزمة (حفرة) في الأرض مبيضة. وهذا الحائط الشرقي هو سور المدينة من ناحية الشرق، وهو على طرف الوادي المذكور أولا، وعلى جهة منه منطقة بعيدة المهوى جدا»^(٦٤) هذا الوصف المختصر، وغير المفيد، يحتاج إلى مزيد من التفاصيل التي غابت عن النص، فالصورة لم تحتفظ إلا بالتقسيم الكبرى وظلالها الرائقة، ثم إن الالتباس حاصل بين المسجد غير المُسَقَّف

والمسجد المسقّف . ثم ان العبدري تناسى الحديث عن محاريب المسجد ، وأشهرها منبر صلاح الدين الشهير ، المجلوب من حلب الشهباء (أحرقه الإسرائيليون بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١) وأغفل ذكر المآذن ، فلم يذكر سوى مهد عيسى عليه السلام ، والذي يزار تبركا به . ويركع المسيحيون على عتباته .

ولربما كانت الصورة المصاحبة أكثر دقة وإتقانا ، ونعني بها وصفه لقبة الصخرة ، وكعادة العبدري يظلل الصورة - في المكان - بجمالية التعبير ، وإنشائية الأديب . لكن هذه الظلال لاتخفي واقع المعمار كما هو ، باعتبار أن الجمالية الوصفية ترجمة ضافية بألوانها وظلالها : ف «قبة الصخرة . . من أعجب المباني الموضوعة على الأرض ، وأتقنها وأغربها قد نالت من كل حسن بديع أوفر حصّة ، وتلت من الإتقان ظاهره ونصه ، وتجلت في جمالها الرائع كمروس حسنة جليت على منصة . قامت مشرقة متبرجة على يفاع ، تصرخ وتلوح بالإعراب والإبداع ، وتفصح بما يشرح عن فضيلة الصنّاع . حسنّها الأول فاستحسنها الآخر وانعقد الإجماع . تنازع الكمال منها الظاهر والباطن ، لما سلما معا من كل غائب وشائن ، واجتمعت في كليهما أشتات المحاسن ، فإن أدلى الظاهر بحجته إلى حكم الطرف حكم له ، وإن أعرب الباطن عن فضائله قال له الطرف : ما أكمله ، تناصف الحسن وتماثلت الأدلة ، فليس إلا أن يقال في جواب المسألة : أيهما جاء أولا عمل عملة» ، وبهذا الجدل المنبهر ، يتفنن العبدري في إبراز المحاسن لقبة الصخرة المعظمة من جهة ، ولإظهار ملكته البلاغية من جانب آخر . ولم يكن العبدري مبالغا في صورته المعبرة بطريقة عصره ، ولا مجاوزا حدود الصورة التي رسمها أهل العلم بالعمارة الإسلامية في عصرنا . ويكفي أن نعيد قراءة البحث العلمي الرصين الذي كتبه فقيه العمارة الإسلامية المرحوم أحمد فكري (١٩٠٤ - ١٩٧٤م) لأنه يعتبر أن قبة الصخرة تستمد «أهمية عظيمة من أنها أقدم بناء عربي إسلامي متكامل قائم ، فقد اندثرت الآثار الهامة الأخرى التي بنيت قبلها ، أو تغيرت معالمها ، مثل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ومثل مساجد البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، ومثل المسجد

الأقصى الذي كان أول بناء أقيم في الحرم الشريف بعد فتح بيت المقدس ، ولكن معالمها الأولى قد تغيرت تماما . ويضيف :

«أما قبة الصخرة فإنها تحتفظ بجميع عناصرها الأثرية ، معمارية وزخرفية ، وقد ظلت باقية خالدة شامخة على حالها القديم ، منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة رغم عاديات الزمن ، ورغم الإصلاحات التي تعرضت لها على مر السنين» . «وهي ليست فحسب أقدم قبة في الإسلام ومصدر الإلهام لآلاف القباب الإسلامية التي بنيت بعدها ، بل هي أقدم قبة قائمة من نوعها في تاريخ العمارة كله»^(٦٥) . ولن نعيد إلى الأذهان سيرة هذه القبة المعظمة وإنشائها على العهد الأموي ، وما وقع من تحريف عباسي ، لأن ذلك من قبيل النوازل التاريخية^(٦٦) . فبحسبنا أننا أدلينا بشهادة معاصرة تزكي ما قاله العبدري ولو من الوجهة الإنشائية الأسلوبية . وله جملة واحدة صدر بها الفقرة المنصوص عليها سالف الذكر . «باعتبار الصخرة من أعجب المباني الموضوعة في الأرض وأتقنها وأغربها» . وإذا كانت الصورة السابقة كما رأينا مثقلة بألوان البديع ، فإن الصورة اللاحقة جمعت بين الوصف الموضوعي وبين الانبهار الذاتي ، دون أن تتضمن إشارات من تاريخها . فبحسب الصورة ما تلحظه العين ، ويتأثر به الوجدان :

«وصفتها أنها قبة مشمعة على نشز في وسط المسجد ، ويطلع إليها في درج من رخام ، وقد أحاط بها . ولها أربعة أبواب . والدائر مفروش بالرخام المحكم الصنعة ، وداخلها كذلك ، وفي ظاهرها وباطنها من أنواع التزييق ما يقصر عنه الوصف . «وقد لاحظ العبدري - وهو صحراوي الطبع - مافي القبة من إسراف في استعمال المذهبات في التزييق والطلاء» ، يضيف العبدري : «وأما الذهب فما رأيت مبتذلا في شيء كابتذاله في هذه القبة ، حتى لقد غشي به أكثرها ظاهرا وباطنا ، فهي تتلألأ ساطعة النوار ، كلمعان برق أو اشتعال نار» . وباختصار شديد ، فإن بهاء القبة مما «يحار في حسنه إنسان الإنسان» حسب تعبير العبدري .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيت القصيد، ليرسل الوصف الدقيق عن «الصخرة التي جاء ذكرها في الآثار، وأنه - عليه الصلاة والسلام - عرج منها إلى السماء، وهي صخرة صماء علوها أقل من القامة، وتحتها شبه مغارة على مقدار بيت صغير، يعلو قدر القامة، وينزل إليه في درج، وقد هبى له محراب وسوي وأتقن. وعلى الصخرة شباكبان يغلقان عليها، أحدهما، وهو الخارج من الخشب، والآخر من حديد أصفر محكم العمل يديع الصنعة». ويعود مرة ثانية للحديث عما رآه في قبة الصخرة حيث توجد «صورة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك. وأظنها كانت مرآة ولكنها قد صدئت وزال صقالها. والعوام تقول أنها درقة حمزة. واشتهر عندهم هذا الزور حتى صار في حد المقطوع»^(٦٧). والإشارة إلى هذه الدرقة - دون نسبة - موجودة في رحلة ابن بطوطة، كما سيتبين بعد قراءة الصورة في «تحفة النظر» لصاحبنا الطنجي. مع مقارنتها بالسابق عليه العبدري الفقيه الأديب.

يذكر العبدري أنه قضى خمسة أيام ببيت المقدس، انتقل بعدها إلى ثغر عسقلان، بعدما صاحبه في مدينة الخليل منطلق الزيارة إلى أرض فلسطين، ومنها عبر غزة سيتوجه إلى قاعدة الديار المصرية (القاهرة). إلا أن حديثه عن ثغر عسقلان - يومئذ - شابهته رنة الحزن والأسف الشديد، لما كانت عليه من صورة يرثي لحالها المقيم والظاعن، في نفس الآن. ولعل ثغر عسقلان، على عهد الزيارة العبدرية، كان مهجورا من جراء ما تعرض له، أيام الحروب الصليبية: يقول العبدري واصفاً ومتحسراً، وكأنه شاعر ييكي على الأطلال الدارسة والرسوم اليابسة «... ثم زرنا عسقلان - جبره الله - وهو خراب يباب، لا أنيس به، إلا أطلالاً ماثلة وآثاراً طامسة، تؤثر في القلب تباريح الأسى وتعيد المشرق من أنسه خندسا، تحت المبصر على أعمال العبرة وإسبال الجفون بوابل العبرة...» ويسترسل العبدري واقفاً ومستوقفاً، رائيًا وباكياً ما آل إليه ثغر عسقلان، وبالأسلوب المعهود في رحلته، حالما يستنطق الأماكن، ويستبطن المدائن، فكأن ما رآه

من صورها «أسطار في ديوان البلى مقروءة، وتلك الصور سور في ذوائب الدنيا متلوة»^(٦٨).

لكن العبدري، وهو يلتقط الصور بحسه وحده لم يفته أن يناظر بين واقع الحال وما اعتراه من خراب، وبين الواقع الجغرافي الجميل الذي يمتاز به ثغر عسقلان، مهما كانت الظلال السوداء التي أحاطت بالمكان في وصف العبدري، على سبيل الاعتبار والاعتاظ بما هو مخبوء في مكنون الأقدار. يقول العبدري مستحضراً بهاء الثغر دون أن ينسلخ من حالة التحسر المرير الكامن وراء السطور: «وقل ما رأيت من البلدان أن جمع من المحاسن ما جمعت عسقلان - جبرها الله - صنعا وإتقانا، ووضعاً ومكاناً، وبراً وبحراً، عامراً وقفراً، لها على البر والبحر طرف ممتد، وحكم ماض لا يرتد، ترنو إليهما من طرف، وتتلو عليها سور الشرف، وتزهو بتقلبها في الترف، في روضة جمّة الأزهار والطرف». ويشطح به القلم، فيقارنها بإرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وبمآثر بابل في ما بين النهرين. وإلى جانب هذا يتحدث العبدري عن المآثر الروحية الموجودة بالثغر، من مساجد ومزارات.

وبعد هذه الوقفات الدالات، يتجه الانصراف إلى مدينة غزة، كآخر الأمكنة الفلسطينية التي زارها العبدري ف«هي آخر بلاد الشام، مما يلي مصر... وهي أكثر عمارة من كل ما تقدم ذكره من بلاد الشام» كما يقول العبدري.

وبما أن الرجل من أهل العلم، فلا يفوته التأكيد على أن العلم بمدينة غزة كسدت بضاعته؛ لأنها - كما يقول - «عريت من عالم أو متعلم، وأقفرت من فقيه ومتكلم...». ويضيف العبدري مبرراً ذلك: «وهذا أمر شمل في هذا الأوان المدن والقرى، وعم بحكم القدر أصناف الورى، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٦٩). وهي عين الملاحظة التي سجلها وهو يرسم الصورة لمدينة القدس سابقاً: «ولم أر في هذا البلد، مع شرفه واشتهاره من هو أهل لأخذ العلم عنه ولا معنيًا به»^(٧٠).

وهكذا استوقفنا «الرحلة المغربية» وقد اقترن هذا العنوان بالعبدري، لأنها البداية التي عنيت بوصف القدس وما حوله من الأماكن الفلسطينية. والحال أن توقيت الرحلة المغربية يومئذ صادف الحالة التي خرجت بها تلك الأماكن من حروب صليبية متوالية، ركزنا عليها أكثر من اللازم، بطبيعة المرحلة التاريخية، وتأكيذا على ربطها بالتحويلات المنصوص عليها. وسنرى كيف تعامل الرحالة العالمي ابن بطوطة مع المشاهد التي رآها في عصره، ثم كيف أفاد من رحلة العبدري المشار إليها.

٢- ابن بطوطة والرحلة إلى القدس وفلسطين :

(١) بعد وفاة العبدري بستين أو ثلاث سنوات، يولد الرحالة المغربي الشهير بابن بطوطة الطنجي^(٧١)، والذي أصبح مقترنا برحلته المسماة بـ «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار». ومن المعلوم أن هذه الرحلة توالى طبعاتها وتعددت إصداراتها وتتابعت ترجماتها. وسنعمد الطبعة المحققة الأخيرة^(٧٢).

(قال ابن بطوطة) قال الشيخ أبو عبد الله، «كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، منفردا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث من النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازيم، فجزمت أمري ولم أبأ على السكون، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكون.. وكان والدي بقاء الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيانصبا، وسني يومئذ اثنتان وعشرون سنة»^(٧٣).

«قال ابن جزى، أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة»^(٧٤).

وإذا كانت رحلة العبدري قد انطلقت عام ٦٨٨ للهجرة ، فإن الرحلة / التحفة ، انطلقت مسيرتها الطويلة بعد ذلك بسبع وثلاثين سنة . والرحلتان مختلفتان في المقاصد و في الغايات . كما أن الرجلين لا يجمعهما إلا فن الرحلة في صورته العامة . علماً بأن إفادة اللاحق من السابق تترجمها هجرة النصوص بلغة النقد الحديث . وإن الثلاثين سنة ، وبعضاً منها ، الفاصلة بين الرحلتين وبين الرجلين تشكل الامتداد داخل العصر الواحد مشرقاً ومغرباً : العصر المريني في المغرب ، وعصر المماليك في المشرق العربي^(٧٥) . ولقد سبق أن ربطنا «الرحلة المغربية» للعبدري بعصرها ، وإن كانت الإشارات فيها شحيحة بالقياس إلى «تحفة النظار» للرحالة ابن بطوطة الطنجي . ولا بد من التأكيد - أيضاً - على أن القدس وما حولها حظيت بالعناية الكافية من طرف السلاطين المماليك ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وبخاصة ما شادوه من المعاهد والمدارس ، فاعتبرت على هذا العهد من مراكز الإشعاع في العالم الإسلامي .

والحديث عن المماليك في «تحفة النظار» متواتر ومطرد ، وبخاصة الملك الناصر الذي خصه ابن بطوطة بالعبرة وبالإشارة في عدة مواطن ، وفي أماكن وأوطان من بلاد مصر والشام يقول ابن بطوطة : «وكان سلطان مصر على عهد دخولي إليها الملك الناصر ، أبو الفتح محمد المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي . . .»^(٧٦) واستفاض الحديث عن أمراء المماليك ووزرائهم عند زيارته لأرض الكنانة ، والتي وصل إليها عن طريق المغرب العربي الكبير ، كعادة ركب الحاج المغربي ، وقد أشرنا إلى طريقته وإلى مسالكه وأعرافه منذ أن تأسس هذا الركب في تاريخ المغرب . وإن كان ابن بطوطة قد صرح بأنه عاقد العزم على الرحلة منفرداً ، حسب لفظه .

وابن بطوطة من هذا المنطلق وتلك الانطلاقة ، يختلف عن العبدري لكونه اقتحم مسالك الشام وفلسطين من الجهة المصرية ، في حين رأينا العبدري يدخلها بعد أن زار الحرمين الشريفين عائداً إلى بلاد المغرب العربي . فابن بطوطة لم يحج إلا عبر الدرب

الشامي كما عبر عن ذلك ، مصداقا للمكاشفة معه من طرف بعض صلحاء مدينة صغيرة (هو) واقعة على النيل .

يقول ابن بطوطة : «دخلت إلى هذا الشريف متبركا برؤيته والسلام عليه ، فسألني عن قصدي فأخبرته أنني أريد حج بيت الله الحرام على طريق جدة ، فقال لي : لا يحصل لك هذا في هذا الوقت فارجع ، وإنما تحج أول حجة على الدرب الشامي ، فانصرفت عنه ولم أعمل على كلامه ومضيت في طريقي حتى وصلت إلى عيذاب فلم يتمكن لي السفر فعدت راجعا إلى مصر ثم إلى الشام . وكان طريقي في أول حجتي على الدرب الشامي حسبما أخبرني الشريف نفع الله به»^(٧٧) .

ولا يهمننا في هذا السياق الوصول إلى الأسباب الحقيقية وراء رحلة ابن بطوطة ، هل كان المقصد زيارة الديار المقدسة بأرض الحجاز دون غيرها ، أم أن الرحلة كانت له وجهة السير في أرض الله الواسعة ، أم أن الرحلة كانت من ورائها أسباب سفارية؟ ، حسب الإشارات الواردة في ثنايا «تحفة النظار» فهذه المسألة أفاض فيها القول المتحدثون عن رحلة ابن بطوطة وسياقها التاريخي ودوافعها الذاتية والموضوعية^(٧٨) .

إن الغاية من هذه التوطئة التمهيد إلى الموضوع الرئيس المحدد بالصورة المكانية والزمانية للقدس الشريف وما حولها .

(٢) وبالرجوع إلى ما كتبه ابن بطوطة عن هذا الموضوع ، وحسب الخطة التي

رسمت له ، فإن التقسيم النصي يتمفصل كما يلي :

- من غزة إلى مدينة الخليل
- من الخليل إلى القدس
- من القدس إلى ثغر عسقلان .

وهي الأماكن التي أخذت نصيبها الوافر من ارتسامات ابن بطوطة وملاحظاته وإفادته من حديث الآخرين عنها تلميحا أو تصريحاً أو تضميناً. ومن المعلوم أن كتب الرحلات هي من المصادر المعتمدة للتعرف على تاريخ المدن والأماكن، خاصة منها تلك التي لها مكانة دينية أو علمية، كالقدس والحرمين وغيرها من أمثالها ونظرائها. «إن أهم ما يميز وصف ابن بطوطة لمجمل المدن والأماكن التي بلغ عددها أزيد من ٧٦٠، أنه لم يقف عند البنيان والمنشآت، وإنما حاول أن يرصد من خلال طبيعة النسيج الاجتماعي السائد فيها، بجانب الكشف عن نظامها الفكري والاقتصادي وأنماط سلوكها وعاداتها. .»^(٧٩).

لكن وصف ابن بطوطة متفاوت القيمة ورهين المكانة التي تميز المدينة عن غيرها، والمكان عن غيره. وسنقف عند الارتسامات واللفظات التي تكون الصورة المجمل والمفصلة عن الأماكن التي زارها والمحددة بالتمفصل السابق.

مدينة الخليل :

قبل التوقف ملياً في تقاسيم مدينة الخليل أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، كان عروج ابن بطوطة، على غزة التي استعادت ذكرها حديثاً، والتي كانت قديماً تابعة لإقليم الرملة^(٨٠) وعلى عهد ابن بطوطة وخلال رحلته أصبحت غزة وبعناية الملك الناصر مركزاً حكومياً. يحتوي على مسجد تقام فيه صلاة الجمعة، وبها قاض ومدرس، وغير ذلك من معالم العمران. وابن بطوطة اتخذ من غزة المدخل لرحلته في بقاع فلسطين، باعتبار غزة يومئذ «أول بلاد الشام مما يلي مصر».

وإذن، فبوابة الدخول هي غزة ومنها يقول ابن بطوطة: «سافرت إلى مدينة الخليل - صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليمًا. وهي: مدينة صغيرة الساحة، كبيرة المقدار، مشرقة الأنوار، حسنة المنظر، عجيبة المخبر، في بطن واد. ومسجدها أنيق الصنعة،

محكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع، مبني بالصخر المنحوت . في أحد أركانه صخرة، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا . ويقال إن سليمان عليه السلام أمر الحجن ببنائه^(٨١) .

وهذا الوصف الدقيق يعيدنا إلى ما في «الرحلة المغربية» للعبدي، من كلام عن هذه المدينة . ولاشك أن صاحب «التحفة» وبإملائه على الكاتب ابن جزى ، لم يفته الاطلاع على ما حبره العبدي عن هذه الديار ، كما سيتبين من خلال الحديث عن قبور الأنبياء : إبراهيم، وإسحاق ويعقوب . ومثل هذا الحديث يستوجب الوقوف عنده لاعتبارات التوثيق العلمي من جهة ، ولكون النص المعتمد في المسألة - عن تحقق وجود القبور - سبق وأن أورده العبدي في رحلته ، وهو يصف مأثر الخليل ومشاهدها الدينية . يقول ابن بطوطة : « ومما ذكره أهل العلم دليلا على صحة القبور الثلاثة الشريفة هنالك ، ما نقلته من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه «المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب» وما نقله ابن بطوطة لا يزيد على نصف صفحة . في حين أورد العبدي قبله تحقيق المسألة في أربع صفحات . (٢٢٣/٢٢٦) . وقد عنون الحديث عن المسألة بـ « ذكر مقابر الأنبياء بمدينة الخليل » حيث كان إسناده أكثر توثيقا من ابن بطوطة . يقول العبدي : « وجدت بخط الفقيه القاضي المحدث الإمام أبي عبيد الله محمد بن أحمد بن مفرج الأندلسي - رحمه الله - في تأليف علي بن جعفر الرازي سماه «المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب» وهو جزء لطيف نقلته من خط ابن مفرج - رحمه الله - وهو روى فيه عن مؤلفه المذكور حديثا صدر به التأليف مسندا إلى أبي هريرة رضي الله عنه » .

وبالمقارنة يتضح أن ابن بطوطة فاته التدقيق الذي اتصف به سابقه العبدي . كما فات التدقيق والتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي محقق الرحلة . حيث يقول في معرض الكلام عن «القدس والخليل في الرحلات المغربية - رحلة ابن عثمان نموذجاً»^(٨٢) .

«يقول ابن بطوطة - الذي يستأثر وحده بذكر نص نادر مؤيد لما قاله ونقله : هو تأليف لعلي بن جعفر الرازي ، اسمه المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلى آخر النصوص التي تؤكد بدورها اهتمام المسلمين بمدينة الخليل إلى جانب اهتمامهم بالقدس الشريف»^(٨٣) . والسؤال بعد هذا : هل كان ابن بطوطة ناقلًا عن الأصل المشار إليه في كلام العبدري بواسطة ابن مفرج الغائب في إسناد ابن بطوطة . أم أن روايته مخالفة لرواية العبدري . مهما يكن ، فإن النص النادر المنقول عنه - من الجانبيين - كان محل إطلاع من لدن الأندلسيين ثم المغاربة . وإن كان التعرف على صاحبه صعب التحقق .

ويتم التناص - أو هجرة النصوص - بين العبدري ولاحقه ابن بطوطة عند الحديث عن قبر فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام ، وعن اللوحة المنقوش عليها بخط مشرقى مليح بديع ، الأبيات التي أثبتناها سابقا في سياق «الرحلة المغربية» . وهي أربعة ، لكن ابن بطوطة أثبت منها ثلاثة ، دون ذكر الثالث منها . كما أشرنا إلى صنيع العبدري عندما أكمل النقص الحاصل «فكان موضع البيت الثالث من اللوح مثلوما ، فذهب عجز البيت ولم يبق إلا الألف والنون من التنب ، فكمملت عليه بقية البيت والحمد لله»^(٨٤) . وإذا كان من إشكال يطرح عن صحة وجود قبر فاطمة بنت الحسين بالخليل ، فإن ابن بطوطة ليس صاحب المعلومة الأول في هذا الباب . كما يفيد هامش التحقيق رقم^(٨٥) من الرحلة ، مادام العبدري سابقا إلى الحديث عن هذا القبر وعن صاحبه التي يقال إنها دفنت بالمدينة المنورة .

وابن بطوطة - كذلك - يحذو خطوات الزيارة العبدرية من الوجهة الجغرافية ، فمن الخليل إلى بيت المقدس ، وهي خطة حتمية استوجبتها الخط الطوبوغرافي للرحلة . بخلاف ما لاحظناه في رحلة ناصر خسرو والذي قال «بعد أن فرغت من زيارة بيت المقدس على الصفة التي ذكرتها ، عزمت على زيارة سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه

الصلاة والسلام»^(٨٦) . وينص ناصر خسرو أن تاريخ زيارته للخليل كانت «سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة» بفارق ثلاثة قرون ويزيد . وبالمقارنة بين الرحلات الثلاث ، ندرك عمق التحولات التي شهدتها أراضي فلسطين . كما نلمس النتوءات البارزة في مجال تسجيل الارتسامات وتقاسيم الوصف . فمدينة خليل الرحمن أبهى وضوحا في وصف ناصر خسرو منها في رحلة العبدري وابن بطوطة . وإن حاسة الالتقاط قوية فيها ، كما أن الكتابة هي تسجيل يمتح من الحواس لا من النصوص والنقول . وإذا كان من فارق فإن الطابع العلمي الفقهي في الرحلات المغربية عموما يتخذ له حضورا قويا . كما هو الشأن في مسألة التحقق من قبور الأنبياء الثلاثة . ومن باب الاستطراد الإشارة إلى ما سجله ناصر خسرو عن المفروشات التي ازدانت بها الحوائط في مشهد الخليل - وقتئذ - حيث يقول «وازدانت الأرض بالفرش المغربية القيمة التي تضاهي الحرير . . ويقولون إن ثمن هذه السجادة في مصر ثلاثون دينارا ذهبيا مغربيا»^(٨٧) . وهي شهادة تؤكد الحضور المغربي المبكر في القدس والخليل .

من الخليل إلى القدس :

يقول ابن بطوطة «ثم سافرت من هذه المدينة إلى القدس . . ومن الطبيعي أن يمر ببيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام . . ولتتابع ابن بطوطة وهو يرسم صورة بيت المقدس كما رأيتهن العين ، وكما التقطتها عيون الأقلام :

«ثم وصلنا إلى بيت المقدس ، شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ، ومصعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم تسليما ، ومعرجه إلى السماء . والبلدة كبيرة منيفة بالصخر المنحوت . وكان الملك الصالح صلاح الدين بن أيوب - جزاه الله عن الإسلام خيرا - لما فتح هذه المدينة ، هدم بعض سورها ، ثم استنقص الملك الظاهر هدمه خوفا من أن يقصدها الروم فيتمنعون بها ، ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم . وجلب لها الماء في هذا العهد الأمير سيف الدين تنكيز أمير دمشق»^(٨٨) .

إن المعلومة التاريخية في نص ابن بطوطة عن هدم السور بيت المقدس ، تحتاج إلى مساءلة وإلى تمحيص ، خاصة وأنها صدرت - كذلك - عن العبدري ، باعتبار أن الهادم هو الملك الظاهر المعروف بـ «بيبرس» ، والزيادة المتضمنة في «تحفة النظار» هي إشراك صلاح الدين الأيوبي ، قبل الملك الظاهر ، في عملية الهدم المظنون به . علما بأن الرواية التاريخية المجمع عليها هي اهتمام صلاح الدين بأسوار القدس إلى جانب تعزيز مناعتها بالخنادق المحفورة حولها ، ذلك أن صلاح الدين وبعد الفتح المقدسي أعاد بناء الأسوار لجعل المدينة محصنة ومتمنة . فقد «كان مهتما في بناء سور القدس وحفر خندق يتولى بنفسه ، وينقل الحجارة على عاتقه وتأسى به جميع الناس والفقراء والأغنياء ، الضعفاء والأقوياء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر . .» (٨٩) .

فكيف يجوز القول بأن صلاح الدين شارك في عملية الهدم ولو بصفة جزئية . كما في «التحفة» . إن المظنون به هو أن ابن بطوطة ساير العبدري في روايته . وكلاهما غير متحقق من المسألة . فالأيوبيون الذين جاؤوا بعد صلاح الدين الأيوبي كانوا حريصين على تقوية الأسوار «إلا أنه في عام ٦١٦ هـ / ١٢١٧ م اضطر الملك المعظم عيسى إلى هدمه حتى لا يستفيد منه العدو» (٩٠) . وهذا التاريخ يعيد إلى الأذهان أيام الحروب الصليبية الخامسة (٩١) . ويذكر التاريخ أن لهذا الملك - وهو ابن أخ صلاح الدين - أيادي على القدس . (ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) .

وأعظم مشاهد القدس المسجد الأقصى ، ويصفه ابن بطوطة بأنه «من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن . يقال إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه . وأن طوله من شرق إلى غرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية ، وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمسة وثلاثون ذراعا . وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث . وأما الجهة القبلية منه ، فلا أعلم بها بابا إلا بابا واحدا وهو الذي يدخل منه الإمام» .

والمسجد كله فضاء غير مسقف إلا المسجد الأقصى فهو مسقف ، في النهاية من إحكام العمل وإتقان الصنعة ، مموه بالذهب والأصبغة الرائقة . وفي المسجد مواضع سواء مسقفة^(٩٢) .

ومن المعلوم أن ابن بطوطة ، وخلال «تحفة النظار» أولى الاهتمام البالغ للمساجد والجوامع الإسلامية ، تلك التي شاهدها واسترعت الاهتمام منه ، باعتبار المسجد الركيزة الأولى في العمارة الإسلامية ، من جهة ، ولكونه المدرسة الأولى لتلقي العلم وإذاعته . وفي هذا السياق كان العمل العلمي الرصين الذي قام به المؤرخ والعالم والرحالة د. حسين مؤنس في كتابه عن «المساجد»^(٩٣) . ولأن مثل هذا الصنيع يعد في حد ذاته «رحلة في عالم الإيمان والفن والعلم ، في دنيا تبدو من حجر وخشب وطوب ، وهي - في الواقع ذوب النفوس وقوت القلوب»^(٩٤) .

وانطلاقاً من هذا المعطى المزدوج بين الفن والدين كان اهتمام الرحالة المسلمين بالمساجد عموماً وبالمساجد الثلاثة المقدسة خصوصاً . وابن بطوطة : كرحالة جاب أقطار العالم الإسلامي وغير الإسلامي لم يفته أن يسجّل الصور والمشاهد للمساجد والجوامع . ولقد صنع محقق الرحلة خيراً عندما أفرد فهرسة خاصة - ضمن الفهرس العام - للمساجد والجوامع التي تحدث عنها ابن بطوطة وكتب ما رواه عنه ابن جزى الكاتب الثاني للرحلة . وإذا كنا قد عددنا بالأرقام المدن التي مر بها ابن بطوطة ، فإننا كذلك ، وباعتماد الفهرس المشار إليه ، نستطيع القيام بالعملية ذاتها . حيث إن عدد المساجد والجوامع في «تحفة النظار» هو (١٢٢) مسجداً وجامعاً^(٩٥) . ومن غريب الاتفاق أن عدد الزوايا والرباطات في «تحفة النظار» يساوي مجموع الإحصاء المشار إليه (١٢٢) زاويةً ورباطاً . ومن خلال الإحصاء التقريبي يمكن دراسة العالم الإسلامي من هذه الزاوية الدينية والصوفية معا ، وعلى العهد الذي تمت فيه رحلة ابن بطوطة في عقود القرن الثامن الهجري .

ومهما يكن ، فإن هذه الإشارة لا يمكن عزلها عن الصورة العامة للموضوع الذي يتمحور حول صورة القدس وفلسطين ، من خلال الرحلة المغربية ، وهي ذاتها غير معزولة عن السياق التاريخي العربي والإسلامي .

والملاحظ عن كثافة اللقطة ، في فقرة ابن بطوطة ، هو اعتماد المجلد بدل المفصل ، ذلك أن للمسجد الأقصى أبوابا كثيرة أغفلتها عين ابن بطوطة ، كما لم تلحظها حاسة العين في رحلة العبدري . وفي تاج المفرق للبلوي الأندلسي (تاريخ الزيارة ٧٣٧هـ) تقاسيم وتفصيل تفتقدها الرحلتان : «تحفة النظار» و«الرحلة المغربية» . يقول البلوي :

«وهذا المسجد الشريف هو أعظم مساجد الدنيا ، طوله سبعمائة وثمانون ذراعا ، وعرضه أربعمائة وخمسون ذراعا ، فيكون تكسيه في المراجع المغربية مائة مرجع ، وسواريه أربعمائة وأربع عشرة سارية ، وأبوابه خمسون بابا يطيف به سور سعته ثلاث خطوات ، قد أسس بالحجارة العظيمة وألواحه الكبار المنحوتة الهائلة بنته الجن لسليمان عليه السلام - والمفتوحة الآن من أبوابه اثنا عشر بابا ، كل باب منها له الوجه المنقش المحسن المرقش فيها باب مصفح بالعقبان واللجين مغمد بها قد قام على ما راق الأبصار وأعجب النظار . .» (٩٦) .

وإن الفرق بين الصورة والصورتين لكبير ، ذلك أن البلوي الأندلسي ، وليس بينه وبين الرحلتين المغربيتين إلا ربع قرن متفاوت السنين ، كان موقفا في التصوير ودقيقا في عملية الالتقاط ، كما كان مسهبا في عرض التقاسيم والظلال والأبعاد ، لخصال تميز بها عن العبدري وعن ابن بطوطة . ثم إن هذا الأخير لم يسجل ملاحظاته إبان رحلته ووقت الزيارة - كما يعلم الجميع - ومن الطبيعي أن تضيع التفاصيل والهوامش ، كلما ابتعدت الذاكرة والحواس عن زمن المشاهدة والعيان ، إلى جانب ما سيسقط من الحقائق من غربال الذاكرة المستعادة . وهذا ما حصل لبعض الرحالة العرب والمسلمين . ومنهم

صاحبنا الطنجي ابن بطوطة . وهناك من التفاصيل الأخرى في «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» ما يجعل البلوي مبرزاً في هذا المجال ، وهو أقرب إلى ناصر خسرو في سرد الارتسامات ، وفي العناية بالنعوت والصفات .

لنستحضر الوصف العبدري لقبة الصخرة وما كتبناه عنها ، وصفاً وشرحاً وتعليقاً ثم لنقرأ هذه الفقرة من «تحفة النظار» في وصفها ، «هي من أعجب المباني وأتقنها ، وأغربها شكلاً ، قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديع بطرف . وهي قائمة على نشز في وسط المسجد ، يصعد إليها في درج رخام ، ولها أربعة أبواب ، والدائر منها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة ، وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف . وأكثر ذلك مغشى بالذهب ، فهي تتلألأ نورا وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها في محاسنها ، ويقصر رائيها عن تمثيلها»^(٩٧) .

ولاشك أن ابن جزى - الكاتب - كان واضعاً بين عينيه رحلة العبدري ، لما في وصف ابن بطوطة - أو وصفه هو - من أسلوب العبدري . ولولا بعض التحويرات والتنقيحات لقلنا بأنها الإغارة الكاملة على كلام العبدري . وإن جادل مجادل فهاهو الدليل والبرهان :

يقول ابن جزى من إملأ ابن بطوطة ، والحديث متابعة لوصف قبة الصخرة المشرفة :

«وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار ، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - عرج منها إلى السماء ، وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة ، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ، ارتفاعها نحو قامة أيضاً ، ينزل إليها على درج . وهناك شكل محراب . وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها : أحدهما ، وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة ، والثاني من خشب . وفي القبة درقة كبيرة من حديد

معلقة هنالك ، والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب ، رضي الله عنه^(٩٨) . وهو الوصف عينه في رحلة العبدري بحذف نعت أو حرف جر ، أو ما شابه ذلك ، فليراجع النص في موطنه من الرحلة (ص ٢٣٠) . والأمر فيه احتمال النقل - من الطرفين - من مصدر واحد .

وان التعليق على كلام ابن بطوطة هو من باب القول المكرور مادامت الفقرتان تتناصان شكلا ومضمونا .

وهناك مشاهد في بيت المقدس زارها ابن بطوطة ، ولمح إلى صورها العابرة ، وهي لا تعدو أن تكون مستبقة في الذاكرة أو أنها حصيلة القراءة لرحلات ، أو مصادر جغرافية .

وبالمقارنة مع العبدري فإن مما تميزت به «تحفة النظار» هو الإشارة إلى بعض العلماء الذين التقاهم ابن بطوطة ، من محدثين وقضاة وخطباء ومتصوفة ومدرسين^(٩٩) . وقد عددهم واحداً واحداً ، مما يطرح التساؤل عن صحة ما قاله العبدري عن الحركة العلمية على عهد زيارته لبيت المقدس وأراضي فلسطين ، قبل ابن بطوطة بربع قرن تقريبا ، حيث لم يجد بها ما يشفي الغليل في الموضوع . وكما هو معلوم عن العبدري أنه شحيح الشهادة الإيجابية .

ومهما يكن ، فإن النظرتين نسبتيان ، نسبة العلاقة العلمية في ذات الشخصين : ابن بطوطة وسابقه العبدري ، الذي لوَّ رؤيته وصورته بالذاتية اليابسة . لكن ابن بطوطة كان يغايره بالتصورات المتفائلة وهي أقرب إلى الموضوعية وإلى الحياد بالرغم مما يطبعها من تساهل في إطلاق بعض الأحكام .

وتبعاً لخريطة الرحلة ؛ فإن ابن بطوطة كان يتجه صوب البحر ، ميمماً المدائن الواقعة على الشاطئ الشامي ، فمن بيت المقدس إلى عسقلان ، فالرملة ، فيافا فعكا فصور وصيدا . . ولم يكن ليمنعه من زيارة مناطق داخلية ك نابلس والغور وعجلون .

وهكذا كان المسلك الشامي هو الموصّل إلى أرض الحجاز في رحلة «تحفة النظار» التي أملاها ابن بطوطة الطنجي على الكاتب ابن جزي . وسواء أكان الوصف والصورة ، في زمن الذهاب أم في زمن الإياب ، فإن ذلك لن يغير من أمر الرؤية في شيء ؛ لأنها صادرة عن ذات واحدة تقاطعت عملية الكتابة فيها بين ذات أخرى هي الوساطة في التسجيل .

٢- الصورة..من خلال ثلاث رحلات مغربية في زمن الحكم العثماني :

السياق التاريخي :

(١) بعد معركة وادي المخازن الشهيرة ، أصبح المغرب «السعدي» قوة يحسب لها الحساب داخل المعادلة السياسية ، ويومها كانت القوى الكبرى الدولية تتجاذب فيما بينها خيوط المصالح وبنود المعاهدات ؛ فالإنجليز والإسبان والبرتغال وتركيا آل عثمان ، كلها كانت تشكّل مناطق النفوذ ومواقع الصراع . وبخروج المغرب السعدي منتصراً من معركة وادي المخازن ، (سنة ١٥٧٨م) ، أصبح يتشوف إلى فرض وجوده ، كقوة سياسية وعسكرية ثم تجارية . وكان من الطبيعي أن تحسب الخطوات في ميدان التقارب - وحسب المصالح السياسية والدينية - بين المغرب وبين الأتراك العثمانيين . والقوتان - يومئذ - بينهما تناظر القوة والضعف : الإمبراطورية السعدية في تقدم ، والإمبراطورية العثمانية تخطو نحو التراجع والانكسار «وهكذا أخذت مظاهر الأمن والاستقرار في الإمبراطورية العثمانية خلال أواخر القرن السادس عشر للميلاد تضعف ، وبدأت بالتالي نواحي الحياة الاقتصادية تعرف نوعاً من التدهور ، كما اضطربت وسائل المواصلات الداخلية ، مما كان سبباً رئيساً في التأثير على المجتمع العربي وانتشار نوع من الجمود والركود الفكري ، وبعبارة أوضح لقد أخذت عوامل الضعف والانحطاط تبدو في مختلف نواحي الحياة بالعالم العربي والشرق الإسلامي . ومع الأيام أخذ الاستياء والتذمر في البلاد العربية يشمل سائر الطبقات ، ويتحول تدريجياً إلى اصطدام وثورة مسلحة ضد

الحاكم التركي والحامية التركية التي لم تكن تتورع عن القيام بجميع أنواع القسوة والتنكيل : كما أخذت بعض الحركات الاستقلالية في العالم العربي تبرز بين الآونة والأخرى وتسعى جاهدة من الخروج عن الأتراك والحكم التركي»^(١٠٠).

والجدير بالذكر هو أن الرحلة المغربية- والسفارية منها بالتحديد- كان لها دور الاستطلاع والاستكشاف عن الصورة العامة التي كانت عليها دولة الأتراك العثمانيين ، وقبل الفترة التي ستنتظم فيها الرحلات الثلاث ، تلك التي سنرصد من خلالها الصورة الملتقطة للقدس ومدائن فلسطين . والإشارة هنا إلى رحلة التمكروتي الموسومة «بالنفحة المسكية في السفارة التركية»^(١٠١).

وكما قلنا ، فإن رحلة «التمكروتي» كانت بمثابة جس النبض في قلب العلاقات بين الدولتين المسلمتين . وداخل السياق العام للأحداث والمتغيرات .

(٢) وبهذه «اللمحة البدرية» نكون قد وضعنا الخلفية الأولى التاريخية التي سبقت الرحلات الثلاث ، وبتفاوت زمني ملحوظ بين مؤلفيها الثلاثة :

- أبو سالم العياشي في رحلته المعروفة بـ «ماء الموائد» . (تاريخ الرحلة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م).

- محمد بن عثمان المكناسي- السفير- في رحلته المعنونة بـ «إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس والخليل والتبرك بقبر الحبيب» (تاريخ الرحلة ١٢٠٢/١٧٨٨).

- أبو القاسم الزياتي في «الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا» (تاريخ الرحلة ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م).

وقبل الشروع في التفاصيل ، وتلمس التقاسيم المنشودة في تلك الرحلات الثلاث لمؤلفيها الثلاثة لابد من إثارة مسألة لها أهميتها من الوجهة المشرقية خاصة ، والحال أننا سنرصد تلك «التفاصيل» من خلال المتن المغربي ، : بانتمائه الجغرافي والسياسي أولاً ،

وبولائه المطلق للدين الإسلامي ثانيًا وباعتناقه المذهب المالكي . ثالثًا ومنذ أمد بعيد .

والمسألة في سياقها التاريخي والسياسي لها خصوصية «مغربية» ارتبطت بأخلاقيات العلاقة السياسية بين المغرب من جهة وبين دولة آل عثمان من جهة ثانية . علمًا من الجميع بأن المغرب لم تسيطر عليه الإمبراطورية العثمانية ، لا في فترة القوة ولا في فترة الضعف ؛ وتبعًا لهذه الرؤية السياسية ، فإن مواقف العلماء والمثقفين المغاربة - ومنهم أصحاب الرحلات الثلاث - سيكون منسجمًا - نسبيًا - ومطابقًا للتصورات الرسمية ، المحكومة بضوابط العلاقات ، وأخلاقيات التعامل الدولي . كما أن ذلك ، ومن الجهتين ، لا يحمل في طياته رسوبات الضغائن جراء السيطرة العثمانية ، التي وجدت لها دفيئًا في الكتابات المشرقية .

ولقد بسط هذه المسألة بعض الباحثين المغاربة بقصد استجلاء «صورة العثمانيين في كتابات بعض الرحالة المغاربة»^(١٠٢) حيث تم التركيز على رحلة أبي سالم العياشي (ماء الموائد) ورحلة «الزياني» (الترجمة الكبرى) . وينتهي المطاف بالباحث إلى استخلاص نتائج . منها :

«إن أية محاولة لاستجماع عناصر الصورة التي رسمتها عامة الكتابات المغربية للعثمانيين لا يمكن أن تعزل عن إطار أشمل تعكسه مجموع الإنتاجات الفكرية العربية الإسلامية ومواقف أصحابها من تاريخ السلطنة العثمانية . مع التنبيه إلى بعض الخصوصية التي تطبع التأليف المغربية بحكم انتمائها إلى قطر عربي إسلامي غير تابع لسلطان آل عثمان ، وما استتبع تلك الوضعية من أحداث ووقائع في علاقات الطرفين ، فضلاً عما خلّفته من آثار ظاهرة أو مستترة ضمن توجهات ومتضمنات هذه الكتابات»^(١٠٣) .

وإن الرقعة الزمنية التي تلاقي أطراف الرحلات الثلاث وافت قرنًا من الزمن ويزيد؛ فما بين تاريخ رحلة العياشي إلى تاريخ رحلة الزياني ، مرورًا برحلة المكناسي مسافة من عصر العثمانيين ومن عصر الشرفاء العلويين . إضافة إلى المسافة الفكرية والثقافية التي

تفصل كل رحالة عن غيرها . كما يجب التذكير ، بأن (ماء الموائد) لأبي سالم العياشي (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) هي رحلة لها مدار الرحلات الحجازية ، وما يطبعها من مياسم خاصة ، من أهمها الطابع الذاتي للرحلة ، وما تستوجه من مقاصد دينية . بخلاف الرحلة السفارية المحكومة بالتوجهات والأديبات . من هنا يكون التمييز واضحاً بين هذه وبين تلك : بين العياشي وبين المكناسي (١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م) والزباني . (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م) لأن هذين الأخيرين قاما بمهمة سفارية بتكليف من سلطان المغرب محمد ابن عبدالله (١٢٠٤/ ١٧٩٠) على عهدهما . (وقد تقتصر على رحلة واحدة منهما في عملية الرصد المنشودة) .

وكما أشرنا ؛ فإن الرحلات الثلاث ، زاخرة بالنصوص والفقرات التي تترجم التحيين الزمني للفترة العثمانية سواء عبر شاسع إمبراطوريتها - شرقاً وغرباً - أم داخل المناطق الفلسطينية ، بصورة من الصور . وإن التفاوت ملحوظ بين نص من رحلة وبين فقرات في رحلة أخرى . خاصة وأن الرحلتين السفاريتين المشار إليهما كان لهما اتجاه قصدي موحد بين الرحالتين : المكناسي والزباني . بل إن المكناسي - السفير بحق - استطاع أن يستجمع الصور والالتقاطات التفصيلية عن حياة آل عثمان وما شاهده في مناطق متعددة أيام سفارته إلى أراضى الأناضول . (أكثر من ٢٠٠ صفحة غطت رحلته السفارية ، بإضافة ٢٠ صفحة عن القدس والخليل) . ويوم تطبع رحلته الموسومة (إحراز المعلى والرقيب) . ستتضح الصورة العثمانية من خلال الإفادات المسجلة عن جوانب اجتماعية وسياسية وحضارية كان لها حضور في كتابته . كما يعززها ما جاء في «الترجمة الكبرى» لمؤلفها أبو القاسم الزباني (مطبوعة) .

وسرى أن الكتابة المغربية عن السلطنة العثمانية ، من خلال الرحلات المتباعدة في أزمنتها ، والمتفاوتة في إطلاق الأحكام ، لا تخلو من نقداً عابرة وإشارات مريرة مستقاة من الشهادات المسموعة في عين المكان وعلى الخريطة العربية المحكومة . وقتئذ -

بالفرمانات العثمانية المختومة في الباب العالي . بل إننا سنختار مما جاء في سياق الحديث عن القدس والخليل والرملة وما بينها .

وانطلاقاً من العنصر الكرونولوجي ، فإن البداية ستكون مع أبي سالم العياشي في :

١- ماء الموائد :

يعد أبو سالم العياشي ، من أبرز الشخصيات العلمية في مغرب القرن الحادي عشر ، لكونه عاش فترة كان المغرب فيها يختلط الطريق السياسي الجديد ، بعد انصرام عهود الفتن والاضطرابات ، تلك التي أعقبت غياب المنصور السعدي ، فتسلّمت - بعد مدة - الزاوية الدلائية مقاليد الحكم ، ثم جاء القضاء عليها من لدن الدولة العلوية الأولى ، أيام السلطان الرشيد . خلال هذه الفترة ، وتحديداً عام ١٠٧٩هـ عزم أبو سالم العياشي على الرحيل إلى الديار الحجازية ، بعد أن استكان إلى اليأس بسبب الظروف المانعة عن السفر ، كما جاء في التقديم «فلأجل ذلك - يقول أبو سالم - أشار بترك السفر من لاتعصى له إشارة ، ونهى عنه من له على أكبر حق بصريح العبارة»^(١٠٤) . وعن غاية الرحلة ومراميها ، وما احتوته ، تأليفاً - من مشاهدات ، وما استوجبت من ارتسامات ، يقول العياشي « . . ولم يكن فيها كبير أمر يعتني بكتابة الرحلة لأجله ، ويكاد علمه يستوي بجهله ، إلا ما يشترك في معرفته عام الحاج وخاصتهم من أوصاف المسالك وتعدد المراحل وأسماء البلدان وما يضاهي ذلك بما لا تطمح إليه عيون أولي الفضل ، وترتاح لذكره هم أهل النبل من لقاء المشائخ الفضلاء ، ومحاضرة الأدباء النبلاء ، ومتباحثة الأذكياء ، وزيارة الأتقياء . »^(١٠٥) .

ومن الجدير بالذكر ، أن «الرحلة العياشية» تعد مصدراً مفيداً في عصرها ، كما أنها من المصادر المغربية عن الحياة الثقافية في المشرق العربي ، بحكم اهتمام العياشي بالجانب العلمي وحسب الخطة التي أبان عنها في مقدمة الرحلة . الأمر الذي جعل

الباحثين يهتمون بها اهتماماً ملحوظاً ، كل من زاوية الاهتمام العلمي الخاص . وفي هذا السياق فإن الجانب التوثيقي فيها بين الملامح ، وبخاصة عن الصورة التاريخية التي كانت عليها الجزيرة العربية على عهده . مما جعل علامة الجزيرة (حمد الجاسر) يجرّد الرحلة من بعض الفصول ، ويهيئها على صورة منتخبات أسماها «مقتطفات»^(١٠٦) خاصة بالحرمين الشريفين : مكة والمدينة وما بينهما من ربوع وديار ومقامات . . كما اهتم المستشرقون بها ، منهم من تناولها بالدري والتحليل ، ومنهم من ترجم أقساماً منها إلى لغته الأجنبية .

ومن المعلوم أن «أبا سالم العياشي» أديب وشاعر ، وبهذه الصفة لوّن رحلته بألوان من الأدب والشعر ، كما حفلت الرحلة بمادة التراجم والإجازات والأثبات والفهارس والتقايد ، كما أضفى عليها لبوس «اللطائف» المتتالية والمعقودة بالفصول وبالغايات العياشية . ولا يضيرها ما زخرت به من استطرادات ، هي دالة على سعة الحقول العلمية المتداخلة فيما بينها ، كمنهج في الكتابة التراثية معروف . وتطبع الرحلة - أيضاً - انعطافات يفرضها النقاش العلمي في مسائل وقضايا تتطلب الحسم . وإلى جانب هذا وذاك ، فإن العياشي لم يكن يطمح إلى أكثر مما أشرنا إليه . وكما صرح - هو - به بنفسه ، في مقدمة (ماء الموائد) .

المساجد والمزارات :

(١) فما نوع المعلومات التي يمكن ترصدها في رحلة (ماء الموائد) والتي عرفت بـ «الرحلة العياشية» في زمن السلطنة العثمانية ، حيث ينادى لنصرنها على المنابر في الجمع وفي الأعياد ، وحتى في رحاب الحرمين الشريفين ؟ إذ «لم يكن يدعى في الخطبة يوم الجمعة إلا لثلاثة ، يدعى أولاً . للسلطان الأعظم ملك الترك ، إلا أنهم - واللفظ للعياشي - يبالغون في تعظيمه بأوصاف لا ينبغي أن يُعظّم بها أحد من الخلق خصوصاً في حضرة الرسالة . . وليس في تلك الأوصاف أحسن ولا أجمل ولا أكمل من قولهم فيه

خادم الحرمين . . ثم بعد الدعاء لملك الترك موصوفاً بكونه ملك البرين والبحرين والشامين والعراقيين ، يدعى للسلطان زيد بن محسن موصوفاً بكونه حامي حمى الحرمين الشريفين ، ثم يدعى للأمير المدينة السيد الحسين بن حماد موصوفاً بكونه حامي حمى المدينة وأميرها^(١٠٧) .

إن الجواب عن السؤال ، بعد هذا القوس المفتوح تاريخياً ، سيجد عناصره مشتتة ومتناثرة هنا وهناك وداخل فضاء (ماء الموائد) الواسع . كما أن طبيعة الحمولات الثقافية للمؤلف تحدد أفق الانتظار لتلك المعلومات المنشودة في كتب الرحلات : فالعياشي كانت تشده مواقع المساجد بقوة ، يصفها ، يفصل القول فيها ، باعتبارها مكاناً للتجمعات الدينية والاجتماعية ، وباعتبارها أيضاً ، مراكز إشعاع علمي يجب الحفاظ عليه . ولا غضاضة عليه ولا ضير ، إن هو انتقد أهل المغرب وفضل أهل المشرق عليهم باعتبارهم بالمساجد وعمارتها وإصلاحها والتفنن في تشييدها . يقول العياشي ، في سياق الحديث ذاته : «ولم يزل أهل المشرق إلى الآن لهم فضل اعتناء ببناء المساجد والخانات وبيالغون في تعظيمها ويتأنقون في ذلك ويبادرون إلى إصلاح ما أوهى منها . وأما أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجداً عظيماً قد أحدث بل ولا مهتماً قد جدد أو واهيا قد أصلح . إلخ»^(١٠٨) . والمقارنة ، بالتفاضل ، هنا ، أوحتها عين المشاهدة - والعياشي بأرض الحجاز يلحظ التطور الحاصل بمساجد الديار المقدسة .

من هنا يأتي اهتمامه بذكر المساجد التي زراها ونزل بها في أغلب المناطق التي حلَّ بها في زيارته لفلسطين . حيث كانت مدينة غزة هي المعبر إلى باقي المدن الأخرى : «ودخلنا - يقول العياشي - المدينة بعد طلوع الشمس ، وتلقانا أول ما دخلنا رجل من تجارها ، وأطعمنا ثم ذهبنا إلى المسجد الكبير ونزلنا به . . . وهذا المسجد من أحسن المساجد رواء عالي البناء فسيح المنظر ، له صحن رائق مفروش بالمرمر والحجارة المنحوتة وفيه دالية عنب . . . وعلى يمين قبله الصحن مسجد مرفوع على سواري كبيرة من

الحجارة المنحوتة وهو مفصول عن الصحن بشبابيك غريبة الصنعة وكان أصله كنيسة كغالب مساجد ذلك الساحل، لأن المسلمين لما ملكوا البلاد من يد الإفرنج صيروها مساجد . وقد سمعت من بعض أهل غزة أن مسجدهم ذلك كان كنيسة في زمن المسيح عليه السلام . . .^(١٠٩) .

وإن تحول الكنائس إلى مساجد ، مما لفت نظر العياشي وهو يطنب في وصفها ، وبوتيرة مطردة ، فعند زيارته لمدينة الرملة ، بعد غزة ، وما رآته العين فيها من مساجد منظورة تجذب إليها أفئدة المؤمنين للصلاة والعبادة ، انتقل إلى مدينة مجاورة لها هي اللد ، التي يحدها بقوله «وبينهما نحو من فرسخ من ناحية البحر ، وفيها أسواق ومساجد ومزارات . . . ومن الغرائب التي شاهدناها في هذه المدينة أن مسجدهم الأعظم كان في الأصل كنيسة وصار اليوم نصفه مسجدا ونصفه كنيسة . . .» .

وفي معرض التبرير يذكر العياشي سبب هذا التقسيم بأسلوب الزعم والظن «وزعموا أن سبب ذلك أن المسلمين في وقت فتح البلد دخل بعضهم من ناحية صلحا وبعض من الناحية الأخرى عنوة فاجتمعوا في وسط الكنيسة فصار نصفها مسجدا والنصف الآخر كنيسة والله أعلم»^(١١٠) .

وهذا الاحتفاء بالحديث عن مساجد المدن الفلسطينية والإسهاب في وصفها والتدقيق في أمر تحولاتها ، سيزداد قوة وانبهارا بما ستره العين وتتخطف إليه الروح ، عند مشاهدة المسجد الأقصى ثالث الحرمين في بلاد الإسلام . وأن الدخول إلى بيت المقدس عن طريق «الرملة» هو مما تحدث عنه الرحالة المغاربة وبالأوصاف الجغرافي ، حيث إن بيت المقدس من المدن الواقعة موقعا عالي الارتفاع شديد الوعورة صعب المسالك «وقد ذكر بعضهم - يقول العياشي - أن من خاصية هذا البلد الشريف أنه ما رويت السماء صافية فيه يوماً كاملاً ، صيفاً ولا شتاءً لا بد أن يرى في السماء غيم ، ولا يبعد ذلك . فقد ورد في الآثار أن الأرض المقدسة هي أرفع مكان في الأرض وأقربه إلى

السماء ، وأنها أقرب إلى السماء من جميع الأرض بشمانية عشر ميلاً ، ويقدر ما ترتفع الأرض تقل حرارتها وتكثر أمطارها»^(١١١) .

ليس هذا الوصف الجغرافي هو مما تواترت فيه المصادر والنقول عن مدينة بيت المقدس كما سبق ، لما في الموقع من صورة تسترعي الملاحظة والاهتمام . وقبل تأكيد الظاهرة الجغرافية يصف العياشي مرحلة الوصول إلى بيت المقدس وما استغرقت الرحلة من وقت ، من طلوع الفجر إلى ما بعد العصر «ولم نزل يومنا سائرين في صعود وهبوط في أرض وعرة ، وعلى يميننا ويسارنا قرى ذات كروم إلى أن وصلنا إلى قرية هي أدنى إلى المدينة بها عين ماء يجري فنزلنا بها وتوضأنا وصلينا الظهر وسرنا ودخلنا مدينة القدس وقت العصر وصلينا العصر بقبة الصخرة وأنزلنا حوائجنا أولاً بحي المغاربة»^(١١٢) و«حي المغاربة» هو من الأماكن التاريخية في بيت المقدس ، خاصة وأن «المغاربة» كانت لهم أوقاف جارية محبسة وموثقة وفق الطريقة الشرعية ، منذ زمن التحسيس إلى ما بعد عام ١٩٦٧^(١١٣) .

وإن الحديث عن المسجد الأقصى ، وعن الصخرة المقدسة في (ماء الموائد) استغرق أكثر من صفحتين من الطبعة الحجرية . وتخللته نقول من مصادر سابقة ، عن الطول والعرض ، والأبواب وغيرها ، وعن المظهر العمراني للمسجد والصخرة معا . ولم يفت العياشي أن ينبه إلى شيء من هذا القبيل ، تكريساً لما عرف عنه من الأمانة العلمية . وهذا التنبيه كان هو مسك الختام عن الوصف المشار إليه ، «وبالجملة - واللفظ له - فغرائب الصخرة والمسجد الأقصى وما حولهما من المزارات شيء كثير ، وقد ألفت فيه التأليف ، وإنما نذكر من ذلك ما رأيناه وزرناه»^(١١٤) وهذا الوعي التاريخي من العياشي هو الذي يحدد الفاصل الزمني بين ما كان وبين ما هو كائن ، تنبيهاً منه لما طرأ من تحولات مست البنيات السطحية - أو العميقة - للمأثر الإسلامية . ثم إن الأسلوب الذي يبني عليه ملاحظاته هو مزيج من العزو في الرواية ومزيج أيضاً ، من المرويات

المسموعة ، إما موثوق بها أو أنها من قبيل كلام العوام . وهكذا يشير العياشي إلى ما يحكى عن «الصخرة المقدسة» وعن امتدادها وطولها في الزمن القديم ، ثم إلى صورتها الماثلة للعيان على عهده «وقد ذكر بعض المؤرخين أنها كانت في زمن إسرائيل طويلة جدا ، وأنهم قطعوها وبنوا منها الكنيسة المسماة بقمامة . . وأما في عصرنا هذا فقد بني بإزائها ومن تحتها إلى أن صار ما تحتها شبه مغارة على هيئة مسجد بصلي في الناس ، ويدخل الناس إليه من تحت طرفها المسمى بلسان الصخرة وهو من ناحية القبلة»^(١١٥) .

والممتع المقارن لما في وصف العياشي للمسجد الأقصى وللصخرة معاً ، لا يفوته أن يلاحظ عنصر الاستنساخ المتقول ، وهذا المسلك في الكتابة - وفي أغلب الرحلات - لا عيب فيه مادام لا يخالف رأي العين ، فالإجماع المنعقد ، على الوصف والنعته ، يكتسي طابع التعميم والتغليب ، ويحلّى بالعبارة الإنشائية غير الدقيقة ، ولكن الجوهر فيه إبراز عظمة التشييد والتعظيم ، كما في قول العياشي : «وهذا المسجد المقدس آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار»^(١١٦) .

وهكذا تبرز الظاهرة اللافتة للنظر في رحلة العياشي ، تلك التي تحتفي الاحتفاء البالغ ببيوت الله ، وبالاعتبار المذكور . وهو في هذا يذكرنا بابن بطوطة في «تحفة النظار» . لكن الملاحظ هو أن بيت المقدس وغيره أيام العثمانيين كان يتوفر على مدارس العلم ، إذ «يوجد في مدينة القدس - وحدها - مت يزيد على الأربعين مدرسة معظمها يعود تاريخه إلى العهد المملوكي ، حيث عمل السلاطين والأمراء على بناء المدارس في منطقة الحرم القدسي وكذلك في الجهتين الشمالية والغربية منه . . من أبرز هذه المدارس المدرسة الأشرفية»^(١١٧) . فهل غابت عين الملاحظ الرحالة العياشي عن مثل هذه المعلمة الحضارية العلمية . . . ولعل العياشي قد غلب على وصفه جانب «التغليب» لكون المسجد - في تصوره ، هو المدرسة الإسلامية الأولى ، دون الخضوع للأسامي التي لم يحفل بألفاظها الجديدة .

والحديث عن «المسجد» ودوره في (ماء الموائد) غير منفصل عن تحصيل العلم وحلقاته ورجاله . مما ميز رحلة العياشي كاملة . الأمر الذي جعل إطار المسجد هو الصورة التغليبية التي أوأنا إليها . فالعياشي ، كعالم مشهود له بذلك في عصره ، إنما عقد العزم لزيارة الأماكن المقدسة من جهة ، ولشق الطرق على الانفتاح المعرفي من جهة ثانية . (إجازات ومرويات ومناقشات ، وأسانيد ، وتراجم . . إلخ) .

وفي ختام زيارته لمدينة الخليل ، وقد أنشأ بها قصيدة في مدح النبي خليل الرحمن ، يتحدث عن بعض العلماء الذين تعرف عليهم بالخليل ، منهم الفقيه الطاهر الشيخ إبراهيم ابن شهاب الدين المرواني . . «وله - يقول العياشي - بيت في صحن المسجد فيه كتبه يأوي إليه عامة نهاره . . وصاحبنا هذا ، ممن يتولى الإمامة في مسجد الخليل ، ويقيم مجلس الذكر فيه في أديار الصلوات كما هو عادة أهل تلك البلاد ، فقد استبدلوا من مجالس العلم مجالس الذكر ، فقلّ ما يخلو مسجد من مجلس ذكر برفع الصوت والجماعات والإنشادات على هيئة سماع الصوفية . . » .

ولم يكتف العياشي بهذا السرد ، بل تحركت فيه شهوة الانتقاد ليقوم الظاهرة التي شاهدها بالعيان ، وليحكم على هذا التحول بمنطق العالم . بالرغم من انتمائه الصوفي ، «إلى الزاوية العياشية» في قلب جبال الأطلس المتوسط . يقول العياشي : «إلا أن غالب متعاطي ذلك أميون أرباب دنيا ، فقلّ بذلك العلم في هذه البلاد والسواحل الشامية كلها بقياس ما لم أر منها عليمًا رأيت وبأخبار من رآها من الواردين» (١١٨) .

بقيت ملاحظة ، لابد من ذكرها في هذا السياق ، والأمر يتعلق بتحسر العياشي على ما فاته من زيارة عسقلان ، وكان «يود زيارتها وزيارة ما فيها من المساجد ، فلم يقدر لي ذلك . - يقول العياشي - وكانت في العصر الأول من أمهات المدن إلى أن خربها السلطان صلاح الدين بن أيوب بعد فتح القدس خشية استيلاء الإفرنج عليها . . إلخ» (١١٩) وتلك من المسائل التاريخية التي وقفنا عندها ، عند دراستنا لرحلات العبدري وابن بطوطة ، في المباحث السابقة .

(٢) وينظر هذا الاحتفاء بالمساجد ودورها وتعميرها ، وتشييدها ، في (ماء الموائد) احتفاء آخر بـ «المزارات» وقبور الأنبياء والصحابة والصالحين ، وأئمة العلم والدين . مصداقاً لما جاء في تقديم الرحلة ، كخطة لها قصدية قبلية . غير معزولة عن معطيات الذات والموضوع في آن واحد .

ورصدنا لهذه الظاهرة - في الرحلة العياشية - يبرز الواقع الثقافي الذي كان يتحرك فيه عالم وثقف وأديب في مغرب القرن الحادي عشر . وأن هذا الواقع هو مشدود أيضاً - إلى واقع آخر هو العالم الإسلامي . وما كنا لنحاكم النوايا أو نجادل في المسألة من الناحية العقيدة السلفية . ولسنا في معرض التقييم للأحداث والوقائع الفكرية الثقافية ، مادام التاريخ في ماضيه هو الثابت المدعوم بزمانه وبمكانه .

من هذا المنطلق تتحدد معالم رصد المعلومات ، دون النظر إليها بعين الجملة الخبرية أو الجملة الإنشائية . كان لابد من هذا التوضيح . لكون الصورة المرصودة ، قد تجابه بعواصف الانتقاد ، من هذا الجانب أو من ذاك . فالراصد - ومن مرصد المتابعة - لا يحفل بالغيوم أو بالصحو ، أو بالسحاب ، سواء أكان جهماً أم صيباً . فبحسبه أن يتحقق الرؤية صافية لا يشوبها عَمى الألوان!

وإن توالي الحديث عن المزارات يستدئ من المدينة الأولى (غزة) التي دخلها العياشي مقله من المدينة المشرفة . لنفتح سفر المزارات . كما صورها أبو سالم العياشي . يقول :

«ومن المزارات التي زرناها مولد الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وهو في مغارة تحت الأرض قرب الجامع الكبير ، وقد ذكر المؤرخون أنه ولد بغزة»^(١٢٠) ولم يشر العياشي إلى الخلاف حول مسقط ولادة الإمام الشافعي : هل في فلسطين (غزة أو عسقلان) أم في اليمن^(١٢١) . لكن صاحب (ماء الموائد) لم يكتف بالإشارة فقط وهو

يذكر قبر هاشم بن عبدالمطلب جد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل ظل يناقش بالحجة والمنطق لإثبات القول بوجود قبره ، بل «وإليه تنسب غزاة إلى الآن ، فيقال غزاة هاشم . ، وهو في طرف المدينة من الناحية البحرية . وقد ذكر أهل السير أنه مات بغزة ، إلا أنه يبعد تعيين قبر عربي مات في زمن الجاهلية بأرض غربة في أرض العجم ويستمر تعيينه إلى زمننا هذا . ولاشك - يضيف العياشي محاججا - أن هاشما رئيسا في قومه جوادا سخيا ممدحا عظيما في قريش لا تجهل مكانته . والعرب كانت تعتنى بتعظيم مقابر عظمائها»^(١٢٢) . ولاشك أن هذا التدقيق ، في التحقيق ، لا يصدر إلا عن عالم ضليع كأبي سالم العياشي . ثم . . «من المزارات أيضا بغزة قبر الإمام الأوزاعي - رضي الله عنه - ومكانته في العلم والصلاح مشهورة وهو إمام أهل الشام في زمانه ، وله مذهب متبع . .»^(١٢٣) ومن المعلوم أن الأوزاعي يعد إماما في إطار المدارس الفقهية المستقلة . والسؤال المطروح في هذا السياق : هل الإمام الأوزاعي مدفون بغزة أم في بيروت . إن الذين ترجموا للإمام الأوزاعي متفقون على وفاته ببيروت^(١٢٤) . ويبقى المكان ، المشار إليه بغزة ، بعد هذا مجرد مزار أو ضريح ، ، ليس إلا .

وعندما تنتقل إلى مدينة الرملة - صحبة العياشي - تستوقفنا مزارات أخرى لها شأنها في الضمير الإسلامي ، يقول : «ومن المزارات المشهورة بالرملة قبر الصحابي المشهور الفضل ، سيدنا الفضل بن عباس ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ذكر المؤرخون أنه مدفون بفلسطين وكانت الرملة قاعدة فلسطين في العهد القديم . «إن قلب المؤمن دليله ، حتى يتقضى ما هو مظلون به . هكذا يتأكد العياشي بصيغة الجزم الباطنية أن ذاك هو قبر الصحابي الجليل . يقول مستبطنًا حالته النفسية وقرارة اليقين فيها : «وقد منَّ الله عليّ بزيارته وحصل لي من السكينة والوقار والتعظيم له عند زيارته ما لا أشك إذ ذاك معه أن ذاك قبره . وقد ذهب معي لزيارته صاحبنا الذي نزلت عنده السيد محمد الأشعري . .»^(١٢٥) .

تتراكم صور المزارات في بيت المقدس ، منها للمكان المقدس كطور زيتا (سينا) ، الذي يقع «شرقي المسجد (الأقصى) بينه وبين الوادي الكبير المسمى بوادي جهنم . وطور زيتا مشرف على القدس كله على غالب تلك البلاد التي حوله» ويتمشى هذا التحديد مع ما جاء في كتب الجغرافية الحديثة ، لأن التاريخ قد يعثره تحول ما ، أما معالم الجغرافيا ، فلا تتحول إلا بفعل كوني فأبو سالم العياشي بعد أن يسرد أسماء المزارات (رابعة البدوية - قبر شداد بن أوس - عرش سليمان - قبر داود . . الخ) يستدرك القول بملاحظة تاريخية ، تستوجب الوقوف ، قليلا ، في سياق التسامح الديني الذي دشنه عمر ابن الخطاب وسار عليه صلاح الدين الأيوبي ونهج سبيلهما الأمراء والسلاطين اللاحقون . ذلك أن القدس ، كمدينة ، هي تجمع ديني يضم المقدسات الإسلامية والمسيحية واليهودية . من هنا يجب قراءة ملاحظة أبي سالم العياشي الذي ختم الحديث عن مزارات القدس يقول :

«وغالب مزارات تلك البلاد هي بأيدي النصارى ، فمما بأيديهم بيت لحم الذي فيه مولد المسيح عليه السلام هو على نحو من فرسخ من المدينة إلى ناحية القبلة . وقد مررنا قريبا منه . لما ذهبنا إلى زيارة الخليل عليه السلام . ومنها قبر يونس ابن متى عليه السلام في قرية قرب مدينة الخليل ، قد مررنا قريبا منه أيضاً وزرناهما من بعيد تأملاً من دخول متعبد النصارى ولضييق الوقت . وأما قبر موسى عليه السلام بينه وبين القدس نحو من نصف مرحلة وأزيد إلى ناحية المشرق ، وقد أروني ما يحاذيه من الأمكنة عندما صعدنا إلى الطور أخبروني بأن المسافة بيننا وبينه مخوفة غاية . . وإن لم يرد أثر صحيح بأن ذلك قبره ولم يشتهر ذلك المكان في العهد القديم»^(١٢٦) .

وما بين السطور في هذه الفقرة بياض التحفظ المملوء بعبارة العياشي «قريباً منه» .

ـ مشاهد عثمانية تركية :

وحتى تلتصق الرحلة بجلدتها التاريخية ، خلال العهد العثماني ، لا بد من الوقوف على ملاحظات متناثرة في (ماء الموائد) باعتبار المرحلة الزمنية مجاورة للسلطان سليم الأول . وسيتم الاختصار على ما جاء عرضا في الحديث عن بيت المقدس . . وما سمعه العياشي خلال زيارته وتقلاته بالمدينة . وقد صادف نزوله بالرملة دخول كبير الحاشية (الأغا) والذي كان له مع سلطنة الباب العالي خلاف ، فاتجه إلى صعيد مصر بجميع ماله وممتلكاته فلم يظهر له أثر بعد ذلك . «هذا شق واحد من الحكاية يحدد نوعية العلاقة بين الحاجب وبين السلطان . لكن الشق الثاني هو الأهم في كلام العياشي لارتباط القصة والحكاية بساكني الرملة وما لاقوه من جراء تلك الزيارة ومخلفاته» .

«وقد حكى لنا من أبهته أمور مستغربة ، من ذلك أن له خمسا وثلاثين محفة في كل محفة جارية من حظاياه ، وأزيد من مائة فرس من عناق الخيل بجميع ما تحتاج إليه . . وزعموا أنه اكرى من اصطنبول نحو من خمسين سائسا لخيله بأزيد من أربعين فرسا لكل واحد سوى ما يتبع هذا من بسط وفرش وأموال وذخائر وعبيد وإماء للخدمة بحيث يستغرب أن يكون مثل ذلك لملك من ملوك الأرض» .

إنه وصف دقيق لجبابرة القوم من الأتراك العثمانيين وما كانوا يمتلكونه من متاع . لكن العياشي لم يكتف بهذا الوصف بل يمضي مسترسلا في عرض النتائج من هذه الزيارة وما وقع فيها لأهل مدينة الرملة من تضرر لا يطاق ، وقد مسهم ذلك في الجوهر من حياتهم الدنيوية ألا وهو الماء . يقول العياشي الرحالة الشاهد :

«وقد سمعت ، ونحن بالرملة من يقول أن أهل البلد قد تضرروا بالعطش في هذه الأيام ، فإن أمير البلد قد أمر بجميع كل سقائي البلد يستقون للأغا . وقد أخبرني أهل خان يونس أنه لما نزل بهم لم يجد أحد من أين يستقي جرعة ماء من جميع السواني التي في البلد وقد أشغلها كلها يسقي خيله وابله وملء قربه ورواياه»^(١٢٧) .

هذا ما جاء في (ماء الموائد) لأبي سالم العياشي .

٢- الترجمانة الكبرى . أم إحراز المعلى والرقيب؟

(١) إن العنوان يعني بصيغته التساؤلية موقف الاختيار أو الاختزال . ولا يعني بحال من الأحوال أية تفاضلية في ميزان الاعتبار . علما بأن هذا القسم الثالث من الدراسة عن «الرحلات الثلاث» خلال العهد العثماني ، قد وضعنا له مخططاً يتناول تلك الرحلات .

إلا أن الضم والتضاييف بينها لا يستوجب إقامة الحدود بينها . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإننا أشرنا إلى أن «الترجمانة» للزياني ، «إحراز المعلى» . . للمكناسي ، يجمع بينهما - على صعيد التزامن - تاريخ واحد ، وعصر واحد . . وأنهما كتباً بأمر من سلطان واحد ، هو المولى محمد بن عبد الله . وهو الذي أسفر الرجلين إلى تركيا العثمانية . على عهد السلطان عبد الحميد . . والرحلتان معا رصدتا الحياة الاجتماعية والسياسية والحضارية داخل السلطنة العثمانية في حدودها الجغرافية الأصلية .

ومن جهة ثالثة ، فإن هناك كتيباً صغيراً نشره د . عبد الهادي التازي عن رحلة ابن عثمان المكناسي وما كان من زيارته للقدس والخليل ، سبق أن أشرنا إليه واعتمدنا بعض النقول عنه . وعلقنا على بعض التخريجات فيه . والكتيب الصغير معزز بملاحق توثيقية عن أوقاف المغاربة في القدس ، أعاد نشرها د . عبد الهادي التازي مرة ثانية .

ومن هذا المنطلق . سنختار «الترجمانة الكبرى» للزياني . وإن كانت الصفحات التي خصصها المكناسي للقدس والخليل (٢١ صفحة . من ١٨١ إلى ٢٠٢) تحتاج إلى دراسة أشمل . لكن هذا لا يعني أننا سنتجاوزها إلى غيرها دون أن نضعها داخل الإطار العثماني الذي انتظم الرحلات الثلاث . وكلها في بعض جوانبها صاغت الصورة العامة للعثمانيين إما داخل مملكة القسطنطينية ، بالمعنى التاريخي ، أو داخل الإمبراطورية الشاملة لبلاد العرب ومن ضمنها أراضي فلسطين في منطقة الشام .

(٢) من هذه الزاوية الضيقة ، ستتوقف قليلاً مع رحلة المكناسي ، «إحراز المعلى والربيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب» وهو العنوان الكامل لرحلة أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان الشهير بالمكناسي (ت: ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) . والذي أمره السلطان محمد بن عبد الله بالتوجه إلى عاصمة الدولة العثمانية . كما جاء في مقدمة الرحلة « وأمرنا أدام الله علاه ، وكان له في جميع أموره ونولاه ، بالتوجه إلى القسطنطينية العظمى والحضرة الفخمي ، حتى نتلاقى مع سلطانها الأعظم ، الخاقان المعظم خديم الحرمين الشريفين والقدس الشريف أولى القبلتين » السلطان عبد الحميد خان نصره الله تعالى وأيده ومهد ملكه وشيده وجعله في أعين الكفرة قذى وصرف عنه كل ضير وأذى . . وأبقى هذين الأميرين العظيمين الشريفين الجليلين الكبيرين للمسلمين كهفًا وحرزًا وللإسلام عزاً . . وعن تاريخ الرحلة ومكان التوجه والانطلاقة يقول المكناسي : «وفي مهل المحرم فاتح سنة مائتين وألف كان سفرنا من عند سيدنا أمير المؤمنين وأمرنا أيده الله بالتوجه إلى طنجة ومنها نركب البحر لأن المركب تعذر عليه القدوم لمرسى تطوان لصعوبتها . . » (١٢٨) .

ومما لاشك فيه هو أن رحلة المكناسي تعد المرجع التاريخي - بأسلوب الرحلة - لهذه الفترة ولتاريخ العلاقة المغربية العثمانية . فالمغرب يومئذ ، كان يخطو خطوات القوة والتمكين سياسياً . في حين كان الرجل المريض في الباب العالي يعاني من ضعف وهوان وفي أسلوب الدعاء من طرف المكناسي سابق الذكر ، للسلطانين يستشف المناخ السياسي المحقق بالسلطنة العثمانية من طرف الكفار الأعداء . ووقتئذ وصف المكناسي السلطان بقوله : «واسم هذا السلطان عبد الحميد نصره الله ومهد ملكه وشيده ، . . . وصفته أبيض مشرب بحمرة ، ضرير العين ، أقنى الأنف ، كبير اللحية يخضب بالسواد . عمره - قيل - ست وستون سنة» وهذا الوصف الخارجي من المكناسي يكمله التعليق السياسي الدقيق حيث يقول «والمدار كله في هذه الدولة على الوزير . وأما السلطان فلا

يياشر شيثامن الأمور^(١٢٩). وفي موطن آخر يلتقط المكناسي صورا ومشاهد عن الوضع السياسي وتصرفات وسلوك بعض رجال الدولة علما بأن «السلطان - نصره الرحمان - منحجب عن العامة قاطبة ورجال دولته منهمكون في الدنيا الكاذبة فاعتكفوا على هوى النفس المتبع وابتلوا بشدة الطمع مع الرضا على النفس ورؤية تفضيل جنسهم على كل جنس والتنافس في كثرة الأتباع والشمخ بالأنف، فلا يسلمون الا بإشارة بمد الباع، فبينهم وبين هذا الجنس العربي تباين كلي وتنافر قولي وفعلي» تلك هي الأوصاف العاكسة لأدواء الرجل المريض في تركيا. وهي أعراض سنجد لها شبيها في الإيالة العثمانية العربية. من خلال الأوراق التي حبرها المكناسي عن مشاهداته في الأراضي القدس والخليل وما بينهما. وهو الموضوع الذي يهمننا من هذا الاختيار أو الاختزال. مادامت رحلة ابن عثمان ستنوب عنها «الترجمة الكبرى» لابن زيان. للحديث التي تذرنا بها، واعتذرنا عن الخوض فيها بسببها.

وعند دخول ابن عثمان المكناسي مدينة عكا، بعد أداء مناسك الحج وتسليم الهدية السلطانية المغربية إلى أهل الحرمين الشريفين، يتناول بالوصف والتحليل شخصية لها وزنها السياسي والاجتماعي في المنطقة. هو الوزير الذي يقال له «أحمد باشا الجزائر». ولهذا الوزير - يقول المكناسي - أثر كبير بهذه المدينة، وهو الذي شهرها وبه شهرت. وأنشأ بها مسجدا من أحسن المساجد والطفها على شكل مساجد القسطنطينية. وغرس في صحنه المستدير به شجرا بصفوف من نخيل وسرو. وأنشأ أيضا حماما ما رأيت مثله لافي القسطنطينية ولا في بلاد الشام. ومن مآثر هذا الوزير أعماله الخيرية ومكافئه الأخلاقية، وهو الذي جعل أهل البلد يشنون عليه كثيرا: فله جرايات على الضعفاء والفقراء ورواتب لأهل الحيا والحشمة الذين لا يسألون الناس إلحافا^(١٣٠).

وهذا الرجل يشكّل استثناء في الإيالة العثمانية. وحسبما ورد في بعض العبارات من كلام ابن عثمان أنه كان على غير وفاق مع السلطنة بالباب العالي.

وإن الأمر ليختلف اختلافاً جوهرياً مع شهادة التقطها ابن عثمان المكناسي في ختام زيارته لبيت المقدس ، والذي وصف أهلها بقوله : «ولأهل بيت المقدس بشاشة وطلاقة وأخلاق حسنة وميل إلى مؤانسة الغريب ومسامرته والمحادثة معه ولا سيما إن كان من هذا الجنس العلمي (يقصد به المغاربة) . . إلا أنهم كثيرو التشكي من الوزراء والولاة الذين يولون أمرهم من قبل الدولة العثمانية - صانها الله - فإنهم أكلوا اللحم وامتشوا العظم واستفوا المخ . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وهذه سيرتهم في جميع الإيالة . فكل من مررنا به يتشكى من وجودهم حتى إن بعضهم سألني عما يلزم الناس في أرض المغرب . فقلت الزكاة والأعشار . فقالوا ، فكيف الأعشار . فقلت لهم : يأخذ رب الزرع تسعة أعشار والمزكى العشر . فقالوا : يا ليتنا لو تركوا لنا العشر وأخذوا تسعة أعشار .»^(١٣١) ولا مزيد على هذا . وشهد شاهد من أرض الواقع . . ولا يكتفي ابن عثمان بتسجيل ما قيل ، بل انه يتجاوز حدود الحياد واللياقة ليصف الولاة بالجور والظلم .

ونختم هذه «اللمحة البدرية» عن «إحراز المعلى والرقيب» بما ختم به المؤلف رحلته بآخر الورقة . «وها أنا أقف مواقف الخجل والتقصير وأضرع إلى العلي القدير بجاه النبي البشير أن يجعله حجاً مبروراً وسعيًا خالصاً لله مشكوراً أو عملاً صالحاً ثقيلاً في دفاتر أعمالنا مرسوماً ومسطوراً . . وكان الفراغ من تبويضها منتصف ذي الحجة من شهور سنة اثنتين ومائة وألف»^(١٣٢) .

٣- الصورة من خلال الترجمانة الكبرى :

(استنساخ ومحاكاة)

(١) ودعنا ابن عثمان المكناسي وقد راهن على إحراز المعلى والرقيب . وقد أفدنا منه قليلاً من تلك الملاحظات التي مسّت الحياة السياسية مساً خفيفاً في ولاية آل عثمان العربية ، وبالتحديد داخل مناطق من أرض فلسطين . والتي سيفرد لها معاصره المؤرخ أبو

القاسم الزياني صفحات قد تشكّل إضافة إلى التراكم المرصود من خلال الرحلة المغربية .

وأبو القاسم الزياني ، تبوأ مكانة مرموقة في عصره ، كمؤرخ وكسفير وكمسؤول تقلد مناصب سامية . ومن الطبيعي لرجل عاصر ملوكاً ثلاثة ، أن تلاحقه سياط المد والجزر ، في ظروف غير مواتية له . من هنا جاءت محنة الرجل بعد غياب محمد بن عبدالله ومجيء خلفه المولى يزيد ، ومن حسن حظّه أن مدة هذا الأخير في الحكم كانت قليلة جداً ، حيث جلس على العرش المولى سليمان ، فأعاد الاعتبار لصاحب الترجمانة الكبرى . وجاء الاعتبار العلمي بعد حياته . فتناوله بالدرس والتحليل باحثون ومؤرخون . لما لكتبه التاريخية وغيرها ، كرحلته الكبرى ، من حضور تاريخي .

وإن القارئ «الترجمانة» يدرك المتاعب والمصاعب التي لحقت به جراء أهوال السفر ومخاطر العصر . (تعرض للفرق . . ووقف على حافة الموت مرارا - انظر ص ٢٦٤) . ويتمتع الزياني بذاكرة قوية ومعارضة في القول متينة ، كما يتصف بصرامة المنطق وقوة الحجّة . ومن جراء ذلك كثر حساده في عصره . وكان من بينهم صاحبنا السالف الذكر محمد بن عثمان المكناسي . وقد اجتمع به خلال الرحلة السفارية المشتركة بينهما بمدينة اسطنبول . وفي هذا السياق يذكر عمل الزياني باختصار كتاب «تأليف الروح» الذي ألفه كمال الدين باشا . يقول الزياني ، مشيراً إلى هذا اللقاء وإلى ماجرياته بين يدي كمال باشا : « ولما أتيت أول يوم لبيت الشيخ كمال بقصد سرد اختصار كتابه عليه وجدت صاحبنا السيد محمد بن عثمان سبقني إليه ، حيث بلغه اختصاري للتأليف . ولم يجد إليه سبيلا ، بلغ به الحسد كل مبلغ ، وأراد رؤيته ، إذ أخبره الترجمان بتوجهي إليه يوم الخميس ، فسبقني حتى يكون وقوفه عليه اتفاقاً غير مقصود . . » (١٣٤) .

وعن تاريخ هذه السفارية يقول الزياني في المقدمة : « وفي عام مائتين وألف وجهني أمير المؤمنين بهدية إلى السلطان عبد الحميد العثماني للاسطنبول ، وهي الرحلة الثانية من المغرب إلى المشرق » (١٣٥) .

(٢) ومن المفارقة في سياق المقارنة، ما رواه الزباني عن الشيخ أحمد باشا الجزائر، الذي تحدث عنه المكناسي وأفاض عليه كيل المدح. في حين يصفه الزباني بأنه مدع كذاب حسب قوله: «وكان هذا الجزائر رجلاً أحمق يبحث عن أهل الحكمة وعلم الحدّثان. وكان يزعم أنه المهدي المنتظر ويصرح بذلك . . والأخبار عنه في سفك الدماء متواترة» لكن الزباني لا ينكر بعض فضائل الرجل فوصفه بالجود والكرم المسرفين. «وجوده وصدقاته ليست من أهل وقته ولقد جلست معه في منى ثلاث مرات فشاهدت العجب، لا يرد أحداً. .» فالزباني حسب روايته لم يقبل مصاحبته إلى بلاد الشام، رغم ما وعده به من مساعدة في السفر. ولربما كان اجتماع المكناسي مع هذا الوزير، بعد رجوعه من مناسك الحج، ذلك ان الزباني تحدث عنه كما لو أنه دليل الركب الشامي.

في عبارة وجيزة، أشرنا إلى ما تعرض له الزباني من مغامرات، في رحلته. لكننا مضطرون إلى التوقف قليلاً مع الحكاية التي يحكيها عن تجربة الغرق وطغيان الماء وفيضان النيل. والحال أنه كان يستعد لأخذ الطريق إلى أرض فلسطين. وخلال السطور الآتية، يكتب الزباني واصفاً صراعه مع الموج ومع الموت. يقول:

« . . وأقلع المركب من المرسى وشرع قلاعه، فلما توسط البحر هبّت علينا ريح حنوية شديدة، فلما شعرنا بانقلاب المركب، ونحن في لجة البحر ففتحت يدي للسباحة وخرجت من تحت الماء فلما فتحت عيني رأيت الأغا مكشوف الرأس يستغيث ورأيت البحرية على ظهر المركب المتقلب، فنادت البحرية خذوا بيد الرجل فمدوا أيديهم إليه ليجذبوه فوقعوا معه في البحر، وتعلق الغرقى بأذيالي وقبضوا بأطراف برنسي وأثقلوا كاهلي عن السباحة، ففزعت البرنس من عنقي والإحرام، وتركت فجاء آخرون فتعلقوا بأطرافي، فصرت أسبح بيد وأضرب بالأخرى، والبحر منحدر بنا إلى أن عجزت عن السباحة وانحلت قواي واسترخت مفاصلي، ومات من كان متعلقاً بي فتشهدت . .

ورويت من شرب الماء فما شعرت إلا بمن دخل تحت فخذي وحملني حتى خرج رأسي من الماء، ونظرت فإذا بمركب قريب مني يقول أصحابه : هات يدك، فقلت : لا يد لي ولا رجل، فدنوا مني ومدوا أيديهم إلى أطواقي وجذبوني منها إلى أن ظهرت يداي فقبضوا عليها، وجذبوني لمركبهم ومدوني على المركب وعالجوا بإخراج الماء من بطني . وبعد ساعة أنزلوني للشط الغربي الذي كنا قاصدين له»^(١٣٦) .

ثم توجه جهة بلاد الترك، وعلى مركب سيحط بمدينة أزمير التركية قادمًا من المغرب الأوسط . ومن أزمير إلى مرسى عكة . ومنها - يقول الزياتي - «توجهت في البر لمدينة الخليل عليه السلام . وتركت الجواري والأثاث بالمركب إلى ان عدت»^(١٣٧) .

(٣) ويتغير أسلوب الخطاب، بعد أن نجى من الغرق والموت المحقق، فتنفس صعداء الحياة مرة أخرى، حيث هبَّت عليه وعلى البحر الريح الرخاء، فهدأت عاصفة البحر وعاصفة النفس . وإن وصوله إلى عتبات الأرض المقدسة ، وفاتحتها في الرحلة مدينة الخليل، لمما يستدعي الاطمئنان ويستوجب الاستجابة لدواعي الأسلوب الإنشائي . على غرار ما صدر به الكلام عن هذه الزيارة الميمونة : لكنه تصدير فيه من تاج المفرق مافيه ، أصداء محاكاة وإغارة على أسلوب البلوي . (انظر تاج المفرق ١/ ٢٤٠) . ولعل رحلته كانت نصب العين ، يوم كان الزياتي يحاور الذاكرة ويستعين بالنصوص المهاجرة .

«ولما بلغت الخليل، عليه السلام، والزمان في عنفوانه، والربيع في ريعانه، والروض في حسنه وإحسانه، والزهر في زهره وزهوه، والطير في شوقه وشدوه، فأويت إلى إيوان وأحسن مكان، وتركت به الثقل والمركوب إلى أن أووب»^(١٣٨) .

وقبل التجوال في المناطق والمشاهد القدسية التي زارها الزياتي لأبد من ملاحظة لها حضورها العلمي في كتابته وفي فصول «الترجمة الكبرى» بصفة عامة . بالمقارنة مع من

سبقوه أو عاصروه ممن رصدنا صور مشاهداتهم عن القدس وفلسطين : فالعبدري كان يغلب عليه الطابع الأدبي والفقهى بصفة عامة . وابن بطوطة كان متوسط الثقافة ، ولكنه دقيق الملاحظة ، وهو يملئ على ابن جزي أوراق الرحلة - التحفة . في حين كان العياشي مجمع الثقافة الإسلامية ، يعنى بالمسائل العلمية عنايته بالقضايا الدينية . أما ابن عثمان المكناسي فقد كان مشدودا إلى المناحي الأخرى المرتبطة بشؤون الدول ، كسفير سياسي .

فكتاب «الترجمة» هو سفر من أسفار التاريخ والجغرافيا في آن واحد . وإن الزباني يعد مؤرخ الدولة العلوية على عهد السلاطين الثلاثة المشار إليهم . ومن عادة المؤرخ الاعتماد على الأصول التاريخية للأحداث والوقائع ؛ لأنها المرجعية في الكتابة . وتلك هي الخاصية التي تميز رحلته عن غيرها من الرحلات . وهذا لا ينفي عنه الشمولية الثقافية والعلمية ، باعتباره أديباً وشاعراً وفقهياً وكلامياً . . إلخ .

إلا أن ظاهرة النقول - وبطريقة الإغارة أحيان - هي مدعاة للتساؤل عن قيمة الأمانة العلمية المنشودة . وحتى في مجال الوصف الجغرافي للأمكنة والمآثر التاريخية ؛ فإن الرؤية الثابتة قد تغشاها سحب التحولات . مما يجعل النقول الواصفة فاقدة لتاريخيتها : فعندما يصف الزباني - منبراً - المسجد الأعظم بمدينة الخليل عليه السلام ، وبأسلوب إنشائي بليغ ، يأخذنا الانبهار أيضاً لتناظر الجمال بين المسجد / المكان وبين التعبير عنه ، بقيم الجمال . لكن القراءة المقارنة تسحب البساط من تحت الزباني لتعيد البضاعة إلى صاحبها خالد بن عيسى البلوي . يقول الزباني دون عزو ودون إحالة مرجعية : «ثم دخلت المسجد الأعظم ، فرأيت من حسنه عجباً ومن بنائه ماشئت فضة وذهباً لا تدرك مبانيه السامية ولا تلحق آثاره العالية . . .» وخلال صفحة بكاملها يسترسل الوصف عن طريق النقل الحرفي - مع تحوير جزئي لبعض الألفاظ - لصفحة بكاملها من رحلة البلوي . والذي استهل الحديث عن المسجد بقوله : « فأويت إلى إيوان ونزلت حسن مكان . . ثم

دخلت المسجد الأعظم فرأيت من حسنه عجا ومن بنيانه ما شئت فضة وذهبا . إلخ .
(ص ٢٤١ من تاج المفرق) . ومفترق الوصف بين السابق وبين اللاحق هو في حسن التخلص بعد استغراق المكان الموصوف لأسلوب الواصف . يقول الزباني «وفي المسجد مجتمع الوفود الواردين والمقيمين من الأغنياء والفقراء والأمراء والكبراء للضيافة المباركة ، ضيافة الخليل عليه السلام ، في كل يوم بعد صلاة العصر ، على توالي أحقاب الدهر» (١٣٩) .

أما البلوي فيختم الوصف عن المسجد بأنه «مجتمع الواردين والمقيمين من الأغنياء والفقراء والأمراء والكبراء للضيافة المباركة ضيافة الخليل عليه السلام ، في كل يوم بعد صلات العصر على توالي أحقاب الدهر» (تاج المفرق ١ / ٢٤١) .

وعندما يقف الباحث مدققاً في معاني الدلالات التاريخية لزمن معين محدد ، لابد وأن يبحث عن مدى التطابق بين الأشياء في كينونتها الثابتة أو المستمرة . بين الأحداث والأعراف والعادات تلك التي قد تتوارثها الأجيال . وإذ ذاك يتحول الوصف من قيمته الجمالية إلى قيمته التاريخية . هذا الاستنتاج يجعلني لا أستهيئ بتقاليد الكتابة عند أسلافنا . وما بين البلوي الأندلسي وما بين الزباني المغربي مسافة قرون . ومن ثم فهل تجعد المكان - على صعيد الثبات - فانطبقت عليه الأوصاف المتوارثة والمنقولة . ولم يبق في ميزان الصحو والصدق إلا ما تعلق بالكلام عن نقط التنقل من الناحية الزمانية . كقوله : «ومن الغد ركبنا وسرنا قاصدين مدينة القدس الشريفة . الشهيرة عن التعريف ، وفي عشية ذلك اليوم بلغنا مدينة بيت المقدس ، وهي تتبرج لناظرها بمجتملى صقيل ، وتناديهم علما إلى معرس الحسن والمقبل» (١٤٠) .

وقبل المقارنة بين الصوت والصدى في الرحلتين ، نشير إلى أن الزباني في «الترجمة» قد وضع لرحلته - محطات ، كعناوين بارزة تستوعب الكلام عن المآثر المقدسة المزارة الموصوفة . وهي على شكل الهيكل الآتية :

- * انظر إتيان المسجد الأعظم بمدينة الخليل عليه السلام .
 - * المسجد الأقصى بمدينة القدس
 - * حكاية عجيبة
 - * قبة الصخرة .
 - * عدد (١٢٠٠٠) قناطير الرصاص التي على قبة الصخرة . وعدد النحاس (٨٠٠٠)
 - * الصخرة الشريفة
 - * قبة السلسلة التي كان يحكم فيها داود وما كتب عليها
 - * أبواب المسجد الأقصى وطوله وعرضه .
 - * أول من بنى المسجد الأقصى .
 - (من ص : ٢٦٥ إلى ص : ٢٧٥) من الترجمانة .
- و في «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» لخالد بن سعيد البلوي ، ما يزيد - أيضا - على عشر صفحات ، تناولت بالوصف والنعث ، الكتابة عن تلك المآثر المقدسة ، يوم زارها عام ٧٤٠ هـ . وفرغ من تأليف رحلته في آخر يوم من شهر ربيع الأول سنة ٧٦٨ للهجرة . إلا أن البلوي لم ييوب كتابته بالعناوين البارزة كما فعل الزباني . الذي كتب في مبيضة رحلته ، وبآخرها مايلي «وكان الفراغ من كتابتها في ختام ذي الحجة من عام ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف» وما بين التاريخين والتوقيتين مسافة شاسعة في تحولات الزمان وتغيرات المكان .
- وإذا ما حاولنا تلمس الفروق والاختلافات بين النصوص ، فلإننا لا نعثر إلا على تعديلات طفيفة لا تلغي عملية النقل المكشوفة من جانب الزباني . وغاية ما كان يقوم به هو تغيير الضمائر ، وحذف بعض أحرف العطف وما شابه ذلك . كما في قوله «ثم قصدنا الحرم الشريف ، والمسجد العظيم المنيف . . » باعتبار أن الزيارة تمت بمعية «ركب» ما ، ممن زاروا معه أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين . مخالفا - فقط - سابقه البلوي

في تغيير الضمير من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع بأسلوبه «ثم قصدت الحرم الشريف، والمسجد العظيم المنيف . . . ولا بد من إشارة في مجال تحقيق النصوص - هنا - حيث ترد جمل وعبارات وألفاظ في «الترجمة» المحققة وهي تحتاج إلى تصحيح بالمعارضة المقارنة مع النصوص الأصلية في «تاج المفرق»، وقد يقع العكس في بعض الأحيان. (فوجب التنبيه، لمافي نقول الزباني من أخطاء).

وهكذا فإن «المعلومات» المثبتة، لا تضيف جديداً بخصوص ما طرأ من تحولات في هذا المجال. ويتفاهم جرم الاستنساخ عندما لا يتورع الناقل، فيأتي على الطريف وعلى التليد، دون أي اعتبار لظروف النص في زمانه ومكانه، فيقع الانتحال في عزو الأقوال ضاربا التسلسل التاريخي عرض الحائط. فكيف - إذن - نصدق رواية الزباني وهو يروي عن شمس الدين الكركي الموزاين والمقادير التي رصصت بها وطلبت قبة الصخرة. لنقرأ رواية البلوي في نقل الخبر الذي يقول: «ولقد أخبرني الشيخ العالم القدوة شمس الدين الكركي، قال: بلغت زنة الرصاص الذي على سقف قبة الصخرة هذه ثلاثين ألف قنطار بالدمشقي، وهي بالمومني مائة ألف وعشرون ألف قنطار كاملة. . . وذكر عبد الملك بن حبيب . . . ص ٢٥٠. فالرواية حصلت عن طريق الإخبار. لكن الزباني يوهم القارئ بأن هذه المعلومات قد توصل بها عن طريق السند القريب وبصيغة «ذكر لي الشيخ العالم القدوة شمس الدين الكركي . . . إلخ الخبر والمعلومة. ونسي الزباني التحيين الزمني الذي يعطيه البلوي لتلك المقاييس. في حين أن الزباني يعيش في عصر السلطانين المعاصرين محمد بن عبد الله، وعبد الحميد العثماني . . . وسيكون خارج التاريخ إن رضي أن يكون معاصرا للشيخ الكركي. وإن البلوي لمصدق بحكم الزمن السابق.

وفي سياق التلفيق التاريخي ما أثبتته في فقرة أخيرة عن «قبة السلسلة» حيث لعبت بها أصابع التحويل والتحريف. فقد أورد البلوي فقرات من بعض المنقوشات التي تؤرخ لذوي التشييد والعمارة والترين. من ملوك وسلاطين.

يقول البلوي (تاج المفرق ١/ ٢٥٢) :

«فلله در فتى تبقى مساعيه بعده مشكورة ومناقبه ما بقيت آثارهم مذكورة . ولما تشعت السقف الذي كان أنشأه الملك المعظم الواقف المذكور ، رحمه الله ، انتدب لإحيائه عبد الله الفقير إليه أسد الدين عبد القادر سبط الواقف بحكم ما إليه من النظر الشرعي في أوقاف جده ، فجده وبذل وسعه وطاقته فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى . وكان الفراغ منه في ربيع الأخير سنة تسع عشرة وسبعمئة» . أما الزباني فقد عبث بهذه الفقرة وغير مجرى تاريخها ، والتحوير غير مذموم ، لكنه قفز بالحدث من القرن الثامن للهجرة إلى القرن السابع عشر للميلاد ، فلم يوفق في رد الصدر على العجز لما في التحوير من اختلال ملحوظ . ومن تلفيق في الزمن غير محكوم . يقول الزباني : « فلله در فتى تبقى بعده مساعيه مشكورة ، ومناقبه ما بقيت آثاره مذكورة ، ولما تشعت السقف من هذا الهيكل السعيد أمر بتجديده الملك العادل الرشيد ، السلطان الأعظم ، والخابان الأفخم ، مالك ممالك العرب والعجم ، المجاهد الغازي الأكرم سليمان ابن سليم خان ، بعد الألف من هجرة المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار . »^(١٤١) وقد توفي سنة ١٦٩١م بعد حكم لم يطل أكثر من ثلاث سنوات .

وستظل الأسئلة مفتوحة على الاحتمال المتناسل ، هل أصلح السقف ورمم شعثه مرات متعددة؟ وفق التناص الحاصل في الرواية التاريخية المنصوص عليها في الرحلتين المتباعدتين . .

وأغلب الظن ، أن مابقي - للزباني - من العناوين العشرة ، عنوانان عن أبواب المسجد الأقصى وعن بانيه الأول . وما كتب فيهما خلا منه «تاج المفرق» . ولعل الزباني قد استشعر طول الاستنساخ والنقل ، فأراد تسويد صفحتين فريدتين - إن صحت النوايا - وفي قوله «رجوعا لمابقي من خبر المسجد الأقصى وأوصافه التي لا تستقصى» دليل على هذا الشعور الذي انتابه في آخر المطاف . وهكذا ينتهي الحديث بالوقوف على الأبواب

من بيت المقدس ، وقد عددها بسبعة أبواب ، إذ اقترنت عملية العد بالدخول والمعانة . يقول الزباني : «الأول الذي دخلنا منه باب العمود ، والثاني باب الزاهرة (الساخرة) ، والثالث باب الأسباط ، والرابع باب المغاربة ، والخامس باب النبي داود ، والسادس باب الخليل ، والسابع باب حطة» . ويعلق بعض الباحثين على قول الزباني متسائلا : «لا أدري ما دخل باب حطة في أبواب القدس . ولانعلم أيضا هل هو باب غير البوابات المغلقة التي تحدثنا عنها»^(١٤٢) .

ومن المعلوم تاريخيا أن آل عثمان ، من سليمان الأول إلى ما قبل انهيار الإمبراطورية العثمانية ، أولوا اهتماما ملحوظا ببوابات مدينة القدس . فالتقوس المثبتة على الأبواب دليل على هذا الاعتناء الملحوظ لكن . . في عام ١٥٤١م أزال الأتراك الأبواب الخشبية .

(الخوخة) من بوابات القدس وأغلقوا بعضها بالحجارة لتصبح جزءا من أسوار المدينة ، وكانت تغلق في أيام الجمعة ساعتين . . وذلك حتى لا يستولي عليها الصليبيون أثناء صلاة المسلمين في المسجد الأقصى المبارك^(١٤٣) .

أما أبواب المسجد الأقصى المذكورة في «الترجمة» ص ٢٧٤ . فقد وصلت إلى أحد عشر بابا . «باب الرحمة ، باب التوبة ، باب الأسباط ، باب حطة ، باب شرق الأنبياء ، باب المغاربة ، باب الغوانمة ، باب الحديد ، باب القطانين ، باب السلسلة ، باب السكينة» .

ولا بد من التأكيد على أن بوابات القدس ، وكذا أبواب المسجد الأقصى ، هي من المعالم التاريخية التي تعرضت إلى عوامل التحويلات بطبيعة الأحداث . من هنا لانجد في أغلب المصادر وفي كتب الرحلات الإجماع على عددها ومواقعها ، فمنها القديم جدا كما رأينا التنصيص عليها في رحلة ناصر خسرو «سفر نامه» . ومنها المتجدد

والمضاف ومنها المغلق والمحذوف . وإذا كان من ميزة القول في «الترجمانة» فإنها اهتمت بذكر البوابات لبيت المقدس وأبواب المسجد الأقصى مما تم إغفاله ، التفصيل ، في الرحلات السابقة . أما حديث الزياتي عن أول من بنى المسجد الأقصى في القدس فهو لا يحمل جديدا ، لاستناده إلى بعض الروايات المشكوك فيها كقوله «وأول من بنى هذا المسجد نبي الله آدم . . » ولعل ما في الخبر المنقول من الصحة التاريخية هو قول الزياتي إلى أن جاء الإسلام وفتح بيت المقدس صلحا على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأزال المزبلة وغسل الصخرة وبنى قطعة من المسجد للصلاة في صدر المسجد ، إلى أن جاء عبد الملك فبناه كله على ما هو عليه اليوم .^(١٤٤) والسلام .

وتلك هي الخلاصة . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

هوامش

- (١)، (٢) أدب الرحلة . حسين نصار . ط ١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ١٩٩١ .
ص : ١٢٦ وما بعدها .
- (٣) مجلة «الثقافة العربية» ٩ ، ١٩٨٣ (الجماهيرية العربية الليبية) وقد ترجم البحث محمد عبد الله الجعدي ، تحت عنوان « فلسطين : عروبة وإسلام » .
- (٤) انظر المجلد الخامس من رحلة ابن بطوطة . تح ، وتقديم عبد الهادي التازي .
(مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - سلسلة التراث - ١٤١٧ / ١٩٩٧ - الرباط .
ص ٥٦٢ .
- (٥) القدس والخليل في الرحلات المغربية : رحلة ابن عثمان نموذجاً . تحرير وتقديم عبد الهادي التازي . الرباط : (منشورات الايسسكو - ١٤١٨ / ١٩٩٧) .
- (٦) هناك مصادر عن القدس ، تاريخياً أو دينياً ، وهي مكملّة لمصادر التاريخ الجغرافي ، ككتاب السيوطي (٨٤٧هـ) بعنوان « إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى » ، وكتاب مجير الدين الحنبلي «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» ، ط ، عمان ١٩٧٣ .
- إلى جانب المراجع الأجنبية ، وهي كثيرة . وبعضها ترجم إلى العربية .
- (٧) سفر نامه . رحلة ناصر خسرو القبادياني . ت . وت . أحمد خالد البدلي - منشورات جامعة الملك سعود - الرياض ١٤٠٣ / ١٩٨٣ ، من ص ٥٣ إلى ص ١٨ .
- (٨)، (٩)، (١٠) نفسه . وانظر الصفحات : ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ . وانظر ما جاء في تقديم الترجمة العربية ، ص ٩ وما بعدها .
- (١١)، (١٢) أدب الرحلة ، بعنوان «دواعي الرحلة» والمؤلف يفند فيها تبرير كتابة رحلة ابن جبير ص ٢١ / ٢٣ .

- (١٣) في الرحلة، وفي مواطن متعددة ثناء وتمجيد للسلطان صلاح الدين الأيوبي .
انظر مثل هذه العناوين «عدل صلاح الدين» ص ٣٠ و«حسن سيرة السلطان» ص ٢٧٠ - على سبيل المثال . ط دار صادر ، بيروت ١٩٨٠ م .
- (١٤) انظر ما كتبه نظام العباسيين عن «عروبة القدس عبر العصور التاريخية» من أعمال وبحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي ، في إطار الحوار الإسلامي - المسيحي، الرباط / ٥ جمادى الأولى ١٤١٤ - ١٩٩٣ / ١٢ ، منشورات الاليسكو ١٤١٥ / ١٩٩٥ - الرباط . ص ١٠٥ .
- (١٥) نفسه، ص ١١٠ .
- (١٦) سفرنامه - رحلة ناصر خسرو، ص ٢٦ .
- (١٧) بحوث الندوة العالمية عن القدس . انظر ما كتبه عبد الله محمد شيخة عن «المقدسات والمآثر الإسلامية والمسيحية في القدس» ص ٣٠٣ .
- (١٨) نفسه . عن «القدس عبر العصور التاريخية» . محمد راتب النابلسي . ص : ١١٩ .
- (١٩) حضارة العرب - غوستاف لوبون - الترجمة العربية - ص ٣٢٦ . .
- (٢٠) قصة الحضارة / ول ديورانت - الترجمة العربية - ج ٤ من مج ٤ . بيروت : دار الجيل . ١٤٠٨ / ١٩٨١ ، ص ٨٣ .
- (٢١) رحلة ابن جبير . ص ٨٢ .
- (٢٢) مجلة التاريخ العربي ، مقالة د . عبد الكريم كريم عن «صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور الموحد» ع ٢ - ربيع ١٤١٧ / ١٩٩٧ . الرباط .
- (٢٣) بحوث الندوة العالمية عن القدس . . ما كتبه . شوقي شعث عن «التراث المعماري في القدس الشريف بالعهد الأيوبي» . ص ٢٨٣ .
- (٢٤) نفح الطيب ٢ / ٢١٣ الباب الخامس في ذكر من رحل من الأندلسيين إلى المشرق . تح محيي الدين عبد الحميد . ط ١ ، ١٣٦٧ / ١٩٤٩ - مطبعة السعادة - مصر .
- (٢٥) ينقل اليوسي في كتابه «المحاضرات» ١ / ١٧٤ (ط . الغرب الإسلامي . بيروت ١٤٠٢ / ١٩٨٢) ما قاله الشيخ محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي (مرأة

- (المحاسن) في موضوع العناية القلبية عند علماء المغرب، بعلم الرواية والإنسان على غرار علماء المشرق.. انظر مقالته ص ٤ من مرآة المحاسن. ط الحجر بفاس .
- أدب الرحلة في العصر المريني، (الحسن الشاهدي) ٢٥/١، منشورات عكاظ - الرباط ١٩٨٢ م.
- وانظر البحث القيم الببليوغرافي من إعداد الشيخ محمد المنوني ، في مجلة «المجمع العلمي العراقي» مج ٢٩ . ١٩٨٧ ، تحت عنوان «الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها» ص ١٥٠ . والأصل فيه المشاركة في الندوة الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التي انعقدت بالرياض .
- (٢٦) المرجع نفسه . ص ٥٨ .
- (٢٧) انظر تفاصيل الرحلة في مجلة «الأبحاث»- الجامعة الأمريكية . بيروت ١٩٩٠ . بقلم إحسان عباس .
- (٢٨) مجلة «المناهل» ع/٩ (رجب ١٣٩٧-١٩٧٧) . وزارة الشؤون الثقافية (المغرب) والرسائل منشورة بها محققة بقلم الباحثة عصمت دندش .
- وأثناء تحرير هذا المبحث ، توصلت إلى كتاب من المصادر الأندلسية ، يحتوي على ثلاثة نصوص عربية في الغرب الإسلامي . وفيه كتاب «شواهد الحلة» لأبي بكر بن العربي . وهو من مطبوعات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمديرية (١٩٩٦) . دراسة وتحقيق محمد يعلى .
- (٢٩) أدب الرحلة في العصر المريني ٦١/١ .
- (٣٠) اطلعت على نسخة الكتاب مرقوناً، خاصة في تلخيص الرحلة . شكرا لأستاذي الدكتور محمد بن شريفة .
- (٣١) مجلة «المناهل» السابقة الذكر .
- (٣٢) نفح الطيب ٢/٢٤٣ (تح محيي الدين عبد الحميد- مصر) .
- (٣٣) أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ١٠٩/١ .

- (٣٤) تاريخ ابن خلدون ٧/ ٤٦٧ وما بعدها .
- (٣٥) طبع الكتاب «ركب الحاج المغربي» بتطوان بمطبعة المخزن ١٩٥٣م ونال به الجائزة.
- (٣٦) انظر المرجع السابق ، عن «صرة الركب الفاسي» ص ٢٢ .
- (٣٧) نفسه ص ٩ .
- (٣٨) رحلة العبدري الموسومة بالرحلة المغربية . حققها وقدمها محمد الفاسي - الرباط ١٩٦٨م ، ص ٩ .
- (٣٩) رحلة ابن جبير ص ٣٠ . والقصيدة المشار إليها أوردها العبدري في الرحلة ص ٤ .
- (٤٠) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس . أحمد بن القاضي المكناسي . دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط ١٩٧٣ - ص ٢٨٦ .
- (٤١) انظر مقدمة «الرحلة المغربية» بقلم محمد الفاسي .
- (٤٢) أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني - الحسن الشاهدي . والكتاب رسالة جامعية بإشراف العلامة محمد بن تاويت التطواني .
- (٤٣) الرحلة المغربية ص أ ج .
- (٤٤) أدبيات أدب الرحلة ص ١٤٧ .
- (٤٥) الرحلة المغربية ص ٧ .
- (٤٦) الرحلة المغربية ص ١ .
- (٤٧) ينظر في الرحلة المغربية هذا الموضوع في الصفحات الآتية (١٣-٣٧-٥٨-٩٣-١٢٧-١٥٣-١٧٦-١٨٦-٢٧٩) .
- (٤٨) أعمال بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي . ص ٨٠٣ .
- (٤٩) الرحلة المغربية ص ٢٢٠ .
- (٥٠) الإحالة نفسها .
- (٥١) انظر مجلة «الفصل» عن «الخليل مدينة الأنبياء» ع ٢٦٤ السنة ٢٢ أكتوبر ١٩٩٨م .

- (٥٢) الرحلة المغربية ص ٢٢٢ .
- (٥٣) نفسه .
- (٥٤) نفسه .
- (٥٥) الإحالة نفسها ص ٢٢٧ .
- (٥٦) الإحالة نفسها .
- (٥٧) الرحلة المغربية ٢٢٨ .
- (٥٨) انظر مجلة «الفيصل» ع ٢٣٢ السنة ١٩ فبراير - مارس ١٩٩٦ م .
- (٥٩) أعمال الندوة العالمية عن القدس ص ١٤٢ عن التسامح الديني في القدس .
- (٦٠) سفرنامه ص ٥٠ من الترجمة العربية .
- (٦١) أعمال الندوة العالمية . ص ٣٠٣ .
- (٦٢) الرحلة المغربية ٢٢٩ .
- (٦٣) سفرنامه ص ٥٧ .
- (٦٤) الرحلة المغربية ٢٢٩ .
- (٦٥) مجلة «عالم الفكر» عدد خاص عن المدينة الإسلامية . مج ١١ ع ١ أبريل - مايو ١٩٨٠ م .
- (٦٦) الرحلة المغربية ص ٢٣٠ .
- (٦٧) الرحلة المغربية ص ٢٣٢ .
- (٦٨) الرحلة المغربية ص ٢٣٣ .
- (٦٩) الإحالة نفسها .
- (٧٠) الرحلة المغربية . ص ٢٣٠ .
- (٧١) عن حياة ابن بطوطة ، ينظر :
- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ٢٤٧/١ حيث أورد في الهامش ما
ينيف على (٥٠) مصدرا ومرجعا ، كمظان رئيسة تناولت ابن بطوطة
ورحلته «تحفة النظار» .

- واسمه الكامل أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي الملقب بشمس الدين المعروف بابن بطوطة بتشديد الطاء الأولى . وقد وجد هذا الضبط بخط معاصر ابن خلدون .

(٧٢) رحلة ابن بطوطة المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه د . عبد الهادي التازي - عضو الأكاديمية الملكية المغربية . والرحلة من مطبوعات الأكاديمية (في خمسة أجزاء) سلسلة التراث .

- وعن النسخ المعتمدة في التقديم ، ينظر في (١٥/١) عن «المخطوطات الثلاثون للرحلة» . ومن المعلوم أن هذه الدراسة سبق وأن شارك بها د . عبد الهادي التازي في أعمال الندوة الدولية عن ابن بطوطة من تنظيم واعداد «مدرسة الملك فهد العليا للترجمة» بطنجة أيام ٢٧/٢٩ من شهر أكتوبر ١٩٩٣م - انظر هذه الأعمال مطبوعة - ط الطوبريس طنجة ١٩٩٦م .

(٧٣)، (٧٤) رحلة ابن بطوطة ١/١٥٣ .

(٧٥) انظر المقالة التي نشرها المرحوم محمد زنيبر في أعمال ندوة ابن بطوطة الدولية بطنجة ص ٤٢١ - والمقالة بعنوان «الشرق العربي» كما يتراءى من رحلة ابن بطوطة .

(٧٦) رحلة ابن بطوطة ١/١٢٠ .

(٧٧) رحلة ابن بطوطة ١/٢٢٨ .

(٧٨) أعمال ندوة ابن بطوطة ، ص ١٤٣ وص ٣٩٩ . ولابد من الإشارة إلى كتاب الحسن الشاهدي المشار إليه .

(٧٩) أعمال ندوة ابن بطوطة . ص ١٠٩ والمقالة عن المدينة في رحلة ابن بطوطة .

(٨٠) رحلة ابن بطوطة ١/٢٤٩ . ينظر هامش رقم (١) من الصفحة نفسها .

(٨١) الإحالة ذاتها .

- (٨٢) القدس والخليل في الرحلات المغربية- رحلة ابن عثمان نموذجاً/ من إعداد عبد الهادي التازي . منشورات ايسيسكو- الرباط ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م . ص ١٧ .
- (٨٣) الإحالة نفسها .
- (٨٤) رحلة العبدري ص ٢٧٧ .
- (٨٥) رحلة ناصر خسرو «سفر نامه» ص ٧٧ .
- (٨٦) سفر نامه ص ٧٤ . والإشارة إلى الوجود المغربي في القدس . يرجع إلى أعمال ندوة القدس عن أوقاف المغاربة في القدس . ص ٣٧٧ .
- (٨٧) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٤٦ .
- (٨٨) أعمال ندوة القدس ص ٢٨٦ .
- (٨٩) المرجع نفسه .
- (٩٠) انظر «أضواء جديدة على الحروب الصليبية» سعيد عبد الفتاح عاشور- المكتبة الشعبية القاهرة ص ٦٣ وما بعدها .
- (٩١) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٤٦ .
- (٩٢) المساجد- د حسين مؤنس ، سلسلة «عالم المعرفة» رقم ٣٧ الكويت يناير ١٩٨١ .
- (٩٣) المساجد ص ١٠ .
- (٩٤) المجلد الخامس ، وهو القسم الخاص بالفهرسة . انظر عن المساجد والجوامع ، ص ٢٢٣ .
- (٩٥) المجلد الخامس ، ص ١٩٨ .
- (٩٦) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، لخالد بن عيسى البلوي . وقد نشر الرحلة الحسن السائح . وهي من منشورات اللجنة المشتركة للتراث بين المغرب والإمارات . (دون تاريخ) . انظر النص في ص ٢٤٦ وما بعدها .
- (٩٧) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٤٧ .
- (٩٨) الإحالة نفسها .

- (٩٩) الإحالة نفسها ، ص ٢٤٩ .
- (١٠٠) المغرب في عهد الدولة السعدية - عبد الكريم كريم . ط . الدار البيضاء . ١٩٧٧ . ص ١٨٢ .
- (١٠١) انظر مجلة «المناهل» مقالة محمد زمامة عن الرحلة . ع ٥٢ صفر ١٤٠٣ / ١٩٨٢ . كما تناولها بالتحليل مصطفى الغاشي في مجلة «التاريخ العربي» . ع ٦ ربيع ١٤١٩ / ١٩٩٨ .
- (١٠٢) أدب الرحلة في التواصل الحضاري . د . قدور بوزياني . سلسلة الندوات رقم ٥ منشورات جامعة المولى إسماعيل . مكناس ١٩٩٣ م . ص ٢٢٩ .
- (١٠٣) المرجع نفسه .
- (١٠٤) الرحلة العياشية ١/٦ . والنسخة المعتمدة هي المصورة عن الطبعة الحجرية بعناية محمد حجي . الرباط ١٣٩٧ / ١٩٧٧ .
- (١٠٥) الرحلة العياشية ١/٤ .
- (١٠٦) جاءت رحلة العياشي كبداية لمجموعة من الرحلات ألفت بعده خلال القرنين الحادي عشر والثاني . وفي كتاب «المصادر العربية لتاريخ المغرب» ١/ ١٨٧ جرد مفيد لتطور فن الرحلة بعد العياشي . ولقد اهتم الباحثون المغاربة وغيرهم برحلة العياشي فتناولوها بالدراسة والتحليل . كما فعل محمد زمامة في مجلة المناهل ع ٢٧ شوال ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . إلى جانب ما قام به المستشرقون من ترجمة بعض أقسامها .
- وفي سياق الاهتمام ذاته تأتي عملية الاختصار والتجريد . كصنيع العلامة حمد الجاسر ، فنشرها على شكل «مقتطفات من رحلة العياشي» - منشورات دار الرفاعي - الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م - كما تناول الرحلة بالعرض في كتابه «أشهر رحلات الحج» منشورات دار الرفاعي - الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- (١٠٧) الرحلة العياشية ١/ ٣٠٩ - ٣١٠ ومن باب الإفادة التاريخية فقد أرجع العياشي الوصف بخادم الحرمين إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي .
- (١٠٨) الرحلة العياشية ١/ ١٥٦ .
- (١٠٩) الرحلة العياشية ٢/ ٣٠٤ .
- (١١٠) الرحلة العياشية ٢/ ٣١٤ .
- (١١١) الرحلة العياشية ٢/ ٣١٦-٣١٧ .
- (١١٢) الرحلة العياشية ٢/ ٣١٥ .
- (١١٣) انظر كتاب عبد الهادي التازي عن «أوقاف المغاربة في القدس» - مطبعة فضالة . المحمدية ١٩٨٩م ويضم الكتاب «وقفيات» ووثاق في موضوع التحجيس . ص ٣٩ وما بعدها .
- (١١٤) الرحلة العياشية ٢/ ٣١٦ .
- (١١٥) الرحلة العياشية ٢/ ٣١٥ .
- (١١٦) الرحلة العياشية ٢/ ٣١٥ .
- (١١٧) أنظر بحث د . أبو خلف عن «المعالم الحضارية في مدينة القدس» ضمن بحوث الندوة العالمية عن القدس . الرباط . ص ٣١ .
- (١١٨) الرحلة العياشية ٢/ ٣٤٦-٣٤٧ .
- (١١٩) الرحلة العياشية ٢/ ٣٠٩ .
- (١٢٠) المرجع نفسه والإحالة ذاتها .
- (١٢١) انظر تاريخ التراث العربي - فؤاد سيزكين . مج ١ . ج ٣ قسم الفقه . مطبوعات جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية . الرياض ١٤٠٣ / ١٩٨٣ . ص ١٧٩ .
- (١٢٢) الرحلة العياشية ٢/ ٣٠٩ .
- (١٢٣) الرحلة العياشية ٢/ ٣٠٩ .
- (١٢٤) انظر ترجمة الأوزاعي في كتاب «تاريخ التراث العربي . مج ١ . ج ٣ . قسم الفقه .

ص ٢٤٣ .. وموسوعة الزركلي - (الأعلام) ٩٤ / ٤ ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .

(١٢٥) الرحلة العياشية ٢ / ٢١٣ .

(١٢٦) الرحلة العياشية ٢ / ٣١٨ .

(١٢٧) الرحلة العياشية ٢ / ٣١٤ .

(*) لقد قام بنشر رحلة المكناسي طالبان من كلية الآداب بتطوان (السنة الدراسية ١٩٩٦ / ١٩٩٧ م) هما مصطفى البقالي ومحمد عماد الشبيخي) اعتمادا على نسخة الرباط رقم ١٢٣٠٧ . والنسخة في ٣٣٠ ص . وسنعمد هذه النسخة في النقول .

(١٢٨) إحراز المعلى والرقيب . ص ٢٠ من نشرة كلية الآداب تطوان (شعبة التاريخ) .

(١٢٩) المصدر نفسه ص ٢١ .

(١٣٠) المصدر نفسه ص ١٨٢ .

(١٣١) المصدر نفسه ص ٢٠٢ .

(١٣٢) المصدر نفسه ص ٢٢٥ . وهي الصفحة ما قبل الأخيرة من مخطوط الخزانة الحسنية . ص ٣٣١ .

(١٣٣) احراز المعلى والرقيب ص ٢٠٢ .

(١٣٤) احراز المعلى والرقيب . ص ٢٢٦ .

(١٣٥) انظر مقدمة «الترجمة الكبرى» . بقلم عبد الكريم الفيلا لي . - نشرة وزارة الأنباء - الرباط ١٣٨٧ / ١٩٦٧ . ص ٩ .

(١٣٦) الترجمة ص ١٠٤ .

(١٣٧) الترجمة ص ٦٥ .

(١٣٨) الترجمة الكبرى ص ٢٦٤ .

(١٣٩) الترجمة الكبرى ص ٢٦٥ .

- (١٤٠) الترجمانة ص ٢٦٥ .
- (١٤١) الترجمانة الكبرى ص ٢٧٢ .
- (١٤٢) بحوث الندوة العالمية عن القدس ص ٣٤٩ .
- (١٤٣) المرجع نفسه .
- (١٤٤) الترجمانة . ص ٢٧٥ .

الرحلة في الآداب الشرقية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي:

الرحلة اليابانية نموذجاً

(*) الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم

المستخلص

تبدأ الدراسة بمقدمة مختصرة عن أدب الرحلات في الأدب العربي ، وعلاقتها (الرحلات) بالعلوم الاجتماعية وفن القصة في الأدب العربي . ثم تنتقل الدراسة إلى الرحلات إلى اليابان ويختار نموذجاً من هذه الرحلات رحلة أحمد علي الجرجاوي (١٩٠٧م) . ويختار من الأدب الأردني رحلة نواب علي خان من الهند إلى اليابان وأمريكا وأوروبا ومصر وجزيرة العرب ؛ ثم رحلة محمد حسين «اليابان سنة ١٩٠٧» ثم رحلة رشيدة فتح علي بعنوان «ثلاثون عاماً في اليابان» ورحلات أخرى . وتورد الدراسة مقتطفات من هذه الرحلات . ثم رحلة الأديب التركي التتاري عبدالرشيد إبراهيم إلى اليابان في عهد السلطان العثماني عبدالحميد الثاني .

تتناول الدراسة بعد ذلك الرحلات التي قام بها يابانيون إلى العالم الإسلامي لأسباب مختلفة منها ما هو سياسي وما هو ديني ، فضلاً عما هو خفي غير معروف . وتبدأ تلك الرحلات سنة ١٩٠٩م برحلة قام بها الحاج عمر ميتسوتارو إلى مكة والمدينة ودمشق . ثم تعددت رحلات اليابانيين وتنوعت .

(*) الأستاذ بعمادة شؤون البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

وتتناول الدراسة موضوعاتها تحت الرؤوس الآتية : ١- الرحلات اليابانية العربية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي . ٢- الرحلات اليابانية الأردنية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي . ٣- الرحلات اليابانية التركية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي . ٤- الرحلات من اليابان إلى العالم الإسلامي ومصادر المعلومات . ٥- يوميات رحلة في جزيرة العرب . ٦- ياباني في مكة . وتتضمن الدراسة تفاصيل كثيرة من الأماكن والناس والطرز المعمارية والعادات ، إلخ . كما تتضمن مقتطفات من كتابات الرحّالة المختلفين .

الرحلة في الآداب الشرقية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: الرحلة اليابانية نموذجاً

الرحلة وأهميتها :

أدب الرحلة هو النمط الأدبي الوحيد الذي له علاقة وطيدة بجميع العلوم الاجتماعية تقريباً، ولهذا احتل مكانة مرموقة في الآداب العالمية ، ونال اهتمام الدارسين في جميع المجالات ، نظراً للمعلومات الغزيرة والمتنوعة التي يقدمها الرحالة عادة في كتاباتهم ، ومكانة الرحلة في الآداب الشرقية على درجة كبيرة من الأهمية ، ونقصد بالآداب الشرقية هنا الأدب العربي والأدب الأردني والأدب التركي والأدب الياباني ، وهي الآداب التي سنختار من بينها بعض الرحلات التي نقدمها على سبيل المثال لا الحصر لإثبات أهمية الرحلة كمصدر من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي .

وهذا النمط الأدبي له أهميته بالنسبة للأدب العربي ، لأن الرحلة - على حد قول الدكتور شوقي ضيف - خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي ، أي تهمة قصوره عن فن القصة ، فمن يتهمونه بهذه التهمة لم يقرؤوا ما تقدمه كتب الرحلات من قصص^(١) . ومن المعروف أن كتب الرحلات تقدم بالإضافة إلى القصص والحكايات معلومات قيمة تمكن الدارسين من استخلاص مادة علمية تفيدهم في تخصصاتهم المختلفة^(٢) . وينطبق هذا القول على ما سنتناوله من رحلات كتبت بالعربية والأردية والتركية ، بالإضافة إلى الرحلات التي كتبها يابانيون باللغة اليابانية ، ترجم بعضها إلى اللغة العربية ، ولم يترجم البعض الآخر ، وهي رحلات سافر مؤلفوها إلى العالم الإسلامي لأسباب متنوعة ، من أهمها أداء فريضة الحج والعمرة .

الرحلة إلى اليابان :

فيما يتعلق بالأدب العربي يوجد عدد من الرحلات التي كتبها أدباء ومفكرون ارتحلوا إلى اليابان ، ونخص بالذكر رحلة الأديب الصحافي أحمد علي الجرجاوي بعنوان «الرحلة اليابانية (١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م)» والتي ترجمت في العام نفسه تقريباً وطبعت بالأردية ، ورحلة الأديب محمد ثابت بعنوان «جولة في ربوع آسيا بين مصر واليابان» وطبعت عام ١٩٣٦م^(٣) .

وسوف نقتصر في بحثنا على رحلة الجرجاوي «الرحلة اليابانية» نظراً لبعدها الزمني ، وما تتضمنه من معلومات مهمة تجعلها جديرة بالدراسة والتحليل .

أما في الأدب الأردني فرغم أن اتجاه رحالة شبه القارة الهندية كان إلى الغرب حيث الحرمين الشريفين بهدف أداء فريضة الحج والعمرة ، إلا أن هناك رحلات جرت عكس هذا الاتجاه ، فتوجد رحلة لنواب علي خان من بلدة رامبور بالهند وهي بعنوان «سير حامدي» ، ورد فيها ذكر سفره إلى اليابان ضمن رحلته إلى أمريكا ثم أوروبا ومصر ومن ثم جزيرة العرب^(٤) . كما توجد رحلات أخرى بالأردية منها رحلة بعنوان «اليابان سنة ١٩٠٧م» للدكتور الحاج محمد حسين^(٥) . ورحلة أخرى بعنوان «ثلاثون عاماً في اليابان» ١٩٠٩-١٩٣٦م بقلم رشيدة فتح علي^(٦) . ومنها ما كتبه أديب الأردية ابن إنشا (١٩٦٩-١٩٧٩م)^(٧) . ورحلات أخرى مثل «هيا إلى اليابان» بقلم مجتبي حسين ، الذي سافر إلى اليابان في زيارة رسمية أو شبه رسمية عن طريق اليونسكو في صيف عام ١٩٨٠م ، وقد صدرت رحلته في يناير ١٩٨٣م^(٨) . وسنضمن هذا البحث مقتطفات من مختلف الرحلات التي كتبت بالأردية .

وفي الأدب التركي رحلة الأديب التتاري عبدالرشيد إبراهيم إلى اليابان ، والتي كانت في الأصل رسائل صحافية كان يرسلها إلى جريدة الصراط المستقيم في استنبول . ومما هو جدير بالذكر أن عبدالرشيد إبراهيم كان قد نشر أيضاً رحلة بالتركية لسليمان شكري بعنوان «سياحت كبرى»^(٩) . لها علاقة بموضوعنا وسيأتي ذكرها فيما بعد .

وترجع أهمية الرحلة التركية إلى اليابان إلى وجود علاقات حميمة ربطت بين اليابان ودولة الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني .

وهكذا سنتناول في هذا البحث الرحلات التي كتبها مؤلفون سافروا من بلدان العالم الإسلامي إلى اليابان ، وآخرون جاءوا من اليابان إلى بلدان العالم الإسلامي .

الرحلة من اليابان :

هناك عدد من الرحلات كتبها يابانيون قدموا من اليابان ، وتجولوا في العالم الإسلامي ، لأسباب مختلفة ، منها ما هو سياسي ، ومنها ما هو ديني ، ومنها ما هو خفي غير معروف ، وتحتاج معرفة أسبابه إلى تقصي الكثير من الحقائق والوقوف على الكثير من المعلومات .

ومن الجدير بالذكر أن من اليابانيين من لم يسطر ذكريات أسفاره في شكل كتاب وإنما كتب عدة رسائل إذا ما جمعت شكّلت كتاباً يمدنا بالكثير من المعلومات ، بينما كتب البعض الآخر كتابات أشبه بالتقارير الرسمية منها إلي الرحلة ، وما يهمنا في بحثنا هذا هو التركيز على الرحلة بالمفهوم الذي أشرنا إليه من قبل .

وتعد رحلة الحاج عمر ميتسوتارو ياماوكا أول رحلة لياباني يأتي إلى قلب العالم الإسلامي ، حيث أدى فريضة الحج ، وكان قد وصل إلى مكة المكرمة في ديسمبر سنة ١٩٠٩م ، (ميجي ٤٢) ومنها سافر إلى المدينة المنورة ، ثم سافر إلى دمشق عن طريق خط سكة حديد الحجاز ، وكتب ذكريات رحلته في كتاب بعنوان «أريبيا جودانكي Arabia Jyudanki» أي رحلة عبر الجزيرة العربية ، طبعت في فترة لاحقة ، يوليو ١٩١٢م (ميجي ٤٥) .

ثم تابعت الرحلات إلى الجزيرة العربية ، فكتب الأستاذ تناكا ايبهيه أو الحاج نور تناكا كتاباً بعنوان «الحج في الإسلام ، السحاب الأبيض على صفحة الأفق» إسامو جونونري - هاكو أون يوكي Isramu Junrei Haku Un-yu Ki ، وقد طبعت سنة ١٩٢٥م

(تايشو ١٤) . كما كتب اينوموتو موموتارو ذكرياته عن الحج في كتاب نشر سنة ١٩٣٩م بعنوان «يوميات الحج إلى مكة» أو «مكة جونريكي Mekka Junreiki» . وفي سنة ١٩٤٣م طبعت رحلة الحاج محمد صالح أو تاكيشي سوزوكي بعنوان «سيتشي مكة جونريكي Seichi Mekka Junrei» أي الحج إلى مكة المكرمة ، والتي صدرت ترجمتها العربية عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض بعنوان «ياباني في مكة»^(١٠) .

أما رحلة إيجيرو ناكانو «يوميات رحلة في الجزيرة العربية» «كايسو نو أرايا كيكو» فقد كتبها بعد عودته من المملكة العربية السعودية ، حيث رافق وفدًا يابانيًا رسميًا زار الرياض في ١٩٣٩م^(١١) . وقد نشر مذكرات رحلته أولاً في مجلة كايكو سيكاي Kaikyo Sekai أي مجلة العالم الإسلامي ، ثم طبعها في كتاب صدر في ٢٢ سبتمبر ١٩٤١م ، وقد ترجمت الرحلة إلى العربية بعنوان الرحلة اليابانية وصدرت عن دار الملك عبدالعزيز بالرياض^(١٢) .

وقد اخترنا هنا الرحلتين الأخيرتين كنموذج للرحلة من اليابان إلى العالم الإسلامي لما فيهما من معلومات هامة ، ونظراً لاختلاف هدف مؤلف كل منهما عن الآخر وأمور أخرى سنشير إليها في وقتها .

ولما كانت الرحلات في آداب الشعوب عامة تنقسم إلى أقسام عديدة^(١٣) فسوف نركز من بينها على الرحلة الشخصية التي قام بها شخص من أجل هدف معين ، وسوف نلاحظ أن الطابع الأدبي غلب على كتابات مثل هؤلاء الرحالة ، فقد كانوا في معظمهم من الأدباء ، فزخرت مادة رحلاتهم بالعناصر الأدبية ، ولهذا درج الكتاب العرب على استخدام عبارة «أدب الرحلات» للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين^(١٤) . ولا شك أن معظم الرحلات التي ستناولها في هذا البحث ينطبق عليها هذا الوصف ، فهي تحمل قيمة أدبية تتجلى فيما تعرض فيها من موادها من أساليب ترتفع إلى عالم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني .

ولاشك أن هذا النمط الأدبي قديم عند العرب ، وقد كثرت الرحلات عندهم وتنوعت بتنوع أسبابها وحواضرها السياسية والدينية والاقتصادية^(١٥) . ثم جاءت آداب الشعوب الإسلامية الأخرى فاتخذت من الأدب العربي نموذجاً ومثالاً ، فقلده أدباء الأردية والتركية وغيرهم ، بل نلمح في أدب الرحلة التي كتبها مسلمون يابانيون سمات أدبية شبيهة بتلك التي نلاحظها في الرحلات العربية والأردية والتركية .

الرحلة اليابانية العربية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي :

تعد الرحلة اليابانية لصاحبها علي أحمد الجرجاوي ، الأديب المصري والشيخ العالم الأزهري والصحافي صاحب جريدة الإرشاد ، مصدراً مهماً من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي في فترة مهمة من تاريخه ، وهي رحلة لها طابعها الخاص ، لأن صاحبها قصد بها وجه الله ، فقد باع ممتلكاته وأطياته الزراعية التي كان يمتلكها في صعيد مصر ، وركب البحر متجهاً إلى اليابان تلبية لنداء وجهه إمبراطور اليابان آنذاك لأصحاب الديانات المختلفة لحضور مؤتمر الأديان في طوكيو^(١٦) ، وهو يفخر بأنه أول من قام بهذا العمل من بين أبناء وطنه :

«... وحسبي شرفاً أنها رحلة أول مصري وطأت قدمه تلك الأرض من قديم الزمان إلى الآن (أي عام ١٩٠٦م)»^(١٧) .

والرحلة تلقي الضوء على أحوال علماء العالم الإسلامي في تلك الفترة ، وعلى ما كان بينهم من صلات وثيقة رغم تباعد الأمكنة ، فالشيخ علي أحمد الجرجاوي يشير إلى أنه كان على اتصال بأرباب الصحافة الإسلامية في عصره ، بالإضافة إلى علماء الإسلام في مصر وخارج مصر ، فيذكر أن عالماً من تونس وآخر مصري يقيم في الهند (أمام مسجد كلكتا) وهو الشيخ أحمد موسى^(١٨) ، اتفقا على السفر معه إلى اليابان كما ساعدته اتصالاته على إقامة علاقات مع أحد مسلمي الصين وأحد علماء روسيا وهو الحاج مخلص محمود الروسي .

ومن الواضح أن علماء المسلمين كانوا - ولا يزالون - يرجون لعالمهم الإسلامي الأخذ بأسباب الرقي والنهوض ، فكان الجرجاوي يؤمن بفائدة رحلته تلك ، نظراً لأنها كانت في سبيل الدين ، وكانت أيضاً لحث المسلمين عامة والعرب خاصة على الترقى ، بضرب أمثلة مما شاهده في مدن اليابان التي زارها ، فلم يكن هدفه الاشتراك في الدعوة الإسلامية فحسب ، بل كانت رغبته أيضاً متوجهة إلى استطلاع أحوال هذه البلاد للتعرف على ما وصلت إليه من المدنية والتقدم في شتى العلوم .

وتمدنا الرحلة اليابانية للجرجاوي بمعلومات عن جهود العالم الإسلامي آنذاك في سبيل نشر الإسلام في الشرق الأقصى من جهة ، وحرص اليابان آنذاك على التعرف على الإسلام ، والدليل على ذلك الدعوة إلى مؤتمر الأديان للتعرف على الدين الإسلامي بصفة خاصة ، كما تلقي الرحلة الضوء على العلاقات الحميمة التي جمعت بين دولة الخلافة الإسلامية وبين إمبراطور اليابان ، ووجود محادثات مهمة في شؤون عديدة بين اليابان ودولة الخلافة^(١٩) وتبين الرحلة اهتمام علماء المسلمين بالدعوة إلى الإسلام ودعم خليفة المسلمين ، وتماسكهم وترباطهم رغم خضوع بلدانهم آنذاك لنفوذ الدول الغربية ، وهذا هو السبب الذي دفع علماء الهند لترجمة رحلة الجرجاوي إلى الأردية فور صدورها بالعربية^(٢٠) . وهذا يؤكد على حضور عدد من الدعاة المسلمين الهنود المؤتمر الديني الذي عقد في طوكيو .

كما تؤكد الرحلة على وجود علاقات بين صحف العالم الإسلامي ، وتشير إلى اهتمامات تلك الصحف ، وحرصها على نشر الإسلام ودعم دولة الخلافة في مواجهة الدول الغربية التي كانت تتخذ موقفاً معادياً للإسلام . كتب الجرجاوي :

«كنت أقرأ في الصحف المحلية ما تنقله من الأنباء المتواترة بانعقاد مؤتمر ديني في بلاد اليابان ، وتوجه البعثات الدينية من المسلمين . . . كما أن غيري من أرباب الصحف الإسلامية ضم صوته إلى صوتي . . .»^(٢١) .

وهكذا اتفق الجرجاوي مع عالم من تونس (لم يذكر اسمه) وعالم مصري يدعى الشيخ أحمد موسي المصري المنوفي إمام المسجد الكبير في بمباي للذهاب معاً إلى اليابان . كما تقدم الرحلة معلومات تاريخية عن العلاقات بين بلدان العالم الإسلامي واليابان^(٢٢) بالإضافة إلى المعلومات المتعلقة بالأقليات المسلمة ، وننقل هنا مثلاً لما ورد في الرحلة عن الأقلية المسلمة في الصين وأحوال المسلمين هناك :

« وإذا سمع العوام من الصينيين غير المسلمين كلمة « هوي ، هوي » يجيبونهم بقولهم « تسي » ومعنى هذه الكلمة « اللص » ، ولكن المسلمين يسخرون منهم ولا يلتفتون إلى قولهم هذا ويعتبرونه من القول الهراء . . ولو عامل مسلمو الصين هؤلاء بمثل ما يعاملونهم لأصبحت أرض الصين مسرحاً تمثل عليه أفظع روايات الحوادث الفظيعة . . »^(٢٣) .

وذكر الكاتب ما وقع من حوادث للمسلمين :

« . . . ومنها الثورة التي كانت سبباً في خراب مقاطعة يونان التي ابتدأت من سنة ١٨٥٥ م وانتهت ١٨٧٣ م والثورة التي حدثت في « كانس » وأخمدت نيرانها سنة ١٨٨٢ م . . . ولما حصلت هذه الثورات حظرت الحكومة على المسلمين الخروج من بيوتهم ليلاً من زيادة الاضطراب فلم يقبل المسلمون ذلك »^(٢٤) .

ويشير إلى تدخل دولة الخلافة لحماية الأقلية المسلمة بالصين :

« . . . وبعد حوادث سنة ١٩٠٠ م رأى مولانا الخليفة الأعظم أن يبعث وفداً إلى بلاد الصين لينظر حالة المسلمين هناك ، وليقوي العلائق بينهم وبين مركز الخلافة فأرسل حفظه الله وفداً مؤلفاً من نخبة من رجال الدولة الأمراء . . . وكان الرئيس هو سعادة « أنور باشا » فسافر في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٠ م وكان سفر سعادته سرّاً من غير أن يعلم به أحد حتى نفس رجال المايين »^(٢٥) .

ويذكر أيضاً أنه :

«... من الأسف الشديد أن نحو الخمسين مليوناً من المسلمين في الصين لا يوجد بينهم علماء من الطبقة العالية ينفرونهم ربما من هذه الخرافات والبدع ، وأن من التقصير الفاحش أن العلماء المسلمين يعلمون بمثل هذه الأحوال ولا يؤلفون الوفود منهم للذهاب إلى الصين وبث العقائد الصحيحة الدينية هناك»^(٢٦) .

أما المهتمون بتاريخ المدن الإسلامية فيستطيعون الوقوف على وصف لبعض المدن التي ورد ذكرها في الرحلة اليابانية وعلى سبيل المثال مدينة ينبع ، ومدينة جدة وكذا مدينة عدن^(٢٧) . فالجرجاوي يصف مدينة ينبع : سكانها وشوارعها ومصادر المياه فيها وحوانيتها بل ويذكر تاريخها أيضاً^(٢٨) ، بينما يتحدث عن مدينة جدة : موقعها الجغرافي وتاريخها القديم ، وتجارها . ويصف سكانها فيقول :

« وقد اختبرت من أخلاق أهل جدة ما دلني على أنهم أهل كرم وسخاء خصوصاً مع الغريب عنهم والبعيد منهم ، ولم تكن على نصيب من العلوم لأن الذين يعرفون القراءة والكتابة منهم قليلون جداً . . . وقد أسعدني الحظ بمعرفة رجل فاضل غذته العلوم والآداب بلبانها . . . وهو حضرة الفاضل الحاج إسماعيل الليثي من قبيلة تدعى بهذا الاسم ، وقد مكثت زمناً قليلاً وأنا أحادثه في كثير من الشؤون السياسية والأحوال الاجتماعية . . . فكان في كل موضع من مواضع الحديث يجيد ويفيد ، حتى عرفت منه ما لم أكن أعرفه من أحوال جزيرة العرب التي تنقلها الجرائد محرفة عن الحقيقة!»^(٢٩) .

وعن مباني جدة :

«ومنازل كبراء هذه المدينة تبنى من الحجر الصخري وأعظم أنبيتها دار الرسومات ومنزل الوالي»^(٣٠) .

الرحلة اليابانية الأردنية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي:

إذا كانت الرحلة اليابانية للجرجاوي قد طبعت بعد عودته مباشرة سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م فقد صدرت ترجمة لها بالأردنية في السنة التالية مباشرة أي سنة ١٩٠٨م، وبالتحديد في أغسطس يوم الاثنين السابع من رجب ١٣٢٦هـ ، بعنوان سفرنامه جابان ، وصدرت الطبعة الأولى والأخيرة عن دار جريدة وطن بمدينة لاهور وعلى الصفحة الأولى كتب بخط عريض ما يأتي :

«الرحلة اليابانية كتاب يتضمن مشاهدات السائح المسلم علي أحمد الجرجاوي مدير جريدة الإرشاد القاهرة ، وكيف أسلم على يديه في عدة أيام ١٢٠٠٠ ياباني- ترجمها إلى الأردية مولانا حسن ميان بهلواردي وراجع الترجمة وحررها مولوي محمد إنشاء الله صاحب جريدة وطن ، وطبعت في مطبعة «ستيم بريس» بلاهور» .

ويفهم من مقدمة الترجمة الأردية أن عددًا من مسلمي الهند كان قد ذهب إلى اليابان بدعوى حضور المؤتمر . يقول المترجم :

«وصل هؤلاء السادة من أصحاب الهمم إلى اليابان ، إلا أن ما ذكروه عن المؤتمر لم يكن رأي العين بل ذكروا من المؤتمر أشياء كأنها الشائعات ، وولدوا من الأحاديث أحاديث أخرى . إلا أن عاطفة مسلمي مصر كانت أقوى ، فقد قام صاحب الجريدة الأسبوعية الإرشاد ومحررها الشيخ علي أحمد الجرجاوي ، بالذهاب إلى اليابان على حسابه الخاص ، وكتب بعد عودته رحلته التي تقدمها إلى أهل الأردية ، وهي تلقي الضوء على إمكانية نشر الإسلام في اليابان بالإضافة إلى ذكر أحوال البلاد»^(٣١) .

ومن الجدير بالذكر أن سفر الجرجاوي وظهور رحلته اليابانية تزامن تمامًا مع وجود الدكتور محمد حسين الهندي أو الحاج محمد حسين الذي كتب عن رحلته إلى اليابان كتابًا بعنوان «يابان سنة ١٩٠٧م» .

وقد ذكر الجرجاوي أنه شاهد في اليابان أحد علماء وفضلاء مسلمي الهند يدعى السيد حسين عبدالمنعم قدم إلى اليابان منذ خمسة شهور للتبشير بالإسلام^(٣٢) فهل ياترى كان السيد حسين عبدالمنعم هو الحاج محمد حسين؟! لا يمكن الجزم بهذا الأمر^(٣٣).

على كل حال ظلت رحلة الحاج محمد حسين «يابان سنة ١٩٠٧م» مخطوطة مطمورة لفترة، وقد بحث عنها سيد طفيل بنكلوري حتى وجدها وسلمها لسيد الطاف علي بريلوي الذي قام بنشرها في مجلة مصنف أي الكاتب أو الأديب الأردنية، وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية حين كانت جيوش اليابان قد اقتربت من الهند، ونظراً لأسباب صحفية وحرية لم تنشر الرحلة بكاملها، وبعد الحرب قام مولانا صلاح الدين أحمد بنشرها كاملة لأول مرة في المجلة الشهرية «أدبي دنيا» أي دنيا الأدب.

تخرج الدكتور محمد حسين في كلية الطب بالبنجاب، وعمل فترة في سلك الحكومة الإنجليزية في الهند، وبعد التقاعد ذهب إلى إنجلترا حيث أقام هناك عدة سنوات، وعاد إلى الهند ليبيع جميع ممتلكاته ويهاجر إلى المدينة المنورة^(٣٤).

ومن الجدير بالذكر أنه سافر إلى روسيا وبورما والصين ومنها إلى اليابان، ولهذا تضمنت رحلته معلومات تاريخية مهمة عن تلك الفترة، إلا أنه تأثر باليابان أكثر، وتمنى لو عاش في اليابان، ولكن العاطفة الإسلامية شدته ليقضي بقية حياته في المدينة المنورة.

والرحلة الأخرى في الأردنية كتبها سيدة تدعى حنيفة رشيد فتح علي، ونشرت سنة ١٩٣٦م في المجلة الأدبية الشهرية^(٣٥) بعنوان «ساقى»، عدد يناير وكان عدداً خاصاً عن اليابان وهي بعنوان «جبان مين تيس سال» «ثلاثون عاماً في اليابان»، وتقع في صفحات قليلة إذا ما قيست بالفترة الزمنية المشار إليها (أي ثلاثون عاماً).

والسيدة حنيفة رشيد فتح علي زوج لرجل أعمال مسلم من الهند كان يعمل في مدينة «كويه» اليابانية في بداية القرن الحالي، وقد كتبت ذكرياتها تلك بناء على طلب من

البروفسر نور الحسن برلاس ، من أوائل أساتذة اللغة الأردنية في اليابان (في جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية) وقد عاش في اليابان لأكثر من عشر سنوات ابتداء من ١٩٣٣ م.

وكان هدف السيدة حنيفة رشيد هو شرح التغييرات التي طرأت على البلاد خلال سبع وعشرين سنة قضتها في تلك البلاد ، وهي التغيرات التي شاهدها بنفسها^(٣٦) .

ولما كانت الكاتبة ربة بيت بسيطة جاءت عباراتها واضحة تعبر عن مكنون قلبها وحقيقة مشاعرها ، وأسلوبها يلقي الضوء على فكر المرأة المسلمة في تلك الفترة من الزمان ، كما يوضح الإطار الثقافي للمرأة المسلمة آنذاك ، فقد كانت تعقد مقارنات بين وضع المرأة المسلمة في الهند والمرأة اليابانية ، ووصل بها الحال إلى الإشارة إلى عدد البيض الذي تضعه الدجاجة في الهند وعدد البيض الذي تضعه الدجاجة في اليابان^(٣٧) .

وتشير الكاتبة إلى وصولها مدينة كوبيه في الثامن من مارس ١٩٠٩ م عبر يوكوهاما ، كما تذكر أن آثار انتصار اليابان على روسيا (١٩٠٤ م) لاتزال واضحة في شكل الألعاب التي يمارسها الأطفال^(٣٨) . وتصف زياراتها لمدن اليابان المختلفة وإلى طوكيو التي سافرت إليها وحدها ووجدت من اليابانيين هناك كل مساعدة .

ولم تهتم الكاتبة بشيء غير وصفها للأمور العامة ، وقد يرجع السبب إلى المساحة الزمنية التي كانت تكتب عنها ، وإلى عدد الصفحات التي وجب عليها الالتزام بها .

ومن الرحلات التي كتبت بالأردنية أيضاً رحلات ابن انشا الذي يعدّ أشهر أدباء الأردية ممن كتبوا في أدب الرحلات ، كما أنه فنان يتميز بروح الدعابة ، وظهرت خدماته الأدبية ما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠ م ، حين كتب عدداً كبيراً من الرحلات التي احتلت مكانة عظيمة في الأدب الأردني ، وقد عمل مديراً للمجلس القومي الباكستاني الخاص بنشر الكتب ، مما أعطاه فرصة السفر لخارج البلاد وخاصة أن المجلس كان مدعوماً من

قبل اليونيسكو ، وقد كتب ثلاثة كتب عن رحلاته إلى اليابان وهي «مسافر من مدينة لأخرى» نكري نكري بهيرا مسافر ، و«من وراء ابن بطوطة» ابن بطوطة كي تعقب مين ، و«الدنيا كرة» دنيا كول هي .

وابن انشا يستخدم في كتاباته الاستعارة والكناية ولا يميل إلى التصريح ، ومع هذا يمكن أن نستخلص من كتاباته معلومات تُكوّن لدينا صورة واضحة عن أحوال المسلمين في اليابان المقيمين والزائرين ، وهو حريص على تقديم صورة طيبة للمسلم الباكستاني الزائر أو المقيم في اليابان :

«كان في الحفل ثلاثة من الباكستانيين ، وكانوا جميعاً من عباد الله الطيبين ، ومن محبي مشروب الكوكا كولا ليس إلا . . وهكذا التفتت فتيات الجيشا إلى الضيوف الآخرين وابتعدن عنهم . . وبدأت الموسيقى على أنغام الكورس الذي يردد «ساكورا ساكورا» . . وفي الرقص الذي تبع الغناء اشترك جميع الحضور إلا عباد الله الباكستانيين ، وأخذت أحسب حساباتي ، يبدو أن شهر رمضان بدأ ، لم تكن البداية بالنسبة لنا طيبة على الإطلاق . .» (٣٩) .

ومن خلال صفحات رحلة ابن انشا نتعرف على اتجاهات بعض الصحف الباكستانية والمواقف السياسية بين باكستان وبريطانيا ، وقضية كشمير (٤٠) .

ولا يستطيع الكاتب أن يخفي مشاعره السياسية ، فهي تظهر واضحة حين يذكر زيارته لمطعم «دلهي» في طوكيو ، ورفضه لأن تكون قائمة الطعام مكتوبة بالهندية دون الأردية :

«أخبرت المدير الياباني : ما لم تكتب القائمة بالأردية لن يأتيك أي باستاني . . . وحين جاءتني الفاتورة لم أستطع أن أفعل شيئاً سوى أن أشهق من هول الصدمة ، أعزائي إذا كنتم في طوكيو فاذهبوا إلى أي مكان عدا «دلهي» (٤١) .

أما المعلومات الخاصة بالتبادل الاقتصادي ، وتبادل المنافع بين اليابان وباكستان فقد عرضها الكاتب بأسلوب ساخر :

«رتبت السفارة اليابانية لقاء مع وكيل وزارة السياحة اليابانية ، وأثناء المحادثات الرسمية الهادفة لتطوير العلاقات بين البلدين قال المسؤول الياباني :

«إذا كنتم حقيقة تريدون الدعاية لباكستان بين الشعب الياباني ، فأتوا «بجحش» أي حمار صغير «إلى هنا» .

وحاول الباكستانيون الذين حضروا في الجلسة أن يحولوا الأمر إلى مجرد نكتة ، لكن الرجل الياباني أصر على طلبه : أنا لا أريد فرساً ، ولا أريد فيلاً ، فقط مجرد حمار صغير» . . وكان الرجل الياباني يريد حقاً هذا المخلوق ذا الأربعة أرجل ، فهذه الحمير الصغيرة لا توجد في اليابان ، وحين يوضع هذا الحيوان الصغير في حديقة الحيوان سيشاهده الصغار ، وسيستاءلون عن بلد المنبع ! وسوف يقال لهم : باكستان ، وسوف يعرفون أن في باكستان الكثير من الحمير!!^(٤٢) .

ومن الأمور المهمة التي يمكن فهمها من رحلات ابن انشا التي تحمل روح الفكاهة والسخرية ، تزايد عدد المسلمين في اليابان ، وأسباب ذلك ، ورفض إمام كوبيه الموافقة أحياناً على الشهادة الخاصة بإسلام بعض اليابانيين ، وقيام بعض المسلمين بأداء هذا الواجب^(٤٣) :

«لاشك أن إمام مسجد كوبيه يهتم أكثر من السيد / كاشفي بنشر الإسلام في اليابان ، لكن الرجل اعتاد على القول بأن الشخص الذي يعلن إسلامه هذه الجمعة يعود ليأخذ وثيقة زواج في الجمعة التالية» .

فما هو الخير في أن يتحول مثل هؤلاء إلى الإسلام؟

ومن صفات اليابانيين القومية الصديق مع أنفسهم وهم يتوسمون ذلك في الآخر . . منذ فترة جاء رجل إلى الإمام طالباً منه إعطاء شهادة دخول في الإسلام ، فرحب به الإمام وسأله : لماذا تريد أن تدخل الإسلام ؟ . . فرد الرجل ببساطة شديدة : حسنا إن الشركة التي أعمل فيها سترسلني في رحلة عمل إلى المملكة العربية السعودية ، ففكرت أنه من المفيد أن أكون مسلماً ، فرفض الإمام ذلك ، وهكذا منع زيادة عدد مسلمي اليابان! (٤٤).

وهكذا يمكن استقراء المعلومات واستخلاص النتائج من رحلات ابن انشا ، ومعرفة المزيد عن مشاكل الأقلية المسلمة المقيمة في اليابان مثل مشكلة الطعام الحلال وما إلى ذلك (٤٥).

وهناك رحلات أخرى كتبت بالأردية (٤٦) إلا أننا نكتفي هنا بذكر رحلة مجتبي حسين بعنوان «الرحلة اليابانية هيا إلى اليابان» أو سفرنامه جابان. جابان جلو ، التي طبعت في يناير سنة ١٩٨٣م في حيدر آباد بالهند (٤٧) ، وهي في ١٧٠ صفحة من القطع الصغير ، انتهى المؤلف من كتابتها في ٢٥ ديسمبر ١٩٨٢م في «نيودلهي» ، وكان قد نشرها بالهندية وحازت قبولاً كبيراً لدى القراء ، وترجمت أيضاً من الهندية إلى عدة لغات من لغات الهند الإقليمية (٤٨).

بدأ مجتبي حسين رحلته في سبتمبر سنة ١٩٨٠م وكانت رحلة رسمية بدعوة لحضور مؤتمر تنظمه هيئة اليونسكو في طوكيو .

وقد ألقى المؤلف الضوء على الدراسات والآداب الإسلامية في جامعات اليابان وخاصة في طوكيو حيث التقى الأساتذة الذين درسوا في جامعات باكستان وفي غيرها من جامعات الهند وبخاصة في حيدر آباد ، وأسهب المؤلف في الحديث عن جامعة طوكيو ووصف مكتبتها والاهتمام باللغات الأجنبية ، كما ذكر أيضاً اهتمام جامعة أوساكا بنفس الشيء أي بالدراسات العربية والفارسية والأردية والهندية (٤٩).

ومثل جمفع من سافر إلى اليابان وكتب عن رحلته عقد المؤلف فصلا بعنوان «جابان مفن إسلام» أي الإسلام في اليابان .

وأهم ما ورد في هذه الرحلة حءف المؤلف عن المؤتمر الإسلامي الياباني أو Japan Islamic Congress ، وهو جماعة من اليابانيين المسلمين الذين بذلوا جهداً كبيراً في مجال الدعوة ، في وقت زار اليابان الملك فيصل رحمة الله عليه ، وكتب المؤلف عن مقر الجماعة ووصف صلاة الجمعة هناك^(٥٠) :

«أوقفنا السيارة ، وأخذنا نبحث عن المسجد ، فشاهدتنا فتاة شابة ربما لاحظت على وجوهنا نور العبادة فسألتنا بلغة إنجليزية ركيكة :

- هل تبحثون عن المسجد ؟

فأجبناها بنعم

فقالا :

- السلام عليكم ! فأنا ذاهبة أيضاً لصلاة الجمعة .

وفي الطريق التقينا بفتاة يابانية أخرى ، ألقا علينا تحية الإسلام ، ومضت معنا . . كان المسجد يقع في الطابق الخامس ، لهذا ركبنا المصعد للذهاب إلى المسجد ! كان رئيس المؤتمر الإسلامي الياباني البروفسر الدكتور شوكت فوتاكي مشغولاً في الإعداد للصلاة ، وحين رأانا قدم إلينا وصافحنا وسألنا :

- من أين جئتم ؟

فقلنا له :

- جئنا من الهند

فتهلل وجهه فرحاً ، وقدمنا إلى رفيقه الدكتور عبدالسلام موريتا ، كان الناس يستعدون للصلاة . . . يتوضؤون فتوضأنا ، وكان مكان الوضوء بسيطاً جداً لم نر مثيلاً له

في أي مسجد بالهند ، كان عدد المصلين من الرجال يساوي تقريباً عدد المصلين من النساء ، ومن المفرح أنهم كانوا في معظمهم من الشباب ، وكانوا يصلون معاً ، كانت صفوف النساء على حدة ، واشترك في الصلاة حوالي خمسة أو ستة من العرب ، كانت الخطبة باللغة اليابانية وأقيمت الصلاة بنفس الطريقة التي نصلي بها في مساجدنا»^(٥١) .

وتلقي الرحلة الضوء على تاريخ المؤتمر الإسلامي الياباني :

« في ديسمبر ١٩٧٤م حين أعلن الطبيب الياباني المشهور البروفسور شوقي فوتاكي الإسلام مع بعض رفاقه وضعوا أساس المؤتمر الإسلامي الياباني ، في ذلك الوقت كان عدد المسلمين في اليابان يصل بالكاد إلى خمسة آلاف مسلم والآن يصل عددهم إلى حوالي ستين ألفاً»^(٥٢) .

« ويركّز الدكتور شوقي فوتاكي على الدعوة إلى الإسلام من خلال عياداته الطبية ومستوصفاته العلاجية ، وقد اعترفت الحكومة اليابانية في إبريل سنة ١٩٧٦م بالمستوصف الطبي الإسلامي الذي يعمل فيه حوالي ١٣٠ من الأطباء ويتردد عليه يومياً أكثر من ٨٠٠ مريض مسلم ، ويخطط لإقامة مثل هذا المستوصف في عموم اليابان ، وترسل الوفود من جانب هذا المستوصف لزيارة بلدان العالم الإسلامي . وفي موسم الحج قام فريق من الأطباء اليابانيين بزيارة المملكة العربية السعودية . ويقوم المؤتمر الإسلامي الياباني منذ سنة ١٩٧٥م بتعليم اللغة العربية ، كما أسس ندوة للدراسات الخاصة بتعاليم القرآن الكريم تعقد مرتين في الأسبوع ، وأسست وكالة عربية للأخبار تقوم بتجميع الأخبار الجديدة عن العالم الإسلامي . وقد عرفنا أن وزير المواصلات الياباني الأسبق محمد كومي ياماني قد أعلن إسلامه في ٢١ ديسمبر ١٩٧٨م ، كما أسلم ثلاثة أعضاء في البرلمان الياباني ، وبطل الكراتيه الياباني أحمد الذي كون مجموعة من لاعبي الكراتيه داخل تنظيم خاص»^(٥٣) .

والحقفة أن المؤلف ساوره الشك في أن الإسلام ينتشر في اليابان بسبب حاجة اليابانيين إلى البترول ، ولما ناقش الأمر مع المسلمين اليابانيين ردوا عليه بقولهم :

« لا حول ولا قوة إلا بالله ! ماذا تقول ؟ نحن نستورد كل شيء من خارج اليابان لا البترول فقط ، نحن لا نستورد من العرب إلا البترول ، ونشتره منهم بنفس السعر الذي تشتري به الدول الأخرى»^(٥٤) .

الرحلة اليابانية التركية ومصادر المعلومات عن العالم الإسلامي :

لاشك أن الرحلة اليابانية التركية لها أهميتها الكبرى كمصدر من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي ، خاصة في فترة زمنية شهدت زيادة الصراع بين العالم الإسلامي ممثلاً في دولة الخلافة العثمانية وبين دول أوروبا ، ومن هنا نختار رحلة للداعية التتاري عبدالرشيد إبراهيم ، الذي عشق السفر والترحال ، وكان له هدف واضح هو الدعوة إلى الوحدة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية Pan-Islamism في ظل دولة الخلافة .

وقامت دولة الخلافة بإرسال العلماء والبعثات إلى الصين للحصول على دعم مسلمي الصين وتحسين العلاقات مع الحكومة الصينية وكذا الدعوة إلى الإسلام في اليابان ، نظراً لوجود علاقة قوية بين دولة الخلافة واليابان ، بينما تشابكت العلاقات بين دولة الخلافة وألمانيا وروسيا .

وأرسلت دولة الخلافة أنور باشا في مهمة إلى الصين^(٥٥) مما جعل روسيا تعارض ذلك ولم تسمح للوفد بالمرور في أراضيها ، وعمد السلطان فيما بعد إلى إرسال بعثات غير رسمية إلى الصين وإلى بلدان وسط آسيا وشرق آسيا تدعو إلى الجامعة الإسلامية^(٥٦) .

وكان من بين من قاموا بمهمة رسمية خاصة التركي «محمد علي» وهو عالم عثماني وصل بكين في مايو ١٩٠٢م ، وكان قد خرج من استنبول ، ومر بمدينة بمباي الهندية ، ثم

سنغافورة وجاكرتا (كانت تسمى قديماً باتافيا Batavia)، ثم سافر إلى ساينغون وشنغهاي واليابان، وقد وصل إلى بكين قادماً من يوكوهاما في اليابان، وأقام ضيفاً في بيت الإمام وانغ Wang الزعيم الديني لإقليم منشوريا^(٥٧) وبفضل شخصيته أثر على مسلمي الصين.

وبجانب محمد علي أرسل الخليفة أحد المسؤولين العثمانيين ويدعى سليمان شكري بيه إلى بلدان شرق آسيا سنة ١٩٠٥م، وذلك بناء على توجيه من تحسين باشا رئيس أمناء السلطان عبدالحميد الثاني، وقد درس شكري بيه أحوال مسلمي الصين وعقد معهم صلات قوية وخاصة مسلمي شنغهاي وبكين وغيرها، ونجح في مهمة الحصول على دعم مسلمي الصين لدولة الخلافة^(٥٨).

وبعد رحلة طويلة إلى بلدان آسيا كتب كتاباً بعنوان «سياحت كبرى» شرح فيه الوضع الحقيقي لمسلمي العالم بعد دراسة وتحريات شخصية على أرض الواقع، ومن الصدف العجيبة أن يطبع هذا الكتاب في سانت بطرسبرج سنة ١٩٠٧م، باهتمام وإشراف الداعية الإسلامي عبدالرشيد إبراهيم أفندي الذي سنذكره فيما بعد بالتفصيل، وهذه السنة هي أيضاً السنة التي طبع فيها الجرجاوي رحلته في مصر، وكتب فيها الدكتور محمد حسين الهندي رحلته يابان سنة ١٩٠٧م.

والحقيقة أن كتاب «سياحت كبرى» يوضح أن كاتبه من المتحمسين لفكرة الجامعة الإسلامية، وأنه ينتمي إلى المعسكر المعادي لبريطانيا^(٥٩).

وقد اهتم المسؤولون البريطانيون كثيراً بالمعلومات التي أثبتتها المؤلف في رحلته «سياحت كبرى»، ويتضح هذا من المراسلات التي جرت بين أحد المسؤولين والسير غريثي بمكتب الخارجية البريطاني في مارس ١٩٠٨م^(٦٠).

والرحلة تلقي الضوء على الاهتمامات السياسية لبريطانيا في العالم الإسلامي وكذا حركة الجامعة الإسلامية ووضع المسلمين في بلدان آسيا المختلفة والنشاطات المعادية لبريطانيا في الصين والهند.

أما رحلة عبدالرشيد إبراهيم فتعد بلا شك من المصادر المهمة لتاريخ العالم الإسلامي في تلك الفترة ، وقد ولد عبدالرشيد إبراهيم في «طارا» في إقليم سيبيريا في بلاد تارستان سنة ١٨٥٧ م^(٦١) ، وكان قد وصل إلى اليابان بعد رحلة طويلة عبر مناطق آسيا الوسطى ، وسيبيريا ، ومنغوليا ، ومنشوريا ، ويقال إنه كان مندوباً دينياً سرّياً للسلطان العثماني ، هدفه تمهيد الطريق لإقامة علاقات قوية بين اليابان والدولة العثمانية . وكان قد سافر إلى الحجاز سنة ١٨٧١ م ففضى في مكة والمدينة ثماني سنوات انتقل بعدها إلى استنبول .

وقد ذكر الدكتور محمد حرب أن عبدالرشيد قام بعمل دعائي كبير تمثل في رحلته في العالم الإسلامي بدءاً من سنة ١٩٣٤ م إلى سنة وفاته ١٩٤٤ م ، أي مدة عشر سنوات ، عمل في أثنائها على دراسة أسباب رقي اليابان ، وجاهد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية هناك ، إلا أن الباحث الكوري «هي سولي» يذكر أنه وصل اليابان في أواخر سنة ١٩٠٨ م وبقي فيها حوالي سبعة أشهر وحددها هكذا (بين ١٧ نوفمبر ١٩٠٨ إلى ١٩ يونيو ١٩٠٩ م)^(٦٣) .

وقد كتب عبدالرشيد عن رحلته كتاباً ، كان في الأصل رسائل صحافية يرسلها إلى جريدة الصراط المستقيم في استنبول ، وقد طبعت الرحلة أو عالم إسلام في جزئين سنة ١٣٢٨ هـ ، تضمن الجزء الأول تفاصيل رحلته إلى اليابان وكوريا أيضاً ، وقد أعاد نشرها بعد تنقيحها الأديب التركي محمد باك صو ، وعلق عليها تعليقات مفيدة ، وجعل عنوانها «العالم الإسلامي والإسلام في اليابان في مطلع القرن العشرين الميلادي»^(٦٤) .

والرحلة تؤكد على اتجاه المؤلف الأساسي وهو الدعاية للسلطان يقول :

«... قدمني صديقي إلى بعض وجهاء اليابان قائلاً : هذا هو الشيخ عبدالرشيد إبراهيم التتاري ، عالم مسلم وسنتفع به ، وهو المؤسس لوجود الإسلام في اليابان ،

قال لي «أوهادا»: ها نحن أمامكم خمسة رجال سنقوم بنشر أفكاركم في اليابان وسنعاهدكم على نشر الإسلام . . . قلت لهم : ساهتم بتعليمكم الإسلام وأركانها ولهذه الدعوة جهة رسمية تتولى الإشراف عليها ، لذلك يجب علينا طلب العون الرسمي من باب المشيخة الإسلامية العالمية وهي دار الخلافة باستنبول أما أنا فإني سأفصل لكم بعض الأمور العامة»^(٦٥) .

ولاشك أن الرجل كان له تأثير كبير على المسؤولين اليابانيين وكان يركز طبقاً لما ذكره في كتابه على أن «العادات والتقاليد وأسلوب الحياة في اليابان شبيهة بعادات وتقاليد وأسلوب الحياة الإسلامية ولا يوجد اختلافات كبيرة فيما يتعلق بالمبادئ»^(٦٦) .

وتلقي الرحلة الضوء على بداية تشكيل الجالية الإسلامية في اليابان ، وأهم من هذا وذلك أنه تمكن من إقناع اليابانيين بأن فكرة الجامعة الإسلامية تتوافق تماماً مع ما تدعو إليه اليابان من فكرة مشابهة تطلق عليها آسيا العظمى وذلك في مواجهة الأوروبيين ، وراح يقنع السياسيين اليابانيين بقبول الإسلام كعقيدة ودين^(٦٧) .

ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن السلطان عبدالحميد الثاني قد امتدح عبدالرشيد في خطاب أرسله إلى أحد أصدقائه :

«وصلني خطاب من عبدالرشيد ، عالم قازاني ، يرى نشاطه في سبيل الدعوة الإسلامية في اليابان واجباً مقدساً ، وهو يدعم فكرة الجامعة الإسلامية في اليابان ، لقد كنت خليفة العالم الإسلامي ، وعبدالرشيد مختلف تماماً عن العلماء «التقليديين» الآخرين ، فهو يعرف التركية والعربية والفرنسية والروسية واليابانية وسافر في جميع أنحاء أوروبا ، وطبقاً لكلامه فاليابانيون غير مقتنعين بديانتهم القديمة . . . وهو يطلب إرسال علماء مسلمين مؤهلين قادرين على شرح روح الإسلام لليابانيين»^(٦٨) .

الرحلة من اليابان إلى العالم الإسلامي ومصادر المعلومات :

المقصود هنا الرحلة التي كتبها يابانيون باللغة اليابانية بعد أن زاروا بعض بلدان العالم الإسلامي في فترات متفرقة ، ولأسباب مختلفة ، وتعد رحلة الياباني ياماوكا إلى الجزيرة العربية أول رحلة لياباني إلى هذه المنطقة ، كما أنه أول ياباني يؤدي فريضة الحج طبقاً للمعلومات المتوافرة حتى كتابة هذه السطور . .

كان ياماوكا في التاسعة والعشرين من عمره حين بدأ رحلته في الثاني من أكتوبر عام ١٩٠٩م (ميجي ٤٤) ، وقد انطلق من ميناء شيمونوسيكي في جزيرة كيوشو ووصل إلى شنغهاي ومنها إلى هونغ كونغ ، وسنغافورة ، وماليزيا حتى وصل إلى كومورين بالهند ، فركب القطار إلى مدراس ، ووصل ميسور (حيدر آباد) ومنها إلى بومباي حيث التقى بعبدالرشيد إبراهيم ، وأعلن إسلامه في بومباي وشهد عبدالرشيد على ذلك ، ثم انطلقا معاً عبر البحر الأحمر إلى جزيرة كامران ، ومنها إلى جدة ومكة ، وبعد أداء فريضة الحج سافر «عمر ياماوكا» إلى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي ، ومن المدينة استقل القطار إلى دمشق في بيروت ومنها إلى استانبول ، ثم سافر إلى روسيا ، ومن هناك وصل إلى اليابان في يونيو ١٩١٠م .

وتكمن أهمية رحلته في لقاءاته بشريف مكة ، ومحافظ دمشق ، والهدف الأساسي من رحلته ، وعلاقة القادة العسكريين بعبدالرشيد إبراهيم ، وخاصة أنهم هم الذين طلبوا منه بالبحاح شديد أن يأخذ ياماوكا معه إلى الحج ، فوافق بعد تردد ، واتفق على أن يلتقيا معاً في بومباي ! ثم رجع عبدالرشيد إلى اليابان ثانية عام ١٩٣٩م إماماً لمسجد طوكيو !

يوميات رحلة في جزيرة العرب :

سنختار من بين الرحلات اليابانية رحلتين فقط : الأولى كتبها إيجيرو ناكانو وهو ياباني تخرج في جامعة أوساكا للغات الأجنبية ، قسم اللغة الألمانية ، والتحق بالعمل في

وزارة الخارجية سنة ١٩٣٣ م ، ثم سافر إلى القاهرة حيث أقام بها سبع سنوات . وقد درس - كما قال - في الأزهر وفي جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) ، ثم عمل أستاذاً بجامعة أوساكا للغات الأجنبية^(٦٩) . وقد قدم إلى المملكة العربية السعودية مرافقاً لوفد ياباني على مستوى عال ، زار الرياض لمقابلة عاهل المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز آل سعود - طيب الله ثراه - وكان يجيرو ناكائوا يعمل في ذلك الوقت بالسفارة اليابانية بالقاهرة .

بعد عودته من المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٩ م بدأ ينشر رحلته في حلقات ابتداء من نوفمبر ١٩٣٩ م وحتى فبراير ١٩٤١ م في مجلة (كايكوسيكاي) ، أي مجلة العالم الإسلامي ، ثم جمعها وطبعها في كتاب صدر في سبتمبر سنة ١٩٤١ م في طوكيو بعنوان «يوميات رحلة في الجزيرة العربية» «كايسو نو اريبيا كيكو» .

والمعلومات التي وردت في الرحلة لها أهميتها نظراً لأن كاتب الرحلة على دراية بالثقافة العربية الإسلامية ، والرحلة تعد وثيقة تؤرخ لتطور العلاقات بين اليابان والمملكة العربية السعودية التي تحتل مكانة كبيرة بين بلدان العالم الإسلامي ، وقد نالت الرحلة فور ظهور طبعتها العربية اهتمام المتخصصين والعلماء^(٧٠) .

تتضمن الرحلة وصفاً دقيقاً لمشاهدات الكاتب في الجزيرة العربية ، وكان الوفد قد وصل إلى مدينة جدة في السادس والعشرين من مارس ١٩٣٩ م ، ووصل الرياض في الواحد والثلاثين من مارس ، وبقي الوفد في الرياض عشرة أيام ، وهكذا يتحدث الكتاب كما قال مؤلفه : «عن مشاهداتنا في الأيام التي أمضيها في الرياض والأيام التي قضيناها في رحلتنا في قلب الجزيرة العربية»^(٧١) .

وتعد الرحلة اليابانية هذه مصدراً مهماً للمعلومات لمن يريد التعرف على ما كانت عليه عاصمة المملكة العربية السعودية الرياض في تلك الفترة ، وكذا مدينة جدة والقرى

والبلاد الأخرى التي مربها الكاتب ، وكذا وصف الطريق بين جدة والرياض ، والحياء في مدينة الرياض وأسواقها وما إلى ذلك ، وكذا وصف العادات العربية والكرم العربي ، والأحوال الأمنية التي تمتعت بها المملكة ، وكذا الروح الإسلامية التي يتمتع بها أهلها^(٧٢) .

ومما يضيف على أهمية الرحلة تلك الصور (٢١ صورة) التي التقطها المؤلف بنفسه وأثبتها في كتابه ، وعلى رأسها صورة لجلالة الملك عبدالعزيز التقطها في قصر الشمسية بالرياض في إبريل عام ١٩٣٩ م .

كان المؤلف حريصاً على أن يصف كل شيء بدقة . فهو ياباني ، واليابانيون مغرمون بذلك . واهتم المؤلف بوصف الأبنية وما تتميز به من فن معماري^(٧٣) ونقل هنا وصفه «للغرفة المعدة لتناول الشاي» :

«كانت مساحة الغرفة المعدة لتناول الشاي في الطابق الثاني حوالي ٢٠ متراً مربعاً ، كان الجدار مطلياً باللون الأبيض ، بينما كان السقف عاليًا جدًا ، وفرشت أرضية الغرفة بفرش بدا أنه مصنوع من الريش ! ووضعت وسائد يتكى عليها الزائر وهو جالس . . كان في الغرفة ثمانية رجال من العرب يرتدون المشالحو جلسنا جلسة عربية على فرش الغرفة . . رحب بنا مضيفنا ثم بدأوا في تقديم القهوة ثم الشاي بالنعناع والقرفة ، شربنا في أكواب من الزجاج ثم قدموا لنا حليب الماعز . . ذكروا لنا إن عدد سكان القرية حوالي ٣٠٠ نسمة وفيها ١٢٠ بئر ماء . .»^(٧٤) .

وهكذا يمكن استخلاص معلومات مهمة عن التطور الحضاري الذي شهدته المملكة العربية السعودية فيما يتعلق بتطور المدن ، وتطور فن العمارة العربي ، ونلاحظ هنا وصف المؤلف لقصر بديعة :

«يتكون المبنى من طابقين ، وهو مشيد على طريقة المعمار العربية ، شكل مربع - مثل شكل الكعبة ، وشكل جامعة الأزهر ، وشكل قصر الحمراء في غرناطة في أسبانيا - لا يختلف عن تصميم الفن المعماري العربي الإسلامي ، والسلالم ضيقة تسمح لرجلين فقط بالصعود معاً ، هي مبنية بالطين ، ويوجد ما يشبه السجادة على السلالم يبدو أنها مصنوعة في اليابان ، وفي آخر السلالم وضعت سجادة يبدو أنها مصنوعة في مصر ، وحتى لا تتسخ السجادة وضعوا «حصيرة» لمسح الأحذية . . . في الطابق الثاني غرفة الضيوف ، غرفة واسعة . . شمننا رائحة الطين . . وفي الغرفة توجد حصيرة وضعت فوقها سجادة ، وكان السقف مطلياً باللون الأبيض وكذلك كانت جدران الغرفة أيضاً ، وعلى السقف نجوم وهلال وغيرها من الأشكال الهندسية ، وكانت عروق الخشب ظاهرة من السقف وهي مطلية بخطوط حمراء وسوداء على شكل تموجات ، وعلى الحائط كانت هناك زخرفة على الطريقة العربية أشكال هندسية ومنمنمات .

«كان للغرفة سبع نوافذ أو ثمان وحجم كل منها ٦٠×٣٠ ستيمترا وفي كل نافذة «شيش» من الخشب ، لا يمكن فتحه مع قضبان حديدية ، وهناك مساحة في أعلى النافذة مغطاة بالزجاج تسمح لضوء الشمس بالمرور إلى الغرفة ، ومن خلال هذه النافذة تمكنا من معرفة سمك الجدار ، كان ثلاثين ستيمترا ، وهو كاف لمنع دخول الحرارة إلى الغرفة ، وكانت هناك ستائر بدا واضحاً أنها مصنوعة في اليابان ، وشاهدنا خطأ كهربائياً في السقف لكن لم يكن هناك مصباح كهربائي ربما هناك خطأ ما ، وبجوار الحائط وضعت أريكة وكرسي من الخيزران وبجوارهما منضدة ، وفي وسط الغرفة وضعت طاولة صغيرة رأينا فوقها محبرة وقلماً وسكيناً ، وكتب على المحبرة صنع في اليابان . . .» (٧٥) .

وهكذا يستمر الكاتب في وصفه الدقيق للمعمار العربي .

ومن المعلومات القيمة التي يجدها الباحث في الرحلة تلك التي تتعلق بالآراء السياسية للملك عبدالعزيز وحنكته فيما يتعلق بالعلاقات الدولية^(٧٦)، فهي تلقي الضوء على مجريات الأحداث الدولية آنذاك، وخاصة أن الكاتب تحدث عن البحرين والعراق و وفاة ملك العراق (غازي) والعلاقات مع بريطانيا، إلخ^(٧٧).

ويؤكد الكاتب على براعة العرب وإبداعهم حين شاهد «السانية» في قصر بديعة وقال إنها آلة عربية يمكن تطويرها، والمهتمون بالمناخ والجو في جزيرة العرب يجدون معلومات مهمة في الرحلة، فقد وصف المؤلف أجواء الجزيرة العربية وشاهد المطر والسيل، وتحدث عن كيفية مراقبته والتقارير التي ترفع للمسؤولين عنه:

«... وسمعت أن هناك تقريراً عن المطر وصل إلى الملك من كل قبيلة في المملكة، وأن من يرسل تقريره أولاً ينال منحة ذهبية من الملك تصل إلى نحو ٥٠ أوقية... لكن هؤلاء الناس مراقبي السيل لم يفحصوا الأمر بالآلات أو بالطرق العلمية، بل استخدموا أسلوب المشاهدة بالعين وسوف يرفعون تقريرهم إلى الملك قائلين: إن في هذا المكان أو في غيره كذا ستتمتراً من الماء، وإن الأشجار سقطت وطففت، وإن البيوت المصنوعة من الطين تهدمت ومثل هذه الأمور»^(٧٨).

ياباني في مكة:

أما الرحلة الثانية فهي في الأصل بعنوان رحلة الحج إلى مكة المكرمة، (سيتشي مكة جونري)، وتكمن أهميتها في المقام الأول في أنها بقلم ياباني مسلم: تاكيشي سوزوكي (الحاج محمد صالح) قدم لأداء فريضة الحج أكثر من مرة (حج عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م وعام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م وعام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م)، ثم كتب ذكرياته عن حجه الأخير واستطرد أثناء كتابته ليحكى ذكرياته عن أسفاره السابقة، وطبع رحلته بعد عدة سنوات وبالتحديد سنة ١٩٤٣م.

ولد تاكيشي سوزوكي في إبريل سنة ١٩٠٤م في محافظة كناغاوا القريبة من طوكيو ، وتزوج وعقد قرانه في مسجد طوكيو الذي كان على وشك أن يفتتح (عام ١٩٣٨م) . ويذكر أنه سافر إلى جزيرة جاوة وشارك في دعم المسلمين في إندونيسيا ، ويقال إنه ترأس منظمة جهادية إسلامية في جزيرة سيليبز تعرف باسم جماعة سيليبز الإسلامية^(٧٩) . وقد توفي في أول إبريل سنة ١٩٤٥م بعد أن غرقت السفينة التي كانت تقله إلى اليابان^(٨٠) .

والرحلة على درجة كبيرة من الأهمية لمن يدرسون تطور خدمات الحجيج ، وتطور منطقة المشاعر المقدسة ، وكذلك من يهتم بدراسة علم الاجتماع والتطور الثقافي ، وعلاقات العالم الإسلامي المتشابكة في ظل السيطرة الأوروبية على بلدانه في تلك الفترة . أما دارسو التاريخ فنصيبهم من المعلومات كبير . فالكتاب يلقي الضوء على تاريخ كفاح المسلمين ، وبالطبع من وجهة نظر يابانية لكن إسلامية . ويجب أن نأخذ في الاعتبار العلاقة المتوترة بين بريطانيا واليابان في تلك الفترة الزمنية ، وأن نأخذ في الاعتبار الشعور القومي الياباني الذي يسيطر على الكاتب ، ويظهر أحياناً واضحاً جلياً في كتاباته .

والرحلة تقدم معلومات طيبة عن الطرق والعمران ووسائل المواصلات في تلك الفترة ، بالإضافة إلى المعلومات الخاصة بالبشر وبالمجتمع ووضع الرجل والمرأة فيه ، وذكر أعلام رجال الدولة الإسلامية والعلماء ، ووصف المدن والموانئ وخاصة أن الكاتب وصل أولاً إلى بورسعيد ومنها إلى القاهرة فالسويس ثم جدة ومكة ، ووصف الطريق البحري والطرق البرية التي كانت لاتزال غير معبدة ، كما وصف وسائل النقل البحري والبري والجوي وبخاصة أنه شاهد بداية استخدام الطائرات في النقل الداخلي .

وتقدم الرحلة أيضاً معلومات عن أهمية التبادل التجاري بين اليابان والعالم الإسلامي ككل والمملكة العربية السعودية بشكل خاص ، كما توضح التنافس التجاري القائم آنذاك بين دول العالم ، فتحت عنوان «فيلم دعائي على ظهر سفينة» جاء كالاتي :

« . . . حين عرض الفيلم الثاني أردت أن أغادر المكان . . كان فيلمًا تجاريًا عن القطن المصري وكان يحمل في الوقت نفسه دعاية سيئة من جانب شركة مصر ، تهدف إلى رفض المنتجات اليابانية ، دعاية سيئة للغاية . . كان فيلمًا دعائيًا سخيفًا ، قصة بسيطة بدون تفاصيل لكنها قصة مأكرة . . إنني أعترف أن هذا الفيلم - رغم أنه ضد بلادي - إلا أنه فيلم ناجح دعائيًا بلا شك . . وقد صفق المشاهدون كثيرًا مما يعني أن الفيلم كان مؤثرًا ولو عرض الفيلم على المصريين فقط لما كان له تأثير كبير . لكن على ظهر السفينة أناس من جميع بلدان الشرق الأوسط ، بالإضافة إلى بلدان أفريقيا من جميع طبقات المجتمع»^(٨١) .

أوضح المؤلف أهمية العالم الإسلامي كسوق مستهلك للمنتجات اليابانية ، وثقة العالم الإسلامي في هذه المنتجات وكتب رأي الشيخ عبدالله بن سليمان وزير المالية :
 « . . تحدثنا (المؤلف والشيخ عبدالله بن سليمان) عدة مرات في هذا الموضوع أثناء وجودنا في مكة قال :

- كما تعلم لدينا ثقة كبيرة في المنتجات اليابانية وحكومتنا هنا توصي بصفة خاصة بضرورة الاستيراد من اليابان ، كما أننا نخفض «التعريف الجمركية» بالنسبة للبضائع اليابانية مما أثار غضب بريطانيا . . لكن لا يمكن لأحد التدخل في شؤوننا فهذا أمر داخلي يخص بلدنا . . »^(٨٢) .

ويمكن لدارسي جغرافية المدن الحصول على معلومات مفيدة (الرحلة : وصف بورسعيد ص ٥٨ ، وصف السويس (ص ٦٢) ، وصف بحرة والطريق الواصل إليها (ص ١١٧) ، وبوابة مكة (ص ١١٨) ، وصف الحرم المكي (ص ١٣٦) وما بعدها ، وصف مكة المكرمة في الليل (ص ١٤١) ، وصف البيوت في مكة (١٥٢) وما بعدها ، وصف الكرنيتنة (الحجر الصحي) في جبل الطور^(٨٣) .

أما أسلوب وطريقة الحياة والعلاقات الأسرية العربية فيمكن التعرف عليها مما كتبه المؤلف في مواضع مختلفة من الرحلة^(٨٤) ، وبالمثل التطور التاريخي للمنطقة من وجهة نظر يابانية ، وتفسير بعض الحوادث التاريخية التي وقعت في تلك الفترة^(٨٥) .

كما تعد هذه الرحلة مصدراً مهماً للمعلومات المتعلقة باتجاهات مسلمي العالم آنذاك ، ووجهات نظرهم فيما يتعلق بالدول الأوروبية الكبرى وخاصة إنجلترا ، وقد قدم المؤلف هذه المعلومات أثناء حديثه عن الاجتماعات التي كان يعقدها رؤساء بعثات الحج من الدول الإسلامية المختلفة^(٨٦) . وعن توحيد الجزيرة العربية وتأسيس المملكة العربية السعودية تقدم الرحلة معلومات مهمة^(٨٧) ، بالإضافة إلى بيان الصراع القائم بين اليابان والصين في تلك الفترة ، واستغلال موسم الحج للدعاية من قبل الجانبين الصيني ويمثله بعض الصينيين المسلمين ، والياباني ويمثله مؤلف الرحلة ورفيقه السيد / تشان . ونثبت هنا بعض ماجاء في الرحلة :

« . . . في سنة ١٩٣٧م أي السنة الثانية عشرة من شوا- تقويم ياباني- وهي سنة ١٣٥٥هـ حضرت المؤتمر الديني في الحج . في تلك الأثناء بدأ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وعجزت بريطانيا عن إيجاد حل لهذه القضية مما أثار العداء لبريطانيا داخل الاجتماع الذي حضره المفتي أمين الحسيني الذي كان يقود المعارضة ضد بريطانيا ، وقد احتلت هذه القضية موضع الصدارة في المؤتمر فقد أراد الجميع التعبير عن مشاعر التضامن مع الفلسطينيين . . . كما حدثت في السنة نفسها مشكلة في إحدى المقاطعات الإسلامية في الصين وكان أهلها يريدون الاستقلال عن الحكومة المركزية في الصين إلا أن قضية فلسطين كانت أعنّ ومن هنا لم تظهر مشكلة الصين على السطح . . . وكان هناك أيضاً حجاج من أثيوبيا جاءوا لأول مرة بعد الحرب بين إيطاليا وأثيوبيا فتحدث هؤلاء عن الحرب . . . وعبروا عن إعجابهم بموسيليني فقد ولدت أثيوبيا من جديد كبلد إسلامي ! هكذا قالوا . . . ويؤكد الحجاج الأثيوبيون الآن على أن موسيليني كان صادقاً فيما قال

لأنه بنى مسجداً في العاصمة وقدم مساعدات مالية للحجاج المسلمين . . أما ما يدور في اليمن فقد طرأ عليه تغير وتأثر بمجريات الأحداث في أثيوبيا»^(٨٨) .

خاتمة :

وهكذا يتضح أن الرحلة اليابانية في الآداب الشرقية تعد مصدراً مهماً للمعلومات عن عالمنا الإسلامي ، في فترات مختلفة عبر التاريخ ، مما يؤكد على ضرورة دراسة مثل هذه الرحلات ، وترجمتها إلى اللغة العربية ، للوقوف على المعلومات التفصيلية التي يسجلها الرحالة عادة في رحلاتهم ، وتحتاج منا إلى فحص وتدقيق ، فلا يدعي الباحث أن الرحالة جميعاً لهم قدرات متساوية ، أو أنهم تخلصوا من عواطفهم الداخلية ، أو مشاعرهم الذاتية أثناء كتابتهم ، أو عرضهم لأفكارهم ، أو أنهم جميعاً اعتمدوا على مصادر موثقة ، أو سمعوا من أناس ثقة ، فالأمر أولاً وأخيراً يحتاج إلى دراسة متأنية ، لكل ما كتب في أدب الرحلات ، باعتباره مصدراً لا يمكن تجاهله من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي .

الهوامش

- (١) ضيف ، شوقي . الرحلات . القاهرة : دار المعارف . [١٩-] . ص ٦ .
- (٢) فهيم ، حسين محمد . أدب الرحلات . الكويت : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ١٢١ . سلسلة عالم المعرفة ١٣٨ .
- (٣) تقع الرحلة في ٢٣٤ صفحة . القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٣٦م . ومن الجدير بالذكر أن هناك رحلات مهمة أخرى اتجه أصحابها وكانوا من شيوخ الأزهر إلى أوروبا ، ومنهم الشيخ حسن توفيق العدل ، الذي ارتحل إلى ألمانيا وكتب «الرحلة البرلينية» ، طبعت في مطبعة الصنائع ببولاق في عشرة أجزاء صغيرة ، وله أيضاً رسائل البشري في السياحة في ألمانيا وسويسرا ، وطبعت بالمطبعة الأميرية . وقد ولد حسن توفيق عام ١٨٦٢م ، وتخرج في دار العلوم ١٨٨٧م ، وبدأ رحلته فور تخرجه ، انظر جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٧٢٩٢ الأحد ١٩٩٨/١١/١٥ م .
- (٤) سيد ، أنور ، اردو ادب مين سفرنامه (بالأردية) مغربي باستاني اردو اكيدي لاهور ، [أ. سيد] ، بدون تاريخ ، ص ١٦٥ وما بعدها .
- (٥) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
- (٦) انظر عاكف ، سيد أبو أحمد Reflections of Japan in Pakistani Eyes Published by Naay Ufaq Publications Karchi, p.89
- (٧) المصدر السابق ، ص ١٠٣-١٢٤ .
- (٨) طبعت في «كولدن بريس حيدر آباد» والناشر حسامي بك دبو مجهلي كمان .
- (٩) انظر Hee-Soo Lee. The Advent of Islam in Korea: a historical [s.n] Account. Istanbul, 1997, p.152
- (١٠) ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشي . الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٩٩٩م .

- (١١) كان الوفد يتكون من ماسويو كي يوكوياما الوزير المفوض في سفارة اليابان بمصر وتومويوشي ميتسوتشي وهو مهندس بوزارة الصناعة والتجارة الدولية ومؤلف الرحلة إيجيرو ناكانو ، وقد أوردت جريدة أم القرى نبأ وصول الوفد وتوجهه إلى الرياض وذكرت أن إيجيرو ناكانو هو سكرتير الوزير الياباني . انظر العدد ٧٤٧ السنة ١٥ الجمعة ١٧ صفر ١٣٥٨ هـ / ٧ إبريل ١٩٣٩ م ، وانظر الرحلة اليابانية الترجمة العربية ، الطبعة الأولى ، ١٠٦-١٠٥ .
- (١٢) ترجمة سارة تاكاهاشي . الطبعة الأولى . الرياض ، ١٤١٦ هـ .
- (١٣) نصار ، حسين . أدب الرحلة ، مكتبة لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٢٠-١٩ .
- (١٤) فهم . مرجع سابق . ص ١٩ .
- (١٥) ضيف . مرجع سابق . ص ٩٨ .
- (١٦) انظر ما ورد في كتاب Hee-Soo Lee عن دعوة الإمبراطور الياباني لعقد مؤتمر في طوكيو لشرح مبادئ الإسلام . ص ١٥٦ وما بعدها .
- (١٧) انظر إبراهيم ، سمير عبد الحميد . الرحلة اليابانية للرجاوي ، تحقيق وتقديم مؤسسة الرسالة . ط ١ . ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م . ص ٥٢ .
- (١٨) المرجع السابق ، ص ٥٥ .
- (١٩) الرحلة ، ص ١٦٢ .
- (٢٠) في سنة ١٩٠٨ م وبالتحديد في أغسطس يوم الاثنين ٧ رجب ١٣٢٦ هـ تمت ترجمة الرحلة إلى اللغة الأردنية وروجعت في سبتمبر ١٩٠٨ م وصدرت الطبعة الأولى في لاهور .
- (٢١) الرحلة ، ص ٥٤ .
- (٢٢) الرحلة ، ص ١٣٩ وما بعدها .
- (٢٣) نفسه ، ص ٧٢ .
- (٢٤) نفسه .

- (٢٥) نفسه ، ٧٤ .
- (٢٦) نفسه ، ٧٥ .
- (٢٧) نفسه ، ص ٦٢-٦٣ .
- (٢٨) نفسه ، ص ٧٠ .
- (٢٩) نفسه ، ٦٢-٦١ .
- (٣٠) نفسه ، ص ٦٢ .
- (٣١) انظر سفرنامه جابان المقدمة بالأردية .
- (٣٢) الرحلة اليابانية ، تحقيق سمير عبد الحميد ، ص ٩ .
- (٣٣) يلاحظ أن أسماء المسلمين في الهند تكون عادة مركبة كأن يكون اسمه محمد حسين بن حسين عبدالمؤمن .
- (٣٤) انظر سفرنامه اردو ، ص ١٩٢ وما بعدها .
- (٣٥) كانت تصدر من لاهور ثم صدرت من باكستان بعد تقسيم شبه القارة .
- (٣٦) المقدمة نقلا عن كتاب سيد أبو أحمد عاكف (بالإنجليزية) ، ص ٨٩ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .
- (٣٨) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
- (٣٩) الدنيا كرة لابن انشا نقلا عن المصدر السابق ، ص ٣٩ .
- (٤٠) المصدر السابق ، ص ١١٠-١١١ .
- (٤١) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
- (٤٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
- (٤٤) المصدر نفسه .
- (٤٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ وما بعدها .
- (٤٦) مثل الينابيع الحارة في كوستاسو بقلم السيدة ن هبرلاس سنة ١٩٣٥م ومثل كرن ، تنلي ، بكيولا بقلم بروين عاطف سنة ١٩٨٦م ومثل مع ضوء الشمس لزكية أرشد

- حميد سنة ١٩٨٨ م ، وأيضاً حقيقت جابان لمحمد بدر الإسلام فضلي دهلي
 ١٩٣٠ م ، وسايونارا النجمة افتخار خواجه لاهور ١٩٨٩ م .
- (٤٧) في حيدر آباد بالهند ، حسام بك دبو ، مجهلي كمان .
- (٤٨) الطبعة الأردنية ، ص ١٧٠ .
- (٤٩) الرحلة ، ص ٦١ .
- (٥٠) الرحلة ، ص ١٢٤ وما بعدها .
- (٥١) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
- (٥٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ ، وعادة ما يبالغ الناس في عدد المسلمين في اليابان ،
 انظر سمير عبد الحميد إبراهيم ، الدعوة الإسلامية في اليابان بين نظريات الدعاية
 وواقعات التطبيق .
- (٥٣) الرحلة ، ص ١٢٦-١٢٧ .
- (٥٤) الرحلة ، ص ١٢٨ .
- (٥٥) انظر Hee-Soo Lee ، ص ١٤٩ .
- (٥٦) انظر ما ورد ذكره عن ذلك في المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
- (٥٧) المصدر السابق ، ص ١٥٠ ، وما كتبه تزاوا تاكويما في كتابه باليابانية بعنوان «مسلم
 نيبون» أي المسلمون اليابانيون ، ط شوغاكو كان طوكيو يناير ١٩٨٩ م ،
 الصفحات المتعلقة بالموضوع .
- (٥٨) انظر ما كتبه الكوري هي سولي ، ص ١٥١-١٥٢ .
- (٥٩) كتب الأستاذ فامبري الذي كان متخصصاً في أحوال آسيا الوسطى ويعمل لحساب
 بريطانيا عن أهمية الرحلة (سياحت كبرى) فقام السفير البريطاني في بطرسبرج
 (سير أ. نيكلسون) على الفور بإطلاع الحكومة البريطانية على ذلك ، في خطاب
 بتاريخ ٦ مارس ١٩٠٨ م برقم ٦٤ وأرسل أربع نسخ من الكتاب ، المصدر
 السابق ، ص ١٥٢ .

- (٦٠) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .
- (٦١) توفي عام ١٩٤٤م والده إبراهيم أخوند كان في الأصل تركيا من بخارا .
- (٦٢) ويحتاج هذا إلى تحقيق وبحث ، وقد كتب عن هذا الموضوع مؤلف كتاب مسلم نيبون بالتفصيل ، انظر كتاب الإسلام والأديان في اليابان لسمير عبد الحميد إبراهيم تحت الطبع .
- (٦٣) ص ١٨١ ، في كتابه The Advent of Islam in Korea .
- (٦٤) مقال للدكتور محمد حرب بعنوان «داعية الإسلام من سيبيريا إلى اليابان» مقال نشر بجريدة المسلمون ، عدد ٤٢٥ الجمعة ٤ شوال ١٤١٣هـ .
- (٦٥) مقال الدكتور حرب ، ويبدو أن هناك خطأ في ذكر التواريخ أو أن النص مأخوذ من رسالة لعبد الرشيد بعد عودته إلى اليابان لتوليّه إمامة مسجد طوكيو بعد افتتاحه .
- (٦٦) عالم إسلام ، ص ٤٥٤ نقلا عن كتاب هي سولي ، ص ١٨٢ .
- (٦٧) كتاب هي سولي ، ص ١٨٣ .
- (٦٨) المصدر السابق ، ص ١٨٤ ، ويذكر أن السلطان قد أشار في مذكراته إلى علاقته باليابان ، بل وطلبه من اليابان مساعدة دولة الخلافة في التنقيب عن البترول ، يذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته ما يأتي : « . . لكننا أيضاً شممنا رائحة البترول بعد الإنجليز والألمان ، ولذلك طلبت من اليابان وفداً متخصصاً في التنقيب عن البترول ووافقت اليابان على طلبي . . لا أعرف بقية هذا الموضوع لأنني أبعدت عن العرش بعد قليل » انظر د . محمد حرب : مذكرات السلطان عبد الحميد ، ط دار الأنصار بالقاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٧٤ .
- (٦٩) المقدمة المترجمة للرحلة ، ص ي .
- (٧٠) اهتم الباحثون والأدباء بهذه الرحلة بعد ترجمتها إلى العربية وعلى رأسهم علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ، كما قامت دار الملك عبدالعزيز بإصدار طبعة ثانية للرحلة بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية الحديثة على يد الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه .

- (٧١) الرحلة ، مقدمة المؤلف .
- (٧٢) الرحلة ، ص ن .
- (٧٣) الرحلة ، ص ٥٥-٥٤ .
- (٧٤) الرحلة ، ص ٤٨٤٧ .
- (٧٥) الرحلة ، ص ٨٣-٨٢ .
- (٧٦) الرحلة ، ص ٩٣ وما بعدها تحت عنوان «نقاش مع الملك» .
- (٧٧) الرحلة ، ص ١١٨-١١٥ .
- (٧٨) الرحلة ، ص ١٣٩-١٣٨ .
- (٧٩) انظر مقدمة المترجمين ، ص ٢٢ وما بعدها ، وأيضاً ص ٢٦ .
- (٨٠) الرحلة ، ص ٧٩ ، وص ٨١ .
- (٨١) الرحلة ، ص ٢٩٩ وما بعدها .
- (٨٢) الرحلة ، ص ٣٠٣ وما بعدها .
- (٨٣) الرحلة ، ص ١٦٠ وما بعدها .
- (٨٤) الرحلة ، ص ٢٠٧ وما بعدها .
- (٨٥) الرحلة ، ص ٢٤٢ وما بعدها .
- (٨٦) المصدر نفسه .
- (٨٧) الرحلة ، الفصل بعنوان «مقابلة الملك ابن سعود» ص ٢٣٠ وما بعدها .
- (٨٨) انظر التفاصيل في الرحلة ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

مصادر البحث

أولاً: مصادر باللغة العربية :

- إبراهيم ، سمير عبد الحميد . الرحلة اليابانية للجرجاوي / اهتم بنشرها وتحقيقها والتقديم لها . ط ١ . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- إبراهيم ، سمير عبد الحميد . الدعوة الإسلامية في اليابان بين نظريات الدعاية وواقعيات التطبيق . ط الجريسي . القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- ثابت ، محمد . جولة في ربوع آسيا بين مصر واليابان . القاهرة : مكتبة النهضة . ١٩٣٦ م .
- الجرجاوي ، علي أحمد . ، الرحلة اليابانية . ط ١ . مطبعة جريدة الشورى بمصر . ١٣٢٥ هـ .
- حرب ، محمد (مترجم) . مذكرات السلطان عبد الحميد . القاهرة : دار الأنصار . ١٩٧٨ م .
- سوزوكي ، تاكيشي . ياباني في مكة / ترجمة سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي . الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٩٩٩ م .
- ضيف ، شوقي . الرحلات . القاهرة : دار المعارف ، [١٩-] .
- فهم ، حسين محمد . أدب الرحلات . الكويت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م . سلسلة عالم المعرفة ١٣٨ .
- قنديل ، فؤاد . أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الشباب (٣٤) . القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة . ١٩٩٥ م . سلسلة شهرية .

ناكانو ، إيجيرو . الرحلة اليابانية / ترجمة سارة تاكاهاشي . الرياض : دار الملك عبدالعزيز ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .

نصار ، حسين . أدب الرحلة . [بيروت] مكتبة لبنان ، [١٩-] .

ثانياً : مصادر باللغة الأردية :

ابن إنشا . دنيا كول هي . لاهور أكاديمي ، ١٩٧٢ م .

ابن إنشا . ابن بطوطة كي تعاقب مين . لاهور أكاديمي ، ١٩٧٤ م .

بهلوارى ، حسن ميان (مترجم) . سفرنامه جابان/ مصنف علي أحمد جرجاوي ، حررها مولوي محمد إنشاء الله . ط ستيم بريس ، لاهور ، ١٩٠٨ م .

بيك ، مرزا حامد . اردو سفرنامه كي : مختصر تاريخ . اسلام آباد ، ١٩٨٧ م .

حسين ، محمد . ١٩٠٧ م كاجابان ادبي دنيا . لاهور ، ١٩٤٧ م .

حسين ، مجتبي . جابان جلو حيدر آباد حسامي بك دبو الهند . ط ١ . ١٩٨٣ م .

راجہ ، نجمة افتخار . ساونارا برنتنك بريس . لاهور ، ١٩٨٩ م .

سدید ، أنور . اردو ادب مين سفرنامه مغربي باكستان اردو اكيدي . لاهور ، [١٩-] .

فضلي ، محمد بدر الإسلام . حقيقت جابان ذهبي ، ١٩٣٠ م .

قريشي ، قدسية . اردو سفرنامه انيسوين صدي مين لكهنو ، ١٩٨٧ م .

محمد ، خالد . اردو سفر نامون كا تنقيدي مطالعه دهلي ، ديسمبر ١٩٩٥ م .

ثالثاً : المصادر باليابانية :

- تراوا ، تاكويما . مسلم نيبون . طوكيو : شوغاكو كان ١٩٩٨ م .

- سوزوكي ، تاكيشي . سيتشي مكه جونريثي . طوكيو ، ١٩٤٣ م .

- كومورا ، الحاج مصطفى . نيهون اسلام شي . طوكيو ، ١٩٨٨ م .
- ناكانو ، إيجيرو . كايسونو أرابيا كيكو . طوكيو ، ١٩٤١ م .
- ياماوكا ، ميتسوتارو ، ارابيا جودانكي ، تادو شوبو طوكيو ، ١٩١٢ م .

رابعاً : مصادر بالإنجليزية :

- Akif, Abu Ahmed. Reflections of Japan in Pakistani eyes Karach, 1992.
- Lee, Hee-Soo. The Advent of Islam in Korea. Istanbul, 1997.
- Morimoto, Abu Baker Islam in Japan. Islamic Center , 1980

خامساً : الدوريات :

- جريدة المسلمون ، العدد ٤٢٥ ، الجمعة ٤ شوال ١٤١٣ هـ .
- مجلة اليمامة ، أسبوعية ، الرياض عدد ١١٨٣ ، ٢٨ جمادى الأولى ١٤١٢ هـ .
- ساقى ، مجلة أدبية شهرية (بالأردية) عدد يناير ١٩٣٦ م .
- مجلة السلام (باليابانية) تصدر عن المركز الإسلامي باليابان ، أعداد متفرقة .

الرحالة العرب مستكشفو غرب أفريقيا جنوب الصحراء

المهندس / لطف الله قاري (*)

المستخلص

قبل ظهور الإسلام لم يكن معروفاً من بلاد غرب أفريقيا جنوب الصحراء إلا القليل، وبعد أن تأسست الدولة الإسلامية أصبحنا نجد معلومات عن تلك البلاد في كتب الجغرافيا العربية الأولى. ونلاحظ في تلك الكتب الجغرافية المبكرة أن المؤلفين يذكرون القدر الكبير من المعلومات حول مشاهدات الرحالة. ولكنهم لا يذكرون اسم صاحب الرحلة الذي أمدهم بالمعلومات، وبذلك بقي أكثر هؤلاء مجهولين في أغلب الأحيان. ولكننا نستطيع أخذ فكرة عن حياة هؤلاء الرحالين المجهولين بدراسة كيفية إتمام رحلات القوافل. وأي السلع تمت المتاجرة بها، ومعلومات أخرى مثل وصف المعاملات التجارية. فهؤلاء الرحالة المجهولون من تجار وغيرهم كانوا مصادر المعلومات للجغرافيين الأوائل من أمثال الفزاري والخوارزمي واليعقوبي وابن الفقيه.

وفي القرن الرابع الهجري (١٠م) نجد ابن حوقل يزور أودغست كأول جغرافي ورحالة معروف. وفي القرن التالي (٥هـ / ١١م) نجد البكري يؤلف كتابه بفيض من التفاصيل الدقيقة حول المنطقة، استقاها من رحلة ذهبوا إليها، وخاصة السفراء، لأن كتابه يحمل آخر الأخبار إلى وقت تأليفه. وفي القرن التالي (٦هـ / ١٢م) نجد الإدريسي يقوم برحلة إلى المغرب، ويؤلف كتابه مليئا بالمعلومات حول المنطقة.

(*) مهندس بمدينة بنع الصناعية .

وفي القرن السادس أو السابع الهجري (١٢/١٣م) يقابلنا الملاح ابن فاطمة الذي قام بعدة رحلات حول الشاطئ الغربي للقارة السمراء . ونجد سجلا لرحلاته في مؤلفات ابن سعيد المغربي . ومنها يتضح لنا أنه أول رحالة يذهب في الرحلات البحرية إلى أبعد من الرأس الأبيض Capo Bianco الذي هو في شمال غرب موريتانيا الحالية . وقد دار ابن فاطمة هذا حول القارة إلى أن وصل إلى مدغشقر التي وصف سكانها وصف عالم محيط بأحوالها . وقد وصف بعض الجزر القريبة من من السواحل والخلجان الضحلة التي لا تسلكها السفن الكبيرة ، وذلك بمنطقة غرب أفريقيا . وتمثل كشوفه في سواحل ووسط أفريقيا فتحا جديدا في الجغرافيا ، بحيث كانت معلوماته مجهولة لدى الأوربيين إلى مائتي عام بعده .

وعاش الدكالي المغربي خمسا وثلاثين سنة في عاصمة مملكة مالي في عصره . فكان هذا الرجل المصدر الأساسي للمعلومات التي سردها ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) في موسوعته "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" حول مالي . وهي معلومات غنية بالفوائد والتفاصيل . وبكيفية مماثلة نجد عند ابن خلدون (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) في كتابه «العبر» فصلا قيما عن ممالك السودان الغربي ، اعتمد فيه على رجال رحلوا إلى تلك الديار وعاشوا فيها ، بالإضافة إلى كتب ابن سعيد المغربي والإدريسي والبكري .

وفي الفترة المتزامنة تقريبا مع العمري وابن خلدون نجد كتابات الرحالة العالمي ابن بطوطة . فهو قام برحلة إلى تلك البلاد في الفترة من ٧٥٣-٧٥٤هـ (١٣٥٢-١٣٥٣م) .

وقام ليون الأفريقي (الحسن الوزان) برحلة سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م برحلة مع عمه الذي كلف بمهمة سفير لملك فاس إلى ملك الصنغي . فعاد الحسن بمعلومات مفيدة كانت جديدة حتى على المغاربة في عصره . فتحدث عن ممالك جني وتنبتك ومالي وجاو .

ورحل عبد الرحمن السعدي (١٠٠٤-١٠٦٦هـ / ١٥٩٥-١٦٥٦م) من مدينة تمبكتو إلى جني وبلاد مسينا التي كانت إمبراطورية فولانية، وترك لنا وصفا لهذه الرحلات في كتاباته .

وتناقش الورقة أخيراً وبإيجاز تأثير أولئك الرحالة المستكشفين على الأبحاث المعاصرة حول تاريخ وآثار تلك البلاد، ولو أن أهمية مساهماتهم لا تحتاج إلى كثير من التوضيح . فهي مساهمة مهمة في تاريخ اكتشاف العالم، تسجل في كل دوائر المعارف الكبيرة .

الرحالة العرب مستكشفو غرب أفريقيا جنوب الصحراء

١- تمهيد :

منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وما تلاه تأسست قواعد لمجموعات تجارية عربية مقبلة من المغرب العربي إلى بلاد الساحل (أي الشاطئ الغربي لأفريقيا)، تلك البلاد التي نجد أول وصف لها في كتب الجغرافية العربية. ونتج عن هذا نشوء أو تطور مدن مثل أودغست وغانة وجني وغاو وتادمكة وأغدس. فكانت الرحلات التجارية التي ذهبت إلى هذه البلدان أولى الرحلات التي نتجت عنها طرق ومسالك محددة ومعروفة منذ ذلك الوقت. وأصبحت تلك الطرق والمسالك محاور لعلاقات إنسانية وفكرية ودعوة دينية إلى الإسلام^(١). وتبين لنا تواريخ الفتوح والغزوات الإسلامية والمصادر المبكرة التي تحدثت عن غرب أفريقيا أن الصلات بين العرب وأهل تلك البلدان تمت منذ القرن الأول الهجري (٧م)^(٢). فكانت هناك ثلاثة منابع رئيسية وفدت منها الإسلام ولغته وحضارته: (٣)

(١) من مصر إلى النوبة، ثم إلى برنو ثم إلى بلاد الهوسا.

(٢) عن طريق الحبشة إلى اليوروبا والأشانتي (أي الأقوام المنحدرين من أحباش هاجروا إلى غرب أفريقيا بعد ظهور الإسلام).

(٣) من شمال أفريقيا عبر الصحراء إلى حوض النيجر وغربه.

فقبل ظهور الإسلام لم يكن معروفاً من تلك البلاد إلا القليل. وما إن تأسست الدولة الإسلامية حتى صرنا نجد المعلومات الوافرة في كتب الجغرافية العربية المبكرة، عن مدن تقع اليوم ضمن دول موريتانيا والسنغال ومالي والأقطار الأخرى جنوب الصحراء

الكبرى . وهذه المعلومات استقاها المؤلفون من الرحالة والتجار الذين زاروا تلك المدن، إلا في حالة كون المؤلف هو نفسه صاحب الرحلة . فقد صرح مؤلفو الكتب الجغرافية العربية بأنهم اعتمدوا في وصفهم للبلاد التي لم يزوروها على من قابلوهم من أهل البلاد الموصوفة . وكل واحد منهم كان يدقق في المعلومات التي ترد إليه ويفحصها بطريقة الخاصة .

فابن واضح اليعقوبي (ت حوالي ٢٩٥هـ / ٩٠٨م) عني في شبابه بأخبار البلدان «لأنني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري، ودام تغريي . فكنت كلما لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره . . . ثم أثبت كل ما يخبرني به من أثق بصدقه، وأستظهر بمسألة قوم بعد قوم، حتى سألت خلقا كثيرا، وعالما من الناس في الموسم وغير الموسم، من أهل المشرق والمغرب»^(٤) . فهو إذن يستظهر (أي يستعين للوصول إلى صحة الخبر) بمسألة قوم بعد قوم .

وابن حوقل (ت حوالي ٣٧٠هـ / ٩٨٠م) يستعمل طريقة أخرى، فهو يقول: «وكنيت إذا لقيت الرجل الذي أظنه صادقا، وإخاله بما أسأله عنه خبيرا عالما، فأجد عند إعادة الخبر - الذي أعتقد فيه صدقه، وقد حفظت نسقه وتأملت طرقه ووصفه - أكثر ذلك باطلا، وأرى الحاكي بأكثر ما حكاها جاهلا . ثم أعاوده الخبر الذي ألتمسه منه والذكر ليسمع الذي استوصفته، وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد روية، وأجمع بينهما وبين حكاية ثالث بالعدل والسوية، فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات . وكان ذلك داعية إلى ما كنت أحسه في نفسي بالقوة على الأسفار، وركوب الأخطار، ومحبة تصوير المدن، وكيفية مواقع الأمصار . . .»^(٥) فهو إذن يؤثر السفر والترحال للتأكد بنفسه من المعلومات التي لا يطمئن إلى أخذها من الرواة .

أما ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) فيقول في هذا الموضوع: «ومن هاهنا نشرع في ذكر الممالك مملكة مملكة . . . ونحن نأخذ في هذا الباب على التحرير

في أكثر ما عرفنا، والتحقيق لأكثر ما لم نعرف، بتكرار السؤال من واحد بعد واحد، عما يعلمه من أحوال بلاده وما فيها، وما اشتملت عليه في الغالب نواحيها. وكنت أسأل الرجل عن بلاده، ثم أسأل الآخر والآخر لأقف على الحق. فما اتفقت عليه أقوالهم أو تقاربت فيه كتبته، وما اختلفت فيه أقوالهم أو اضطربت تركته. ثم إنني أترك الرجل المسؤول مدة أناسيه فيها عما قال، ثم أعيد عليه السؤال عن بعض ما كنت سألت، فإن ثبت على قوله الأول أثبت مقالته، وإن تزلزل أذهب في الريح أقواله. كل هذا لأتروى في الرواية، وأتروى في التصحيح. مع أننا أهل بيت وظيفتهم مجمع وفود وموضع كل صدور وورود^(٦). فهو سليل عائلة توارثت العمل بدواوين سلاطين الممالك لمدة قرن قبله، فكان يجد الكثير من المعلومات من الرسل الوافدة إلى السلطان، أو الذين أوفدهم ذلك السلطان إلى البلدان البعيدة. ومع ذلك فهو يتثبت من الروايات بأكثر من طريقة. فهو يطرح السؤال على أكثر من شخص، ثم يقارن بين الأجوبة. بل يطرح السؤال نفسه على الشخص نفسه في فترات متباعدة، فإذا اختلفت الإجابة ترك الأخذ بها.

هذه الطرق التي ذكرها كل من اليعقوبي وابن حوقل والعمري تعد عند المحدثين طرقاً بدائية لتمحيص الأخبار. ولكن مجرد اهتمام المؤرخ والجغرافي بتمحيصها دليل على أن كتابه أجدر بالوثوق من غيره، ممن كان مجرد حاطب ليل يجمع الغث والسمين، والحقيقي مع الخرافي من الأخبار.

يركّز بحثنا على بيان مساهمة الرحالة المستكشفين من العرب في استكشاف بلاد السودان الغربي، أي البلدان الأفريقية الواقعة في غرب القارة جنوب الصحراء الكبرى. وقد كتب الجغرافيون العرب المسلمون الكثير عن هذه البلدان مما لم يكتبه غيرهم. إلا أن هدف هذا البحث ليس دراسة كل ما كتبه الجغرافيون، وإنما سيتم اقتصار الحديث على كتابات الرحالة في الغالب. ونظّل إطلالة سريعة على ما كتبه بعض مشاهير الجغرافيين في هذا المجال، بعد أن أخذوا معلوماتهم من الرحالة، إما مباشرة أو عن

طريق غير مباشر . وسيكون من أهداف البحث كذلك تبيين الأخطاء التي وقع فيها بعض من كتبوا في هذا الموضوع ، وتوضيح الإنجازات العربية الإسلامية التي تم تجاهلها في بعض الكتب ، مثل الرحالة ابن فاطمة الذي دار حول قارة أفريقيا ووصف مشاهداته في البلدان التي زارها .

٢- تجارة القوافل عبر الصحراء:

نلاحظ في تلك الكتب الجغرافية المبكرة أن المؤلفين يذكرون القدر الكبير من المعلومات حول مشاهدات الرحالة ، ولكنهم لا يذكرون اسم صاحب الرحلة الذي أمدهم بالمعلومات ، وبذلك بقي أكثر هؤلاء مجهولين في أغلب الأحيان . ولكننا نستطيع أخذ فكرة عن حياة أولئك الرحالة المجهولين ، بدراسة الكيفية التي بها تمت رحلات القوافل التي تبعوها ، وأي الطرق سلكت تلك القوافل ، وأي السلع تمت المتاجرة بها ، ومعلومات أخرى مثل وصف المعاملات التجارية . فهؤلاء الرحالة المجهولون من تجار وكلاء ورسول كانوا مصادر المعلومات للجغرافيين العرب .

كانت قوافل الجمال تقطع الصحراء في الخريف والشتاء . فكانت تبدأ سيرها اليومي في الصباح الباكر ، وتستمر إلى الظهر ، فتستريح من حرارة الشمس بنصب الخيام والأشعة ، إلى أن تخف الحرارة ، فتسير القافلة إلى الغروب ، فتحط رحالها إلى صباح اليوم التالي^(٧) .

كانت القافلة تسلك طرقاً معروفة حددتها لنا كتب «المسالك والممالك» ، أي الكتب الجغرافية المؤلفة في وصف الطرق بين المدن المختلفة ، في شمال أفريقيا وغربها^{(٨)، (٩)، (١٠)، (١١)} . فقد وصفت لنا تلك المصادر الحياة الاقتصادية في المدن المختلفة ببلاد المغرب والسودان الغربي ، والطرق المؤدية من مدينة إلى أخرى ، والمسافات بين المدن ، والآبار التي حفرت في تلك الطرق ، خاصة في المناطق الصحراوية خارج الواحات والأماكن المأهولة^{(١٢)، (١٣)، (١٤)} .

وكانت البضائع الواردة من الشمال (أي التي يجلبها تجار العرب إلى الأفارقة) تشمل الملح، الذي كان سلعة ثمينة بحيث يباع بأعلى الأسعار. وتشمل كذلك النحاس والودع (الأصداف) والأقمشة والحلي الزجاجية والعطور والكتب والأسلحة. والأصناف الثلاثة الأخيرة (أي العطور والكتب والأسلحة) لابد أن المتاجرة بها تمت في وقت متأخر، بعد أن تمدنت شعوب المنطقة واعتنقت الإسلام. أما السلع الأفريقية فشملت الذهب والرقيق والنيلة والفلو السوداني والكولا والعاج وبعض الأحجار الكريمة^{(١٥)، (١٦)}.

ونجد في النص الآتي لياقوت الحموي وصفا حيا لرحلة الصحراء الشاقة، ثم لكيفية التعامل التجاري مع القبائل الأفريقية البدائية قبل انتشار التمدن الإسلامي بينها. قال ياقوت: «التبر بلاد من بلاد السودان، تعرف ببلاد التبر. وإليها ينسب الذهب الخالص، وهي في جنوب المغرب. تسافر التجار من سجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة، وجهازهم الملح وعقد خشب الصنوبر... وخرز الزجاج الأزرق وأسورة نحاس أحمر وحلق وخواتم نحاس لا غير. ويحملون منها الجمال الوافرة القوية أوقارها. ويحملون الماء من بلاد لمتونة، ويشربون ويسقون جمالهم. ومن أول ما يشربونها تتغير أمزجتهم ويسقمون، خصوصا لمن لم يتقدم له عادة بشربه. حتى يصلوا إلى غانة بعد مشاق عظيمة، فينزلون فيها ويتطيبون. ثم يستصحبون الأدلاء، ويستكثرون من حمل المياه، ويأخذون منهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين أرباب التبر».

«فيمرون بطريقهم على صحارى فيها رياح السموم، تنشف المياه داخل الأسقية. فيتحيلون بحمل الماء فيها ليرمقوا به. وذلك أنهم يستصحبون جمالا خالية لا أوقار عليها، يعطشونها قبل ورودهم على الماء نهارا وليلا، ثم يسقونها نهلا وعللا (أي بورود الماء مرتين، مرة للعطش والأخرى للاستكثار من الماء) إلى أن تمتلئ أجوافها. ثم

تسوقها الحداة، فإذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء نحروا جملاً وترمقوا بما في بطنه، وأسرعوا السير. حتى إذا وردوا مياهاً آخر ملأوا منها أسقيتهم، وساروا مجددين بعناء شديد، حتى يقدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب التبر».

«فإذا وصلوا ضربوا طبولاً معهم عظيمة، تسمع من الأفق الذي يسامت هذا الصنف من السودان. ويقال: إنهم في مكامن وأسراب تحت الأرض، عراة لا يعرفون سترًا، كالبهائم، مع أن هؤلاء لا يدعون تاجرًا يراهم أبداً، وإنما هكذا تنقل صفاتهم. فإذا علم التجار أنهم قد سمعوا الطبل أخرجوا ما في صحبهم من البضائع المذكورة، فوضع كل تاجر ما يخصه من ذلك، كل صنف على جهة. ويذهبون عن الموضع مرحلة، فيأتي السودان ومعهم التبر، فيضعون إلى جانب كل صنف منها مقداراً من التبر وينصرفون. ثم يأتي التجار بعدهم، فيأخذ كل واحد ما وجد بجانب بضاعته من التبر، ويتركون البضائع وينصرفون بعد أن يضرّبوا طبولهم».

«وليس وراء هؤلاء ما يُعلم (أي لا نعرف بلاداً بعدهم). وأظن أنه لا يكون ثمّ حيوان، لشدة إحراق الشمس. وبين هؤلاء وسجلماسة ثلاثة أشهر»^(١٧).

ذكرنا هذا النص بطوله لكونه يصور لنا الحياة الشاقة للقوافل، والتعامل البدائي مع الأقوام المتوحشة، علماً بأن هذا النوع من التعامل الذي سمي بالتجارة الصامتة ورد ذكره عند هيرودوت وعدد من الجغرافيين العرب^(١٨). وذكرت المصادر أنواعاً أخرى من العملات المستعملة، غير طريقة المقايضة. فمن العملات سبائك الذهب بدون نقوش أو أختام، والودع، وقطع الملح، وقطع النحاس^{(١٩)، (٢٠)}.

وكما هو متوقع من أي تجارة مزدهرة فقد تطورت البلاد الأفريقية ونشأت فيها المدن، ونمت فيها أنظمة للحكم وقامت فيها ممالك. وما إن صارت تلك البلدان دولا مستقرة حتى أنشأ فيها التجار من العرب الوكالات التجارية، وسكن بعضهم تلك المدن. فمنذ القرن الرابع الهجري (١٠م) وصلت إلينا أخبار جاليات تجارية من العرب العراقيين

استقرت في مدينة أودغست، يديرون الأعمال التجارية كوكلاء أو وسطاء تجاريين بين الشمال والجنوب. وفي القرن التالي ازدادت التجارة بسبب قيام دولة المرابطين التي ضمت أغلب مناطق الإقليم موحدة تحت إمرتها. وهذا ما نراه في استعراضنا لأقوال الرحالة الذين جابوا تلك المدن.

٣- الرواد الأوائل:

بعد الفتوح الإسلامية ونشأة العلاقات بين الشمال والجنوب بدأت مدن جديدة تظهر، وبدأت معلومات جديدة تظهر عند علماء العرب عن أفريقيا السوداء. ولم تكن هذه المعلومات موجودة في جغرافية بطليموس. فكان أول من أورد اسم بلدة من غرب أفريقيا هو الفلكي الفزاري (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)، إذ أشار إلى غانة بلاد الذهب (يقصد غانة المدينة المندثرة التي كانت تقع على نهر السنغال، وليس دولة غانا الحالية). ونجد نص الفزاري عند المسعودي الذي ذكر أن الفزاري قال بأن عرض مملكة العباسيين من فرغانة وأقصى خراسان إلى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة (٣٧٠٠) فرسخاً... إلى أن قال «عمل غانة بلاد الذهب (أي مساحتها) ألف فرسخ في ثمانين فرسخاً»^(٢١).

وذكر الخوارزمي (ت حوالي ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م) من تلك البلاد كوكو وغانة، ضمن ما ذكره من مدن لم ترد عند بطليموس^(٢٢). وقد أظهر بحث طويل قام به المستشرق نلليو C.A. Nallino أن كثيراً من المعلومات الجغرافية استجدت لدى المسلمين بسبب انتشار رقعة بلاد الإسلام، وازدهار تجارتها البرية والبحرية. فالتجارة البحرية شملت بلاد الشرق الأقصى وسواحل أفريقيا الشرقية إلى أقصى جنوب القارة، مثل سفالة التي تقع حالياً في دولة موزمبيق. والتجارة البرية شملت بلاد غرب أفريقيا التي نحن بصدددها. وهذا ما يفسر ظهور أسماء البلدان الجديدة في كتاب الخوارزمي^(٢٣).

وجاء اليعقوبي (ت حوالي ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) بتمييز عرق السودان من الأحباش. حيث قال: «وافترق ولد كوش بن حام - وهم الحبشة والسودان - لما عبروا نيل مصر

فرتين . فقصدت فرقة منهم التيمن (أي اتجهوا جنوبا) بين المشرق والمغرب ، وهم النوبة والبُجّة والحبشة والزنج . وقصدت فرقة الغرب ، وهم زغاوة والحس والقافو والمرويون ومرندة والكوكو وغانة» . ثم فصل بعد ذلك الحديث عن كل مملكة من هاته الممالك الأفريقية^(٢٤) .

وابن الفقيه الذي ألف كتابه حوالي سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م يقول : «وإذا جاوزت بلاد غانة إلى أرض مصر انتهيت إلى أمة من بلاد السودان يقال لها كوكو ، ثم إلى أمة يقال لها مرندة ، ثم إلى أمة يقال لها مراوة ، ثم إلى واحات مصر بملسانة»^(٢٥) . ويقول في موضع آخر : «ومن طرقة إلى مدينة غانة مسيرة ثلاثة أشهر ، مفاوز وقفار . وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل ، كما ينبت الجزر ، ويقطف عند بزوغ الشمس»^(٢٦) . والعبارة الأخيرة عن تشبيه الذهب بالجزر تعكس أسلوب ابن الفقيه الذي يمزج المعلومات الصحيحة بالخرافات في كتابه . وقد لاحظ ذلك المقدسي (ت حوالي ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) منذ وقت مبكر قبل أن نلاحظه في عصرنا . فقال بأنه : «أدخل فيه فنونا من العلوم ، مرة يزهد في الدنيا ، ودفعة يرغب فيها ، ووقتا يبكي ، وساعة يضحك ويلهو . وأما كتاب الأمصار للجاحظ فصغير . وكتاب ابن الفقيه في معناه ، غير أنه أكثر حشا وحكايات . واحتجّا بأننا إنما أدخلنا خلال كتبنا ما أدخلنا ليتفرّج فيها الناظر إذا ملّ . وربما كنت أنظر في كتاب ابن الفقيه فأقع في حكايات وفنون من البلدان . ولم أستحسن أنا هذا»^(٢٧) .

الذي يقرأ الاقتباسات السابقة عن الفزاري والخوارزمي واليعقوبي وابن الفقيه يلاحظ ما يأتي :

- ١- معرفة العرب المسلمين الأوائل لبلاد غرب أفريقيا وتسميتهم بلدانها وممالكها منذ وقت مبكر .
- ٢- معرفتهم بكونها تصدر الذهب لأنه كان سلعة تبادل تجاري مع تلك البلدان منذ ذلك الوقت . فالرحالة التجار الذين سبق ذكرهم في الصفحات السابقة من هذا البحث هم مصدر المعلومات للجغرافيين الأوائل .

إلا أن المستغرب هو إنكار المستشرق أندريه ميكيل لكل هذه الحقائق . فهو يقول بأن التجارة مع شرق أفريقيا شملت ذهب النيل الأعلى ، وربما ذهب روديسيا (زمبابوي حاليا) . وأن ذهب غرب أفريقيا لم يصبح في الحقيقة سلعة تجارية تستحق هذا الاسم إلا في القرن العاشر^(٢٨) . وهذا يناقض النصوص والاقتباسات السابقة عن الجغرافيين العرب الأوائل .

ومن أخطاء ميكيل الأخرى أنه يعد المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) أول من تكلم حول شعوب شرق قارة أفريقيا وغربها الذين كانوا أصلاً من نسل كوش بن حام ، وأنهم تفرقوا إلى فرقتين : فرقة اتجهت جنوب مصر شرق القارة وأخرى ذهبت إلى غربها^(٢٩) ، وقد ذكر المسعودي فعلا هذا الكلام^(٣٠) . ولكنه كلام مقتبس من اليعقوبي الذي سبق إيراد نصه .

٤- ابن حوقل:

كان الجغرافيون الذين نقلنا عنهم الاقتباسات السابقة ينقلون معلوماتهم من الرحالة الذين يقابلونهم . وكان بعضهم رحالة هو نفسه ، ولكنه لم يصل إلى المنطقة التي نتحدث عنها . فاليعقوبي مثلاً سمع أخباره عن بلاد غرب القارة ممن قابلهم في مصر والمغرب . والمقدسي زار سجلماسة بالمغرب ضمن رحلاته ، ولكنه لم يتجه جنوب الصحراء .

فكان ابن حوقل (ت حوالي ٣٧٠هـ / ٩٨٠م) أول رحالة نعرفه وصل إلى المنطقة التي نحن بصدددها . وقد نقلنا في بداية هذا البحث قوله بأنه كان يسافر للتحقق من المعلومات التي سمعها عن البلدان من المسافرين الذين قابلهم . فمن المدن التي وصل إليها وأقام فيها فترة مدينة أودغست ، فيذكر المسافة بينها وبين كل من سجلماسة والسوس الأقصى . ومعروف اليوم أن سجلماسة (أو آثارها التي لم يبق منها إلا القليل) تقع في شرق المغرب ، في درجة عرض (١٣°) شمالاً ، أي تقريباً بخط مراكش نفسه التي تبعد عنها بحوالي (٤٠٠) كيلو متراً غرباً . والسوس الأقصى جنوب المغرب ، وأودغست

جنوب السوس في موريتانيا الحالية . فيذكر ابن حوقل أن شكل المدن الثلاث مثل مثلث طويل الضلعين وقصير الضلع الثالث . والضلع القصير هو المسافة بين أودغست والسوس^(٣١) . ويصف مدينة أودغست بأنها شبيهة بمكة المكرمة ، لأنها في واد بين جبلين ذات شعاب . وقد سميت مدينة أخرى في تلك المنطقة «تادمكة» ، أي شبيهة مكة .

ويذكر ابن حوقل المسافات بين المدن المختلفة في المنطقة ، مثل غانة وكوغة وسامة وكزم وكوكو ومرندة وزغاوة . ومن ثم إلى مدن في دول شمال أفريقيا الحالية مثل زويلة وأجدابية وفزان . ويذكر كذلك مدينة أوليل الواقعة على المحيط الأطلسي ، على خط عرض أودغست نفسه قائلا : «وعلى سمت أودغست المتقدم ذكرها في نقطة المغرب أوليل ، وهو على نحر البحر ، وآخر العمارة . وأوليل معدن الملح ببلاد المغرب ، بينها وبين أودغست شهر ، ومن أوليل إلى سجلماسة راجعا إلى الإسلام شهر وكسر»^(٣٢) .

وقد ذكر ابن حوقل أن التجار العراقيين كانوا نشيطين في المنطقة التي تضم مدن المغرب مثل سجلماسة والمدن الجنوبية مثل أودغست وغانة وكوغة . وقد شاهد أثناء إقامته في أودغست صك حوالة مالية بمبلغ اثنين وأربعين ألف دينار . وقد ذكر أن هذا مبلغ هائل استعظمه كل من سمع بالقصة حين رواها ابن حوقل في العراق وفارس وخراسان^(٣٣) . وقد أورد في كتابه اسم الدائن في ذلك الصك واسم المدين . وهذا مما قد يدل على أنه كان يكتب المذكرات في رحلته ، فمن المستبعد أن يحتفظ في ذاكرته بكل الأسماء . وحسب بعض الباحثين يعتبر وصفه لأودغست من أشمل الأوصاف التي أعدها كاتب عربي عن مدينة أو شعب من جنوب الصحراء^(٣٤) .

٥- المصادر غير المباشرة:

المعلومات عن غرب القارة السمراء ليست مقصورة على كتب الرحالة الذين نذكر إنجازاتهم في هذا البحث ، بل كانت كتب الجغرافيا العربية عموما مصدرا لاغنى عنه

لتاريخ تلك البلاد. فيجدر بنا أن نطل إطلالة سريعة على اثنين من هذه المصادر، وهما كتابا البكري والإدريسي. فقد أخذت تلك المصادر معلوماتها من الرحالة والسفراء والتجار الذين زاروا تلك البلدان، إما مباشرة أو عن طريق غير مباشر. وسبب اختيارنا لهذين المصدرين هو كون المعلومات لديهما أكثر غزارة وأصالة.

فكتاب البكري تم تأليفه سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م. وليس في الكتاب مشاهدات المؤلف، لأنه لم يكن رحالة، بل كان ينقل من مصادر في مكتبته ترجع إلى القرن السابق له، مثل كتب ابن حوقل والأصطخري والمسعودي، ولم يغادر بلده الأندلس حسب ما وصل إلينا عن سيرة حياته. وبالتالي فكثير من المعلومات التي نجدها في كتابه ليست معلومات عصر المؤلف، بل هي معلومات سبقته بقرن أو قرنين، إلا في حالات قليلة نقل فيها المؤلف مباشرة عن رحالة عرفهم، أو من مصادر معاصرة له. وهذه الحالات قليلة، وتختصر في بعض التحليلات المتعلقة بالمغرب والسودان الغربي^(٣٥)، لحسن حظ هذا البحث! وقد رجّح ليفي بروفنسال Levi Provençal أن البكري كان من ضمن مصادره وثائق الأرشيف الرسمي في قرطبة^(٣٦). ورأيه هذا يتكرر عند بعض المؤرخين الحاليين الذين يرددون أقوال بروفنسال دون الإشارة إلى المرجع!^(٣٧) ولكن رأيه مجرد احتمال مرجح، لا نستطيع تأكيده بأكثر من الترجيح^(٣٨). وقد لاحظ كاتب هذا البحث أن من مصادره حول أفريقيا الغربية شخص اسمه مؤمن بن يومر الهواري^(٣٩)، قد يكون أحد الرحالة الذين سردوا معلوماتهم عن مشاهدة وخبرة.

نلاحظ عند البكري أنه يصف الطرق بين المدن المختلفة - وبالذات في المغرب وبلدان جنوب الصحراء - وصفا دقيقا بحيث يرينا صورة حية بكل تفاصيلها. فيذكر مثلاً «أن من تاملت إلى بشر الجمالين مرحلة (أي ما يعادل ٣٠ كيلومترا)^(٤٠). وهذه البشر عمقها أربع قامات (أي ما يعادل ٧ أمتار) من إنباط عبد الرحمن بن حبيب (أي أمر بحفرها ذلك الوالي). ومنها إلى شعب ضيق لا تسير فيه الإبل إلا متتابعة مرحلة. ثم تسير في

جبل يسمى أزور ثلاثة أيام، وهو محجر (أي أرضه ملأى بالحجارة) تجفى فيه الإبل، ينبت أم غيلان (نبات شوكي)^(٤١)، ومن خرج فيه عن الطريق أصاب زبر حديد مثقبة لا تذيبه النار. وهذا الجبل كثير الثعابين^(٤٢) إلخ. والنص الذي مر بنا مثال واحد للوصف الشامل الذي نجده بالتفصيل للطرق والمدن والقرى، خاصة في منطقة المغرب وغرب أفريقيا كما ذكرنا.

وكثير من معلومات البكري منقولة بنصها من محمد بن يوسف الوراق (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) الذي ألف كتابه «المسالك والممالك» عن وصف المغرب^(٤٣)، إلا أن للمؤلف آراؤه الخاصة. فهو يقول مثلاً: «ومن سجداسة إلى مدينة القيروان ست وأربعون مرحلة. وقال محمد بن يوسف: ثلاث وخمسون مرحلة»^(٤٤). وكما ذكرنا فإن معلومات البكري عن المنطقة معلومات حديثة. فمن ذلك قوله: «وأمر المرابطين إلى اليوم - وذلك سنة ستين وأربعمائة - أبوبكر بن عمر»^(٤٥). ويقول عن غانة: «وغانة سمة لملوكهم، واسم البلد أوكار، واسم ملكهم اليوم - وهو سنة ستين وأربعمائة - تنكامين»^(٤٦).

بالإضافة إلى الوصف المفصل للطرق في الصحراء نجد عند البكري المعلومات المفصلة عن سكان كل مدينة وقرية ومنطقة من تلك المناطق الجرداء. فمنهم البربر، ومنهم السودان أي الأفارقة، ومنهم المسلمون ومنهم الوثنيون. ونجد تاريخ إسلام كل قبيلة ومملكة وقصة إسلامهم. ونرى وصف الحيوانات والنباتات التي تعيش في المنطقة، ومناجم الملح والذهب بها. ونجد التفاصيل عن الملابس، وعن الأحوال الاجتماعية لكل بلدة وقبيلة بالصحراء. ونقرأ المعلومات عن الضرائب التي يحصلها ملوك الأفارقة من التجار، مثل قوله: «لملكهم على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد، وديناران في إخراجة. وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل، وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل»^(٤٧).

وعموماً فإن وصف البكري لتلك البلاد وصف حي، يجعل القارئ يحس وكأنه يتنقل بطائرة مروحية بين المناطق المختلفة ويشاهد كل شيء بنفسه، أو كأنه يشاهد عرضاً سينمائياً لكل المشاهد التي يتحدث عنها الكتاب.

أما كتاب الإدريسي فقد تم تأليفه سنة سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٤م^(٤٨). وفيه نجد المعلومات الجغرافية المعتادة عن كل إقليم جغرافي وسكانه. والمنطقة التي نحن بصددنا تقع في الإقليمين الأول والثاني حسب التوزيع البطليموسي للأقاليم. فنجد عند الإدريسي ذكراً للمدن والمسافات بينها، وشيئاً عن أنواع الغذاء والهدام لدى السكان، وعن النشاط الاقتصادي والتبادل التجاري والتضاريس.

وقد قام المؤلف برحلات في المغرب ضمن رحلات أخرى إلى الأناضول وجنوب فرنسا وبريطانيا ومصر. أما ما كتبه عن منطقة المغرب وغرب أفريقيا فإن فيها بعض المعلومات الجديدة والأصيلة مقارنة بما ذكره عن بلدان العالم الأخرى. فهو يذكر مثلاً أن الحاكم في غانة من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما، وأن قصره الذي أوثق بنيانه وأحكم إتقانه وزينت مساحته بضروب من النقوشات والأدهان وشمسيات الزجاج تم بناؤه عام ٥١٠هـ^(٤٩). ويروي في بعض الأحيان «عن بعض الثقات من متجولي التجار»، دون أن يوضح أسماءهم، ولا يبين هل هو ينقل عنهم مباشرة أم لا^(٥٠). وفي أحيان أخرى يذكر البعض القليل من مشاهداته الشخصية قائلاً عن تصلب الثلج بعد سقوطه في مدينة أغمات المغربية: «وهذا شيء عايناه بها غير مرة»^(٥١). ويقول عن أهالي تلك المدينة الأثرياء: «وأما الآن في وقت تأليفنا لهذا الكتاب فقد أتى على أكثر أموالهم، وغيرت المصامدة ما كان بأيديهم من نعم الله، ولكنهم مع هذا أملياء مياسير... إلخ»^(٥٢).

إلا أن معلومات الإدريسي لا نرى فيها الصورة الحية التي عند البكري. فكثيراً ما نجد عنده سرداً للمعلومات، دون تعليق عليها أو توضيح لمدى كونها جديدة أم قديمة.

هذا ما لاحظته كاتب هذا البحث . وما لاحظته الباحثون الآخرون هو أنه لم يصف شيئا إلى معلومات الجغرافيين المسلمين ، إلا القليل في القسم المتعلق بأوروبا وفي المناطق التي زارها . حيث لأول مرة تحتل القارة الأوربية والجزر البريطانية مكانا - ولو متواضعا - في الجغرافيا العربية . وأما فيما يخص المناطق الجنوبية التي لم يتجول فيها الإدريسي شخصيا فإن كتابه لا يضيف شيئا يستحق الذكر إلى معلومات من سبقه من الجغرافيين . بل نجد أن كتاباته عن المحيط الهندي وجزره وقع فيها اضطراب شنيع ، بحيث يمكن القول إن الإدريسي : «قد رجع بالجغرافيا العربية في عدد من النقاط خطوات شاسعة إلى الوراء ، بدلا من أن يتقدم بها»^(٥٣) . والمقصود بالجملة الأخيرة هو أنه كما ذكرنا من قبل فإن كثيرا من المعلومات الجغرافية استجدت لدى المسلمين بسبب انتشار رقعة بلاد الإسلام ، وازدهار تجارتها البرية والبحرية . وسجلت تلك المعلومات الجديدة في كتب الجغرافيا العربية بأنواعها . وبدلا من أن يعتمد الإدريسي على تلك المصادر العربية نجده يكرر معلومات بطليموس وسواه ممن عاشوا قبل الإسلام . وهذه هي العودة إلى الوراء .

ولكن برغم هذا فمعلومات الإدريسي لا غنى عنها ، لأن كثيرا منها لا نجده في كتاب آخر . ولهذا لما طبع كتابه مترجما إلى الفرنسية عام ١٨٤٠ ، ثم في نصه العربي بين عامي ١٩٧١ و١٩٨٤ استقبل بحفاوة شديدة في المجتمع العلمي بأوروبا وغيرها^{(٥٤)، (٥٥)} .

٦- ابن فاطمة:

في حوالي القرن السادس أو السابع الهجري (١٢/١٣م) عُرف رحالة مسلم يدعى ابن فاطمة . ويُظن أنه من أهل غرب أفريقيا التي نحن بصدددها . ولكن لا نعرف كثيرا عن تفاصيل حياته ، سوى أنه قدم إلينا كمية وافرة من المعلومات حول سواحل أفريقيا ، في كتاب ألّفه بعنوان «الجغرافية»^(٥٦) . ولم يصل إلينا منه سوى نقول مستفيضة ، نقلها ابن سعيد المغربي في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه . ومن كتاب ابن سعيد مختصر بعنوان

«بسط الأرض في الطول والعرض» للمؤلف نفسه، ومختصر آخر من تأليف أحمد بن ياقوت، يقول في مقدمته: «وبعد، فإنني طالعت في كتاب جمعه واختصره علي بن سعيد المغربي رحمه الله تعالى من كتاب جغرافيا في الأقاليم السبعة (يقصد كتاب بطليموس) وزاد فيه الأطوال والعروض زيادة مفيدة والحمد لله وحده من كتاب ابن فاطمة. فأحببت أن أنقل شيئا من فوائده»^(٥٧).

تشكل المعلومات التي دونها ابن فاطمة ونقلها منه ابن سعيد تطورا أساسيا في الجغرافيا في ذلك العهد. فقد قسم بطليموس وأمثاله من جغرافيا ما قبل الإسلام الأرض إلى سبعة أقاليم ليس بعدها مكان مأهول، مثل جنوب خط الاستواء. ولكن الرحلات العربية في البلدان الشمالية وفي سواحل أفريقيا الشرقية، وما طرأ على الملاحة العربية من التقدم في المحيط الهندي، ورحلات ابن فاطمة على شواطئ أفريقيا الغربية قد ألقت أضواء جديدة على مناطق شاسعة كانت تعد نظريا غير مأهولة. ولذلك قام ابن سعيد المغربي بإدخال تعديلات مهمة على نظام الأقاليم الإغريقي^(٥٨)، دون أن يلغيه بالطبع، لأنه كان من المسلمات عند الفلكيين والجغرافيين المسلمين في زمانه.

ذكر ابن فاطمة من ضمن مشاهداته جزيرة القمر «الطويلة العريضة...» وأنها للمسلمين كمقدشو، وأهلها مجتمعون من الأقطار. وأنها بلد حط وإقلاع». والمقصود حسب الأبحاث الحديثة هو مدغشقر^(٥٩).

ويظهر لنا جليا كونه سافر في كل سواحل غرب القارة أعوال عديدة. منها قوله: «الجزء السابع، فيه ينتهي إلى بر السودان المتصل من أقصى الغرب بجبل الندامة. ثم يكون البحر غامرا لما في شرقه بطول جزيرة القمر. وأول جبل الندامة أول هذا الجزء، حيث الطول مائة وثمانون درجة ودقيقة، ويقال إن علوه في الجو نحو ثلاثة أيام. وهو ممزوج بالغبرة والحمرة... والبحر المحيط الداخل من المشرق والجنوب يضرب في ركنه الجنوبي، وفي شماليه خليج القمر. فإن زل المركب عن بحر الهند ودخل إلى هذا

الخليج، وحملته الرياح إلى أن يرى هذا الجبل ندم على ما فرط فيه من حيث الاحتياط، واستسلم للقضاء. فإما أن ينكسر عليه، وإما أن يخل خلفه، فلا يخرج له خبر... ويسمي المسافرون في بحر الهند ذلك المكان بحر الخراب وبحر سهيل، لأنهم إذا وصلوا إليه رأوا سهيلا مقارنا لرؤوسهم. وتحت هذا الجبل من شماليه على خليج القمر مدينة دغوة. وهي آخر مدن سفالة وآخر العمارة في البر المتصل بهذا البر^(٦٠). ثم يصف مدن جزيرة القمر أو مدغشقر.

يقصد ببر السودان بلدان غرب أفريقيا التي نحن بصدددها، كما هو متعارف عليه عند الجغرافيين المسلمين الذين سبق الاقتباس من نصوصهم. وجبل الندامة هو كما حققه الباحثون المحدثون هو رأس التيارات أو رأس كوريات (Cap Corrient 24o 6' S, 35o 34' N) الواقع حاليا ضمن سواحل دولة موزمبيق^(٦١)، جنوب غرب سفالة الواقعة في الدولة نفسها. وخليج القمر هو البحر الواقع بين جزيرة مدغشقر وقارة أفريقيا. فأى واحد ينظر في الخرائط الحديثة ويقارنها بنص ابن فاطمة يجد أن الملاح المذكور سافر من بلدان غرب القارة إلى سواحل موزمبيق ومدغشقر.

ويحدثنا ابن فاطمة عن مغامراته في سواحل غرب القارة قائلا بأنه «ركب البحر المحيط مرة في نول لمطة، فأخرم به المركب، فوقع في ضباب وأفاصير [أي مياه ضحلة]. وضل البحريون ولم يعلموا حيث هم، حتى تركوا المركب الكبير، وأخذوا زادا في القارب الصغير، وصاروا يجرونه على الحشيش، وطورا ينهضون بالمجاديف، إلى أن انتهوا بعد مدة إلى قاع هذا الجون [يقصد ما كان يعرف بجون التّن أي خليج سمك التونة] وعابنوا من التّن فيه ومن كثرته ما تعجبوا منه، وكذلك من الطيور البيض. ولم يتنهدوا إلى البر إلا وكاد الزاد يفرغ. فلما انتهوا إلى تحت الجبل اللماع أشار إليهم برابرة كدالة ألا يقربوا الجبل...»^(٦٢). ونول لمطة تقع حاليا جنوب غرب دولة المغرب. والجبل اللماع يقصد به الرأس الأبيض Cabo Blanco الواقع شمال موريتانيا^(٦٣).

ويصف ابن فاطمة بحيرة كوري (بحيرة تشاد حالياً) وما يحيط بها من جبال، حيث يتفرع منها نيل غانة (أي نهر النيجر) ونيل مصر ونيل مقدشو (وهذا وهم بالطبع). ثم يذكر القبائل المحيطة بالبحيرة من الشمال، وعاداتهم في أكل لحوم البشر. ويصف كذلك بعض الولايات المسلمة حولها، ويذكر محاصيلها وأنواع الدواجن بها^{(٦٤)، (٦٥)}. وفي موضع آخر يذكر أن ملوك كانم وتاجوه هربوا بقواعدهم من النهر بسبب البعوض الذي يكثر حول الماء فتشدد أذيته على الآدميين والخيول^{(٦٦)، (٦٧)}.

ويصف في الاقتباسات التي نقلها ابن سعيد أحوال مدن أودغست وأوليل الواقعة على البحر. ويذكر أن مدن التكرور الواقعة غربي نهر النيجر كان أهلها كفاراً في زمن أبي عبيد البكري. «وأما في عصرنا فما على شاطئ النيل (أي نهر النيجر) من بلاد التكرور مدينة إلا ودخلها الإسلام، وجميعها لسلطان التكرور»^(٦٨).

فنستنتج من الاقتباسات السابقة ما يأتي:

- ١- أن ابن فاطمة رحل في بلدان غرب أفريقيا وأبحر في سواحلها. ورحل كذلك في مدغشقر، وأبحر في سواحل موزمبيق. ووصف اتصال «بلاد السودان» أي الغرب الأفريقي ببلاد سفالة أي جنوب القارة، الأمر الذي يدل على سبقه البرتغاليين في الدوران حول القارة السمراء.
- ٢- مشاهداته عبارة عن إضافات حديثة وأصيلة لمن سبقه، يعقب فيها على البكري، ويعطي آخر المعلومات.
- ٣- ومعلوماته فريدة مقارنة بالجغرافيين والرحالة الآخرين. من ذلك أنه الوحيد الذي سجل أن الهنود استوطنوا جزيرة مدغشقر من قديم الزمان^(٦٩).
- ٤- وكانت كشوفه في سواحل ووسط أفريقيا تمثل فتحاً جديداً في الجغرافيا، بحيث كانت معلوماته مجهولة لدى الأوروبيين إلى مئتي عام بعده^(٧٠).

وقد وقع بعض الباحثين المعاصرين في أخطاء عند دراسة نصوص ابن فاطمة، نبين فيما يأتي أمثلة منها:

(١) في مقالة بمجلة «الفصل» نقراً الآتي: «نشير إلى المحاولة التي قام بها ابن فاطمة في اكتشاف المحيط حسبما يرويه ابن سعيد المغربي في كتاب الجغرافيا الذي يتحدث عن ركوب البحار المغربي البحر المحيط، فانخرم به المركب، فوقع في ضباب وأعاصير. وضل البحريون ولم يعلموا حيث هم، حتى تركوا المركب الكبير، وأخذوا زادا في المركب الصغير»^(٧١). وهذا الكلام يختلف عن عبارة ابن سعيد التي مرت بنا في الأسطر السابقة. فالذي ورد في النص هو أنهم وقعوا في ضباب وأقاصير، أي مياه ضحلة.

(٢) واعتمد المرجع نفسه على نص آخر لابن فاطمة، ليجزم بأنه سافر في أعماق المحيط. والنص هو: «قال ابن فاطمة: وجزائر السعادة فيما بين الجزائر الخالدات (الخالدات هي الكناري حالياً) والبر، مبددة في الإقليم الأول والثاني والثالث، وهي أربع وعشرون جزيرة، والحديث عنها كالخرافات. والبحر المحيط يتدرج قليلاً قليلاً، لارتفاع هذا الجزء، إلى أن يكون مصب النيل الذي يمر على غانا (أي نهر النيجر)، ويكون من حيث الطول عشر درجات وعشرون دقيقة، والعرض أربع عشرة درجة. وأمام مصب النيل في البحر المحيط جزيرة الملح. وطولها من الشمال والجنوب درجتان وقليل، ووسعها نصف درجة، وفي طرفها الجنوبي على البحر مدينة أوليل. وهي سراح كمدن الهنود، وفيها كثير من أنواع القصب والنبات، وعيش أهلها من السمك والسلاحف. وتجارهم بالملح، يصعدون به في المراكب إلى البلاد التي على شواطئ النيل. قالوا: وليس في بلاد السودان ملاحه غيرها. وإلى جانب هذه الجزيرة جزيرة العنبر، وبينهما مجاز مقداره نصف درجة، وبينها وبين البر أقل من ذلك»^(٧٢). فمن هذا النص نرى أن الجزيرتين اللتين ذكرهما ابن فاطمة: أي جزيرتا الملح والعنبر هما في المياه

الإقليمية للسنگال الحالية، وذلك بعدة أدلة. فمدينة أوليل حدد موقعها الباحثون، وهي تقع على خط عرض (١٧) تقريبا. ثم لاحظ قوله بأن جزيرة العنبر بينها وبين البر أقل من نصف درجة (أي أقل من ٥٥ كيلومترا).

(٣) ذكر خوان برنيت أنه تجدر الإشارة إلى رحلة بحرية «قام بها رحالة غير معروف يسمى ابن فاطمة، تجاوز فيها الرأس الأبيض Cabo Blanco»^(٧٣) ولكن الباحث مقبول أحمد فهم هذه العبارة بالعكس تماما، فكتب في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) قائلا بأن «المعلومات عن رحلة ابن فاطمة تدل على أنه وصل من البعد إلى حد الجبل الأبيض الذي نعرفه حاليا باسم الرأس الأبيض»^(٧٤). وهذا يناقض المعلومات التي استخرجناها قبل قليل، كما يناقض عبارة خوان برنيت التي لا نشك في أن الباحث يقتبس منه، ولكن بفهم خاطئ.

(٤) يقول أندريه ميكيل عن معرفة العرب لسواحل أفريقيا الغربية بأنها معرفة غامضة لا تتجاوز مآذره بطليموس، وأنهم يفترضون على سواحل أفريقيا الشرقية مجموعة من الخلدان معتمدين في معلوماتهم على بطليموس أيضا، وأن المسلمين لم يعرفوا بلدا جنوب سفالة التي ذكرناها قبل قليل، بل ولم يعرفوا وجود جزيرة كبيرة جنوب تلك المدينة^(٧٥). وكل هذه المعلومات المضللة بسبب كون كتاب ميكيل يبحث في فترة محددة بمنتصف القرن الحادي عشر (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م)، بينما ابن فاطمة أتى بعده. وليس هذا عذرا مناسبا، حيث كان يمكن أن يتحفظ على عباراته تلك بالتنبيه على معلومات ابن فاطمة التي درسها المستشرقون الفرنسيون مواطنوه، ونشروا البحوث حولها منذ القرن التاسع عشر.

(٥) يذكر بعض مؤرخي الجغرافيا العربية أن ابن سعيد المغربي اعتمد في معلوماته على الرحالة الملاح ابن فاطمة، دون أن يوضحوا أن الأخير هو مؤلف وليس مجرد رحالة. ومن هؤلاء كراتشكوفسكي^(٧٦) ومقبول أحمد^(٧٧). وقد أوضح هذا البحث في الأسطر السابقة أن ابن سعيد ينقل من كتاب ألفه ابن فاطمة بعنوان «الجغرافية»، أي بعنوان كتاب ابن سعيد نفسه.

٧- الدكالي:

عاش أبو عثمان سعيد الدكالي في عاصمة مملكة مالي في عصره لمدة خمسة وثلاثين عاما . فكان المصدر الموثوق الذي استقى منه ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) المعلومات القيمة المفصلة عن تلك البلاد . كان للعمري مصادر أخرى عن تلك البلاد كما نرى من استعراض أقواله هنا ، إلا أن العمري كان دائما يعتمد أقوال الدكالي ويرجحها إذا اختلفت أقواله مع أقوال غيره ، وذلك برغم اعتماد العمري منهجا صارما لفحص المعلومات كما مر بنا في بداية هذا البحث ، إلا أنه يعرض قول الدكالي والقول الآخر ، ثم يقول «وقول الدكالي أثبت» .

فمملكة مالي حسب الدكالي «مربعة طولها أربعة أشهر وأزيد ، وعرضها مثل ذلك . . . وجميعها مسكونة إلا ما قل» . ومن ضمن البلدان الداخلة تحت طاعة ملك مالي بلاد مفازة التبر التي يحمل منها التبر كل سنة . وليس في تلك المملكة من يطلق عليه لقب ملك غير السلطان الأكبر إلا صاحب غانة . وهو كالثائب له وإن كان ملكا . ومن ضمن رعاياه في الشمال قبائل بربرية من البيض يدينون له بالولاء .

ومدينة نيني العاصمة ممتدة طولا وعرضا ، طولها طول بريد تقريبا (٢٢ كيلومترا)^(٧٨) ، وعرضها كذلك ، لا يحيط بها سور ، وأكثر بيوتها وأحيائها متفرقة . والنهر يحيط بالمدينة من جهاتها الأربع ، وهو ضحل في بعض المناطق وعميق في المناطق الأخرى . وبنائها من اللبن مثل جدران بساتين دمشق في عهد المؤلف . وطريقة بنائها أن يبنى صف من الطين ارتفاعه نصف ذراع ، فيترك حتى يجف ، ثم يبنى فوقه مثله ، ويترك حتى يجف . وهكذا حتى يتم البناء . وسقفوها من الأخشاب والقصب ، وغالب سقفوها قباب أو جملونات .

ويحدثنا الدكالي عن تضاريس البلدة وأنواع الحيوانات بها وبعض أنواع النباتات، وعن أنواع المحاصيل الزراعية وأصناف الأطعمة عندهم. ويصف ملابس الرجال والمواد التي تصنع منها.

ويحدثنا عن مجلس الملك وكيفية لباس السلطان وعن هيئة الحضور والجنود والمماليك وآداب مجالسة الملك عندهم. وكيفية لقائه عند قدومه من سفر، وغير ذلك من الأحوال الاجتماعية.

ويروي العمري عن الوالي المملوكي ابن أمير حاجب الذي كان المسؤول المرافق لسلطان مالي عند زيارته لمصر، أن السلطان ذكر أن الذهب يعد حمى له، يجمع له متحصله كالفطيرة، إلا ما يأخذه أهل تلك البلاد على سبيل السرقة. ولكن الدكالي قال بأن الذهب يهدى إلى الملك من باب المصانعة، أي كسب الولاء، ويجبى من الضرائب على التجار. والبلاد المنتجة للذهب لا تقع مباشرة تحت حكم السلطان، وإنما هي بلاد تدور في فلك مملكته وتؤدي له الجزية. وهنا يعتمد العمري قول الدكالي.

ومن ذلك قول الفقيه أبي الروح عيسى الزواوي وابن أمير حاجب السابق ذكره، بأن السلطان قال لهما بأن طول مملكته نحو سنة. ولكن قول الدكالي السابق بأنها أربعة أشهر في مثلها أثبت عند المؤلف العمري، لأن السلطان ربما بالغ في تعظيم ملكه^(٧٩).

٨- ابن بطوطة :

ابن بطوطة رحالة عالمي معروف في الشرق والغرب، أطلقت عليه مجلة National Geographic لقب أمير الرحالة، حيث استغرقت رحلته (٢٩) عاما، قطع خلالها (١٢٠) ألف كيلو مترا في (٤٤) دولة من عالمنا المعاصر. وهذه المسافة تعادل ثلاثة أضعاف رحلة معاصره ماركو بولو^(٨٠). هذا إذا سلمنا بأن كل ما كتبه هذا الأخير كان من مشاهداته الشخصية، وليس نقلا عن رواية. فقد أثار البعض شكوكا حول رحلته إلى

الصين، لتعارض أخباره مع الحقائق التاريخية. أما ابن بطوطة فأخباره موثوقة أكثر، وأثبتت معظمها الدراسات المعاصرة.

قام ابن بطوطة برحلته إلى غرب أفريقيا بعد عودته من رحلته الطويلة إلى المشرق بثلاث سنوات، فقام في الفترة من ٧٥٣.٧٥٤هـ (١٣٥٢-١٣٥٣م) بزيارة كانت وجهتها بلاد السودان الغربي. وقد ظل وصف هذه الرحلة الأخيرة لا يفضلها شيء إلى عهد الرحلات الأوروبية في القرن التاسع عشر. وكانت هذه آخر رحلة قام بها^(٨١).

يصف ابن بطوطة سفره من المغرب إلى مملكة مالي في عهده فيعطي لكل بلدة وقرية مرّ بها وصفاً دقيقاً لا تقارن به كلمات ابن حوقل القليلة. ويتفوق في المواضيع التي شاهدها على كتاب البكري الذي كان كما مر بنا يصف البلدان والطرق وصفاً حياً، يجعلنا نحس وكأننا نشاهدها فعلاً. ولكن ابن بطوطة لا يصف نقلاً عن رواة كالبكري، وإنما يصف ما شاهده وعينه بنفسه. وهناك صفة تجمععه مع البكري في حديثه عن بلاد المغرب والأندلس وغرب أفريقيا: وهي أن رحلات ابن بطوطة في المشرق امتدت إلى خمس وعشرين سنة، لم يدون فيها مذكرات ليحفظ فيها معلوماته، فلما عاد إلى بلاده أملاها من الذاكرة إلى راويته ابن جزي، فنجد فيها بعض الاضطراب والتشويش. أما رحلته الأخيرة إلى الأندلس وبلاد السودان فتمت بعد أن استقر فترة بعد الرحلة الأولى، وتم إملأها فوراً بمجرد رجوعه. ولذلك فإن المعلومات التي فيها غاية في الدقة. ومرة أخرى من حسن حظ هذا البحث.

ولكن البكري يتفوق على ابن بطوطة في كثرة عدد المدن التي يصفها ويصف الطرق التي بينها، ويعطي المعلومات الوفيرة المختلفة حولها، لأن البكري مؤلف ينقل من مصادر متعددة. بينما ابن بطوطة رحالة لا يذكر إلا ما شاهده.

سافر ابن بطوطة من سجلماسة إلى إيوا لائن الواقعة في موريتانيا الحالية. ومن بعدها إلى المدن الواقعة على نهري النيجر والسنغال، مثل كوكو وعاصمة مالي وغيرهما. ثم عاد إلى بلده عن طريق صحراء الطوارق أو جنوب الجزائر الحالية، بعد رحلة شاقة تعرض فيها للجوع والعطش والمرض والثلوج والمعاملة السيئة من بعض السكان. واستغرقت رحلته سنتين، حيث خرج من سجلماسة في ١/١/٧٥٣هـ (١٨/٢/١٣٥٢م) وعاد إليها في ١٥/١١/٧٥٤هـ (١٣/١٢/١٣٥٣م).

نجد من مشاهدات ابن بطوطة أنواع المباني المختلفة. فهناك بلدات بيوتها تبنى من حجارة الملح، مثل منجم الملح في قرية تغازي التي لا يسكنها إلا عمال المنجم من عبيد مسوفة. وبلدات أخرى بيوتها من حجر، وفيها قصر السلطان، مثل عاصمة مالي التي بنى قصرها المهندس الأندلسي أبو إسحق الساحلي. (وكما مر بنا في حديث الدكالي فتلك البلدة كانت بيوتها كلها من طين عندما مر السلطان بمصر في طريقه إلى الحج. وفي الحج اصطحب معه المهندس الساحلي)^(٨٢). ومدن بيوتها مبنية بالحجارة الحمر مثل مدينة تكدا^(٨٣).

وأما أنواع النقود فمنها قضبان النحاس في تكدا، وهي قضبان غليظة أو رقيقة، فتستعمل باختلاف قيمتها لشراء البضاعة التي تناسب كلا منها. فالغليظ يشتري به العبيد والجواري مثلاً، وغير السميكة يشتري به اللحم والحطب. ويصدر نحاس تكدا إلى البلدان المجاورة^(٨٤). وفي مدينتي كوكو وعاصمة مالي يتعامل الناس بالودع كعملة شراء وبيع^(٨٥). وفي قرية الملح يتصارف الناس بالملح كما يتصرفون بالذهب والفضة، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به^(٨٦). والمسافر في بلاد مالي لا يحمل معه زاداً أو إداماً أو نفوداً ذهبية أو فضية، وإنما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج التي كانت تسمى عندهم النظم، ويحمل كذلك بعض السلع العطرية، وأهمها القرنفل والمصطكى ونوع من البخور يسمى تاسغرت، ويشتري بهذه السلع الطعام من نساء الأفارقة بكل قرية^(٨٧).

وهناك أدلاء في الصحراء للمسافرين من مدينة إلى أخرى ، يسمى الدليل منهم «التكشيف» . وهو يتقدم القافلة بعدة أيام ، ليجهز لهم المساكن التي يستأجرها نيابة عنهم . ونجد عند ابن بطوطة معلومات عن أنواع النباتات والحيوانات وأصناف المأكولات عند القوم في ذلك العهد ، ومعلومات غزيرة عن عاداتهم الاجتماعية التي لم تزل غير بعيدة عما ألفوه في عهد الوثنية ، مثل الاختلاط والتكشيف أو العري ، مع أن جميع البلدات التي زارها كان أهلها مسلمين . ونجد كعادة ابن بطوطة وصف مجالس السلطان وكيفية تعامل الناس معه . ونلاحظ في كل الأماكن التي سلكها الرحالة شمول الأمن وعدم وجود السرقة والسلب والنهب ، إلا عند البربر في بعض المناطق الصحراوية . ومع ذلك فهم يتوقفون عن النهب والسرقة طوال شهر رمضان المبارك . ورحالتنا كان من حسن حظه أنه مرّ بمنطقتهم في هذا الشهر الكريم .

٩- مصادر ابن خلدون :

عقد ابن خلدون في كتابه «العبر» (الذي أُلّف النسخة المنقحة الأخيرة منه سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)^(٨٨) فصلا عن ملوك السودان الغربي^(٨٩) ، اعتمد فيه على رجال رحلوا إلى تلك الديار وعاشوا فيها ، بالإضافة إلى كتاب ابن سعيد المغربي الذي هو ملخص عن كتب الرحالة ابن فاطمة كما رأينا ، وكتابي الإدريسي والبكري اللذين يقول عنهما : «مؤلف كتاب رجار وصاحب المسالك والممالك» .

فمن مصادر ابن خلدون الشيخ عثمان فقيه أهل غانة الذي قدم إلى مصر في طريقه إلى الحج سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م . فذكر لابن خلدون تاريخ بلاده غانة والممالك التي حكمتها منذ عهد المرابطين إلى عهد مملكة ماي التي صارت غانة تابعة لها ضمن إطار حكم ذاتي كما مرّ بنا عند الدكالي . وتحدث الشيخ عثمان عن تاريخ مملكة مالي وأسماء ملوكها إلى عهده .

ومن مصادره الحاج يونس ترجمان التكرور بمصر، حدث عن حج السلطان منسا موسى واصطحابه للشاعر المهندس الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي من مكة المكرمة إلى مملكته، فاستوطنها الساحلي وتوفي بها وترك أبناء وعقبا من بعده.

ومن رواة ابن خلدون ابن خديجة الكومي الذي كان داعية شيعيا، واستجار بسلطان مالي ضد ملك الزاب، وصار من خاصة رعاياه، بل صار هو والساحلي يسامرانه ويجالسانه أكثر من وزرائه. وقد بنى له الساحلي قبة مربعة الشكل أجاد فيها. وأضفى عليها من الكلس، وفوقها طبقة من الأصباغ المنمقة، فجاءت من أقن المباني. ووقعت من السلطان موقع الاستغراب، لفقدان صفة البناء بأرضهم. ومن أخبار ابن خديجة أيضا خبر إهداء ملك مالي زرافة كبيرة عليها الحلبي والمشغولات المنسوجة. فكان هذا الحيوان أعجوبة مدهشة للمغاربة.

ومن مصادر ابن خلدون القاضي محمد بن وانسول من سجلماسة. استوطن أرض كوكو، وصار قاضيا بها. ولقي المؤلف سنة ٧٧٦هـ، فأخبره بالكثير مما كتبه في كتاب «العبر». ومن ضمن أخباره الغربية أنه كان لملوك مالي حجر كبير من الذهب، وزن (٢٠) قنطارا، كتلة واحدة استخرجت من المنجم، دون أن تكون صيغت من قطع مختلفة. وقد ورد ذكر هذا الحجر عند الإدريسي الذي ذكر قبل أكثر من قرنين أن «الذي يعلمه أهل المغرب الأقصى علما يقينا لا اختلاف فيه أن له (ملك غانة) في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب، تبرة واحدة خلقها الله خلقة تامة من غير أن تسبك في نار ولا تطرق بالة، وقد نفذ فيها ثقب. وهي مربطة لفرس الملك»^(٩٠). ولكن القاضي ابن وانسول أخبر أن الملك ماري جاطة كان مسرفا مبذرا. فباع الحجر لتجار مصر بثمن بخس.

وروى القاضي كذلك أن السلطان المذكور أصابته علة النوم، وظلت تلازمه حتى وفاته سنة ٧٧٥هـ. وهذا هو مرض النوم lethargy المتسبب من بعوضة التسي تسي . Tsetse

١٠- ليون الأفريقي (الحسن الوزان):

الحسن الوزان (ت حوالي ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) وكتابه «وصف أفريقيا» أشهر من أن يعرفا . وقد قام أكثر من باحث بتحليل وشرح وتلخيص ووصف ما ذكره في كتابه حول الصحراء والممالك الواقعة جنوبيها^{(٩١)، (٩٢)، (٩٣)} . ولكن وقفة قصيرة مع مشاهداته وأقواله تخدم هدف هذا البحث، وهو ذكر تأثير الرحالة العرب المستكشفين على معلومات المجتمع العلمي حول العالم، وإضاءتهم لما كان مجهولا عن غرب القارة السمراء ووسطها .

فقد قام المؤلف برحلة سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م مع عمه الذي كلف بمهمة سفارة لملك فاس إلى ملك الصنغي . وعاد الحسن بمعلومات مفيدة، كانت جديدة حتى على المغاربة في عصره . فتحدث في كتابه عن أربع عشرة (١٤) مملكة من ممالك جنوب الصحراء . وهذا القسم (القسم السابع) من كتابه هو الذي أضاف معلومات كثيرة لدى الأوربيين لم تكن معروفة لديهم . وبقي مرجعا لدى رسامي الخرائط التي كانت تعرف بخرائط البورتولانو إلى أكثر من مئتي (٢٠٠) عام بعد نشره . وكان من المؤلفات الإسلامية القليلة التي ألّفت بعد العصور الوسطى وتركت في أوروبا أقوى الأثر^(٩٤) . فكان كتابه يطبع مرارا ويترجم إلى مختلف اللغات^{(٩٥)، (٩٦)، (٩٧)} .

نجد عند الوزان لأول مرة كلاما حديثا يشبه ما يكتب اليوم في كتب الجغرافيا . فلا يخلط المؤلف أسماء الأنهر كما مرّ بنا عند الرحالة السابقين الذين أطلقوا اسم النيل على كل الأنهر . فهنا نجد اسم نهر النيجر كما نسميه اليوم . ونجد لأول مرة حديثا عن استعمال الأسلحة النارية عند سكان المنطقة . وفي رأي الوزان أن الجغرافيين القدماء مثل البكري والمسعودي لم يعرفوا شيئا عن بلاد السودان الغربي، باستثناء الواحات وغانة . فيقول بأنها اكتشفت بعد سنة (٣٨٠هـ)، لأن لمتونة وجميع سكان المنطقة أسلموا على يد داعية^(٩٨) . وهذا الكلام خاطئ حسب ما مرّ بنا من نصوص واقتباسات . فالإسلام

والرحالة المستكشفون عرفوا طريقهم إلى هذه البلاد منذ عهد مبكر . والبكري الذي ألّف كتابه عام ٤٦٠هـ كتب بالتفصيل الدقيق عن المنطقة ، بحيث لا يقارن ما كتبه الوزان بما ورد عند البكري!

وفي رأي الوزان أن الناس هناك يعيشون كالبهائم ، لا ملوك ولا أمراء ولا جمهوريات ولا حكومات ولا عادات^(٩٩) . ولو أنه يناقض نفسه في مواضع أخرى فيتحدث عن بعض الممالك التي تحضرت بعد دخول الإسلام إليها ، حسب قوله هو . ونرى تعاليه على القوم واحتقاره لهم في عدة عبارات . فهو يقول مثلاً : «وهم أناس في غاية السواد والخسة»^(١٠٠) . ولا ندري لماذا يربط السواد بالخسة! ويقول في موضع آخر : «يعيش هؤلاء القوم في جهالة جهلاء . . . حتى لا تكاد تعثر في مسافة مائة ميل على واحد منهم يعرف القراءة والكتابة . لكن الملك يعاملهم بما يستحقون . فلا يترك لهم إلا ما يسدون به رمقهم ، لكثرة ما يثقل به كاهلهم من الضرائب»^(١٠١) . وتساءل هنا : ماذا عمل هؤلاء للوزان حتى يتحدث عنهم بهذا الشكل؟

١١- السعدي:

عبد الرحمن بن عبد الله السعدي (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م) هو من مواليد تنبكتو ، فهو بالتالي من أهل تلك البلاد التي ألّف في تاريخها ، كان كثير الأسفار إلى مدن المنطقة . والمعلومات التي تحصل عليها دونها في كتابه «تاريخ السودان»^(١٠٢)،^(١٠٣) . وخاصة رحلته إلى بلاد مسينا (وهي إمبراطورية فولانية)^(١٠٤) التي خصص لها أحد فصول كتابه المكون من ثمانية وثلاثين (٣٨) فصلاً^(١٠٥) .

١٢- تأثير الاكتشافات العربية:

تحدثنا عن تأثير كتابات الإدريسي وابن بطوطة والحسن الوزان على الأوربيين ، ولكن هذا لا يعني عدم وجود تأثير للآخرين الذين سبق ذكرهم . فالمصادر العربية كما

ذكرنا تعد المصادر الوحيدة لتاريخ تلك البلاد التي لم يدون أحد من أهلها تاريخهم، إلا بعد قيام الممالك والدول الإسلامية فيها، وتعلم أهل البلاد اللغة العربية التي كانت اللغة المكتوبة الوحيدة إلى عهد الاستعمار الحديث.

وقام الدارسون في العصر الحديث بالاعتماد على المصادر العربية بالتنقيب عن الآثار في مواقع البلدان القديمة المندثرة. فأثبت البحث الأثري صحة ما ورد عند العرب. ففي موقع غانة القديمة (موقعها يسمى كمبي صالح في موريتانيا الحالية) (١٠٦) أثبتت التنقيبات الأثرية ما ذكره البكري من أن المباني في غانة على نوعين: فالتجار المسلمون كانوا يسكنون مباني حجرية، أما الأهالي الأفارقة فكانت بيوتهم من الطين، والملك كانت له قلعة يسكن بداخلها (١٠٧).

وفي موقع مدينة أودغست - بموريتانيا كذلك - اكتشفت أطلال مدينة متحضرة. مبانيها في غاية الدقة والإتقان: جدران حجرية مقصبة، وواجهات مصقولة، وأسس صلبة، مع استعمال الأبنية القديمة مثل الصهاريج المردومة كلما أمكن ذلك. وما تم العثور عليه من المواد غزير للغاية. فبالإضافة إلى قطعة خزفية متقنة الصنع وجدت قطع معدنية متعددة من النحاس والحديد، وسبائك وبوياتات وقطع حلي دقيقة من النحاس والخلتيدونية والصدف وقشر بيض النعام وقطع من الزجاج والحجر والصدف غير مخدومة، أي كانت مواد خام في طريقها إلى الصياغة. فهذه الأشياء كلها تدل على استمرار وتطور الأنشطة الحرفية في ذلك الموقع، وخاصة الصناعة التحويلية الصغيرة وصياغة الحلي. وفي بعض أجزاء معينة من موقع التنقيب - تحديدًا في جنوبي شارع رئيسي - امتازت المواد التي عثر عليها عن غيرها من حيث الأهمية، لأنها وجدت تامة. ومنها سبعة أسورة متشابهة، الأمر الذي يدل على أن المكان معمل لصياغة الحلي أو متجر لبيعها أو يخدم الغرضين معا.

وهذا التطور الذي شمل الأنشطة الحرفية يصادف مرحلة ازدهار المدينة، ووضع التنظيم الأكمل للمدينة التي شهدت وضع تصميم عمراني حقيقي. إلا أن هذا كله قد توقف فجأة، فقد هدمت الأفران وهجر الحي. ووجود أشياء ثمينة كاملة في مكانها يدل على هروب السكان أمام هجوم بعض الأعداء، ولا يدل على تنقل السكان بصورة سلمية. هنا تم تأريخ بعض القطع المكتشفة، فوجد أنها تعود إلى فترة الثلث الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي^(١٠٨). وهنا نرجع إلى البكري فنجد أنه يذكر الهجوم المباغت للمرابطين على مدينة أودغست سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م واستباحة حريمها وقتل العرب والسودان من رجالها دون تمييز بين ورع صالح ومدني مسالم، فتم خرابها بعد أن كانت عامرة بالتجارة والصناعة الخفيفة^(١٠٩). أما المكتشفات الأثرية التي قدر تأريخها أو عمرها بعد تلك السنة فقد أظهرت كما يروي التقرير نفسه فترة غير مزدهرة كالتى ذكرناها.

ومنذ القرن الثامن الهجري (١٤م) اعتمد واضعو الخرائط بمدينة ميورقة الإسبانية على الجغرافيين العرب في وضع خرائطهم المشهورة في تاريخ الخرائط. ومنها الأطلس القطالوني (حوالي ١٣٧٥هـ) الذي يرسم ملوك أفريقيا الغربية بملابسهم التقليدية، وثبت اعتماده على المصادر العربية^(١١٠).

وبتأثير كتاب الرحالة ابن فاطمة الذي نقل ملخصه ابن سعيد المغربي ظهرت في أوروبا خرائط جديدة تظهر خليج غينيا والطرف الجنوبي للقارة السمراء، وذلك قبل رحلة فاسكو دا غاما. الأمر الذي أوقع مؤرخي الخرائط في حيرة. حيث يفترضون أن الغرب لم يعرف هذه المعلومات عن أفريقيا إلا بعد رحلة داغاما، فكيف رسمت بهذا الشكل قبله؟. والجواب يكمن في الاقتباسات التي نقلناها عن ابن فاطمة. وكانت المعلومات التي يتناقلها الأوربيون عن إبحار العرب حول أفريقيا هي التي شجعت بارثليمو دياز (وداغاما من بعده) على القيام بالرحلة نفسها. وقد أوضح مؤرخو الجغرافيا كمية

الإضافات التي أضافها علماء العرب - نقلا عن الرحالة أو تسجيلا لمشاهداتهم الشخصية - إلى معلومات بطليموس والإغريق، الأمر الذي أدى إلى ذلك التطور في الخرائط الأوربية^(١١).

واستدعت حركة الاستعمار والكشوف الجغرافية الأوربية التي صاحبها معرفة البلاد الأفريقية، فطبعت الكتب العربية وترجمت إلى اللغات الأوربية، حتى قبل طباعتها بالعربية. ومن ذلك كتب البكري والإدريسي والحسن الوزان التي لم تنشر بالعربية إلا في الثمانينيات والتسعينيات من هذا القرن، كما يتضح من تواريخ طباعتها المذكورة في قائمة المراجع الآتية. وما زالت المراجع تترجم وتعاد طباعتها حتى اليوم، من أجل المهتمين بتاريخ تلك البلاد، سواء من أبنائها أو من غيرهم. فهذه الكتب مصدر أساسي في تاريخ اكتشاف العالم.

الهوامش

- (١) Bisson, J., "al-Sahra" IN: Encyclopaedia of Islam (EI2), vol. 8 (1995), pp. 845-850, (see p. 847b).
- (٢) زنيبر ، محمد . «تجارة القوافل في المغرب» ، ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، نشر معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ١٦١-١٩٠ (انظر ص ١٦٥ ، ١٨١) .
- (٣) طرخان ، إبراهيم علي . إمبراطورية البرنو الإسلامية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٦٥ .
- (٤) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب . «البلدان» . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٨٨ ، ص ٦٥ .
- (٥) ابن حوقل ، أبو القاسم . «صورة الأرض» ، تحقيق كرامز ، نشر دار برل ، ليدن (هولندا) ، ١٩٣٩م ، طبعة مصورة بدار صادر ، بيروت ، ص ٣٢٩ .
- (٦) العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله . «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ، قسم ممالك مصر والشام والحجاز واليمن / تحقيق أيمن فؤاد سيد . القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، ١٩٨٥ ، ص ٦ .
- (٧) زنيبر ، المرجع السابق ، ص ١٨١ .
- (٨) الشيخلي ، صباح إبراهيم . «النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن ١١هـ / ١١م» ، ضمن كتاب تجارة القوافل . . السابق ذكره ، ص ٤٦٢-٤٦٣ (انظر ص ٣٣ و ٣٤) .
- (٩) فخار ، إبراهيم . «تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى» ، ضمن كتاب تجارة القوافل . . السابق ذكره ، ص ٦٨٤٧ (انظر ص ٥١-٥٣ و ٦٤) .

- (١٠) عوض الله ، الشيخ الأمين . «تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن ١٦م» ، ضمن كتاب تجارة القوافل . . . السابق ذكره ، ص ١٠٦-٦٩ (انظر ص ٧٤) .
- (١١) العراقي ، السرسيد أحمد . «تجارة القوافل بين شمال وغربي أفريقيا وأثرها الحضاري» ، ضمن كتاب تجارة القوافل . . . السابق ذكره ، ص ١٤٧-١٦٠ (انظر ص ١٥٠ و ١٥١) .
- (١٢) الشبخلي ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- (١٣) عوض الله ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .
- (١٤) زنيبر ، المرجع السابق ، ص ١٧٥ .
- (١٥) عوض الله ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .
- (١٦) بو عزيز ، يحيى ، «طريق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن ١٩م» ، ضمن كتاب تجارة القوافل . . . السابق ذكره ، ص ١٢٥-١٤٥ (انظر ص ١٣٤-١٣٦) .
- (١٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، عدة طبعات ، انظر مادة «التبر» في المعجم المذكور .
- (١٨) عوض الله ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .
- (١٩) عوض الله ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .
- (٢٠) بو عزيز ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .
- (٢١) المسعودي ، علي بن الحسين ، «مروج الذهب ومعادن الجوهر» ، مراجعة وفهرسة يوسف أسعد داغر ، نشر دار الأندلس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٣ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .
- (٢٢) الخوارزمي ، محمد بن موسى ، «صورة الأرض من المدن والجبال . . . ، استخرجه من كتاب جغرافيا الذي ألفه بطليموس» ، تحقيق هانس فون مزيك ،

طبع في ليسك سنة ١٩٢٦م ، طبعة مصورة بمكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ٦ .

(٢٣) DSB 7: 358-365, see p. 361 & 362.

(٢٤) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، «تاريخ اليعقوبي» ، نشر دار صادر ببيروت ، ١٩٦٠ ، ج ١ ، ص ١٩١-١٩٤ .

(٢٥) ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٢٦) ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٢٧) المقدسي ، محمد بن أحمد ، «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ، تحقيق دي غويه ، نشر دار برل ، ليدن (هولندا) ، ١٩٠٦ ، طبعة مصورة بدار صادر ، بيروت ، ص ٥ .

(٢٨) ميكيل ، أندريه ، «جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر» ، تعريب إبراهيم خوري ، نشر وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٨٥ ، الجزء الثاني ، القسم الأول ، ص ١٨٩ .

(٢٩) ميكيل ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣٠) المسعودي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .

(٣١) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٣٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٣٣) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٦١ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣٤) فال ، يوري كريم ، «المصادر العربية للتاريخ الأفريقي ، التقييم والآفاق» ، ضمن كتاب تجارة القوافل ... السابق ذكره ، ص ١٩١-٢٢٤ (انظر ص ١٩٨) .

(٣٥) البكري ، أبو عبيد ، المسالك والممالك ، تحقيق فان ليوفن وفيري ، نشر الدار العربية للكتاب وبيت الحكمة بتونس ، ١٩٩٢م ، جزءان ، مقدمة المحققين ، ص ١٦ .

Levi-Provencal, E. "Abu Ubaid al-Bakri", El2, vol. 1 (1960) pp. (٣٦) 155-157.

(٣٧) الجمل ، شوقي عطا الله ، «كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين كمصدر لتاريخ العرب» ، ضمن كتاب «أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب ، حصاد ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة» ، نشر الاتحاد المذكور ، ١٩٩٨ ، ص ٣٧٣-٣٩٦ ، انظر ص ٣٧٨ .

(٣٨) فان ليوفن وفيري ، مقدمة تحقيقهما لكتاب البكري السابق ذكره ، ص ٢١ .

(٣٩) البكري ، المصدر السابق ، الفقرتان ١٢٧٨ و ١٤٢٢ ، ص ٧٦٢ ، ٨٥١ .

(٤٠) الكرمني ، حسن سعيد ، «الهادي إلى لغة العرب» (معجم عربي - عربي) ، نشر دار لبنان ، بيروت ، ١٩٩١ ، مادة (رحل) .

(٤١) الإشبيلي ، أبو الخير ، «عمدة الطبيب في معرفة النبات» ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، نشر دار الغرب الإسلامي (ط٢) ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٤٢) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٤٦ .

(٤٣) كراتشكوفسكي ، إغناطيوس ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم ، الطبعة الثانية المنقحة ، نشر دار الغرب الإسلامي . بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ١٨٦ .

(٤٤) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٤١ .

(٤٥) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٦٥ .

(٤٦) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٧١ .

(٤٧) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٧٤ .

(٤٨) الإدريسي ، محمد بن محمد ، «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ، نشر المعهد الإيطالي للشرق الأقصى والأدنى ، روما ، ١٩٧٠-١٩٨٤ ، ثم طبع مصوراً ببيروت وفي القاهرة ، ص ٧ .

- (٤٩) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .
- (٥٠) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ٢٧ و ١٠٨ و ٢٢٥ .
- (٥١) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .
- (٥٢) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ أيضاً .
- (٥٣) العربي ، إسماعيل ، تقديمه لـ «كتاب الجغرافيا» لابن سعيد المغربي ، المكتب التجاري/ دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٠م ، مقدمة المحقق ، ص ٤٦ .
- (٥٤) كرامرز ، ج. هـ . ، «الجغرافيا والتجارة» ، ضمن كتاب تراث الإسلام ، تحرير توماس أرنولد ، تعريب جرجيس فتح الله ، نشر دار الطليعة ببيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١٢٥-١٦٦ (انظر ص ١٣٠ و ١٥٨) .
- (٥٥) Oman, G. "al-Idrisi", EI2, vol. 3 (1986) pp. 1032-1035.
- (٥٦) المغربي ، ابن سعيد ، «بسط الأرض في الطول والعرض» تحقيق خوان برنيت ، نشر معهد مولاي الحسن ، تطوان ، ١٩٥٨م ، ص ١٠٤ .
- (٥٧) الحموي ، أحمد بن ياقوت ، «مختصر كتاب الجغرافيا» ، مخطوط بمكتبة الفاتح باستنبول ، رقم ٣٤١٢ ، ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، ص ١ .
- (٥٨) العربي ، المرجع السابق (بالهامش رقم ٥٣) ، ص ٥٥ .
- (٥٩) العربي ، تعليقاته على كتاب ابن سعيد المغربي ، ص ٢٢٣-٢٢٠ .
- (٦٠) ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، ص ٨٤ و ٨٥ .
- (٦١) العربي ، المرجع السابق (بالهامش رقم ٥٣) ، ص ٦٣ و ٢٢١ .
- (٦٢) ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، ص ١١١ .
- (٦٣) Lewick, T. "Lamtuna", EI2, vol. 5 (1986) pp. 652-654, see p. 654.
- (٦٤) ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، ص ٩٤ و ٢٢٧ .
- (٦٥) ابن سعيد المغربي ، بسط الأرض (المصدر المذكور في الهامش رقم ٥٦) ، ص ٢٧ .

(٦٦) ابن سعيد المغربي ، بسط الأرض (المصدر المذكور في الهامش رقم ٥٦) ، ص ٣٠ .

(٦٧) ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، ص ٩٧ .

(٦٨) ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، ص ٩٠ و ٩١ .

(٦٩) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(٧٠) Lunde, P. "Voyages of the Mind", Aramco World, vol. 43 no. 3, (٧٠) May-June 1992, p.3

(٧١) التازي ، عبد الهادي : «حول المغرب واكتشاف أمريكا» ، مجلة الفيصل ، العدد ١٥٦ ، السنة ١٣ ، (جمادى الآخرة ١٤١٠هـ / يناير ١٩٩٠م) ، ص ٦٢-٥٨ .

(٧٢) ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، ص ٩٠ .

(٧٣) فرنيت ، خوان : «هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط البحرية» ، صحيفة معهد الدراسات العربية المصرية ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ص ٨٢ .

(٧٤) Maqbul Ahmed, S. "Djughrafiya", EI2, vol. 2 (1965) pp. 575-587, (٧٤) see p. 586.

(٧٥) ميكيل ، المرجع السابق ، ص ١٨٥ و ١٨٩ و ٢٣٢ .

(٧٦) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

(٧٧) Maqbul Ahmed, S., op. Cit., p.586.

(٧٨) الكرمي ، المرجع السابق ، مادة برد .

(٧٩) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مخطوط ، طبعت منه مخطوطة مكتبة السليمانية باستنبول ، طبعة مصورة بفرانكفورت ، سنة ١٩٨٨-١٩٨٩م ، الجزء الرابع ، ص ٣٤-٤٩ .

(٨٠) Abercrombie, T.J. "Ibn Battuta, Prince of the Travelers", National Geographic, vol. 180, no.6, December 1991, pp. 2-49.

- (٨١) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .
- (٨٢) سيأتي خبر هذا المهندس عند ابن خلدون في الفقرة الآتية من هذا البحث .
- (٨٣) ابن بطوطة ، «رحلة ابن بطوطة» ، تحقيق طلال حرب ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٧٠٤ .
- (٨٤) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ٧٠٥ .
- (٨٥) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ٧٠٢ .
- (٨٦) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ٦٨٤ .
- (٨٧) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ٦٨٩ .
- (٨٨) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص ٤٧٥ .
- (٨٩) ابن خلدون ، «تاريخ العلامة ابن خلدون» ، وهو كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر» ، نشر دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٩م ، ج ٦ ، ص ٤١٩-٤٠٩ .
- (٩٠) الإدريسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣ .
- (٩١) الحسن الوزان (ليون الأفريقي) ، وصف أفريقيا ، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر ، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت ، جزءان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣م ، انظر مقدمة المحققين حول تحليل محتويات الكتاب .
- (٩٢) Bisson, op. cit., p. 846.
- (٩٣) عوض الله ، الشيخ الأمين : «الحسن الوزان ومساهمته في الحضارة العربية الإسلامية» ، ضمن كتاب ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية ، نشر معهد البحوث والدراسات العربية (التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، بغداد ، ١٩٨٥م ، ص ٢٤٩-٢٤١ ، (انظر ص ٢٤٧ ، ٢٤٨) .
- (٩٤) Glick, T. "Leo the African", Dictionary of Scientific Biography (DSB), Scribner Publishers, New York, 1980, vol. 8, p. 190.
- (٩٥) الحجي والأخضر ، مقدمة الطبعة العربية لكتاب الحسن الوزان ، (المذكورة بالهامش ٩١ أعلاه) ، ص ٢١٠-٢٠ .

(٩٦) الشيخ الأمين عوض الله ، «الحسن الوزان . . . » ، (البحث المذكور بالهامش ٩٣) .

(٩٧) Bullough, V.L. "Vernius", DSB, vol. 13, p. 583b.

(٩٨) الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ١٥٩/٢ .

(٩٩) الحسن الوزان ، المصدر السابق .

(١٠٠) الحسن الوزان ، المصدر السابق ب ، ١٦٢/٢ .

(١٠١) الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ١٧٠/٢ .

(١٠٢) الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، الطبعة الرابعة (١٩٨٠) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج ٣ ، ص ٣١٣ .

(١٠٣) Hunwick, J.O., "al-Sa'di", EI2, vol. 8 (1994), pp. 718-719.

(١٠٤) Cornevin, R. "Fulani or Fulbi", EI2, vol. 2 (1965), pp. 939-943, (see p. 941).

(١٠٥) دياب ، أحمد إبراهيم ، «علماء بلاد السودان الغربي في القرنين ١٦-١٧م» ، ضمن كتاب ندوة العلماء الأفارقة . . . السابق ذكره ، ص ١٤٥-١٥٨ ، (انظر ص ١٥٥) .

(١٠٦) Cornevin, R. "Ghāna", EI2, vol. 2 (1965), pp. 1001-1003.

(١٠٧) Fage, J.D. "West Africa, History of", Encyclopaedia Britannica, (1982 edition), vol. 19, pp. 760-786, (see p. 761) .

(١٠٨) فاناكير ، أكلوديت ، «عرض عن نتائج التنقيب في حي صناعي عن مدينة أودغست» ، تعريب المعهد الموريتاني للبحث العلمي ، نشر في كتاب «الآثار الإسلامية في الوطن العربي» ، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٥ ، ص ١٠٨-١٢٦ .

(١٠٩) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٤٩-٨٤٨ و ٨٦٢-٨٦٣ .

- (١١٠) إبراهيم ، طرخان ، المرجع السابق ذكره (في الهامش رقم ٣) ، ص ٦١ .
- (١١١) سزكين ، فؤاد ، «مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة» ، نشر معهد تاريخ العلوم العربية بجامعة فرانكفورت ، ١٩٨٧ ، ص ٤١-٣٧ .

نظرة في المصادر العربية المحلية في تاريخ الدولة الصكتية

د. محمد بن علي بن محمد السكاكر (*)

المستخلص

تتناول هذه الدراسة منطقة غير معروفة كثيراً بالنسبة للعالم العربي ، وهي الدولة الصكتية التي نشأت في بلاد الهوسا (شمال نيجيريا حالياً) على يد الشيخ عثمان بن محمد فودي الذي ولد سنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م . أثرت نشأة الشيخ الدينية واستفادته العلوم الشرعية على حياته فبدأ بالدعوة إلى الإسلام الصحيح ، ثم تطورت دعوته السلمية إلى الجهاد في سبيل الله ، ومن ثم أسس الدولة الصكتية نسبة إلى عاصمتها «صكت» التي تأسست سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م . وقد خلّف قادة هذه الدولة ثروة ضخمة من المؤلفات العربية في مختلف العلوم الشرعية والعربية . وتركز الدراسة الحالية على المصادر التي كتبها علماء الدولة الصكتية فقط وباللغة العربية . وقد قسّمت هذه المصادر إلى قسمين : أولاً : الوثائق ؛ ثانياً : المصنفات المنشورة وغير المنشورة .

ثم تبدأ الدراسة في تناول القسم الأول وهو الوثائق بشيء من التفصيل ، منوهة بالجهود التي بذلتها جامعة أحمدو بيللو في نيجيريا بهذه المصادر . ثم تقدم الدراسة ثلاثة نماذج من ثلاثة مجلدات جمعت فيها بعض هذه الوثائق :

(*) الأستاذ المساعد بكلية العلوم العربية والاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فرع القصيم .

- ١ . عبدالقادر بن عثمان بن ليم ، التي جمع فيها صاحبها رسائل ثلاثة من خلفاء الدولة الصكتية ، تورّد الدراسة مقتطفات منها ؛
 - ٢ . مجموعة رسائل بوتشي ، أو بين أمراء الولايات وأمراء ولاية بوتشي . وقد أوردت الدراسة أيضاً نماذج من هذه الرسائل (الوثائق) ؛
 - ٣ . «وثائق المجلد رقم ١١٨» . ويضم هذا المجلد أكثر من ٣٧٠ وثيقة ، وهي عبارة عن رسائل متبادلة بين أمراء ولايات الدولة الصكتية ، ورسائل من وزراء وقضاة وخطباء وعلماء إلى هؤلاء الأمراء ، وفيها معلومات غزيرة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في الدولة الصكتية . وتورّد الدراسة نماذج منها .
- ثم تتناول الدراسة القسم الثاني وهو المصنفات المنشورة وغير المنشورة ، فتبدأ بـ«المصنفات غير المنشورة» . وهي تضم مؤلفات مؤسس هذه الدولة والخلفاء من بعده ، وتورّد الدراسة تفاصيل عن محتويات هذه المصنفات . ثم تتناول : «المصنفات المنشورة» ، وهي كذلك مؤلفات لخلفاء هذه الدولة ، وتورّد الدراسة تفاصيل عنها وتحليلها . ومن الواضح أن هذه المصادر بقسميها ، سواء الوثائق ، أم المصنفات هي مصادر أصيلة لدراسة الدولة الصكتية .

نظرة في المصادر العربية المحلية في تاريخ الدولة الصكتية

لقد قامت الدولة الصكتية في بلاد الهوسا (شمال نيجيريا حالياً) على يد الشيخ عثمان بن محمد فودي الذي ولد سنة ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م ، ونشأ في أسرة متدينة فأثرت فيه تأثيراً بالغاً ، فلما نهل من العلوم الشرعية والعربية مبتغاه ، وفاق فيها أقرانه ، رأى أن يدعو الناس في بلاده إلى الإسلام الصحيح ، وذلك بترك العوائد الشركية ، والبذع المنحرفة والتمسك بتعاليم الإسلام وأدابه . ثم تطورت دعوته السلمية ، إلى استخدام الوسائل العملية عن طريق إعلان الجهاد دفاعاً عن النفس في بادئ الأمر ، ثم مبادرة بالهجوم لإسقاط الحكومات الكافرة أو المخلّطة في بلاد الهوسا . فبدأ جهاده في سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م ضد ملك «غوير» ، ثم أعلن الجهاد في جميع ولايات الهوسا ، ولم تأت سنة ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م إلّا وقد خضعت لسلطانه جميع هذه الولايات وما جاورها^(١) ، ثم أنشأ في عام ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م مدينة «صكت» واتخذها عاصمة لدولته^(٢) ، وقد نسبت دولته إلى هذه العاصمة فسميت في المصادر المحلية بـ «الخلافة الصكتية» . ولما توفي سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م خلفه ابنه محمد بل^(٣) ، ثم تسلسل الخلفاء من بعده من أبناء الشيخ عثمان وأحفاده حتى سقطت الدولة في يد الاستعمار البريطاني سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م^(٤) . وبعد سقوطها احتفظ حكام صكت بلقب أمير المؤمنين ولكنهم تحت السيادة الإنجليزية التي طبقت نظام الحكم غير المباشر في شمال نيجيريا .

وتجدر الإشارة إلى أن الدولة الصكتية قد اتخذت اللغة العربية لغة رسمية للدولة ، فجعلتها لغة الدواوين والتأليف والتعليم ، كما اتخذت الدين الإسلامي ديناً رسمياً وجعلته دستور العمل في الدولة .

ولكن يؤخذ على هذه الدولة أنها دولة صوفية لا تخلو من بدع وانحرافات ، وقد انتسب قاداتها إلى الطريقة القادرية ، كما أنهم انتسبوا إلى عقيدة الأشاعرة^(٥) ، ولكنهم مع ذلك لهم جهد مشكور في نشر الإسلام واللغة العربية في منطقة عجمية اللسان كثر فيها الكفر الصريح ، ومن كان مسلماً منهم فقد خلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر مثل السحر والشعوذة والاعتقاد بالأيام ، وعدم تأدية فرائض الإسلام^(٦) . . . إلخ .

وقد خلف قادة هذه الدولة ثروة ضخمة من المؤلفات العربية في مختلف العلوم الشرعية والعربية ، ويكفي أن الشيخ عثمان وحده وضع أكثر من (١٤٠) مصنفًا ما بين كتاب ورسالة ونصيحة^(٧) ، وقارب منه في هذا العدد أخوه الشيخ عبدالله بن فودي ، ومحمد بل بن الشيخ عثمان .

ونظراً لأهمية هذه الدولة ودورها الكبير في نشر الإسلام في غرب أفريقيا ، فقد رأيت أن أقدم دراسة عن مصادرها العربية ، لتكون في متناول الباحثين والدارسين من المهتمين بتاريخ عالمنا الإسلامي ، وكذلك لتكون هذه الدراسة دافعاً للباحثين والدارسين إلى تقصي جوانب تاريخ هذه الدولة التي سعى الاستعمار جاهداً لطمس معالمها وإخفاء حضارتها ، فيحيوا ما طُمس ، ويظهروا ما أُخفي ، وبالتالي تصبح هذه الدراسات بإذن الله طريقاً ومنهجاً لربط النيجيريين وبخاصة ولايات الشمال بحضارتهم السابقة قبل الاستعمار فيسعوا إلى إحيائها والانتماء إليها .

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر التي سأتناولها في هذه الدراسة هي تلك المصنفات التي كتبها علماء الدولة الصكتية فقط ، فهي مصادر تاريخية محلية كتبت باللغة العربية ، ولذلك فإن المصادر التي كتبت بلغات أخرى غير العربية ، أو المصادر التي كتبها مؤرخون أو علماء من خارج الدولة الصكتية ليست داخلية في نطاق هذه الدراسة .

وقد قسمت هذه المصادر إلى قسمين :

الأول : الوثائق .

الثاني : المصنفات المنشورة وغير المنشورة .

أولاً : الوثائق :

لقد أولت الجامعات النيجيرية الوثائق والمخطوطات المتعلقة بتاريخ الدولة الصكتية اهتماماً كبيراً ، فحرصت على جمع هذه الوثائق والمخطوطات أو صور عنها لحفظها ووضع فهرس لها ، وتشجيع الباحثين على دراستها وتحقيقها .

وتعد جامعة أحمدو بيللو في مدينة «زاريا» من أهم الجامعات النيجيرية التي اهتمت بهذا المجال ، فأنشأت في سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م «مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا» لحفظ الوثائق والمخطوطات وتيسير تعرف الباحثين عليها ، فأصدر هذا المركز منذ تأسيسه حتى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ستة مجلدات صغيرة أو متوسطة الحجم عن تصنيف الوثائق والمخطوطات والمصورات الموجودة في هذا المركز ، ويحتوي كل مجلد على الآتي :

أولاً : مقدمة المصنف .

ثانياً : التعريف بموضوعات المجلد .

ثالثاً : فهرس المخطوطات .

رابعاً : فهرس الوثائق (الرسائل) .

ومن الملاحظ أن المجلدين الخامس والسادس يحتويان بالإضافة إلى ما سبق على فهرس للمؤلفين ، وفهرس للأماكن^(٨) .

وتجدر الإشارة إلى أن جامعتي أحمدو بيللو بزاريا ، وبايرو بكنو تقدمان تسهيلات للباحثين ، وتبديان تعاوناً إيجابياً مع الدارسين ، وبخاصة إذا كانوا من الدول العربية ، فقد زرت هاتين الجامعتين في عامي ١٤٠٤هـ ، ١٤٠٨هـ / الموافق ١٩٨٤ ، ١٩٨٨م فاستقبلني المسؤولون هناك باحترام ، وتعاونوا معي تعاوناً ملموساً ، وصوروا لي كل ما احتجت إليه من الوثائق والمخطوطات بسعر تكلفة التصوير فقط ، كما أفادوني بأنهم

حريصون على إحياء تاريخ هذه الدولة ، وأنهم يحثون المسلمين وبخاصة العرب منهم على الكتابة عن تاريخها ، وأنهم سيقدمون للدارسين والباحثين تسهيلات في الحصول على المادة العلمية من وثائق ومخطوطات كتبت باللغة العربية .

ولكي أقدم صورة واضحة عن هذه الوثائق وأهميتها في دراسة تاريخ الدولة الصكتية أورد هنا ثلاثة نماذج من ثلاثة مجلدات جمعت فيها بعض هذه الوثائق وهي :

النموذج الأول :

عبدالقادر بن عثمان بن ليم :

«مجموعة رسائل أمير المؤمنين محمد بل ورسائل أمير المؤمنين عتيق ورسائل أمير المؤمنين علي»^(٩) .

لقد جمع عبدالقادر بن عثمان بن ليم في هذا الكتاب رسائل ثلاثة من خلفاء الدولة الصكتية وهم :

محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي الذي تولى الخلافة بعد وفاة والده سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧ م ، وأبو بكر عتيق بن الشيخ عثمان بن فودي الذي تولى الخلافة بعد محمد بل سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧ م ، وعلي بن محمد بل بن الشيخ عثمان الذي تولى الخلافة بعد وفاة عمه أبي بكر عتيق سنة ١٢٥٨-١٢٧٥هـ/ ١٨٤٢-١٨٥٩ م . وقد قسم هذا المصنف إلى ثلاثة فصول ، فأورد في الفصل الأول ثلاث عشرة رسالة من رسائل الخليفة محمد بل ، وفي الفصل الثاني ذكر أربع رسائل من رسائل الخليفة أبي بكر عتيق ، وفي الفصل الثالث أورد اثنتي عشر رسالة من رسائل الخليفة علي بن محمد بل . وجميع هذه الرسائل كتبت بخط جامعها بعد أن نقلها من أصولها .

وقد بدأ الفصل الأول برسالة من أمير المؤمنين محمد بل إلى محمد الجيلاني أمير الطوارق بتاريخ ٣/٣/١٢٣٦ هـ، ومضمون هذه الرسالة جواب محمد بل على الخطاب الذي أرسله إليه محمد الجيلاني يسأله فيه عن حقيقة الظلم، وربما كان يتهمه بذلك. ويتضح هذا الاتهام من خلال جواب محمد بل في هذه الرسالة، حيث جاء فيها: «... أما بعد فقد رأيت كتابك الذي فيه سؤالك وخطابك، فأقول واللّه الموفق للصواب: اعلم أنني إن شاء الله لست ممن يظلم الرعية، ولا ممن يأمر به، ولا ممن يرضاه، ولا ممن يقره، ولا أظن أحداً من أهل الحق يتهمني بذلك. وأما ظلم بعض الرعية لبعض في هذه الجماعة فأمر مشتهر ومنشتر منذ أيام الشيخ حتى نص عليه في بعض كتابه نصيحة أهل الزمان تحذيراً منه...»^(١٠). ثم يواصل الخليفة محمد بل حديثه مدافعاً عن نفسه، ومبيناً أنه حريص على دفع الظلم ومنعه، وأنه ما نصب القضاة إلا من أجل الحكم بين الرعية بالعدل. وفي نهاية هذه الرسالة يطلب محمد بل من المرسل إليه محمد الجيلاني أن يرسل إليه من يشتكي من ظلم أحد الرعية ليحيلهم إلى القضاء^(١١).

وعلى العموم فإن جميع الرسائل التي أرسلها الخليفة محمد بل إلى الأمراء وغيرهم فيها معلومات قيمة عن تاريخ الدولة الصكتية في عهد محمد بل في الجوانب السياسية والحربية والدينية في الدرجة الأولى، كما أنها لا تخلوا من إشارات عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

أما الفصل الثاني: فورد فيه أربع رسائل أرسلها الخليفة أبو بكر عتيق بن الشيخ عثمان بن فودي الذي تولى الخلافة سنة ١٢٥٣-١٢٥٨ هـ/ ١٨٣٧-١٨٤٢ م إلى رعيته على سبيل النصيح والتوجيه، فالرسالة الأولى موجهة إلى جماعة «غواندو»، والثانية إلى كبراء وجماعة «آسين»، والثالثة والرابعة إلى جماعة «الطوارق»^(١٢).

أما الفصل الثالث والأخير: فقد ورد فيه الرسائل التي أرسلها الخليفة علي بن محمد بل بن الشيخ عثمان الذي تولى الخلافة سنة ١٢٥٨-١٢٧٥ هـ/ ١٨٤٢-١٨٥٩ م، وهذه الرسائل على نوعين:

الأول : يتعلق بالنصائح والتوجيهات التي يرسلها الخليفة إلى الرعية ، وهي معنونة بنصائح إلى عامة الجماعة .

الثاني : رسائل أرسلها الخليفة إلى أمراء الولايات مثل : أمير «زنفرا» وأمير «بوتشي» وأمير «غواندو» وأمير «كنو» . وهذه الرسائل فيها نصيح وتوجيه للأمراء ، أو عتاب وتوبيخ على بعض أفعالهم ، مثل الرسالة التي أرسلها إلى أمير «زنفرا» حيث ورد فيها قوله :

«... وأما ما فعلت وأقبحت من قتل المسلمين والإغارة عليهم في بلادهم فما عفونا ذلك وما نفعل ، وقد تعديت وأخطأت حين فعلت ذلك بغير علم منا ولا إذن ، وكان الواجب عليك أن تراجعنا حتى نزنه بميزان الشرع على لسان كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم...»^(١٣) . وفي بعض الرسائل يستفسر الخليفة عن كيفية الاستعداد للغزو الخريفي الذي اعتاد خلفاء الدولة على تكوينه في فصل الخريف من كل سنة للجهاد في سبيل الله^(١٤) ، مثل قوله في الرسالة التي أرسلها إلى أمير «بوتشي» : «... إني بعثت إليك أسألك عن كيفية أربعة لتجيني عنها في مكن سرعة لنامر جميع الناس بذلك : عن كيفية تدبير هذا الجيش الخريفي ، كيفية تدبيره ، وكيفية وقت اجتماعه ، وكيفية موضع اجتماعه ، وكيفية مقاتلته للعدو . وقد فوضت أمري إلى الله تعالى جل ذكره ونعم المولى ، ثم وكلت تدبيره عليك فعجل لنا الجواب لنوجه إلى الناس الخطاب...»^(١٥) . وفي بعض هذه الرسائل يوضح الخليفة للأمير المرسل إليه ما من الله به عليه من النصر على أعدائه ، وما فتحه الله على يديه ، ففي رسالة أرسلها الخليفة علي بن محمد بل إلى أمير «كنو» يبين له فيها ما حصل له مع المتمردين في ولاية «غوبر» ، وأنه انتصر عليهم وفرض عليهم ثلاثة شروط هي : «الأول : أن يردوا لنا كل مسلم كان عندهم من أي جنس كان ، والثاني : أن يردوا بعد الأمانة كل عبد من المسلمين فرّ منا إليهم ، وإن رغبوا فداءهم فليوجهوا به إلينا ويفتدوه وهو عندنا لا عندهم ،

والثالث : أنا جعلنا لهم الدرب على الروضة مخافة التنازع بعد الأمانة ، فهم على شاطئ البحر الشرقي ونحن على شاطئ البحر الغربي . والحاصل أنهم احتملوا جميع ما حملناهم فأعطيناهم الأمانة»^(١٦) .

وعلى العموم فإن هذا المصدر يعد من أهم المصادر التي تحتوي على معلومات مفيدة عن تاريخ الدولة الصكتية ، وبخاصة أنها وثائق رسمية صدرت عن مركز السلطة في الدولة الصكتية .

النموذج الثاني :

«مجموعة رسائل بوتشي»^(١٧)

تقع هذه المجموعة في ثلاثة مجلدات تضم أكثر من ستين وثلاثمائة صفحة ، وهي رسائل متبادلة بين أمراء المؤمنين وأمراء ولاية بوتشي ، أو بين أمراء الولايات وأمراء ولاية بوتشي ، وقليل منها رسائل متبادلة بين علماء وخطباء وعامة وأمراء ولاية بوتشي من جهة ، ولكن غالبها رسائل واردة إلى أمراء بوتشي .

وقد ورد في هذه المجموعة أسماء ثلاثة من أمراء بوتشي هم : إبراهيم بن يعقوب ، وعثمان بن إبراهيم ، وعمر بن سلمان بن يعقوب ، فهي تغطي الفترة الواقعة ما بين ١٢٦٠هـ إلى ١٣١٠هـ تقريباً ، ولما كانت هذه الوثائق غير مؤرخة إلا نادراً منها ، فقد اعتمدت في تحديد فترتها على أسماء الخلفاء والوزراء والأمراء الذين وردت أسماءهم في هذه الوثائق ، ولذلك فهذا التحديد تقريبي .

ومن الملاحظ على هذه الوثائق أن مصنفها لم يضع لكل وثيقة رقماً مستقلاً ، وإنما جمعها في هذه المجلدات واكتفى بترقيم الصفحات فقط ، كما وضع تصنيفاً لهذه المجلدات^(١٨) ، وكذلك فإن هذه الوثائق لم ترتب حسب تسلسلها الزمني ، وإنما

جمعت عشوائيًا ، فضم المجلد الأول وثائق من الفترة المتأخرة ، كما ضم المجلد الثالث وثائق من الفترة المتقدمة ، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنها جمعت في فترات مختلفة ، أو أن مصنفها غير متخصص في تاريخ الدولة الصككية ^(١٩) .

ويمكن الاستفادة من هذه الوثائق للتعرف على بعض جوانب تاريخ الدولة الصككية ، وبخاصة العلاقة بين الخليفة أو الوزير أو قائد الجيش وبين أمراء الولايات ، أو العلاقة بين أمراء الولايات بعضهم ببعض ، وكذلك الأوامر التي يصدرها الخليفة أو الوزير ، والغزو الخريفي الذي اعتادت الدولة القيام به في فصل الخريف من كل سنة ، والغنائم ، وتسليم الأسرى ، والهدنة ، والعهد ، وكذلك الأحكام القضائية ، والمواريث وغيرها .

ولكي تتضح أهمية هذه الوثائق في دراسة تاريخ الدولة الصككية ، أورد ثلاثة نماذج منها :

الأول : وثيقة توضح أن أوامر الخليفة واجبة التنفيذ ، وهي في الوقت نفسه توضح مدى علاقة الخليفة بأمراء الدولة ، ونص الوثيقة : « . . . إلى من أقامه الله لنا لفتح معالم السداد وقمع جحافل العناد الذي نفتخر به كالأوائل أمير باوشي (بوتشي) إبراهيم المجاهد تحية وسلام عام بالرضى وغاية الإكرام أما بعد سؤال العافية والصحة فإننا أمرناك أن تعطي حامله ابنك كيراغ ألف ألف ودعة ^(٢٠) جزيت خيراً ونصرت دهرأ بعد طول عمر ، ولانزال ندعوك الخيرات هذا والسلام » ^(٢١) .

الثاني : وثيقة توضح مدى أهمية المعارك التي تخوضها الدولة ضد أعدائها ، وبخاصة الغنائم التي تحصل عليها من هذه المعارك ، ونص الوثيقة : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم من أمير برنو عثمان بن محمد منغ إلى أمير بوشي (بوتشي) إبراهيم بن يعقوب الناصح . . . أما بعد فاعلم بأن الخيول جئنا بهن في جيشنا خمس مائة وهي كما أصبنا بحرمتكم وبسبيكم . . . هذا والسلام » ^(٢٢) .

الثالث : من المعروف أن المناصب العليا في الدولة الصكتية غالباً ما تكون في أسرة أحد القادة المشهورين في حركة جهاد الشيخ عثمان بن محمد فودي ، فمثلاً «علي جيد» كان قائد الجيش في عهد الشيخ عثمان ، وقد استمر هذا المنصب في أبنائه وأحفاده من بعده ، وهناك وثيقة تبين أن أحمد بن علي جيد قد تولى منصب قائد الجيوش بعد وفاة أخيه عبدالوهاب ، ونص الوثيقة : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم وآله وحزبه الصميم من أمير جيوش الإسلام أحمد بن علي جيد لطف الله به آمين إلى الأخ في الله لله . . . أمير بوش (بوتشي) إبراهيم . . . أما بعد فقد كنت منذ حين مريداً للإرسال إليك وإعلامك بأن الأخ عبدالوهاب قد قبضه الله ووليت الأمر بعده وأن حبيلنا متصل بحبلك وشميلنا مجتمع بشملك وإنا إن شاء الله على المصادقة والمعاملة التي وجدنا أسيانها عليها . . . هذا والسلام» (٢٣) .

النموذج الثالث :

«وثائق المجلد رقم (١١٨)» (٢٤)

يضم هذا المجلد أكثر من سبعين وثلاثمائة وثيقة ، وهي عبارة عن رسائل متبادلة بين أمراء ولايات الدولة الصكتية ، وفيها رسائل مرسله من وزراء وقضاة وخطباء وعلماء إلى هؤلاء الأمراء ، وفيها معلومات غزيرة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في الدولة الصكتية .

ومن الملاحظ أن هذه الرسائل غير مؤرخة في الغالب ، ويمكن التعرف على تاريخها عن طريق معرفة تاريخ ولاية المرسل أو المرسل إليه ، وهي في الغالب تغطي الفترة من مطلع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وحتى قبيل استقلال نيجيريا سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م . أي أنها تتناول أحداث أكثر من نصف قرن من عمر الدولة الصكتية قبل سقوطها في يد الاستعمار البريطاني سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ، وأكثر من نصف قرن تحت حكم الاستعمار البريطاني .

ومن الأمثلة على هذه الوثائق ما يأتي :

١- الوثيقة رقم (٣٦) :

وهي : رسالة من اثنين من رعايا الدولة الصكتية إلى أمير بوتشي ، وفيها يستجدان بهذا الأمير ليخلصهما مما هما فيه من ضيق بسبب طلب أميرهم المحلي بأن تترك رعيته هذه البلدة لتسليمها إلى أمير «برنو» . ونص الوثيقة : « . . . من مقاجي زغ وأخيه مذك غيناك إلى الإمام العادل . . . أمير باوش إبراهيم بن يعقوب . . . وبعد فالقصد إعلامك بما نحن فيه وقد أمر أميرنا بأن نخرج من بلدنا ونتركه لعبيد الكانمي وزعم أن أمير المؤمنين أمر بذلك ، وقد بعثنا إلى أمير المؤمنين فإن أثبت ما أخبر خرجنا ونتركه لهم ، ثم اعلم بأننا في كفالة الله ثم في كفالتك لأن أبانا لا يعرف غير أبيك ونحن كذلك لا بلد لنا غير بلدك ولا أمير لنا غيرك هذا والسلام» (٢٥) .

٢- الوثيقة رقم (٧٠) :

تعد قضايا السرقة والاعتداء على مال الغير من أهم المشكلات الاجتماعية التي عانت منها الدولة الصكتية ، ذلك أن السارق يسهل عليه الهرب من البلد الذي يقيم فيه إلى بلد آخر قبل القبض عليه ، وإن قبض عليه فإنه لا يسجن حتى تثبت عليه التهمة . وهذه الوثيقة توضح جانباً من هذه المشكلات ونصها : « . . . من أمير برنو محمد الحاج بن محمد دان كاو . . . إلى أخيه في الله . . . سلطان بوشي إبراهيم بن يعقوب المرحوم وبعد فهذا الرجل من كوكو رافع رجلاً من عندنا إلينا وأقر المدعى عليه أن بيده اثنتي عشرة بقرة لغير الشاكي وأحضر الشاكي بيته أنهن له وألزمنا بلسان الشرع أن يأتي بهن فهرب ، وجنى واحد من أهل برنو على زوجته وحسنه حتى تبرأ وفر إليكم ثانياً ، ويعت عمر الكانمي مرسلواً فوجهتهم إليك لتكفيها أنت العدل الرضى والسلام» (٢٦) .

٣- الوثيقة رقم (١١١) :

بما أن الدولة الصكتية دولة إسلامية فقد سعت لتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع أقاليم الدولة ، الوثيقة التالية تبرز اهتمام الدولة في سداد الدين من المتوفى قبل تقسيم تركته ، لأنه أمانة في يده ، وقد حال قضاء الله سبحانه وتعالى بينه وبين تسديد هذا الدين ، نص الوثيقة : « . . . من أمير الغرب تقي ابن الأمير محمد بن الشيخ الحبر عبدالله بن فودي إلى أمير بوش إبراهيم . . . وبعد فباعث الرسم إليك إعلامك أن رجلاً منا حمل ديوناً وتوجه إليك فمات هنالك وترك أموالاً ، ومرادنا منك الآن أن تجعل تركته بيد من وصل هذه الوثيقة إليك لنوصل الأموال إلى أصحابها . هذا والسلام » (٢٧) .

وعلى العموم فإن هذه الرسائل المجموعة في هذا المجلد فيها مادة علمية جيدة ، تفيد الدارس والباحث في تاريخ الدولة الصكتية ، نظراً لمصادقتها من جهة ، وشموليتها من جهة ثانية .

ثانياً : المصنفات المنشورة وغير المنشورة :

أ — المصنفات غير المنشورة :

عثمان بن محمد فودي ، «نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله تعالى في أمور الزمان» (٢٨) .

يعد هذا الكتاب من أفضل ملفات الشيخ عثمان ، لأنه جمع بين فكره الإسلامي ، ونقده لواقع مجتمعه بذكره لسبب القتال الذي وقع بينه وبين أمراء وملوك بلاد الهوسا ، والقتال الذي وقع بينه وبين ملك برنو . وقد قسم كتابه هذا إلى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة على النحو الآتي :

المقدمة :

في بيان أن دين الله يسر ، وبيان ما من الله به علينا في هذا الزمان من جهة الدين والدنيا .

الفصل الأول : بيان ذم المجادلة مع أحد بغير علم وبيان عدد طرق الشريعة .

الفصل الثاني : بيان أن انتقاص الزمان وانتقاص أهله لا يوجب انقطاع الدين ولا ارتفاع النصيحة .

الفصل الثالث : بيان إثبات الخلافة والإمامة والإمارة والولاية والسلطنة والملك ، وما يجب للملوك وما يجب عليهم ، والخصال التي هي قواعد الملك ، وفضائل أمراء الإسلام .

الفصل الرابع : بيان حكم إقامة صور الأئمة والقضاة وولاة الأمور على خلاف ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ولبس الحرير في الجهاد ، والتزيي بزي الأعاجم .

الفصل الخامس : بيان حكم لبس المحلى بأحد النقيدين في غير الجهاد ، وحكم لبسها في الجهاد ، وحكم لبس ما أخذ منهما من الكفار إظهاراً للنعمة ، أو للإذلال ، أو لينظر الناس إلى أمر عظيم من الدنيا وفتنتها من غير استدامة .

الفصل السادس : بيان حكم رد أموال المسلمين التي غصبها الكفار من ملوك حوس (الهوسا) قبل هذا الزمان إذا تعينت ، وحكم رد أموال المحاربين من الفلانيين وغيرهم من كل من يدع الإسلام في هذه البلاد قبل هذا الزمان .

الفصل السابع : بيان سبب القتال الذي وقع بيننا وبين ملوك حوس (الهوسا) وأتباعهم ، وسبب القتال الذي وقع بيننا وبين ملك برنو وأتباعه ، وبيان ما كفرناهم به ، وحكم جهادنا فيهم وفي أنصارهم وأخذ السلطنة منهم ، وحكم دعوتهم إلى الإسلام قبل قتالهم ، وحكم استرقاقهم .

الخاتمة : ترغيب أهل الزمان وحضهم على الاشتغال بتوليف علماء زمانهم ، والتزامهم بأمر أربعة ينور الله بها القلوب .

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن المطلع عليه سيعرف حقيقة دعوة الشيخ عثمان ، لأنه ذكر مصادره التي استقى منها معلوماته ، فجل من اعتمد عليهم هم من علماء الصوفية على اختلاف مشاربهم ، وقد ورد في كتابه هذا بعض الشطحات والخرافات الصوفية مثل قوله عند حديثه عن حكم آلات اللهو : «حكى الإمام أبو بكر بن العربي في سراج المريدين عن الشيخ أبي الحسن الجوهري أنه بات بجواره ذات ليلة أصحاب آلات فشغلوه عن ورده بما هم عليه من لهوهم ، فلما أصبح وجلس في مجلسه قال : إنه بات بجوارنا البارحة قوم ملؤا مسامعنا علماً وحكمة قال أولهم : لي لي لي ، فقال الآخر : لي ولك لي ولك ، فقال الآخر كذا وجعل يقرر ذلك حتى ملأ المجلس كله بأواع الحكم واللطائف والأسرار ، وهذا من أعجب ما يتحف الله به أوليائه ، فقد غيبه الله عن صورتها الباطلة وأشهده سره الباطن فيها»^(٢٩) .

أما ما يفيد الدارس عن تاريخ الدولة الصكتية فهو ما ورد في مقدمة الكتاب تحت موضوع : بيان ما من الله به علينا في هذا الزمان . . . حيث بين الشيخ عثمان في هذا الموضوع الأسس التي قامت عليها دولته مثل : تأمير أمير المؤمنين والجهاد وتعيين الوزراء والأمراء والقضاة وإنشاء الأريطة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . الخ ، وكذلك الفصل السابع الذي يوضح فيه الشيخ عثمان أسباب القتال الذي وقع بينه وبين ملوك وسلاطين بلاد الهوسا ، وكذلك سبب قتاله مع ملك برنو وأتباعه .

عثمان بن محمد فودي ، «مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان ومن كان بلدهم كبلدهم من الإخوان في جميع الأقطار والبلدان»^(٣٠) .

لقد ألف الشيخ عثمان هذا الكتاب في سنة ١٢٢٧هـ ، وذلك بعد أن انتصر على ملوك وسلاطين بلاد الهوسا ، وأقام دولته الإسلامية هناك ، وبعد أن استقر في مدينة «صكت» عاصمة دولته التي أصبحت علماً على الدولة فسميت الدولة الصكتية أو الخلافة الصكتية .

والظاهر أن الشيخ عثمان هدف من تأليفه لهذا الكتاب إلى تنبيه رعيته إلى عدة مسائل شرعية قصد من خلالها إيضاح الفروق بين بلاد الكفر ، وبلاد الإسلام ، وهو يقصد من ذلك أن بلاده كانت بلاد كفر أو تخليط بين الإسلام والكفر قبل جهاده ، وأنها أصبحت الآن بلاد إسلام بوجود السلطان المسلم الذي اختارته الأمة وبايعته على السمع والطاعة ، كما يريد أن يوضح لهم أن الهجرة من هذه البلاد انقطعت لقيام الدولة الإسلامية فيها ، وما بقي الآن هو حكم البلاد المجاورة لها ، وحكم الهجرة منها ، وحكم جهادهم وسيبهم وسلب أموالهم والتعاون أو إبرام الصلح معهم ، وذلك توطئة لجهادهم ونشر الإسلام بينهم ، وكذلك معاملة الظلمة منهم وحد الحلال والحرام والشبهة حيال ذلك . وجميع هذه الأمور قد تناولها في هذا الكتاب ليؤكد ويطلب شكر هذه النعمة التي من الله بها تعالى عليهم في نصرهم على الأعداء وإقامة الحكم الإسلامي في هذه البلاد التي غلب على أهلها الكفر ، وغلب على المسلمين منهم الجهل بخلطهم أعمال الإسلام بأعمال الكفر .

وقد قسّم كتابه إلى أربع عشرة مسألة على النحو الآتي :

المسألة الأولى : في بيان أن الدين مبني على التبصر وأن كل متبع لرأيه ليس بمتبع للشارع .

المسألة الثانية : في بيان أن المسلمين لا يجوز لهم أن يكونوا من غير بيعة اختياراً .

المسألة الثالثة : في بيان حكم الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، ومن بلد البدعة إلى بلد السنة ، ومن بلد المعصية إلى بلد الطاعة .

المسألة الرابعة : في بيان حكم موالة الكفار .

المسألة الخامسة : في بيان حكم أموال المسلمين المقيمين في بلاد الكفار اختياراً .

المسألة السادسة : في بيان حكم أموال الكفار زمن المصاحبة والأمن من سفك الدماء .

المسألة السابعة : في بيان حكم جهاد الكفار ، والفرق المشروع بين جهادهم وبين جهاد المرتدين .

المسألة الثامنة : في بيان حكم غزو المحاربين ومن سكن معهم من المسلمين اختياريًا ، والفرق المشروع بين قتالهم وبين قتال الفئة الباغية .

المسألة التاسعة : في بيان حكم دفع العدو إذا فاجؤا مدينة قوم ، وحكم من لم يعن أهل تلك المدينة مع التمكن على ذلك .

المسألة العاشرة : في بيان حكم شراء فلاتي بلادنا السودانية هذه لأجل التملك والاسترقاق .

المسألة الحادية عشرة : في بيان حكم شراء المجلوبين من البلاد التي فشا إسلام أهلها وشاع .

المسألة الثانية عشرة : في بيان حد الحلال والحرام والشبهة .

المسألة الثالثة عشرة : في بيان حكم معاملة الظلمة .

المسألة الرابعة عشرة : في بيان حكم التردد إلى أبناء الدنيا من الظلمة وغيرهم لما يتوقع في ذلك من جلب النفع للمسلمين ودفع الضرر عنهم .

محمد بل بن عثمان فودي ، «سرد الكلام فيما جرى بيننا وبين عبدالسلام» (٣١) .

عندما تولى محمد بل الخلافة بعد وفاة والده سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م ، ثار عليه الأمير عبدالسلام ، وكان هذا الأمير أحد مؤيدي الشيخ عثمان منذ بداية دعوته ، كما أنه السبب المباشر في قيام حركة جهاد الشيخ عثمان ، ففي سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م هجم ملك غوبر « يُنفُ بن نافاتا » على قرية الأمير عبدالسلام ، واستولى على حصنه . وأسر عددًا كبيراً من أتباعه ، فهرب عبدالسلام إلى قلعة للفولانيين في بلاد « كب » (٣٢) . وبعد هذا الهجوم أحس الشيخ عثمان أن الدور عليه ، فأعد للأمر عدته ، فالتقى مع جيش غوبر

في معركة «كتو» سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، وكان النصر فيها حليف الشيخ عثمان وجماعته (٣٣).

وقد استمر الأمير عبدالسلام موالياً للشيخ عثمان وتابعاً له حتى أواخر عهد الشيخ عثمان ، وبخاصة عندما قسم الشيخ سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م دولته إلى قسمين : شمالي شرقي : وجعل إدارته لابنه محمد بل ، وجنوبي غربي : وجعل إدارته لأخيه عبدالله بن فودي ، فأدرك عبدالسلام أن الشيخ عثمان يعد أحد هذين الرجلين لخلافته بعد وفاته ، فبدأ يتغير موقفه ويظهر تذمره ، ولما توفي الشيخ عثمان وبويع ابنه محمد بل بالخلافة ، ثار عليه الأمير عبدالسلام لأنه يرى أنه أحق بالخلافة منه ، فدعا لنفسه بالخلافة في بلده «كرى» (٣٤).

وهذا الكتاب يفصل الحديث عن الأمير عبدالسلام منذ انتسابه إلى دعوة الشيخ عثمان ، وحتى وفاته في عهد محمد بل بعد أن جرح في حصار بلدته «كرى» ثم توفي بعد ثلاثة أيام وذلك في صفر سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م (٣٥).

فقد تناول محمد بل في هذا الكتاب نشأة الأمير عبدالسلام ، وانضمامه إلى دعوة الشيخ عثمان ، ودوره في الجهاد وإمارته على بعض البلدان ، وبداية خلافه مع الشيخ عثمان ، ثم مع محمد بل بعد ذلك ، والرسائل التي أرسلها محمد بل إلى الأمير عبدالسلام ، أو التي تلقاها منه ، ووسائل محمد بل السلمية والعملية للقضاء على ثورة الأمير عبدالسلام ، ولذلك فإن هذا الكتاب مصدر ثمين لدراسة حياة الأمير عبدالسلام وموقفه الإيجابي من الشيخ عثمان في بداية دعوته ، ثم خلافه مع الشيخ عثمان بعد ذلك ، وخلافه مع محمد بل بعد توليه الخلافة .

محمد بل بن عثمان بن فودي ، «جمل من المباني نصائح لمحمد الجيلاني» (٣٦).

كان محمد الجيلاني أميراً للطوارق في بلاد «آهير» وتابعاً للدولة الصكتية ، وقد أرسل له محمد بل هذا الكتاب من باب النصيحة ، ووضح فيه واجبات الأمير من العدل

في حكمه ، والجهد في سبيل الله ، وكيفية التعامل مع غير المسلمين ، وأخذ الجزية منهم أو جهادهم إن امتنعوا عن دفعها ، وكذلك مصادر بيت المال من الزكاة والجزية والغنمة والفيء والخراج ، واختيار العلماء الناصحين ليتولوا مهمة التعليم والتدريس ، ومراقبة الأسواق والطرق ، ونصب القضاة ، ورجال الشرطة ، وإقامة شعائر الإسلام مثل : الصلاة والزكاة والصوم والحج . . . إلخ .

ولذلك فإن هذا الكتاب يعد مصدراً مهماً للتعرف على نظم الدولة الصكتية ، وبخاصة في عهد الخليفة محمد بل ٢٣٢-١٢٥٣هـ / ١٨١٧-١٨٣٧م .

محمد بل بن عثمان بن فودي ، «شفاء الأسقام في ذكر مدارك الأحكام» (٣٧) .

إن هذا الكتاب مصدر مهم للتعرف على شخصية الخليفة محمد بل ، من حيث تلقيه العلوم ، ومشايخه والكتب التي اطلع عليها ، وسيرته بعد توليه الخلافة ، وواجباته تجاه رعيته ، وواجب الرعية تجاهه ، وقد ذكر محمد بل سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله : «وكان مما ابتلاني الله به تحمل أعباء هذه الأمة الشريفة وأداء حقوقها وأمانتها المنية ، فأني احتجت في تحملها إلى الرجوع في بعض الأحيان إلى القواعد ، والعدول عن ظاهر الفقه فيها . . . وربما توهم خلق كثير في فاعله فنسبوه إلى الجهل أو عزوه إلى العمل بالهوى والتلاعب ، وجعل الملحدون المنكرون ذلك ذريعة إلى إنكاره بالتشنيع عليه ، أو اقتدى به من لا علم له في ذلك في كل الأحوال والأزمان دون مراعاة سر الحال . فاستخرت الله تعالى في وضع كلمات تشتمل على الإجابة عني في كل ما خفي على كثيرين معرفته صوتاً لقلوب المؤمنين» (٣٨) .

وقد قسم محمد بل هذا الكتاب إلى ثلاثة مقاصد على النحو الآتي :

الأول : في ذكر ما من الله به علي من المعارف السنية والمواهب الدينية .
الثاني : في توجيه الكلام في الإجابة عن كل ما يخفى على كثيرين صوتاً لقلوب الإخوان وإفحاماً لأهل الإنكار .

الثالث : في ذكر آداب الرئاسة التي أمرنا بها المولى جل وعلا وندبنا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومحمد بل في جميع هذه المقاصد يدافع عن نفسه ضد اتهامات ربما تكون قد وجهت إليه أثناء فترة حكمه ، ففي المقصد الأول يذكر مشايخه ، والعلوم التي درسها ، والكتب التي قرأها ، والإجازات التي حصل عليها ، وكأنه يريد أن ينفي عن نفسه الجهل ، أو العمل بغير علم . وفي الثاني يذكر أنواع اللباس من حيث الحلال والحرام فيه ، كالحرير والمطرز بالذهب ونحوه . . . وغيرهما ، وكأنه يوضح للناس أنواع اللباس الذي يستخدمه إماماً لمقابلة الضيوف أو لصلاة الجمعة ونحوهما مما يوحي أنه تلقى اتهامات وانتقادات حول لباسه . وفي الثالث يوجه الناس إلى كيفية التعامل مع الخليفة من حيث الدعاء له ، والسمع والطاعة له ، وعدم الإصغاء للمعاندين والخارجين عليه .

ولذلك فإن المطلع على هذا الكتاب سيأخذ تصوراً واضحاً عن شخصية محمد بل ، وبخاصة بعد أن أصبح حاكماً للدولة الصكيتية .

عبدالله بن محمد فودي ، «سبيل السلامة في الإمامة» (٣٩)

محمد بل بن عثمان بن محمد فودي ، «الإنصاف في ذكر ما في مسائل الخلافة من وفاق وخلاف» (٤٠)

هذان الكتابان أهم مصدرين للتعرف على قضية الخلاف الفكري حول مسألة الخلافة بين الشيخ عبدالله وابن أخيه محمد بل ، فبعد وفاة الشيخ عثمان تولى الخلافة ابنه محمد بل ، فلم يرض الشيخ عبدالله لأنه كان أكبر من محمد بل سنًا ، ولذلك يرى أنه أحق بالخلافة من ابن أخيه محمد بل ، ومما زاد الأمر سوءاً أن الشيخ عبدالله قد منع من حضور تشييع جنازة أخيه الشيخ عثمان حيث أغلقت أبواب مدينة صكت في وجهه ومنع من دخولها ، فعاد إلى مركز إمارته في «بودنقا» (٤١) ، ثم ألف كتابه هذا «سبيل السلامة

في الإمامة» ، وركز فيه على مسألة الخلافة دون أن يصرح فيه بأحقيته في الخلافة والتي كان مؤهلاً لها تأهيلاً عظيماً ولكنه رفض دون مبرر شرعي ، فحاول في كتابه هذا التعبير عن موقفه عن طريق إطلاع الأمة على الطريق الصحيح في كيفية انتخاب خليفة جديد .

ولذلك فإن هذا الكتاب يعد احتجاجاً فكرياً مكتوباً ضد الطريقة التي تم بها انتخاب محمد بل خليفة بعد وفاة والده^(٤٢) . وبعد ظهور كتاب عبدالله بن فودي «سبيل السلامة» هذا بشهرين ونصف تقريباً ، كتب محمد بل كتابه «الانصاف في ذكر ما في مسائل الخلافة من وفاق وخلاف»^(٤٣) ، وذلك محاولة منه لتبرير خلافته طبقاً للقواعد التي وضعها القضاة والعلماء في الإسلام ، وهذه القواعد معروفة تماماً لعمة عبدالله وغيره من المعارضين الذين ليس لهم - حسب رأيه - مبرر للاعتراض على خلافته^(٤٤) .

ويتركز الخلاف بينهما حول مسألة الخلافة في الموضوعات الآتية :

- ١- الطريقة التي يتم بها انتخاب الخليفة الجديد .
- ٢- ترشيح الخليفة السابق للخليفة الجديد .
- ٣- اختيار أهل الحل والعقد للخليفة الجديد .
- ٤- الصفات والمؤهلات اللازمة للخليفة الجديد^(٤٥) .

وتجدر الإشارة إلى أن كلاً من الشيخ عبدالله وابن أخيه محمد بل قد اقتصر على الخلاف الفكري ، فلم يتطور هذا الخلاف إلى حمل السلاح والمواجهة العسكرية .

ولهذا فإن هذين الكتائين أهم مصدرين لدراسة هذا الخلاف الذي كاد أن يسقط الدولة في بداية تكوينها ، حيث ساعد هذا الخلاف على قيام ثورة الأمير عبدالسلام في «كوارا» ، وكذلك الثورات والفتن الأخرى في كل من غوبر وزنفرا وكب وغيرها^(٤٦) .

سعد بن عبدالرحمن^(٤٧) ، «ترتيب الأصحاب وتجميع أولي الأبواب من أصحاب الشيخ عبدالله ابن فودي»^(٤٨) .

في بداية هذا الكتاب ذكر المؤلف تلامذة وأصحاب الشيخ عبدالله بن محمد فودي وذكر عددهم بأنهم خمسون وسبعمئة ، ثم سرد منهم أربعة وعشرين ومثني تقريباً ، ثم أشار بعد ذلك إلى تقسيم الشيخ عثمان بن فودي لدولته إلى قسمين : شرقي وجعله من نصيب ابنه محمد بل ، وغربي وجعله من نصيب أخيه الشيخ عبدالله بن فودي ، ثم ناقش بعد ذلك مسألة مدة إمارة الشيخ عبدالله وفصل القول فيها ، ثم انتقل إلى الخلاف الذي وقع بين الخليفة محمد بل وبين عمه الشيخ عبدالله حول مسألة الخلافة ، وذكر أن محمد بل أطلع الشيخ عبدالله على وصية الشيخ عثمان التي فيها أمر باستخلاف ابنه محمد بل من بعده^(٤٩) ، ثم ختم الكتاب بإشارته إلى أن الشيخ عبدالله لم يكن يكثرث بالإمارة نظراً لانشغاله بالتعليم والتأليف .

غداد بن ليم ، «مجموع غداد في أصحاب أمير المؤمنين محمد بل وأصدقائه وأعوانه»^(٥٠)

مؤلف هذا الكتاب هو وزير الدولة في عهد محمد بل بن الشيخ عثمان ، وقد تناول فيه أصحاب محمد بل وأصدقائه وأعوانه وشيوخه ووزراءه وعماله على الأقاليم ، وزوجاته وأبنائه وبناته ، ثم ختم الكتاب بذكر الأماكن التي أقام فيها محمد بل للرباط وسد الثغور .

ويمكن الاستفادة من هذا الكتاب في التعرف على مشايخ محمد بل الذين تلقى العلم عنهم ، وكذلك التعرف على وزرائه وأمرء الولايات في عهده ، وكذلك التعرف على المدن التي أقام فيها محمد بل للرباط سواء في خلافة والده أم في خلافته .

محمد ثنب بن أحمد لامط بن مجيل (ثنب كلو) الفلاتي ، «كنز الأولاد»^(٥١) .

مؤلف هذا الكتاب هو أحد تلامذة الشيخ عثمان بن محمد فودي ، وكان ملازماً للشيخ عبدالله بن محمد فودي - شقيق الشيخ عثمان - ، وقد ألف هذا الكتاب بناء على

طلب الشيخ عبدالله ، حيث ذكر المؤلف رسالة طويلة من الشيخ عبدالله فيها ثناء كبير على المؤلف ، ووصفه بأنه أفضل من يعرف نسب الفولانيين ولغتهم ، وفيها إشارة إلى أن الشيخ عثمان هو الذي طلب من الشيخ إبلاغ المؤلف هذه الرسالة . وقد وضع المؤلف لهذا الكتاب عنواناً طويلاً هو : «كثر الأولاد والذراري في تاريخ الأجداد والديار من قبائل الفلان الأحرار وذكر أنسابهم الأخبار وما يتعلق بذلك مما لا بد من ذكره من الأخبار مع نبذة من تاريخ آبائهم العرب والنوبة الأخيار»^(٥٢) . ولهذا الكتاب ذيل كتبه ابن المؤلف «عبدالله (بايرئب)» بعنوان : «الحاقات وإدراكات مباركة إن شاء الله» .

وقد بدأ المؤلف كتابه بذكر نسبه ومولده ، ثم انتقل إلى ذكر نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم الخلفاء الراشدين ، ثم أورد فصلاً مستقلاً في ذكر خامسهم - كما يقول : «فصل في ذكر خامسهم الذي هو أحد أكابر الصحابة عقبة بن عامر»^(٥٣) جد جميع الفلان»^(٥٤) ، ثم انتقل بعد ذلك إلى ذكر الشرفاء من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم انتقل إلى ذكر نسب الفولان وقد أسهب فيه كثيراً ، وكذلك أنساب النوبة والهوسا والطوارق وغيرهم من القبائل المشهورة في غرب أفريقية ، كما تحدث عن اللغة الفلانية ، وعن هجرة الفولانيين وتوزعهم في غرب أفريقية ، وكذلك عن الخلاف الذي حدث بين الشيخ عثمان وبين صاحب الناقة ، والخلاف الذي حدث بين الخليفة محمد بل وبين الأمير عبدالسلام الهوساوي ، كما ذكر أولاد الشيخ عثمان وإخوانه .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب وذيله مع ما فيهما من معلومات مفيدة عن تاريخ الدولة الصكتية إلا أنه مليء بشطحات وخرافات الصوفيين مثل قوله : «واعلم بأن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي من الأنبياء جاز أن يكون كرامة للولي»^(٥٥) . وكذلك ذكر صاحب الذيل ثلاث صلوات مبتدعة :

الأولى : صلاة النجاة وقضاء الحاجات ، والثانية المسماة الصلاة الكاملة وصلاة الانفراج ، والثالثة المسماة بصلاة البكري وهي صلاة الفاتح لما أغلق . أما أبرز ضلالاته

فهي قوله : « إن للشيخ عثمان بن فودي كرامة عظيمة من كراماته العظام وخصوصياته الكرام وهي أن كل من صلى خلفه يدخل الجنة بدون شك ولا ريب . . . ومنها أن للشيخ عثمان بعض الأوقات المعلومة المعروفة عند الخاصة المخصوصة من الأوقات والساعات المعروفة المعلومات كل من رآه فيها يدخل الجنة على أي حال كان بلا شك ولا ريب في ذلك من يوم وجدانه تلك الكرامة إلى وقت وفاته» (٥٦) .

عبدالقادر بن محمد البخاري ، «تبشير الإخوان بأخبار الخلفاء في السودان» (٥٧) .

يتناول هذا الكتاب تاريخ الدولة الصكتية منذ ولادة الشيخ عثمان مروراً بنشأته وتعلمه ورحلاته ودعوته وجهاده وقيام الدولة حتى وفاة الشيخ عثمان ، ثم ينتقل بعد ذلك لذكر الخلفاء الذين خلفوا الشيخ عثمان ، وتنتهي أحداث هذا الكتاب بسنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م في عهد الخليفة محمد الطاهر بن علي بن محمد بل بن الشيخ عثمان .

ومن الملاحظ على هذا الكتاب أنه يعطي تفصيلات شاملة عن عهد الشيخ عثمان ، وعهد ابنه محمد بل حيث كتب سبعةً وثلاثين صفحة عن هذين الخلفيتين ، بينما اختصر أحداث عهود من تلاهما من الخلفاء ، واقتصر على ذكر المعارك التي خاضوها باختصار شديد ، حيث تناول عهود أحد عشر خليفة بتسع عشرة صفحة فقط . ومع ذلك فإن هذه الصفحات قد حملت معلومات جديدة استفاد منها من أتى بعده ، وبخاصة الوزير جنيد بن محمد البخاري في كتابه «ضبط الملتقطات» (٥٨) .

عمر بن محمد البخاري ، «تنبيه الإخوان في أمر السودان» (٥٩) .

يتناول هذا الكتاب فترة حكم أربعة من خلفاء الدولة الصكتية هم : الشيخ عثمان بن محمد فودي ١٢١٩-١٢٣٢هـ / ١٨٠٢-١٨١٧م ، ومحمد بل بن الشيخ عثمان ١٢٣٢-١٢٥٣هـ / ١٨٣٧-١٨١٧م ، وأبو بكر عتيق بن الشيخ عثمان ١٢٥٣-١٢٥٨هـ / ١٨٣٧-١٨٤٢م ، وعلي بن محمد بل بن الشيخ عثمان ١٢٥٨-١٢٧٥هـ / ١٨٤٢-١٨٥٨م .

وقد عاصر المؤلف فترة حكم ثلاثة من هؤلاء ، وانتهى كتابه بالحديث عن بعض جوانب فترة حكم علي بن محمد بل ، ويمتاز هذا الكتاب بأنه يعطي توضيحات عن نشاط الجهاد في عهد الشيخ عثمان فيصف المعارك التي خاضوها والحصون والمدن التي فتحوها ، وكذلك الحال بالنسبة لعهدي محمد بل وأبي بكر عتيق وموقفهما من المناوئين والخارجين عليهما . أما فترة حكم علي بن محمد بل فيصفها بأن الأحوال فيها قد تغيرت لأن الناس فضلوا شهواتهم على الجهاد في سبيل الله ، ورغبوا في الدنيا وزهدوا في الآخرة ، يقول في مقدمة الكتاب : « فلما رأيت ضياع أمورنا الدينية والدنيوية لعدم اجتهادنا على ما فرض علينا من الجهاد وإقامة الحدود والشرائع وغير ذلك من عدم المشورة ودفع المظالم وحفظ الحقوق وغيرها . . . وخفت وقوع البلاء على زماننا هذا وطلبت من الله الكريم أن يسر لي بجمع هذا الكتاب ليكون على إخواننا تنبيهاً من أمرنا وترغيباً للجهاد » (٦٠) .

وقد قسّم كتابه هذا إلى ثلاثة أبواب على النحو الآتي :

الباب الأول : في أمر كفار بلادنا كأرض الغواير والزنافر وأرض كب .

الباب الثاني : في أمر دائرتنا .

الباب الثالث : في أمر رعيتنا عموماً وخصوصاً .

جنيد بن محمد البخاري ، « ضبط الملتقطات من الأخبار المفترقة في المؤلفات » (٦١) .

يتناول هذا الكتاب تاريخ الدولة الصكتية منذ بداية تأسيسها على يد الشيخ عثمان بن محمد فودي إلى أيام إمارة «أبي بكر بن عثمان بن معاذ بن محمد بل بن الشيخ عثمان» الذي تولى الإمارة سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م (٦٢) .

ويعد هذا الكتاب أهم مصدر لدراسة تاريخ الدولة الصكتية في فترة تكوينها وقيامها وقوتها وضعفها وسقوطها تحت الاستعمار الإنجليزي سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م وفي فترة

الاستعمار حتى قبيل استقلال نيجيريا سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ، خاصة وأنه استقى مادته العلمية من مؤلفات قادة الدولة الذين ذكرهم في مقدمة الكتاب ، كما أنه أضاف عليها أخباراً عاصرها أو سمعها أو نقلت إليه . وقد قال في مقدمة الكتاب : «أما بعد فإن علم التاريخ من أنفع ما عني به الإنسان وألذ ما استمعت إليه الأذان لا سيما علم تاريخ وطنه وأمرأه بلده ، فلذا رأيت أن أذكر خلفاء هذه الدولة المباركة العثمانية وأرتبهم على ترتيب خلافتهم . . . وأجمع ما وقفت عليه في الكتب المؤلفة في ذلك وأجمع شتات أخبارها وألحق بعض ما ترك منها وأزيد فيها مما لم يكتب إلى وقتنا هذا ، ويكون كتاباً مستقلاً جامعاً ما في تلك الكتب ، وسميته بضبط الملتقطات من الأخبار المفترقة في المؤلفات» (٦٣) .

وقد بدأ كتابه بالحديث عن أصل الفولانيين ونسبهم وهجرتهم حتى وصل إلى الشيخ عثمان ابن محمد فودي ، فتحدث عن ولادته ونشأته وتعلمه وتعليمه ورحلاته ودعوته وهجرته وجهاده حتى قيام الدولة ، ثم انتقل للحديث عن الدولة في عهد الشيخ عثمان حتى وفاته سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م ، ثم ذكر الخلفاء الذين تولوا حكم الدولة الصكتية حتى العصر الذي عاش فيه المؤلف ، حيث انتهى كتابه بذكر بعض الأحداث التي تمت في عهد إمارة أبي بكر بن عثمان ابن معاذ بن محمد بل بن الشيخ عثمان الذي تولى الإمارة سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م . وكان منهجه في الكتابة على حسب جلوس الخلفاء .

ومن الملاحظ أنه اعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على كتابي «إنفاق الميسور» لمحمد بل بن الشيخ عثمان ، و «تزيين الورقات» للشيخ عبدالله بن محمد فودي ، في حديثه عن نسب الفولانيين ودعوة الشيخ عثمان وجهاده وأحداث الدولة في عهده ، أما في فترة خلافة محمد بل ومن تلاه من الخلفاء فإنه استقى مادته العلمية من مصادر متنوعة ذكرها في مقدمة الكتاب ، وأما حديثه عن الدولة في عهد الاستعمار البريطاني وحتى نهاية الكتاب فإنه اعتمد بشكل مباشر على تدوين ما شاهده بنفسه أو نقل إليه وبخاصة اهتمامه

بتدوين المستجدات الحضارية مثل : إنشاء المدارس والكلليات وتعبيد الطرق وشق الترع وتطور الزراعة وإنشاء المطارات وسكك الحديد . . . وغيرها .

ومما يضيفي على هذا الكتاب زيادة في الأهمية أن مؤلفه كان عضواً بارزاً في الدولة الصكتية ، فهو من سلالة الوزير غداد بن ليم وزير الدولة في عهد محمد بل ، والذي استمرت الوزارة في أبنائه وأحفاده من بعده حتى تولاها مؤلف هذا الكتاب الذي كان وزيراً لآخر أمير تحدث عنه وهو : أبو بكر بن عثمان بن معاذ بن محمد بل بن الشيخ عثمان .

ب — المصنفات المنشورة :

محمد بل ، «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» (٦٤) .

يعد هذا الكتاب من أهم المصادر العربية لدراسة تاريخ غرب أفريقية عامة ، ودراسة حركة جهاد الشيخ عثمان بن محمد فودي وقيام الدولة الصكتية خاصة ، فلا يستطيع أي باحث عن دولة صكت أن يدون معلومات كافية عن هذه الدولة دون الرجوع إلى هذا الكتاب .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب في دراسة تاريخ الدولة الصكتية ، وبخاصة في بداية تكوينها (خلافة الشيخ عثمان بن محمد فودي) ، فإن دراستي له ستكون بتناوله من خلال ثلاثة محاور هي :

الأول : هدف المؤلف من تأليف هذا الكتاب .

الثاني : أمانة المؤلف في تسجيل الأحداث .

الثالث : تقسيم المادة العلمية وتوزيعها في الكتاب .

الأول : هدف المؤلف من تأليف الكتاب :

إن هدف محمد بل من تأليف هذا الكتاب هو : التأريخ للجهاد الذي أعلنه وقاده والده الشيخ عثمان بن محمد فودي في بلاد الهوسا ، ويتضح ذلك من مقدمة الكتاب التي ركز فيها محمد بل على ما وقع في بلاد الهوسا من خير بنجاح حركة والده ، فيقول : «بقيت النفس تشوق إلى تأريخ ما وقع في هذا الزمان من خير»^(٦٥) ، كما أن ما سبق هذا النص أو أتى بعده من أخبار فهي توطئة لتأريخ الجهاد ، فالأساس إذن هو التأريخ للجهاد وما قبله يكون إضافة مكمله له^(٦٦) ، فمحمد بل في حديثه عن فترة ما قبل الجهاد كان يمهّد لحركة الجهاد وأهميتها وحيوية الدور الذي قام به المجاهدون في تأريخ المنطقة ، وفي حديثه عن العادات والتقاليد المنافية للتعاليم الإسلامية كان يمهّد لأهمية الإصلاح وحاجة بلاد الهوسا له ، كما يمهّد في حديثه عن العلماء والمجددين إلى ظهور العالم المجدد والده الشيخ عثمان^(٦٧) .

الثاني : أمانة المؤلف في تسجيل الأحداث :

لقد كان محمد بل أميناً في تسجيله للأحداث في هذا الكتاب ، فعندما نطلع على كتابه نستخلص منه عدة أمور تدل على أمانته ، منها : ابتعاده عن الكتابة في موضوع لم تتوفر له فيه المعلومات الكافية ، ومنها اهتمامه بوجهات النظر المعارضة لحركة جهاد والده ، ومنها وصفه للأحداث كما هي دون تأثير قبلي أو سياسي ، ومنها الدقة في تحديد مواضع الاقتباس ، ومنها اهتمامه بمصدر الخبر ونقده إذا لزم الأمر^(٦٨) .

الثالث : تقسيم المادة العلمية وتوزيعها في الكتاب :

لقد عمد محمد بل في تقسيمه لمادة هذا الكتاب إلى وصف منطقة السودان الجغرافية مبتدئاً من الطرف الشرقي منها عند بلاد باغرم ، ثم اتجه غرباً إلى برنو ماراً ببلاد الهوسا - مسرح الجهاد الذي احتل الحيز الأكبر من الكتاب - ثم اتجه إلى الصنغي وانتهى

ببلاد مالي . وقد اهتم محمد بل بوصف مناخ وسكان هذه المناطق مما صاغ بحسه بصيغة جغرافية . وعند حديثه عن بلاد الهوسا توسع كثيراً في التأريخ لحركة جهاد والده ، فأعطى ترجمة كاملة عن نشأة والده وتعلمه وشيوخه ، ثم انتقل إلى وصف دروس والده في الوعظ والتعليم ، ثم رحلاته للدعوة إلى الإسلام ، ثم زيارته للملوك ، ثم معارضة ملك غوبر لدعوة والده ، ثم إعلان البيعة ، ثم الهجرة ، ثم الجهاد الذي أعطاه حيزاً كبيراً ، فوصف المعارك التي خاضوها ضد أعدائهم في بلاد الهوسا وصفاً دقيقاً حتى قيام دولتهم (الدولة الصكتية) في عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م^(٦٩) .

وهكذا يكون كتاب محمد بل «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» إضافة حقيقية وجديدة لتاريخ الإسلام في غرب أفريقيا .

عبدالله بن محمد فودي ، «تزيين الورقات» ، (٧٠) .

يعد هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ الدولة الصكتية ، وبخاصة دعوة الشيخ عثمان بن محمد فودي ورحلاته وجهاده حتى قيام الدولة سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٨م ، وقد جمع فيه الشيخ عبدالله بين علم التاريخ وفن اللغة العربية ، فقال في افتتاحيته لهذا الكتاب : «أما بعد فيقول . . . قد خطر لي في القلب أن أجمع بعض الأبيات التي نظمتها في مدح الشيوخ ومرثيتهم وشكر النعم التي أنعم الله علينا بها قبل هجرتنا ، وفي وقائع وقعت لنا في الجهاد بعد الهجرة ، مع تفسير ما سيشكل على الطلاب من لغاتها وتبيين سبب نظم كل قصيدة منها ، وفي ذلك بيان أكثر أحوالنا في ابتداء الأمر إلى انتهائه لينتفع بها من أراد ، بالاعتاظ بمواعظها ، والاعتبار بما حصل لنا في تلك الأحوال من نعم الله للشكر عليها ، وذلك مقصود الكتاب والله الموفق للصواب ، وسميته : تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات ، وفيها من فنون العرب الأمثال والحكم والوصايا والوقائع والمدائح والتهنئة والمرثية والافتخار وغير ذلك»^(٧١) .

وقد بدأ المؤلف كتابه هذا بالحديث عن دعوة الشيخ عثمان بن فودي ، فحدد بدايتها بسنة ١٢٨٨ هـ^(٧٢) ، ثم انتقل بالحديث عن رحلات الشيخ عثمان للدعوة إلى بلاد «كب» و «زنفرا» ثم تحدث عن زيارة الشيخ عثمان لملك «غوبر» ، وإذن هذا الملك للشيخ عثمان بأن ينتقل في بلاده ويدعو إلى الله فيها ، ثم تدرج بالحديث عن دعوة الشيخ حتى اضطر الشيخ إلى الهجرة من بلدته «طلق» في ولاية «غوبر» إلى «قد» في ولاية «زنفرا» ، ثم مبايعة الشيخ عثمان أميراً للمؤمنين ، ثم إعلان الجهاد دفاعاً عن النفس في بادئ الأمر ، ثم تحولهم من الدفاع إلى الهجوم لإسقاط الحكومات الكافرة والمخلطة في بلاد الهوسا ، وقد فصل المؤلف أحداث هذه الوقائع والمعارك شعراً ونثراً ، وانتهت أحداث هذا الكتاب بنهاية كتابته وذلك في سنة ١٢٢٨ هـ .

وقد تخلل هذا الكتاب بعض القصائد التي فيها مدح أو رثاء لبعض مشايخ الشيخ عثمان ، وكذلك قصائد فيها وصف للمعارك التي قادها مؤلف الكتاب أو اشترك فيها ، أو قادها غيره من قادة الجهاد في عهد الشيخ عثمان مثل : محمد بل بن الشيخ عثمان ، وعلي جيد قائد الجيش في عهد الشيخ عثمان وغيرهما .

وقد ختم كتابه بقوله : «وليعلم الواقف على هذا المجموع أنني لم أقتد أحداً فيما كتبت فيه ولا نظرت إلى كتاب أحد ، ولا حكيت فيه ما سمعت من أحد ، وإنما كتبت فيه ما حضرني في وقت مما شهدته وعلمته مع أشغال غالبية ، وهموم ناصبة ، وروية ناضبة ، فما كان منه صواباً فمن الله وله الحمد ، وما كان خطأ فمني واستغفر الله منه»^(٧٣) .

وهذا الكتاب مفيد جداً ولا يمكن لباحث أو دارس لتاريخ الدولة الصكتية أن يستغني عنه لشموليته ومعاصرته ومشاهدته للأحداث ، ولأن من أتى بعده قد اعتمد عليه .

عبدالله بن محمد فودي ، «إيداع النسخ من أخذت من الشيوخ»^(٧٤) .

لقد كتب الشيخ عبدالله كتابه هذا في سنة ١٢٢٧ هـ ، وتناول فيه شيوخه وشيوخ أخيه الشيخ عثمان في سائر العلوم الشرعية والعربية ، فيقول في مقدمة الكتاب : «قد

سبح في خاطري أن أكتب الشيوخ الذين أخذت عنهم واستفدت منهم إشهاراً لهم وتعليماً لمن جهلهم وإعلاماً لمستندي في النقل»^(٧٥).

ومن الملاحظ أن الشيخ عبدالله في هذا الكتاب لم يقتصر على ذكر مشايخه ومشايخ أخيه الشيخ عثمان فقط ، بل نراه أحياناً يتطرق للحديث عن موضوعات أخرى ، مثل نسب الفولانيين الذي أشار إليه أثناء ترجمته لوالده محمد فودي^(٧٦) ، وإيراده ترجمة مختصرة عن حياة الشيخ عثمان من حيث تلقيه العلوم ورحلاته للدعوة إلى الإسلام ، كما أنه يتطرق أحياناً لذكر فضائل بعض هؤلاء العلماء الذين أخذ العلم عنهم ، وبخاصة الشيخ جبريل بن عمر الذي قال عنه الشيخ عثمان بن فودي :

إن قيل في بحسن الظن ما قيلاً فموجة أنا من أمواج جبريلا^(٧٧)

وبعد أن انتهى الشيخ عبدالله من ذكر مشايخه ، ختم الكتاب بقصيدة شعرية بلغت أربعة وعشرين بيتاً ذكر فيها هؤلاء المشايخ فقال : «وها أنا الآن أجمعهم لك في نظم ليسهل حفظهم»^(٧٨).

الهوامش

- (١) للتوسع في دعوة الشيخ عثمان بن محمد فودي وجهاده، انظر : السكاكر ، محمد بن علي . دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي : دراسة تاريخية مقارنة . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠٧هـ . ص ص ٢٣٦-١٤٤ .
- (٢) فودي ، محمد بل بن عثمان . إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور . لندن : شركة لوزاك ، ١٩٥٧م . ص ١٢٠ .
- (٣) البخاري ، جنيد بن محمد . ضبط الملتقطات من الأخبار المفترقة في المؤلفات ، [مخطوط] ، مجلد رقم (٣) ، مطروف رقم (٩) . مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية ، ق ق ٦٧-٦٦ .
- (٤) المصدر نفسه ، ص ص ١٥١-١٥٢ .
- (٥) فودي ، عثمان بن محمد . أصول الولاية وشروطها [مخطوط] ، مجموعة كنسديل ، مجلد رقم (٥) ، مطروف رقم (٩) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية ، ق ق ١١٣ .
- (٦) فودي ، عثمان بن محمد . وثيقة الجواب على سؤال دليل منع خروج النساء والمواالة وزيادة البيان على ذلك [مخطوط] ، مجلد رقم (٨) ، مطروف رقم (٨) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية ، ق ق ١٧-٧ .
- (٧) مجيل ، عبدالله (بايرثنب) بن محمد . ملحق كنز الأولاد ، [مخطوط] ، قاعة البحوث للدراسات العليا ، قسم التاريخ ، جامعة بايرو ، كنو ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية ، ق ق ٤٤٢ .

- (٨) كتبت هذه المجلدات باللغة الإنجليزية (اللغة الرسمية لدولة نيجيريا حالياً) وهي بعنوان: Ahmadu Bello University, Northern history research scheme, Zaria . وتاريخ صدورهما كما يأتي : المجلد الأول ١٩٦٦م ، والثاني ١٩٦٧م ، والثالث ١٩٧٥م ، والرابع ١٩٧٧م ، والخامس ١٩٨١م ، والسادس ١٩٨٧م .
- (٩) مخطوط ، (D. N. L) ، جامعة بايرو ، كنو ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (١٠) المصدر نفسه ، ق ٣ ب .
- (١١) نفسه ، ق ٣ ب - ٥ ب .
- (١٢) نفسه ، ق ٢٢ ب - ٢٦ ب .
- (١٣) نفسه ، ق ٢٩ أ .
- (١٤) Clapperton, hugh, Journal of a Second Expedition into The Interior of Africa from The Bight of Benin to soccatoo. London 1966, pp. 178, 190.
- (١٥) ليم ، عبدالقادر بن عثمان . مجموعة رسائل أمير المؤمنين محمد بل وأmir المؤمنين عتيق وأmir المؤمنين علي ، مصدر سابق ، ق ٢٩ ب .
- (١٦) المصدر نفسه ، ق ٣٧ أ - ٣٧ ب .
- (١٧) مجلد رقم (١ ، ٢ ، ٣) ، مظروف رقم (M. S. D/23/34) ، جامعة بايرو ، كنو ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (١٨) المصدر نفسه .
- (١٩) لقد أصدرت جامعة بايرو بكنو خمسة مجلدات باللغة الإنجليزية تضم فهارس المخطوطات والوثائق الموجودة في هذه الجامعة ، وقد ترجم الطيب عبدالرحيم محمد الجزء الخامس وهو الخاص بالوثائق بعنوان : «بعض مخطوطات الفوديين وفهرستها» جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٢٠) الودع : عملة الدولة الصكتية في ذلك الوقت .

- (٢١) مجموعة رسائل بوتشي ، مصدر سابق ، مجلد (٣) ، ق ٣٤٤ .
- (٢٢) المصدر نفسه ، مجلد (١) ، ق ١٤ .
- (٢٣) نفسه ، مجلد (٢) ، ق ١٧٦ .
- (٢٤) المجلد رقم (١١٨) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٢٥) المصدر نفسه ، وثيقة رقم (٣٦) .
- (٢٦) نفسه ، الوثيقة رقم (٧٠) .
- (٢٧) نفسه ، الوثيقة رقم (١١١) .
- (٢٨) مخطوط ، مجموعة صكت ، مجلد رقم (١) ، مظروف رقم (١) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٢٩) المصدر نفسه ، ق ١٩ .
- (٣٠) مخطوط ، مجموعة كنسديل ، مجلد رقم (٦) ، مظروف رقم (٢٠) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٣١) مخطوط ، مجلد رقم (٢٣) ، مظروف رقم (١) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٣٢) فودي ، محمد بل بن عثمان ، المصدر السابق ، ص ٦٧ ؛ وكذلك : السكاكر ، محمد بن علي ، محمد بل والدولة الصكتية في عهده ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .
- (٣٣) Fodiyo, Abdullah Muhammad, Tazyin Alwaraqat, Edited Hiskett, M, Ibadan University, press 1963, p.61.
- (٣٤) Last, M., The Sokoto Caliphate, Great Britain, 1967, p.64.
- (٣٥) السكاكر ، محمد بن علي . محمد بل والدولة الصكتية في عهده ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

- (٣٦) مخطوط ، مجلد رقم (٢٣) ، مظروف رقم (٤) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٣٧) مخطوط ، مجلد رقم (١٠) ، مظروف رقم (١) ، (٢) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٣٨) المصدر نفسه ، ق. ٢-٣ .
- (٣٩) مخطوط ، مجلد رقم (٢٥) ، مظروف رقم (٩) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٤٠) مخطوط ، حصلت على نسخة مصورة من هذا المخطوط من السيد إبراهيم بن حنفي الإبري مدير مدرسة التعليم العربي الإسلامي في مدينة (كوارا) بولاية الورين ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٤١) Last, M., op.cit, p.64.
- (٤٢) السكاكر ، محمد بن علي ، محمد بل والدولة الصكتية في عهده ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .
- (٤٣) Last, M., op.cit, p.64 .
- (٤٤) Minna, M. T. M. Succession and Legitimacy: The Leadership crisis and Intellectual Dispute Between Abdullahi, B. Fodio and Muhammad Bello: paper Presented to The Seminar on the Life and Works of Sultan Muhammad Bello: Organised by the Centre for Islamic Studies, University of Sokoto from the 14th - 19th, April 1985, p.6.
- (٤٥) السكاكر ، محمد بن علي . محمد بل والدولة الصكتية في عهده ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .
- (٤٦) المرجع نفسه ، ص ٦١ .
- (٤٧) سعد بن عبدالرحمن من جماعة الشيخ عبدالله بن محمد فودي في (غواندو) .

- (٤٨) مخطوط ، رقم (٤٠٥) ، جامعة بايرو ، كنو ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٤٩) المصدر نفسه ، ق.ق ١٢-١٣ .
- (٥٠) مخطوط ، مجلد رقم (٤١) ، مطروف رقم (٦) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٥١) مخطوط ، بدون رقم ، جامعة بايرو ، كنو ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٥٢) المصدر نفسه ، ق ٤١ .
- (٥٣) يقصد المؤلف عقبة بن نافع [فاتح شمال أفريقيا] .
- (٥٤) المصدر نفسه ، ق ٣٤٣ .
- (٥٥) نفسه ، ق ٤٧٧ .
- (٥٦) نفسه ، ق ١٨٧ .
- (٥٧) مخطوط ، مجلد رقم (٤١) ، مطروف رقم (٧) ، مشروع بحث تاريخ شمال أفريقيا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٥٨) انظر : البخاري ، جنيد بن محمد ، المصدر السابق ، ق ٥ .
- (٥٩) مخطوط ، مجلد رقم (٣١) ، مطروف رقم (١٢) ، مشروع بحث تاريخ شمال أفريقيا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٦٠) المصدر نفسه ، ق ١ .
- (٦١) مخطوط ، مجموعة كنسدليل ، مجلد رقم (٣) ، مطروف (٩) ، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا ، جامعة أحمدو بيللو ، زاريا ، جمهورية نيجيريا الفيدرالية .
- (٦٢) المصدر نفسه ، ق ١٨١ .
- (٦٣) نفسه ، ق.ق ٤-٣ .
- (٦٤) طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٩٥٧ م ، وفي مصر سنة ١٩٦٤ م .
- (٦٥) فودي ، محمد بل بن عثمان فودي ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، لندن ، شركة لوزاك ١٩٥٧ م ، ص ٢ .

- (٦٦) السكاكر ، محمد بن علي . محمد بل والدولة الصكتية في عهده ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ ؛ وكذلك : سعيد ، عمر أحمد ، منهج البحث في إنفاق الميسور لأُمير المؤمنين محمد بلو ، بحث مقدم في المؤتمر العلمي للشيخ محمد بلو ، المركز الإسلامي ، جامعة صكت ، نيجيريا ، إبريل ١٩٨٥ م ، ص ٤ .
- (٦٧) فودي ، محمد بل بن عثمان . إنفاق الميسور . مصدر سابق ، ص ص ٢١٧ - ٢١٨ .
- (٦٨) سعيد ، عمر أحمد ، المرجع السابق ، ص ٤ ؛ وكذلك : السكاكر ، محمد بن علي ، محمد بل والدولة الصكتية في عهده ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ .
- (٦٩) السكاكر ، محمد بن علي ، محمد بل والدولة الصكتية في عهده ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ .
- (٧٠) حققه وترجمه إلى الإنجليزية . Hiskett, M. ، نيجيريا ، جامعة عبادان ١٩٦٣ م .
وعنوان التحقيق : Fodiyo, Abdullah Muhammad, Tazyin Alwaraqat, Edited Hiskett, M., Ibadan University, press 1963 .
- (٧١) Ibid, p. 25.
- (٧٢) Ibid, p.27.
- (٧٣) Ibid, p. 83.
- (٧٤) مطبوع ، زاريا ، مكتبة نولا ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .
- (٧٥) المصدر نفسه ، ص ١ .
- (٧٦) نفسه ، ص ص ١ - ٢ .
- (٧٧) نفسه ، ص ٧ .
- (٧٨) نفسه ، ص ٨ .

: "ACCION DE ESPANA EN MARRUECOS"

مصدراً من مصادر المعلومات حول شمال المغرب خلال الحماية الإسبانية

(١٩١٢—١٩٥٦)

د . أحمد الشعرة(*)

المستخلص

يحتاج فهم الحاضر إلى دراسة الماضي ؛ فالحاضر يتأثر بالماضي ، ومن الصعب التخطيط لمستقبل مجتمع ما دون دراسة ماضيه والاستفادة منه . وتهدف هذه الدراسة إلى فهم ماضي المغرب من خلال دراسة فترة الاستعمار الإسباني لشمال المغرب ، أي خلال فترة الحماية ١٩١٢-١٩٥٦ م . وقد وقع اختيار المؤلف على المصدر المنوه عنه ، وهو كتاب : « Acción De España En Marruecos » الذي يعد مصدراً إسبانياً رسمياً أنجز عن تلك الفترة ، فهو يوفر للباحث مصادر إحصائية وبيانية ومصورة دقيقة تخص مختلف نواحي الحياة في مجتمعات شمال المغرب خلال فترة الحماية الأسبانية .

وتتضمن الدراسة بالتفصيل وباللغتين العربية والإسبانية ، حيث إنه تمت ترجمته إلى العربية . وتبين المحتويات مدى ما يتضمن ذلك المصدر من معلومات تخص كل جوانب الحياة في شمال المغرب من حيث الري ومصادر المياه ، والزراعة وتطورها والماشية ، والثروة الطبيعية من الغابات ، والصيد ، ثم النشاط الصناعي متضمناً الصناعات المختلفة بالتفصيل ، والموانئ المغربية في تلك المنطقة ، والجغرافيا ،

(*) عضو هيئة التدريس بقسم الجغرافيا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان ، المغرب .

والطرق ، والمراكز الحضرية ، والخطة الاقتصادية والاجتماعية ، والطاقة والكهرباء ، إلخ . ويتضح من هذه التفاصيل أن ذلك الكتاب مهم لمن يدرس تاريخ تلك المنطقة وجغرافيتها أثناء الفترة المذكورة ١٩١٢-١٩٥٦ م ، على أن يضع الباحث في اعتباره أن هذه المعلومات قدّمها المصادر الإسبانية ، ومن ثم فيجب أن يكون الباحث على حذر عند دراسته لها . ومما يجدر ذكره أن الكاتب يقوم بتحليل أبواب وفصول الكتاب بالتفصيل ويقدم الجداول اللازمة التي تعطي إحصاءات وبيانات مفصلة عن كل الجوانب المدروسة .

: "ACCION DE ESPANA EN MARRUECOS"

مصدراً من مصادر المعلومات حول شمال المغرب خلال الحماية الإسبانية

توطئة :

عرفت مجتمعات شمال المغرب قيام حضارات عديدة أثّرت بشكل مباشر على بلورة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الراهنة لهذه المجتمعات .

وإذا كان من الصعب علينا تحديد نوعية الإرث الحضاري الذي تركته مختلف هذه الحضارات القديمة التي تعاقبت على المنطقة (الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية والحضارة البربرية ثم الحضارة العربية الإسلامية) ، فإن الوقوف على الإرث الإسباني بالمنطقة خلال فترة الحماية (١٩١٢-١٩٥٦م) يعد أمراً ممكناً ، نظراً لحدائثة هذا الإرث وتأثيره المباشر على بنيات هذه المجتمعات . فالحضور الإسباني بشمال المغرب الذي دام قرابة ٥٤ سنة ترك تأثيراً واضحاً وقوياً في بنيات مجتمعات هذا الجزء من المغرب .

وللوقوف على آثار هذا الحضور ومدى انعكاسه على البنيات التقليدية المحلية ، لا بد من الرجوع إلى التقارير والكتابات الإحصائية الإسبانية الرسمية التي تتضمن المعلومات الضرورية والكافية لمعرفة نوعية التركة الاستعمارية الإسبانية بشمال المغرب خلال فترة الحماية ، والتي عمت مختلف نواحي حياة هذه المجتمعات .

وإذا كانت رفوف المكتبات العامة والمكتبات الخاصة بكل من إسبانيا ، خاصة بمدريد ، والمغرب ، خاصة بتطوان ، تحتوي على الآلاف من هذه الكتابات والتقارير ذات الصلة ببنيات هذه المجتمعات خلال هذه الفترة ، فإن كتاب "ACCION DE ESPANA EN MARRUECOS"^(١) يعد من أهم مصادر المعلومات حول هذه المجتمعات خلال فترة الحماية الإسبانية . وتكمن أهمية هذا المصدر في الكمية الهائلة

والتنوع الكبير للمعلومات التي يوفرها من جهة وتعدد الاختصاصات التي يعالجها من جهة ثانية. فهذا المصدر يوفر معلومات إحصائية وبيانية وخرائطية ومصورة، بالإضافة إلى اهتمامه بمختلف القطاعات الاقتصادية والإنتاجية، كالمشآت السقوية والزراعية، والثروة الحيوانية والغابية، والبنيات المنجمية، وقطاع الموانئ والصيد البحري بالإضافة إلى البنيات الثقافية والتربوية، وكذلك البنيات الديموغرافية والحضرية والعمرانية والمعمارية.

(١) التعريف بالمصدر :

"ACCION DE ESPANA EN MARRUECOS" أنجز هذا الكتاب بمدينة تطوان سنة ١٩٤٨م من طرف جهاز المقيم العام الإسباني بالمغرب ALTA COMISARIA DE ESPAÑA EN MARRUECOS بمساهمة المقيم العام الإسباني^(٢) JOSE VARELA IGLESIAS ، وتحت إشراف كل من VICENTE MARTORELL OTZET ، ومندوب الأشغال العمومية بمدينة تطوان عاصمة النفوذ الإسباني بشمال المغرب وTOMAS GARCIA FIGURAS ، ومندوب التربية والثقافة في المدينة نفسها. وقد شارك في إنجاز هذا المصدر مجموعة من المتخصصين في ميادين مختلفة :

- D. JUAN ARRATE CELAYA المهندس المعماري
 D. NICOLAS BARANDA LOPEZ المهندس (طرق)
 D. MARIANO BERTUCHI NIETO الفنان التشكيلي
 D. IGNACIO DEL CUVILLO MEREL الضابط البحري
 D. TOMAS GARCIA CUENCA البيطري العسكري
 D. TOMAS GUDIN FERNANDEZ المهندس (طرق)
 D. DANIEL LAMBEA PALACIOS المهندس (طرق)
 D. JOSE LUIS PAMPIN المهندس الصناعي

- D. AGUSTIN MARIN BERTRAN DE LIS مهندس المناجم
- D. ROMAN MARTINEZ DE VELASCO المهندس العسكري
- D. PEDRO MUGURUZA OTANO المهندس المعماري
- D. MANUEL MUNOZ MONASTERIO المهندس المعماري
- D. ENRIQUE NAVAL GALINDO المهندس الجغرافي
- D. JOSE OCHOA BENJUMEA المهندس (طرق)
- D. JOSE MARIA PASTOR MORENO المهندس الزراعي
- D. SANTIAGO SANCHEZ COZAR مهندس الغابات
- D. JOSE SANCHEZ MUNOZ الرسام
- D. JOAQUIN TAMARIT GONZALEZ DE ESTEFANI مهندس المناجم
- D. ANTONIO MARIA VALENTIN DEL PERAL المحامي

وتم طبعه في السنة نفسها - ١٩٤٨م - بالمعهد الجغرافي والعقاري بمديره . كتب هذا المصدر باللغة الإسبانية ^(٣) ويحتوي على ٨٥٠ صفحة من الحجم الكبير ، و ١٢٩ جدولا و ١٨٥ تصميمًا وخريطة و ٥٠ رسمًا بيانيًا و ٥٧٨ صورة .

أما بالنسبة للنسخة التي اعتمدنا عليها فتوجد بالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان ^(٤) ، بالقسم الأجنبي والوادر تحت رقم ١٤٤٥٩ .

وتصدر الصفحات الأولى من هذا المصدر صور الزعماء الثلاثة أصحاب النفوذ السياسي والعسكري بشمال المغرب خلال الحماية الإسبانية في تلك الفترة :

- الجنرال FRANCISCO FRANCO : رئيس الحكومة العسكرية الإسبانية .
- مولاي الحسن بن المهدي : خليفة السلطان المغربي بمنطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب .

- JOSE VARELA IGLESIAS : المقيم العام الإسباني بالمنطقة .

INDICE

(٢) فهرس

PROLOGO.....	٧	تمهيد
INTRODUCCION	٩	مقدمة
Un imperativo deber humanitario	٩	واجب إنساني ملزم
Cómo lo cumple España en Marruecos.	١٠	كيف نفذته إسبانيا بالمغرب
La planificación	١٢	التخطيط
El primer plan quinquenal de Obras públicas	١٣	المخطط الخماسي الأول للأشغال العمومية
El objetivo que persigue este libro	١٤	هدف هذا الكتاب
EL AGUA , PROBLEMA FUNDAMENTAL DE MARRUECOS	١٧	الماء : المشكل الرئيسي بالمغرب
I.- LAS OBRAS HIDRAULICAS	١٩	I - المشاريع المائية
Labor rectora del Estado	٢٠	العمل المتعلق بالدولة
La revalorización de Marruecos	٢١	إعادة تقدير المغرب
División de las cuencas	٢٣	قسم الأحواض المائية
II.- LOS RECURSOS HIDRAULICOS DE LA ZONA	٢٧	II الموارد المائية بالمنطقة
Orografía y Geología	٢٧	الجبال والجيولوجيا
Pluviometría	٢٨	التساقطات
Caudales.....	٣٠	الثروات المائية
Regulación.....	٣٤	النظام المائي
III.- LAS CUENCAS PRINCIPALES, SUS APROVECHAMIENTOS Y SUS OBRAS	٣٧	III الأحواض النهرية الرئيسية : الأعمال والاستغلال
Cuenca del Muluya	٣٩	حوض ملوية
Regulación. - Presa de Mexera-Kelila	٣٩	نظامه - سد مشرع قليلة
Toma del canal de riegos	٤٠	مأخذ قناة الري
Canales de riego	٤٠	قنوات الري
Riegos.....	٤٢	الري
Producción hidroeléctrica	٤٥	الإنتاج المائي - الكهربائي

Abastecimiento de agua a Melilla	٤٦	تأمين مدينة مليلية بالماء
Avances presupuestarios	٤٦	تقديم الميزانية
Labor realizada	٤٧	العمل المنجز
Cuenca del Quert	٤٩	حوض كرت
El Guerruau. Embalse del Igan	٥١	كرواو : خزان إغان
Vega del Quert	٥٧	سهل الكرت
El Semmar, Embalse de Sidi		السمار : جزان سيدي عبد الله
Abdal-lah	٥٨	
La cabecera del Quert. El embalse de		رأس كرت : خزان أسلف
Aslef	٦٠	
El Quert. Presa de embalse y		الكرت : سد التخزين وتفرع إهريويز
derivación del Iherbuie	٦٤	
El Gareb y Mar Chica	٦٤	الغارب والبحر الصغير
El bajo Quert	٦٥	كرت السفلي
La producción del Quert	٦٥	إنتاج الكرت
Avances presupuestarios	٦٦	تقديم الميزانية
Cuenca del Nekor-Guis	٦٧	حوض النكور-غيس
El Guis. Presa de embalse de Sidi		الغيس : سد تخزين سيدي عيسى
Aixa	٦٧	
El Nekor. Presa de derivación de		النكور : سد تفرع معبان
Maabán	٧١	
Salto de Idarduchen	٧١	وثبة إدرودشن
Producción eléctrica	٧٣	الإنتاج الكهربائي
Los riegos de Alhucemas	٧٣	الري بالحسيمة
Abastecimiento de agua de Villa		تأمين مدينة الحسيمة بالماء
Sanjurjo	٧٤	
Avances presupuestarios	٧٤	تقديم الميزانية
Cuenca del Lau	٧٧	حوض واد لاو
Producción hidroeléctrica	٧٩	الإنتاج المائي - الكهربائي
Los riegos del Uad Lau	٨٣	الري بواد لاو
Avances presupuestarios	٨٦	تقديم الميزانية

Cuenca del Martín	٩١	حوض مارتيل
El Hayera. Embalse del Najla y Kerikera	٩٤	الحجرة. سد النخلة وفريقرة
El Xecor. Su regulación	٩٦	واد شقور: نظامه
El Jemis. Embalse del Zoco	٩٧	واد الخميس: خزان السوق
Riegos del Martín	٩٧	الري بمارتيل
Abastecimientos de aguas de Tetuán y Ceuta	١٠١	تموين مدينتي سبتة وتطوان بالماء
Producción hidroeléctrica	١٠٤	الإنتاج المائي-الكهربائي
Avances presupuestarios	١٠٥	تقديم الميزانية
Cuenca del Lucus	١٠٧	حوض اللوكوس
El Mehacen. Embalse del Garraf	١٠٨	واد المحاسن: خزان الغراف
El Uarur. Pantano de Sidi Aiyed	١١١	واد الوارور: خزان سيدي عياد
El Menzora. Embalse de Guelma	١١١	واد المنصورة: خزان كلمة
La producción agrícola	١١٢	الإنتاج الفلاحي
Energía eléctrica	١١٣	الطاقة الكهربائية
Avances presupuestarios	١١٣	تقديم الميزانية
IV. - LA PRODUCCION Y CONTRAPRODUCCION	١١٥	VI. الإنتاج والإنتاج المضاد
Producción agrícola	١١٦	الإنتاج الفلاحي
Producción eléctrica	١١٧	إنتاج الكهرباء
La contraproducción	١١٨	الإنتاج المضاد
V. - FINANCIACION Y EJECUCION DE LAS OBRAS	١٢١	V. تمويل وإنجاز المشاريع
Presupuestos	١٢١	الميزانية
Rentabilidad	١٢٣	المروددية
Financiación	١٢٤	التمويل
Construcción de las obras, su división y plazos de ejecución	١٢٦	بناء المشاريع، قسمها وتاريخ الإنجاز
EL CAMPO MARROQUI	١٢٩	الريف المغربي
A GRICULTURA	١٣١	الفلاحة

1° - El medio agrícola	١٣١	١. الوسط الفلاحي
Posición geográfica	١٣١	الموقع الجغرافي
El relieve	١٣٢	التضاريس
El clima	١٣٥	المناخ
El suelo	١٤١	التربة
La densidad demográfica	١٤٩	الكثافة الديمغرافية
La dificultad de comunicaciones ..	١٥١	صعوبة المواصلات
El régimen económico del mercado	١٥٢	النظام الاقتصادي للسوق
Resumen	١٥٤	خاتمة
2° - La explotación agrícola	١٥٥	٢. الإستغلال الفلاحي
La superficie cultivada	١٥٥	المساحة المزروعة
El peso vivo	١٥٦	الوزن الحي
Distribución de los cultivos y de la ganadería	١٥٨	توزيع الزراعات والماشية
Principales características de los cultivos y de la ganadería	١٦٢	المميزات الرئيسية للزراعات والماشية
A) Cultivos herbáceos	١٦٢	أ - زراعة الحبوب
B) Cultivos arbóreos	١٦٩	ب - الغراسات
C) Ganadería	١٧٥	ج - الماشية
La producción agrícola	١٧٧	الإنتاج الفلاحي
3° - La mejora agrícola	١٨٩	٣. التطور الفلاحي
El pasado	١٨٩	الماضي
El presente	٢٠٢	الحاضر
El porvenir	٢٣٧	المستقبل
Ganadería	٢٤١	تربية الماشية
Valor económico de la ganadería ..	٢٤١	القيمة الاقتصادية للماشية
Especie bovina	٢٤٢	صنف الأبقار
Especie ovina	٢٤٨	صنف الأغنام
Especie caprina	٢٥١	صنف الماعز
Especie equina	٢٥٤	صنف الخيول

Especie asnal	٢٥٩	صنف الحمير
Especie porcina	٢٦٠	صنف الخنزير
Dromedarios.....	٢٦٠	الجمال
Gallinas.....	٢٦١	الدواجن
Cómo estaba la ganadería de la zona al comienzo de nuestra acción protectora	٢٦٢	وضعية الماشية في بداية التدخل الإسباني
La obra realizada por España en la ganadería marroquí	٢٦٣	الإنجاز الإسباني في ميدان الماشية المغربية
La ganadería en la actualidad	٢٦٥	الوضعية الحالية للماشية
El programa respecto a la ganadería.	٢٦٦	البرنامج الخاص للماشية
Industrias rurales	٢٧٥	الصناعات الريفية
Cunicultura	٢٧٩	تربية الأرانب
Las mejoras en la ganadería en su aspecto económico	٢٧٩	تطور الجانب الاقتصادي للماشية
Organización que se pretende para los servicios de ganadería en la zona	٢٨١	تنظيم الخدمات المرتبطة بالماشية بالمنطقة
LA RIQUEZA NATURAL	٢٨٣	الثروة الطبيعية
MONTES	٢٨٥	الغابة
Los bosques de Marruecos y su tratamiento		معالجة الغابات المغربية
Generalidades	٢٨٥	الإطار العام
Los alcornoques	٢٩٢	القلين
Los cedrales	٢٩٥	الأرز
Pinares.....	٣٠٣	الصنوبر
El quejigo de Africa	٣٠٦	السنديان الإفريقي
El rebollo.....	٣٠٨	البلوط
Otras especies arbóreas	٣٠٩	الأنصاف الأخرى من الأشجار
Especies arbustivas y matas	٣١٦	الأحراش والشجيرات
Labor del Servicio forestal	٣٢٨	عمل القسم الغابي
Explotaciones.....	٣٣٣	الاستغلال

Explotación maderera	٣٣٣	استغلال الخشب
Explotación corchera	٣٤٠	استغلال الفلين
Otras explotaciones	٣٥٠	الاستغلالات الأخرى
El esperato	٣٥٠	الحلفاء
El crin vegetal	٣٥٠	السبب النباتي
La leña y el carbón	٣٥٠	الحطب والفحم
El curtido	٣٥٢	الدينغ
Replantaciones	٣٥٤	التشجير
Medidas de conservación	٣٦٣	وسائل المحافظة
Casas forestales	٣٦٣	الدور الغاية
Reconocimientos y estudios	٣٦٧	الاستطلاعات والدراسات
PESCA	٣٧٥	الصيد البحري
Comunicaciones y pesca marítimas ..	٣٧٥	الاتصالات والصيد البحري
MINAS	٣٩٥	المناجم
Nota geológica	٣٩٥	ملاحظة جيولوجية
La minería en la zona del protectorado	٤٠٣	المعادن بالمنطقة
Yacimientos de plomo	٤١٣	مناجم الرصاص
Yacimientos de antimonio	٤١٦	مناجم الكحل
Yacimientos de cobre	٤١٦	مناجم الكبريت
Yacimientos de cromo y grafito	٤١٦	مناجم الغرافيت
Yacimientos de tierras decolorantes..	٤١٧	مناجم الأثرية المزيلة اللون
Yacimientos de petróleo	٤١٧	مناجم البترول
Yacimientos de pizarras bituminosas.	٤١٨	مناجم الألواح الحمرية
ACTIVIDAD INDUSTRIAL Y SUS		النشاط الصناعي وإمكاناته
POSIBILIDADES	٤١٩	
I- INDUSTRIAS DERIVADAS DE		I- الصناعات المشتقة من الحجارة والأثرية
LAS PIEDRAS Y DE LAS		
TIERRAS	٤٢٤	
Obtención y preparación del caolín ..	٤٢٤	إنتاج وتحضير الخزف الصيني
Industria de la cal	٤٢٥	صناعة الكلس
Obtención de yeso	٤٢٥	إنتاج الجبس

Fabricación de ladrillos y tejas	٤٢٥	صناعة الأجر والقرميد
Industria del cemento	٤٢٧	صناعة الإسمنت
Fabricación de mosaicos, cementos, tubos de hormigón y piedra artificial.	٤٢٧	صناعة الفسفاء والإسمنت والمخرسانة والحجارة الاصطناعية
Fabricación de fibrocemento	٤٢٩	صناعة الألياف الإسمنتية
Fabricación de azulejos y losetas	٤٣٠	صناعة الزليج والبلاطة
Industria del vidrio	٤٣١	صناعة الزجاج
Tratamiento y acabado de tableros de vidrio para mesas, ventanas y espejos	٤٣٢	معالجة الزجاج
II.- OBTENCION DE HIERRO Y METALES	٤٣٣	II - إنتاج الحديد والمعادن
Fundición de hierro, bronce y metal.. ..	٤٣٣	صهر الحديد والبرونز والمعدن
Talleres de galvanoplastia	٤٣٤	معامل التليس
III. - CONSTRUCCION DE MAQUINAS , APARATOS Y VEHICULOS	٤٣٤	III - بناء الآلات والأجهزة والسيارات
Construcción de barcos	٤٣٤	بناء المراكب
Talleres de reparación en general	٤٣٤	معامل الإصلاح
Talleres de ferrocarriles	٤٣٥	معامل السكك الحديدية
IV. - INDUSTRIAS QUIMICAS	٤٣٦	IV - الصناعات الكيماوية
Industrias de perfumes y aceites esenciales	٤٣٦	صناعة العطور
Fabricación de colas	٤٣٦	صناعة الغراء
Fabricación de jabón	٤٣٧	صناعة الصابون
Fabricación de cerillas	٤٣٨	صناعة الوليد
Fabricación de ceras y velas	٤٤٠	صناعة الشمع
Fabricación de vitaminas y productos opoterápicos	٤٤١	صناعات الفيتامينات ومواد الاستعضاء
V. - INDUSTRIAS TEXTILES	٤٤٢	V - الصناعات النسيجية
Fabricación de crin vegetal	٤٤٢	صناعة السيب النباتي
Fabricación de alfombras	٤٤٣	صناعة الزرابي

Fabricación de tejidos de lana y algodón	٤٤٤	صناعة الصوف والقطن
Deshilachados de trapos	٤٤٥	معالجة القماش
VI. - INDUSTRIAS DEL PAPEL Y DE LAS REPRODUCCIONES	٤٤٦	VI. - الصناعات الورقية ومشتقاتها
Imprentas	٤٤٦	المطابع
VII. - INDUSTRIAS DE LA PIEL	٤٤٨	VII. - الصناعات الجلدية
Fábricas de calzados y talleres de Composturas	٤٤٩	صناعات الأحذية ومعامل الإصلاح
VIII. - INDUSTRIAS MADERERAS..	٤٥١	VIII. - الصناعات الخشبية
Fabricación de artículos de mimbres.	٤٥٢	صناعة أدوات الصفصاف
IX. - INDUSTRIAS DE LA ALIMENTACION	٤٥٣	IX. - الصناعات الغذائية
Fábricas de harina	٤٥٣	معامل الدقيق
Molinos harineros	٤٥٤	مطاحن الدقيق
Molinos de arroz	٤٥٦	مطاحن الأرز
Panaderías	٤٥٦	المخابز
Confiterías.....	٤٥٦	معامل الحلويات
Fábricas de caramelos	٤٥٧	معامل الحلويات السكرية
Fabricación de galletas	٤٥٨	صناعة البسكويت
Fábrica de pastas para sopa	٤٥٩	صناعة المعجائن
Fabricación de chocolates y bombones	٤٦٠	صناعة الشكولاتة والحلويات
Mataderos industriales	٤٦٠	المجازر الصناعية
Fábricas de conserva y salazones	٤٦١	صناعة المصبرات والمملحات
Molinos de aceite	٤٦٣	مطاحن الزيت
Fabricación de conservas de frutas y Legumbres	٤٦٣	صناعة مصبرات الفواكه والخضر
Fábricas de hielo	٤٦٣	معامل الثلج (الجليد)
Fábricas de aguardientes y licores	٤٦٥	معامل ماء الحياة والمشروبات
Fábrica de gaseosas y jarabes	٤٦٦	صناعة المشروبات الغازية والشراب

Fábrica de tabaco y cigarros	٤٦٧	صناعة التبغ والسجائر
X - INDUSTRIAS DEL VESTIDO Y CALZADO	٤٦٨	X - صناعة الملابس والأحذية
Talleres mecánicos de confección	٤٦٨	معامل الخياطة
Instalación de lavado, planchado y tintorería	٤٧٠	غسل وكي وصباغة الملابس
XI - OBTENCION Y DISTRIBUCION DE AGUA Y ELECTRICIDAD	٤٧١	XI - إنتاج وتوزيع الماء والكهرباء
Servicios de aguas	٤٧١	مصالح الماء
Servicios de electricidad	٤٧٣	مصالح الكهرباء
RESUMEN GENERAL DEL ESTADO ACTUAL Y DE LAS POSIBILIDADES DE LAS INDUSTRIAS EN MARRUECOS	٤٨٤	خلاصة عامة حول الوضعية الحالية للصناعات المغربية وإمكاناتها
LOS TRANSPORTES Y LAS ESTACIONES DE TRANSBORDO	٤٩١	النقل والمحطات البحرية
PUERTOS	٤٩٣	الموانئ
I - Necesidad del estudio del problema portuario de nuestra zona de influencia en Marruecos	٤٩٣	I - ضرورة دراسة مشكل الموانئ بالمنطقة
II- El puerto de larache	٥٠١	II - ميناء العرائش
III-El puerto de Arcila	٥٠٩	III - ميناء أرحيل
IV-El puerto de Río Martín	٥١٦	IV - ميناء مارتيل
V-El puerto de Villa Sanjurjo	٥٢٣	V - ميناء الحسيمة
VI- Mar Chica	٥٢٦	VI - البحر الصغير
FERROCARRILES	٥٣٥	السكك الحديدية
Consideraciones generales	٥٣٥	اعتبارات عامة
Primera parte	٥٣٦	الفصل الأول
I - La Geografía	٥٣٦	I - الجغرافيا
La Geografía física	٥٣٦	الجغرافيا الطبيعية
La Geografía política y		الجغرافيا السياسية والاقتصادية

económica.....	٥٣٧	
II- Las características técnicas	٥٣٩	II- المميزات التقنية
III-Organización general de la explotación de la futura red	٥٤٢	III- النظام العام لاستغلال الشبكة الجديدة
Segunda parte	٥٤٤	الفصل الثاني
Sección Tetuán-Villa Sanjurjo	٥٤٦	قطاع تطوان- الحسيمة
Sección Chauen-Alcazarquivir	٥٤٨	قطاع شفشاون- القصر الكبير
Sección Ceuta-Frontera tangerina	٥٥٠	قطاع سبتة- حدود طنجة
Sección Bab Tazza-Zona Francesa (ceuta-fez)	٥٥٢	قطاع باب تازة- المنطقة الفرنسية (سبتة- فاس)
Sección Villa Sanjurjo-Melilla	٥٥٤	قطاع الحسيمة- مليلية
Sección Tetuán-Larache	٥٥٦	قطاع تطوان- العرائش
Sección Ceuta-Tetuán	٥٥٨	قطاع سبتة- تطوان
Sección Larache-Alcazarquivir	٥٦٠	قطاع العرائش- القصر الكبير
Sección Zeluán-Zona francesa (Melilla-Uxda)	٥٦٢	قطاع سلوان- المنطقة الفرنسية (مليلية- وجدة)
Sección Monte Arruit-Zona francesa (Melilla-Guercif)	٥٦٤	قطاع العروي- المنطقة الفرنسية (مليلية- كرسيف)
Sección Amesdau-Guerrua (Melilla-Guercif)	٥٦٦	قطاع أمزديو- كرواو (مليلية- كرسيف)
Otras líneas	٥٦٦	خطوط أخرى
Tercera parte.....	٥٦٨	الفصل الثالث
CAMINOS.....	٥٧٥	الطرق
I- Consideraciones generales	٥٧٥	I- اعتبارات عامة
II- Las condiciones	٥٧٦	II- العوامل
A) La Geografía general	٥٧٦	أ- الجغرافيا العامة
B) La Orografía y la Hidrografía ..	٥٧٨	ب- الجبال والشبكة المائية
C) La Guerra	٥٧٨	ج- الحرب
D) El Turismo y las Peregrinaciones	٥٧٩	د- السياحة والسفر
E) La irradiación de los puertos	٥٨٠	هـ- إشعاع الموانئ
F) Los Ferrocarriles	٥٨٠	و- السكك الحديدية

G) Los núcleos de población	٥٨٠	ز - المراكز السكانية
H) La población rural	٥٨١	ح - السكان الريفيون
I) La Agricultura	٥٨٣	ط - الفلاحة
J) La Ganadería	٥٨٣	ي - تربية الماشية
K) La Selvicultura	٥٨٣	ك - تربية النحل
L) La Minería	٥٨٤	ل - المناجم
III- Los medios	٥٨٤	III - الوسائل
IV- La Solución	٥٨٧	IV - الحل
V - La ejecución	٥٩٣	V - الإنجاز
RED GENERAL DE TRANSPORTES		الشبكة العامة للنقل عبر الطرق
POR CARRETERA	٥٩٧	
LOS NUCLEOS URBANOS	٦٠٧	المراكز الحضرية
ORDENACION URBANA	٦٠٩	التخطيط الحضري
Condiciones geográficas	٦٠٩	الظروف الجغرافية
Artesanía	٦١٠	الصناعة التقليدية
Demografía	٦١٠	الديمغرافيا
Características de las ciudades	٦١١	مميزات المدن
Misión de las ciudades	٦١٢	وظائف المدن
El Poblado	٦١٣	المراكز
Tetuán	٦١٣	تطوان
Chauen	٦١٩	شفشاون
Larache	٦٢١	المراتش
Alcazarquivir	٦٢٨	القصر الكبير
Arcila	٦٣٢	أصيلا
Villa Sanjurjo	٦٣٥	الحسيمة
Villa Nador	٦٣٨	الناظور
ARQUITECTURA Y CONSTRUCCIONES		المعمار والبنائات الرسمية
FICIALES	٦٤١	
Resumen histórico de la Arquitectura		ملخص تاريخي حول المعمار البربري
en Berbería	٦٤١	
Capítulo 1- Las ciudades de nuestra		الفصل الأول : مدن منطقتنا ومعمارها

Zona de Protectorado y su arquitectura.....	٦٦١	
Arquitectura civil en la ciudad	٧٠١	المعمار الحضري بالمدينة
Arquitectura rural	٧٠٧	المعمار الريفي
Resumen de la arquitectura indígena de nuestra Zona	٧٠٨	ملخص حول المعمار المغربي بمنطقةنا
La arquitectura en el Atlas y en el Sur	٧١٢	المعمار بالأطلس والجنوب
Capítulo II-Arquitectura ejecutada por los europeos En la Zona de protectorado español	٧٢٦	الفصل الثاني : المعمار الأوروبي بالمنطقة
Labor arquitectónica realizada en el Protectorado y necesidades más urgentes a satisfacer en el futuro	٧٢٨	العمل المعماري المنجز بالمنطقة والضرورة المستعجلة لتلبية متطلبات المستقبل
Edificios oficiales	٧٢٩	البنائات الرسمية
Edificios públicos	٧٢٩	البنائات العمومية
Servicios públicos	٧٣٣	الخدمات العمومية
Principales obras realizadas en la Zona en el momento actual	٧٣٤	الأعمال الرئيسية المنجزة بالمنطقة في الوقت الراهن
LA TELECOMUNICACION	٧٧٧	الاتصالات
ORDENACION ECONOMICA Y RESULTADOS	٧٨٩	نتائج التخطيط الاقتصادي
IMPORTANCIA DE ESTE ESTUDIO	٧٩١	أهمية هذه الدراسة
LOS PLANES QUINQUENALES	٧٩٢	المخططات الخماسية
La habilitación de los recursos	٧٩٢	قدرة الموارد المالية
Imperio de la metodización y del orden de urgencia	٧٩٣	ضرورة التمهجية والتخطيط الاستعمالي ..
Orden de urgencia	٧٩٣	النظام الاستعمالي
Necesidad de un órgano económico..	٧٩٥	الحاجة إلى هيكل اقتصادي
ASPECTO SOCIAL Y ECONOMICO DE LOS PLANES QUINQUENALES ...	٧٩٥	الخاصية الاجتماعية والاقتصادية للمخططات الخماسية
Causas que dificultan la evolución		العوامل التي تعيق النمو الاقتصادي بالمغرب

económica de Marruecos	٧٩٥	
Los factores econ?mico-sociales	٧٩٦	العوامل الاقتصادية والاجتماعية
Los mercados	٧٩٧	الأسواق
Previsión y cooperación	٧٩٧	التوقع والتعاون
El plan económico-social	٧٩٧	المخطط الاقتصادي والاجتماعي
Las economías española y Marroquí	٧٩٨	الاقتصاد الإسباني والمغربي
EL COSTE DE LA OBRA Y SU SERVICIO		تكاليف المشروع وخدماته المالية . مساهمة
FINANCIERO.-LA PARTICIPACION		الدولة
ESTATAL	٧٩٩	
Coste elevado de las obras	٧٩٩	التكاليف المرتفعة للمشاريع
Valor de la hectárea de regadío y del		قيمة هكتار الري والكيلواط / ساعة
Kilovatio hora	٧٩٩	
Participación estatal	٨٠٠	مساهمة الدولة
Sistema financiero	٨٠٠	النظام المالي
PROBLEMA FUNDAMENTAL.-		تأمين القوت : الماء والريف المغربي : المشكل
ASEGURAR LA SUBSISTENCIA- EL		الرئيسي بالمنطقة
AGUA Y EL CAMPO MARROQUI	٨٠٠	
Población y consumo	٨٠٠	السكان والاستهلاك
Característica actual de nuestra Zona	٨٠٢	الخصائص الحالية لمنطقتنا
Atención primordial a los productos		الاهتمام الخاص بالمتوجات الغذائية
básicos para la alimentación	٨٠٣	الأساسية
Distribución de las tierras	٨٠٤	توزيع الأراضي
Superficie cultivada	٨٠٤	المساحة المزروعة
El plan hidráulico	٨٠٥	المخطط المائي
Los regadíos necesitan ser		ضرورة لسقي التكميلي
complementados	٨٠٧	
Agrícolamente, la Zona será siempre		ستظل المنطقة تابعة فلاحيا
Deficitaria	٨٠٧	
LAPRODUCCION AGRICOLA Y		إنتاج الفلاحة والماشية في استقلال عن مشكل
GANADERA CON INDEPENDENCIA		الماء
DEL PROBLEMA HIDRAULICO	٨٠٨	

Mejora de cultivos y arbolado	٨٠٨	تحسين الزراعات والغراسة
Tres regiones agrícolas diferentes	٨٠٩	ثلاث جهات فلاحية مختلفة
El arbolado	٨١٠	الغراسة
La ganadería	٨١٠	تربية الماشية
Resumen.....	٨١١	ملخص
Orden de prelación	٨١٢	نظام الأسبقية
Las granjas agrícolas	٨١٣	الضيعات الفلاحية
La obra social	٨١٣	العمل الاجتماعي
La evolución agrícola de la Zona desde 1912	٨١٣	التطور الفلاحي بالمنطقة منذ ١٩١٢ م
Cultivos industriales	٨١٥	الزراعات الصناعية
LA PRODUCCION ORIENTADA HACIA EL MERCADO EXTERIOR	٨١٥	الإنتاج الموجه نحو السوق الخارجي
Riqueza forestal	٨١٥	الثروة الغابية
La pesca	٨١٨	الصيد البحري
Las minas	٨١٩	المناجم
La Zona no tiene carbón ni fosfatos. Es dudoso que tenga petróleo y pueda explotarse industrialmente	٨٢٠	عدم توفر المنطقة على الفحم الحجري والفوسفات والبتروöl مع صعوبة استغلالها صناعياً
Artesanía y turismo	٨٢٣	الصناعة التقليدية والسياحة
Mercados de artesanía	٨٢٣	أسواق الصناعة التقليدية
LA INDUSTRIA MARROQUI	٨٢٤	الصناعة المغربية
Retraso de la fase industrial	٨٢٤	تأخير المرحلة الصناعية
Industria conservera	٨٢٦	صناعة المصبرات
Industria eléctrica	٨٢٦	الصناعة الكهربائية
Saturación industrial de Marruecos ..	٨٢٧	التشبع الصناعي بالمغرب
Directivas ha que ha de ajustarse el desenvolvimiento industrial de la zona	٨٢٨	التوجيهات الضرورية للإقلاع الصناعي بالمنطقة
Energía eléctrica	٨٢٨	الطاقة الكهربائية
Electrificación rural	٨٢٨	الكهربة القروية

Aumento de rendimiento y mejora de calidad, con vistas a la exportación ...	٨٢٩	الرفع من المردود وتحسين النوعية من أجل التصدير
Nuevas industrias	٨٢٩	الصناعات الجديدة
Absorción del excedente marroquí Cooperativización	٨٣٠	امتصاص الفائض المغربي : التعاون
LOS PROBLEMAS VIALES	٨٣٠	مشاكل المواصلات
Ceuta y Melilla	٨٣٠	سبتة ومليلية
Puertos	٨٣٢	الموانئ
Ferrocarriles	٨٣٢	السكك الحديدية
El ancho de vía y sistema de explotación	٨٣٣	ضيق الطريق ونظام الاستغلال
Resumen del plan ferroviario	٨٣٤	ملخص المخطط السككي
Caminos.....	٨٣٤	الطرق
Ordenación del transporte	٨٣٥	تخطيط النقل
El seguro obligatorio de viajeros	٨٣٥	التأمين الإجباري للمسافرين
Transportes aéreos	٨٣٦	النقل الجوي
Telecomunicación	٨٣٦	الاتصالات
LOS NUCLEOS URBANOS	٨٣٧	المراكز الحضرية
Los planes de urbanismo	٨٣٧	التصاميم الحضرية
La vivienda rural	٨٣٧	السكن الريفي
Organismo regulador de las construcciones en el campo	٨٣٨	الجهاز المراقب للبناء بالريف
Un estilo arquitectónico	٨٣٨	النموذج المعماري
LOS RESULTADOS	٨٣٨	النتائج
Imposibilidad de cifrar los resultados	٨٣٨	استحالة عد النتائج
Crece la población, su nivel de vida y, en consecuencia, sus necesidades..	٨٣٩	ارتفاع عدد السكان وتحسن مستوى المعيشة وتطور الحاجيات
Necesidad de la estadística	٨٣٩	ضرورة الإحصاء
La financiación	٨٣٩	التمويل
COLABORADORES	٨٤٥	المشاركون

(٢) تحليل المصدر :

١- المقدمة :

يتضمن هذا المصدر مقدمة عامة تعالج الإطار العام للتدخل الإسباني بشمال المغرب، والمشاكل الطبيعية والعسكرية والسياسية التي حالت دون الاهتمام بالجوانب المدنية والاقتصادية، والتركيز على الجوانب السياسية والعسكرية. ومن ضمن هذه المشاكل نجد الطابع التضاريسي الجبلي السائد بالمنطقة والحروب التي عرفتتها هذه الحقبة التاريخية كحرب الريف (١٩٢١-١٩٢٧م) والحرب الأهلية الإسبانية (١٩٣٦-١٩٣٩م) ثم الحرب العالمية الثانية.

كما تشتمل هذه المقدمة على معلومات خاصة بأهمية العمل بالتخطيط الاقتصادي بالمنطقة وكذا المبالغ المالية التي رصدت لها منذ ١٩٢١م إلى حدود ١٩٧٤م (انظر الملحق).

٢ - الباب الأول^(٥) : EL AGUA, PROBLEMA FUNDAMENTAL DE MARRUECOS^(٦) :

يتناول هذا الباب دراسة مختلف القضايا ذات الارتباط بالموارد المائية بالمنطقة. ويوفر معلومات حول أهمية الماء في استغلال المناطق السهلية ومحطات قياس التساقطات وأماكن تركزها.

كما يتطرق إلى الخصوصيات الجيولوجية للمنطقة وعلاقتها بالشبكة المائية وكمية التساقطات المطرية وأهم الأنهار بالمنطقة.

ويشتمل هذا الباب كذلك على وصف دقيق لأهم الأحواض المائية (ملوية- كرت- نكور- غيس- واد لارو- مارتيل- اللوكوس) مدعم بمعطيات إحصائية ورسوم بيانية وخرائط

توضيحية وصور، بالإضافة إلى علاقة هذه الأحواض بالمنجزات المائية بالمنطقة وعلاقتها بالاستغلال الزراعي والمساحات الإجمالية الزراعية السقوية والبورية .

كما يمدنا هذا الباب بمعلومات حول الإمكانيات المائية المتوفرة والطاقة الكهربائية المنتجة والمشاكل العامة المتعلقة بإنتاج الماء والكهرباء، ومعلومات أخرى خاصة بالمبالغ المالية التي صرفت في قطاعي السدود والتجهيزات السقوية بالمنطقة خلال تلك الفترة (انظر الملحق).

٣- الباب الثاني : EL CAMPO MARROQUI^(٧)

يعالج الباب الثاني من كتاب «ACCIÓN DE ESPAÑA EN MARRUECOS» مجموع العوامل الطبيعية والتقنية والمالية والبشرية في علاقتها مع قطاع الفلاحة وتربية الماشية .

ففي البداية يتناول بالدراسة مختلف العوامل الطبيعية التي تؤثر بشكل مباشر في النشاط الفلاحي، كالموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ والتربة، بالإضافة إلى الكثافة الديموغرافية الزراعية، وصعوبة المواصلات، ونوعية النظام الاقتصادي للسوق .

بعد ذلك يتطرق إلى المساحات الزراعية الإجمالية وتوزيع أصناف الزراعات والماشية وأصناف الغراس، وكذلك إلى الإنتاج الفلاحي . حيث يوفر هذا الباب معلومات وافرة ودقيقة تهتم بمختلف جوانب هذا النشاط . كما يبحث في الخصوصيات العامة للفلاحة العصرية بالمنطقة وإمكانات النهوض بها (انظر الملحق).

كما يوفر هذا الباب معلومات إحصائية وبيانية ومصورة حول طرق تحديث تربية الماشية، وجعل الإنتاج موجهاً نحو السوق، عن طريق إدخال التقنيات الجديدة المعتمدة في تربية مختلف أصناف الماشية (الأبقار - الماعز - الأغنام - الدواب - الحمير - الجمال -

الخنزير)، وتعميم الخدمات البيطرية واستيراد الأصناف الجيدة، بالإضافة إلى الاهتمام بالضيعات النموذجية قصد الرفع من عدد رؤوس الماشية وإنتاج اللحوم الحمراء لتسويقها. كما يمد الباحث بمعلومات تهتم طرق استغلال الغابة لتطوير وتشجيع تربية النحل وإنتاج العسل.

٤ - الباب الثالث : LA RIQUEZA NATURAL^(٨)

يشتمل هذا الباب على معطيات مهمة خاصة بأنواع الثروات الطبيعية المتوفرة بالمنطقة وأماكن تركزها وطرق ووسائل استغلالها.

ففي البداية يتطرق إلى الثروة الغابية بشمال المغرب، من حيث مساحتها الإجمالية، وأصناف الأشجار الموجودة، ومناطق انتشارها، بالإضافة إلى أساليب استغلال هذه الثروة ومعالجتها ومساهمتها في تنمية المجتمعات الجبلية التقليدية بالمنطقة. كما يوفر كذلك معلومات حول كميات الخشب المنتجة وتسويقها، والمشاريع المنجزة في ميدان الغابة كالتشجير وإقامة المنبتات، والمحافظة على الأصناف الموجودة لمقاومة التعرية وانجراف التربة.

بعد الثروات الغابية يعالج هذا الباب الثروة السمكية بالمناطق الساحلية بشمال المغرب خلال فترة الحماية. هذه الثروة التي كانت تعد من أهم القطاعات الإنتاجية التي أولاها المستعمر عناية خاصة، ووضعها ضمن الأولويات في السياسات الاستثمارية الإسبانية. فالمعلومات التي يوفرها هذا الباب في هذا الجانب تتعلق بالتقنيات المستعملة في ميدان الصيد البحري، كنوعية مراكب الصيد وطاقتها وأدوات الصيد المستعملة، كما تتعلق بموانئ المنطقة المخصصة للصيد البحري، من حيث طاقتها الإجمالية وأهميتها. بالإضافة إلى التطرق إلى أصناف الأسماك الموجودة والكميات المنتجة وقيمتها المالية وطرق ومناطق تسويقها (انظر الملحق).

كما يمد هذا الباب الباحث بمعطيات حول الصيد البحري بالواجهة الأطلسية، ومقارنتها مع الواجهة المتوسطية، وأخرى حول تقنيات المزارب وأماكن انتشارها، وكمية وقيمة الأسماك التي تنتجها. كما أنه لم يغفل دراسة الوحدات الصناعية التي تقوم بتحويل المنتج البحري، ودور المرأة في هذا النشاط الذي يتركز بأهم المدن الساحلية وعلى رأسها مدينة الحسيمة.

وينتهي هذا الباب بدراسة وتحليل الثروة المنجمية بالمنطقة من مختلف جوانبها، حيث يركز على الخصوصيات الجيولوجية لشمال المغرب، وعلاقتها بالمناجم وأنواع المعادن الموجودة. كما يحدد بالتدقيق أماكن وجود هذه المعادن واحتياطها، واليد العاملة المنجمية. بالإضافة إلى ذلك فهو يوفر معلومات عامة حول البنيات المنجمية بالمنطقة، من حيث إمكاناتها وتجهيزاتها وشركات الاستغلال وكميات الإنتاج وطرق تسويق المنتج.

٥ - الباب الرابع : ACTIVIDAD INDUSTRIAL Y SUS POSIBILIDADES^(٩)

في إطار معالجة مختلف البنيات الاقتصادية بمنطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب، يتناول الباب الرابع من هذا المصدر تحليل البنيات الصناعية بالمنطقة خلال تلك الفترة. فهو يوفر معلومات كمية ونوعية هائلة تتعلق بهذا الجانب، بدءاً من التكامل الموجود بين الصناعات العصرية المتمركزة بأهم المراكز الحضرية، كتطوان والعرائش والحسيمة، والصناعات التقليدية المتمركزة أساساً بالمناطق الريفية، حيث يتم استغلال المواد الأولية المتوفرة كالأتربة والخشب والجلد.

كما أن هذا الباب يوفر للباحث معلومات مكتوبة وإحصائية ومصورة تتعلق بمساهمة القطاع الصناعي في التنمية المحلية والجهوية بالمنطقة، كعدد المؤسسات الصناعية الموجودة، وأنواع الصناعات وأماكن تركزها، واليد العاملة التي تشغلها،

بالإضافة إلى الاستثمارات الصناعية وطرق تسويق المنتج الصناعي العصري وكذا التقليدي .

وبعد المعلومات العامة التي تخص مختلف الجوانب التي ذكرت سابقا، يتطرق هذا الباب إلى تفصيل هذه المعطيات عن طريق تحليل مُركَّز ودقيق يتعلق بمختلف عناصر البنيات الصناعية بالجزء الشمالي من المغرب خلال فترة الحماية الإسبانية .

٦ - الباب الخامس: LOS TRANSPORTES Y LAS ESTACIONES DE TRANSBORDO (١٠)

يعالج هذا الباب القضايا المرتبطة بالنقل ومختلف العوامل المؤثرة فيه . فهو يمد الباحث بمعلومات كمية ونوعية مهمة تتعلق بوسائل النقل ودورها في تنمية المنطقة الشمالية من المغرب خلال فترة الحماية الإسبانية .

ونجد بهذا الباب معلومات حول موانئ المنطقة وأماكن تركزها وطاقاتها ونوعية نشاطها والهدف من إنجازها . فالمصادر التاريخية عن المنطقة تؤكد دور هذه الموانئ في استنزاف الثروات المحلية ، خاصة الغابية والسمكية عن طريق تصديرها إلى إسبانيا من جهة ، ودورها كذلك في نقل الجنود الإسبان إلى المنطقة خلال حرب الريف والجنود المغاربة إلى إسبانيا خلال الحرب الأهلية .

ويمدنا كذلك بمعلومات ترتبط بشبكة السكك الحديدية ، ومختلف العوامل التي ترتبط بها ، كالعامل الجغرافي والعامل السياسي والاقتصادي ، بالإضافة إلى الخصوصيات التقنية لهذه الشبكة وتنظيم استغلالها . ويتطرق كذلك إلى أهم الخطوط وكثافتها والمبالغ المالية المستثمرة في هذا القطاع ، وخصائصه القانونية من حيث علاقته بين مدينتي سبتة ومليلية ذات الوضع السياسي والعسكري الخاص ، والمنطقة الفرنسية شرق وغرب المغرب (شرقا في اتجاه مدينة وجدة وغربا في اتجاه مدينة فاس) .

بعد الموانئ وشبكة السكك الحديدية يدرس هذا الباب البنيات الطرقية بالمنطقة، ويحلل العوامل المؤثرة فيها، كالجغرافيا والتضاريس والعامل العسكري والسياسي، وعلاقة التركزات السكانية الحضرية والريفية والنشاط الفلاحي والمنجمي بإقامة الشبكة الطرقية، وكذلك الوسائل المادية والتقنية والبشرية المعتمدة في إنجازها.

وينتهي هذا الباب بتحليل المميزات العامة للشبكة الطرقية بشمال المغرب على عهد الحماية الإسبانية، مركزاً على تحليل نوعية الطرق وكثافتها وتجهيزاتها والمحطات الطرقية بالمنطقة.

٧ - الباب السادس : LOS NUCLEOS URBANOS (١١)

يتناول هذا الباب دراسة وتحليل الخصوصيات الحضرية والعمرانية والمعمارية بمدن المنطقة خلال فترة الحماية، ودور التخطيط الحضري في الحفاظ على مقومات هذه المدن.

فهو يمد الباحث بمعلومات مفصلة ومُرَكَّزة حول أهم العوامل ذات العلاقة بالدينامية الحضرية بهذه المراكز، كالعامل الجغرافي والتضاريسي والعامل الديموغرافي، مركزاً على دور الهجرة والنمو الطبيعي للسكان في توسع هذه المدن، وتأثير هذين العنصرين على البنيات الحضرية العامة بالمنطقة. ويتضمن كذلك معطيات حول وظائف هذه المدن، كالنقل الحضري والصحة والتشغيل والتربية والتعليم. هذه المعطيات تركز أكثر على مدينة تطوان، لكونها كانت عاصمة النفوذ الإسباني بشمال المغرب، وموطن إقامة خليفة السلطان المغربي والمقيم العام الإسباني خلال تلك الفترة.

كما نجد ضمن هذا الباب أفكاراً حول النماذج الحضرية الإسبانية والأحياء العصرية الأوروبية بهذه المدن، ونوعية علاقتها بالأحياء التقليدية المغربية، بالإضافة إلى

خصوصيات السكن بالأحياء المغربية، ومقارنتها بالسكن الإسباني-الأوروبي من حيث مقوماته وأشكاله وتجهيزاته .

ويتطرق بعد ذلك إلى المميزات الحضرية العامة لمدن شمال المغرب (تطوان-شفشاون-العرائش-القصر الكبير-أصيلا-الحسيمة-الناظور)، كالطوبوغرافيا والشبكة الطرقية والنقل والمرافق العمومية والمجالات الخضراء، وتقنيات وأساليب المحافظة على الأحياء التاريخية القديمة .

بعد هذه المعطيات الحضرية والعمرانية، يتناول الباب السادس من هذا المصدر دراسة وتحليل قضايا المعمار بمدن وقرى المنطقة، موضحاً إرث الحضارات السابقة في هذا الميدان . كما نجد به تحليل نماذج معمارية كالأبواب والأقواس والمحاريب بدءاً من القرن الثامن حتى القرن التاسع عشر .

ويوفر هذا الباب كذلك معلومات حول العمارة الأوروبية-الإسبانية بالمنطقة كالبنائيات الرسمية (الإدارات-البنائيات العسكرية) والبنائيات العمومية (المدارس-المستشفيات-الفنادق-الأسواق-المحطات الطرقية-البريد) .

ويخلص إلى دراسة وتحليل الخدمات العمومية كالماء والكهرباء والمواصلات ومختلف المشاريع المنجزة بمنطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب خلال فترة الحماية .

٨- الباب السابع : LA TELECOMUNICACION (١٢)

يتضمن هذا الباب معلومات إحصائية وبيانية ومصورة حول وضعية الاتصالات بمنطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب، ودورها في تنمية المنطقة من جهة وتسهيل الاتصال بين المراكز الحضرية وأهم المراكز الريفية من جهة ثانية .

هذه المعلومات تشمل - على سبيل المثال - عدد المكالمات المحلية والدولية وعدد المراكز البريدية الموجودة بالمنطقة ، بالإضافة إلى عدد المشاركين بالشبكة الهاتفية بمدينة تطوان وباقي المنطقة . كما يوفر هذا الباب ، معطيات حول عدد البرقيات الداخلية والدولية المسجلة بالمراكز البريدية وإشعاع الخط الدولي والعالمي بقطاع البريد والاتصالات (١٣) .

٩- الباب الثامن : ORDENACIÓN ECONOMICA Y RESULTADOS (١٤)

يعد هذا الباب بمثابة خلاصة عامة لهذا المصدر . فهو يقدم تقييما عاما لهذه الدراسة من حيث أهميتها في إبراز الخصوصيات الاقتصادية العامة للمنطقة ، ويتطرق إلى القطاعات الإنتاجية التي تتطلب تدخلا سريعا ومستعجلا لإدماجها في اقتصاد المنطقة ، ويهتم كذلك بدور المخططات الاقتصادية في تنمية الجزء الشمالي من المغرب خلال تلك الحقبة .

كما يمد الباحث بمعلومات دقيقة أخرى حول الاستثمارات الإسبانية بالمنطقة ، والقطاعات الإنتاجية المفضلة . كما يركز هذا الباب على البحث عن وسائل وأساليب جديدة لحل مشكلتين أساسيتين تعوقان تنمية المنطقة وتؤثران سلبيا عليها . ويتعلق الأمر بمشكل الماء بالبادية المغربية ، أي ضعف الموارد المائية الضرورية للتنمية الفلاحية ، ومشكل غياب التوازن بين نمو سكاني مطرد وإنتاج غذائي محدود مع ارتفاع معدل الاستهلاك (١٥) .

كما يتناول هذا الباب تحليل الاستثمارات الإسبانية في مختلف القطاعات الإنتاجية ، وتفسير العوامل الكامنة وراء إعطاء الأولوية لبعضها ، كالاهتمام بالبنيات الأساسية كالطرق والموانئ والسكك الحديدية وقطاع الماء والكهرباء والفلاحة والصناعة .

ويخلص هذا الباب إلى الحديث عن صعوبة توفير الظروف الملائمة لتنمية المنطقة نظرا للعوامل الجغرافية الصعبة والعوامل السياسية والعسكرية غير المشجعة .

خاتمة :

إن كتاب «ACCIÓN DE ESPAÑA EN MARRUECOS» يعد من الكتابات والإحصاءات الرسمية الإسبانية التي تتعلق بالجزء الشمالي من المغرب خلال فترة الحماية. فهو إذن من المصادر والوثائق الأساسية التي يجب الرجوع إليها لفهم الخصوصيات الحضارية العامة والاقتصادية، التي ميزت مجتمعات هذه المنطقة خلال الفترة الاستعمارية. هذه الحقبة تعد مرحلة حاسمة في تاريخ المنطقة، نظراً لكونها تركت بصمات واضحة في خصوصيات الفترات اللاحقة من جهة، ولأنها أثرت بشكل مباشر وعميق في البنيات الراهنة لهذه المجتمعات من جهة ثانية.

فإذا كان هذا المصدر الإسباني الرسمي يدخل في إطار الدراسات الاستعمارية، التي غالباً ما يشوبها الغموض والتناقض، وتفتقر إلى الحياد والمصداقية، فإنه رغم ذلك، يبقى وثيقة علمية أساسية ومصدر معلومات ضرورية لمعرفة بنيات مجتمعات شمال المغرب خلال فترة الحماية الإسبانية.

إن هذا المصدر التاريخي الذي أنجز في ظروف سياسية وعسكرية واقتصادية عصبية، يوفر للباحث معلومات ومعطيات إحصائية وبيانية وخرائطية ومصورة. وأهم ما يميز هذه المعلومات دقتها وتعدد الجوانب التي تعالجها. فهذا المصدر لم يكتف بسرد المعطيات التاريخية والاجتماعية والديمقراطية والاقتصادية للمنطقة فحسب، بل حاول البحث عن العلاقة الموجودة بين ما هو تاريخي وعسكري وسياسي من جهة وما هو اقتصادي واجتماعي وديمقراطي من جهة ثانية.

إن الطابع الاستعماري الذي يميز هذا المصدر لا يجب أن يقف حاجزاً أمام الباحث بقدر ما يجب أن يكون عاملاً محفزاً للاطلاع عليه والاستفادة من معلوماته.

فالرجوع إلى هذا النوع من المصادر والوثائق الرسمية الاستعمارية يعد أمراً ضرورياً لأهميتها ووفرة معلوماتها، وللقوف على مميزات حقبة تاريخية نموذجية كان لها الأثر البالغ والمباشر في بناء بنيات المجتمعات الحالية.

(٤) الملحق : نماذج من المعلومات الإحصائية الواردة بالمصدر

جدول ١ : الاستثمارات الإسبانية بشمال المغرب ما بين ١٩٢١ و ١٩٤٧ م
(بآلاف البسيطة)(*)

السنوات	١٩٢١	١٩٢٢	١٩٢٣	١٩٢٤	١٩٢٥	١٩٢٦	١٩٢٧	١٩٢٨	١٩٢٩
المبالغ	٥٠٠	١٠٠٠	١١٠٠	٧٥٠	٢٥٠	٤٠٠	٢٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠
السنوات	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨
المبالغ	١٨,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٦,٠٠٠	٩,٠٠٠	٦,٠٠٠	٤,٥٠٠	٣,٠٠٠	٥,٠٠٠	٢,٥٠٠
السنوات	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧
المبالغ	٥٠٠	١٦,٠٠٠	٢٧,٥٠٠	١٢,٥٠٠	١٩,٥٠٠	١٧,٠٠٠	٣٦,٠٠٠	٥٤,٠٠٠	٤٧,٥٠٠

المصدر : Alta comisaria de España en Marueccos : Acción de España en Marueccos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948, p. 11

(*) هي العملة الإسبانية المتداولة بشمال المغرب خلال فترة الحماية . وهي العملة الرسمية الإسبانية نفسها في الوقت الحاضر : ١٠٠ بسيطة تساوي حاليا تقريبا ٦,٥ دراهم مغربية ، ولا نستطيع معرفة قيمتها خلال فترة الحماية ، حيث يقال بأنها كانت تساوي (١ بسيطة) عشرة سنتيمات .

جدول ٢ : المساحات المسقية بسهول المنطقة الشمالية
خلال فترة الحماية

المساحة (بالهكتار)	السهل
١٥,٠٠٠	ملوية
٢٠,٥٠٠	كرت
١٠,٠٠٠	النكور- غيس
٢,٠٠٠	واد لاو
٨,٥٠٠	مارتيل
١٥,٠٠٠	اللوكوس
٧١,٠٠٠	المجموع

المصدر : Alta comisaria de España en Marueccos : Acción de España en Marueccos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948, p. 116

جدول ٣ : الاستثمارات الإسبانية في قطاع الري خلال الخطة الخمسية
١٩٤٠-١٩٤٤ (بالبسيطة)

السهول	السدود	اشغال الري	الانتاج الهيدروكهربائي
ملوية	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	١١,٠٠٠,٠٠٠	١٤,٨٠٠,٠٠٠
كرت	٥٩,٠٠٠,٠٠٠	٧٣,٥٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠
النكور- غيس	٥٨,٠٠٠,٠٠٠	٣٢,٣٦٠,٠٠٠	٥٣,٦٤٠,٠٠٠
واد لاو	—	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	—
مارتيل	٩٨,٤٤٢,٣٤٨	٨١,٦٠٧,٦٥٢	١٩,٩٥٠,٠٠٠
اللوكوس	٩٣,٠٠٠,٠٠٠	١٠٨,٢٠٠,٠٠٠	٨,٨٠٠,٠٠٠
المجموع	٣٣٨,٤٤٢,٣٤٨	٣٢٦,٦٦٧,٦٥٢	١٠٠,١٩٠,٠٠٠

المصدر : Alta comisaria de España en Marueccos : Acción de España en Marueccos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948, p. 121

جدول ٤ : الأسواق بشمال المغرب خلال فترة الحماية الإسبانية

الجهة	عدد الأسواق	عدد السكان لكل سوق	إشعاع السوق (الكلم ٢)	مساحة السوق (بالهكتار)	السلع المروجة (بالسوق (كلغ))
كرت	٣٦	٨,٥٣٩	١٦٩	٢,٠٣٠	٤٤٩,٩١٥
الريف	٢٠	٧,١٣٧	١٧٧	١,٧١٥	٦٠٩,٠٦٠
غمارة	١٨	٦,١٥٠	٢٣٢	١,٥٦١	١,٠٤٤,٨٤٩
جباله	١٢	٩,٤٦٢	٢٥٣	٢,٧٠٠	٢,١٢٥,٦٣١
اللوكوس	١٢	١١,٦٥٥	٢٨٣	٥,٩٤٥	٢,٨٨٠,٦٨٤

المصدر : Alta comisaria de España en Marueccos : Acción de España en Marueccos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948, p. 153

جدول ٥ : المساحة المزروعة بشمال المغرب حسب الخطة الخمسية

١٩٤٠ - ١٩٤٤ م

الجهة	المساحة الإجمالية (كلم ٢)	الهكتارات المزروعة/ كلم ٢	الاقدام المغروسة في كلم ٢ (بالألف)	عدد الهكتارات لكل ساكن	عدد الأشجار لكل ساكن
كرت	٦,١١٧	١١	٠,٢٣	٠,٢٤	٤,٥
الريف	٣,٥٥٠	٩	٠,٥٥	٠,٢٣	١٢,٠
غمارة	٤,١٨٢	٦	٠,٥٢	٠,٢٤	١٧,٠
جباله	٣,٠٣٧	١٠	٠,٢٢	٠,٢٨	٣,٦
اللوكوس	٣,١١٤	٢١	٠,١١	٠,٥١	١,٧
مجموع م.!	٢٠,٠٠٠	١١	٠,٣٣	٠,٢٩	٦,٧
مجموع م. ف	٤٠٠,٠٠٠	١٤	٠,٦٢	٠,٧٨	٣٤,٠
مجموع إسبانيا	٥٠٥,٠٠٠	٢٠	٦,٦٤	٠,٣٩	١٢٩,٠

المصدر : Alta comisaria de España en Marueccos : Acción de España en Marueccos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948, p. 155

• م.إ. : المنطقة الإسبانية

• م.ف. : المنطقة الفرنسية

جدول ٦ : حجم الاستغلاليات الزراعية بشمال المغرب
خلال الحماية الإسبانية

العدد	الحجم (بالهكتار)
٤٧,٤٥٥	أقل من ١
٣٦,٥٥١	١-٣
١٦,٧٧٥	٣-٧
٥,٠٠٤	٧-١٢
١,٤٧٣	١٢-٢٥
٢٣٢	٢٥-٥٠
٣٠	أكثر من ٥٠
١٠٧,٥٢٠	المجموع

المصدر : Acción de España en Marruecos : Alta comisaria de España en Marruecos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948, p. 182

جدول ٧ : توزيع أصناف الزراعات بمنطقة النفوذ الإسباني خلال الخطة الخمسية ١٩٤٠-١٩٤٤ م (بآلاف الهكتارات)

المجموع	آخر	البقوليات	الذرة	السرغو*	الشعير	القمح	
١٣,١	١,٠	١,٧	١,١	-	٦٥,٧	٣,٦	كرت
٣٤,٣	١,٨	١,٨	١,٤	٠,٥	٢٧,٠	٢,٦	الريف
٣٢,٤	١,٠	٢,١	٢,٥	١٠,١	٦,٦	١٠,١	غمارة
٢١,٧	١,٠	٢,٠	١,٧	٢,٧	١١,٠	٩,٧	جباله
٦٥,٤	١,٧	٢,٠	١,٦	٢٨,١	٩,٧	٢٢,٣	اللوکوس
٢٣٣,٣	٥,٥	٩,٦	٨,٣	٤١,١	١٢٠,٠	٤٨,٣	مجموع م.إ.*
٥,٧١٢,٠	٢٥٦,٠	٢٤٦,٠	٤٦٠,٠	٢٥٠,٠	٢,٥٠٠,٠	٢,٠٠٠,٠	مجموع م.ف.*
١٠,١١٨,٠	١,٩٩١,٠	٢,٠٠٠,٠	٤٢٠,٠	٥٠٧,٠	١,٦٠٠,٠	٣,٦٠٠,٠	مجموع إسبانيا

المصدر : Alta comisaria de España en Marueccos : Acción de España en Marueccos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948. p. 11

* السرغو : صنف من الحبوب يعرف بشمال المغرب، حسب رأي فلاحي المنطقة بالشتي .

* م.إ. : المنطقة الإسبانية

* م.ف. : المنطقة الفرنسية

جدول ٨ : وضعية الغراسة بشمال المغرب خلال الحماية حسب المخطط الخماسي
١٩٤٠-١٩٤٤ م (بآلاف الأقدام)

المجموع	أخرى	الحواض	الغروب	اللوز	الزيتون	التين	الكروم	
١,٤٦٣,٥	٥٦,٩	١٢,٠	١١,٨	١٢,٠	١٠٥,٨	٣٩١,٨	٨٧٣,٢	كروت
١,٩٨٢,٩	٢٧,٢	٤,٥	٢,٢	١١٧,٠	٥٢,٠	٥٠٠,٠	١٢٨٠,٠	الريف
٢,١٨١,١	١٣,٥	٤,٠	٠,٦	٢٤,٨	١٠٣,٣	٢٥٥,٢	١٧٨٢,٧	غمارة
٦٨٤,٤	٧٦,٣	٢٨,٠	٢,٠	٤,٨	٤٥,٨	١٥٠,٢	٣٧٧,٣	جباله
٣٦٣,٨	٧٠,٥	٣٦,١	٠,٥	٠,٩	٥٥,٣	١٠٠,١	١٠٠,٤	اللوكرس
٦,٦٧٨,٧	٢٤٤,٤	٨٤,٦	١٧,١	١٥٩,٥	٣٦٢,٢	١,٣٩٧,٠	٤٤١٣,٦	مجموع م.إ. *
٢٥٠,٠٠٠,٠	٨,٠٠٠,٠	٤,٠٠٠,٠	٢,٠٠٠,٠	٦,٠٠٠,٠	١٥,٠٠٠,٠	٥٠,٠٠٠,٠	٢١٠,٠٠٠,٠	مجموع م.ف. *
٣,٣٥٠,٠٠٠,٠	٣٤,١٤٢,١	٢٤,٠٠٠,٣	١٠,٦٠٠,٦	٣٢,٤٤٧,٠	٢١٣,١١٠,٠	٦,٧٠٠,٠	٣,٠٢٩,٠٠٠,٠	مجموع إسبانيا

المصدر : Alta comisaria de España en Marruecos : Acción de España en Marruecos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral. Madrid, 1948. p. 158

* م.إ. : المنطقة الإسبانية
* م.ف. : المنطقة الفرنسية

جدول ٩ : توزيع الماشية بمنطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب خلال الخطة الخمسية ١٩٤٠ - ١٩٤٤ (عدد الرؤوس)

الخنزير	الجمال	الماعز	الغنم	البقر	الحمير	الدواب	الخيول	
١,٧٥٧	٢,٠٩٤	١٩٢,٦٢٧	١٧١,٤٣٥	٣٠,٥٠٣	١٦,١٦٧	٤,٨٥٧	٢,١٨٤	كرت
٥١٤	-	١٨٠,١٥٠	٤٤,٧٨٢	٣١,٨٧٨	٥,٤٥٦	٤,٧٠٢	٥٢٧	الريف
٦٠٩	-	٢١٤,٧٥٤	٤٩,١٠٩	٦٣,٨٢٧	٣,٦٦٩	٤,٠٧١	١,١٣٤	غمارة
٢,٣١٦	١٦٢	٢٣٣,٧٥٧	٩٣,٣٨٩	٨٤,٦٧٣	٩,٨٧٦	٣,٩١٨	١١,١٢٤	جباله
٣,٣٠٠	٩٠	١٢٨,٩٥٣	٢١٨,٥٦٥	٩٩,٩١٨	١٣,٢٧٢	٤,٥٩٣	١٣,٣٩٨	اللوكرس
٨,٤٩٦	٢,٣٠١	٩٥٠,٢٤١	٥٧٧,٢٨٠	٣١٠,٧٩٩	٤٨,٤٤٠	٢٢,١٤١	٢٨,٦٦٧	مجموع م.إ.*
٦٠,٠٠٠	١٦٠,٠٠٠	٦,٣٠٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	٧٤٨,٠٠٠	٢٧٣,٠٠٠	٧٨,٠٠٠	مجموع م.ف.*
٦,٩٠٠,٠٠٠	-	٦,٦٠٠,٠٠٠	٢١,٥٠٠,٠٠٠	٣,٧٥٠,٠٠٠	٨٠٠,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	مجموع إسبانيا

المصدر : Alta comisaria de España en Marueccos : Acción de España en Marueccos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid. 1948, p. 159

* م.إ. : المنطقة الإسبانية
* م.ف. : المنطقة الفرنسية

جدول ١٠ : إنتاج المزارب بمنطقة النفوذ الإسباني
ما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٦ م

السهول	الوزن (بالكلغ)	القيمة (بالبيطة)
١٩٤٠	٢,٣٠٠,٠٠٠	٣,٤٠٠,٠٠٠
١٩٤١	٢,٥٠٠,٠٠٠	٥,٨٠٠,٠٠٠
١٩٤٢	٢,٠٠٠,٠٠٠	٥,٥٠٠,٠٠٠
١٩٤٣	٢,٤٠٠,٠٠٠	٧,٥٠٠,٠٠٠
١٩٤٤	١,٨٠٠,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠
١٩٤٥	٣,١٠٠,٠٠٠	٥,٩٠٠,٠٠٠
١٩٤٦	٢,٤٠٠,٠٠٠	٤,٨٠٠,٠٠٠

المصدر : Alta comisaria de España en Maruecos : Acción de :
España en Maruecos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral,
Madrid, 1948, p. 383

جدول ١١ : كمية الأسماك المفروغة بموانئ منطقة النفوذ
الإسباني خلال سنة ١٩٤٦ م

الميناء	الكمية (بالكلغ)
الناظور	١٢٤,٧٥٧
الحسيمة	٤,٦٠٧,٥٥٥
طوريس	١٩٠,٢٥٠
الجبهة	٤,٤٨٧
مارتيل	٥٧٢,٣٩٨
المضيق	٦١٦,٤٢٠
القصر الصغير	١,٩٨٠
أصيلا	٥٣,٩٥٠
العرائش	١,٣١٥,٨٤٧
المجموع	٧,٤٨٧,٦٤٤

المصدر : Acción de : Alta comisaria de España en Marueccos : España en Marueccos. Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948, p. 385

جدول ١٢ : نشاط مواني منطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب
ما بين ١٩٣٥ و ١٩٤١ م

المجموع	الصادرات (بالطن)	الواردات (بالطن)	الموانيء
٣٠,٥٣٧	١,٩٤٣	٢٨,٥٩٤	العرائش
٧٥٤	٢٠٠	٥٥٤	أصيلا
٧,٢٦٧	٨١٧	٦,٤٥٠	مارتيل
١٣,٧٩٣	١,٨٩٠	١١,٩٠٣	الحسيمة
٥٩,٥٥١	١٠,٥٤٠	٤٩,٠١١	سبتة
١,١٢٢,٩٤٨	١,٠٨١,٩١١	٤١,٠٣٧	مليلية
١,٢٣٤,٨٥٠	١,٠٩٧,٣٠١	١٣٧,٥٤٩	المجموع

المصدر : Alta comisaria de España en Maruecos : Acción de España en Maruecos :
Talleres del Instituto Geográfico y Catastral, Madrid, 1948, p. 494

الهوامش

- (١) «عمل إسبانيا بالمغرب» أو «التدخل الإسباني بالمغرب»، أنجز من طرف الإقامة العامة الإسبانية بالمغرب، وهو عبارة عن أول تجربة إسبانية في ميدان التخطيط الاقتصادي : المخطط الخماسي ١٩٤٠-١٩٤٤ م.
- (٢) تعمدنا عدم ترجمة أسماء الشخصيات التي ساهمت في إنجاز هذا العمل حفاظاً على أصالتها.
- (٣) لقد قمنا شخصياً بترجمة محتوى هذا المصدر اعتماداً على إيماننا الشخصي باللغة الإسبانية من جهة، وعلى مجموعة من المعاجم من جهة ثانية.
- (٤) المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان تعد ثاني أهم مكتبة عامة بالمغرب بعد المكتبة العامة بالرباط، وتضم الأقسام الآتية :
 - قسم المخطوطات والوثائق : يضم ٢٤٠٠ عنوان.
 - قسم الصور والخرائط والمسكوكات : يضم ٤٠,٠٠٠ صورة و ٦٠٠ خريطة تاريخية وعسكرية و ٣٣ مجموعة من المسكوكات تتألف من ١٩٦١ قطعة ذهبية وفضية نادرة و ٣٤ شريطاً وثائقياً.
 - القسم العربي : يضم ١٦,٠٠٠ عنوان.
 - القسم الأجنبي والنوادر : يضم ٢٨,٠٠٠ عنوان.
 - قسم الصحافة العربية : يضم ٥٠٠ عنوان.
 - قسم الصحافة الأجنبية والأرشيف : يضم ١,٥٠٠ عنوان.
- (٥) إن الفهرس الأصلي للمصدر مبوب بعناوين رئيسة و ثانوية وأخرى فرعية فقط، دون أبواب وفصول وقد اعتمدت هذا التقسيم للتوضيح والتركيز على المعطيات العامة لهذا المصدر نظراً لضخامته من جهة وكثرة معلوماته من جهة ثانية.
- (٦) يتبدئ هذا الفصل من ص ١٧ إلى ص ١٢٧، ويشتمل على أربعة فصول.

١. LAS OBRAS HIDRAULICAS المشاريع المائية .
 ٢. LOS RECURSOS HIDRAULICOS DE LA ZONA الموارد المائية بالمنطقة .
 ٣. LAS CUENCAS PRINCIPALES الأحواض المائية الرئيسية .
 ٤. LA PRODUCCION Y CONTRA PRODUCCION الإنتاج والإنتاج المضاد .
- كما تتوفر على ٥٣ جدولا و ٢٢ خريطة و ٥٢ رسماً بيانياً و ٩٤ صورة .
- (٧) الريف المغربي : يمتد هذا الباب من ص ١٣١ إلى ص ٢٨٢ ، ويعالج مختلف المعلومات الملخصة الواردة أعلاه من خلال فصلين :
١. AGRICULTURA الفلاحة .
 ٢. GANADERIA تربية الماشية .
- بالإضافة إلى المعلومات المكتوبة فهذا الباب يمد الباحث بمعطيات إحصائية وبيانية ومصورة حيث يشتمل على ٣٥ جدولا و ٣٢ خريطة و ٣ رسوم بيانية و ١٣٤ صورة .
- (٨) الثروة الطبيعية : يبتدىء هذا الباب من ص ٢٨٥ إلى ص ٤١٨ . ويتكون من ثلاثة فصول :
١. LOS BOSQUES DE MARRUECOS Y SU TRATAMIENTO الغابات المغربية ومعالجتها .
 ٢. PESCA الصيد البحري .
 ٣. MINAS المناجم .
- ويشتمل هذا الباب على ٥ جداول و ٥ خرائط و ١١ رسماً بيانياً و ١٦٤ صورة .
- (٩) النشاط الصناعي وإمكاناته . يبتدىء هذا الباب من ص ٤٢١ إلى ص ٤٩٠ . ويتناول مختلف العناصر السالفة من خلال النقاط الآتية :

أ - INDUSTRIAS DERIVADAS DE LAS PIEDRAS Y DE LAS

TIERRAS الصناعات المشتقة من الحجارة والأتربة.

ب - OBTENCION DE HIERRO Y METALES استخراج الحديد

والمعادن .

ج - CONSTRUCCION DE MAQUINAS Y VEHICULOS بناء الآلات

والسيارات .

د - INDUSTRIAS QUIMICAS الصناعات الكيماوية .

هـ - INDUSTRIAS EXTILES الصناعات النسيجية .

و - INDUSTRIAS DE PAPEL Y DE LAS REPRODUCCIONES

الصناعات الورقية ومشتقاتها .

ز - INDUSTRIAS DE LA PIEL الصناعات الجلدية .

ح - INDUSTRIAS DE MADERERAS الصناعات الخشبية .

ط - INDUSTRIAS DE ALIMENTACION الصناعات الغذائية .

ي - INDUSTRIAS DE VESTIDO Y CALZADO صناعة الملابس

والأحذية .

س - OBTENCION Y DISTRIBUCION DE AGUA Y

ELECTRICIDAD إنتاج وتوزيع الماء والكهرباء .

وفيما يتعلق بالمعلومات الإحصائية والبيانية والمصورة، فهذا الباب يتضمن ٩١

جدولا و٣ خرائط و٢١ رسما بيانيا و٢٣ صورة .

(١٠) النقل والمحطات البحرية . يبتدئ هذا الباب من ص ٤٩٣ إلى ص ٦٠٦ .

ويشتمل على أربعة فصول :

١ - PUERTOS الموانئ .

٢ - FERROCARRILES السكك الحديدية .

٣. CAMINOS الطرق.

٤. RED GENERAL DE TRANSPORTES POR CARRETERA

الشبكة العامة للنقل عبر الطرق.

ويتضمن هذا الباب ١٩ جدولاً و ٣٢ خريطة و ١٥ صورة.

(١١) المراكز الحضرية. يتدئ هذا الباب من ص ٦٠٩ إلى ص ٧٨٧. ويشتمل على فصلين :

١. ORDENACION URBANA التخطيط الحضري.

٢. ARQUITECTURA Y CONSTRUCCIONES OFICIALES المعمار

والبنائات الرسمية.

ويتوفر على جدول واحد و ٨٩ تصميمًا وخريطة و ١٥٨ صورة.

(١٢) الاتصالات. يعد هذا الباب أصغر أبواب المصدر حجماً إذ لا يتعدى تسع صفحات. يتدئ من ص ٧٧٩ إلى ص ٧٨٧. ويشتمل على ٦ صور وشكل واحد.

(١٣) كما يركز هذا الباب على التطور الحاصل في مختلف الخدمات المرتبطة بالقطاع :

- Conferencias Interurbanas المكالمات البيحضرية. ٧٧, ٩٠٨ سنة ١٩٤٣م و ٣٩٦, ٥٦٣ سنة ١٩٤٨م.

- Conferencias Internacionales المكالمات الدولية. صفر سنة ١٩٤٣م و ٢٩٣, ١٥٩ سنة ١٩٤٨م.

- Abonados Urbanos en Tetúan المشاركون الحضريون بمدينة تطوان ١٢٥١ سنة ١٩٤٣م و ٢٢٠٠ سنة ١٩٤٩م.

- Abonados en el resto de la zona المشاركون بباقي المنطقة ١٠٠ سنة ١٩٤٣م و ١٩٨٧ سنة ١٩٤٩م.

- Telegramas interiores البرقيات الداخلية ٧٦, ٧٦٨ سنة ١٩٤٤م و ١٠٤, ٩١٤ سنة ١٩٤٨م.

- Telegramas internacionales البرقيات الدولية. ١٧٦,٨٠٠ سنة ١٩٤٠م
و ٣٩٨,٤٩١ سنة ١٩٤٨م.

- أما إشعاع الخط الدولي فلم يكن يتجاوز حدود طنجة وسبتة انطلاقاً من تطوان
سنة ١٩٤٣م ليشمل بعد ذلك ١٢ دولة سنة ١٩٤٩م، تدخل ضمنها كل من
مدينتي سبتة وطنجة ذات النظام السياسي والعسكري الخاص والمنطقة الغربية
والشرقية من المغرب التابعتين للحماية الفرنسية خلال تلك الفترة.

(١٤) نتائج التخطيط الاقتصادي. يمتد هذا الباب من ص ٧٩١ إلى ص ٨٤١. ويشتمل
على ٢٠ صورة و ١٥ جدولاً وخريطة واحدة.

(١٥) بلغ عدد سكان منطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب ١,٠٨٢,٠٠٩ سنة
١٩٤٥م:

المسلمون : ٩٩٥,٣٢٩.

اليهود : ١٤,١٩٦.

الإسبان : ٧٢,٠٩٦.

الأجانب : ٣٨٨.

الرحالة الفرنسيون

مصدر للمعلومات عن الدولة العثمانية

الدكتور مصطفى عبدالله الغاشي (*)

المستخلص

تمهّد هذه الدراسة للحديث عن مساهمة كتب الرحلات الفرنسية في التعريف بالشرق الإسلامي ، تمهّد بتوطئة تاريخية للعلاقات الفرنسية العثمانية خلال التاريخ الحديث . وترجع المصادر هذه العلاقات إلى ١٤٨٣ م . ثم تستمر هذه العلاقات وتتنوّر خلال القرون التالية : ق ١٦ - ق ١٨ م . وقد وجهت مسار العلاقة طيلة ق ١٨ وحتى حملة نابليون على مصر ١٧٩٨ م ما يعرف بالمسألة الشرقية . في تلك القرون كانت فرنسا تعد الحليف الأوروبي الرئيسي للدولة العثمانية حتى قامت فرنسا بحملة نابليون التي قادت إلى قطيعة شبه نهائية .

تتناول الدراسة بعد ذلك : الرّحالة الفرنسيين داخل الدولة العثمانية . ويلاحظ الكاتب أن هؤلاء الرحالة كلهم نصاريّ كاثوليك ، وأن هذا يفسر العلاقة المميزة التي كانت تربط فرنسا بالدولة العثمانية ، حيث منحت الدولة العثمانية لفرنسا حق حماية الأماكن المقدسة النصرانية في الشرق . وهناك أيضاً الرحالة التجار والرحالة المغامرون والرحالة العلماء والشعراء والحجاج . وتعطي الدراسة نماذج على هؤلاء جميعاً .

(*) عضو هيئة التدريس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبدالمالك السعدي ، تطوان بالمغرب

ثم تتناول الدراسة العثمانيين من خلال كتب الرحلات الفرنسية ، التي تعالج الموضوعات الآتية : تعريف الأتراك وأصلهم ، وصف الأتراك ، الرجل التركي والمرأة التركية ، نساء السرايا (القصور) ، نساء العامة ، في ثقافة التغذية ، في النظافة الجسدية ، في العلاقات بين الأفراد . وكل هذه الموضوعات تعد وصفاً للمجتمع التركي من خلال كتب الرحلات الفرنسية . ثم تأتي الدراسة إلى نقطة مهمة ، وهي : الإسلام من خلال الأتراك ، ثم : المؤسسة السياسية العثمانية (أي الهيئة الحاكمة) : السلطان ، والصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ، ثم الجيش الذي كان جله يتألف من الانكشارية . ثم تعطي الدراسة خلاصات لهذا كله ، وأخيراً تعطي جدولاً يلخص رحالة القرنين ١٧ ، ١٨ الذين تناولتهم الدراسة .

الرحالة الفرنسيون مصدر للمعلومات عن الدولة العثمانية

تقديم :

يجدر بنا قبل الحديث عن مساهمة كتب الرحلات الفرنسية في التعريف بالشرق الإسلامي خلال التاريخ الحديث ، أن نقدّم لذلك بتوطئة تاريخية للعلاقات الفرنسية العثمانية خلال التاريخ الحديث ، أي منذ تأسيس تلك العلاقات في القرن السادس عشر من خلال معاهدة ١٥٣٥ م ، وحتى نهاية القرن الثامن عشر والحملة الفرنسية على مصر ، وذلك بهدف تحديد الإطار التاريخي الذي تشكلت داخله الثقافة الاستشراقية الفرنسية والصورة التي أنتجتها الدولة العثمانية .

(١) العلاقات الفرنسية العثمانية خلال التاريخ الحديث :

١- العلاقات الفرنسية العثمانية خلال القرن السادس عشر :^(١)

تُرجع المصادر التاريخية وعلى الخصوص الفرنسية^(٢) بداية العلاقات الرسمية بين العثمانيين والفرنسيين إلى عهد بايزيد الثاني ، فقد بعث خلال عام ١٤٨٣ م برسالة إلى لويس الحادي عشر ، بغرض الحصول على الموافقة بالتزام فرسان رودس بسجن الأمير جيم أوزيزيم - حسب المصادر الأوربية -^(٣) ، غير أن هذه المهمة لم تتم بسبب وفاة لويس الحادي عشر ، ورفض فرسان رودس الاستجابة للسلطان العثماني . وقد أعاد السلطان المحاولة خلال عام ١٤٨٦ م ، إذ اقترح على الملك شارل الثامن : تسليم الأمير جيم مقابل كل الذخائر الدينية وبقايا أجساد الفرنسيين التي تم العثور عليها في الإمبراطورية منذ محمد الفاتح ، مقابل عدم قيام الفرنسيين بغزو القدس .

لقد كان مصير هذه السفارة مصير السفارة السابقة ، وأنت سنة ١٤٨٨م لبيعته السلطان السفير أنطوان بنيشو (Antoine Benicho) ، يحمل رسالة إلى الملك الفرنسي يطالبه فيها بالمصادقة على ما تحمله من اقتراحات^(٤) . وتمة لذلك ، وفي عام ١٥٠٠م بعث السلطان بايزيد الثاني برسالتين إلى الملك لويس الثاني عشر يطلب وساطة بين الباب العالي وجمهورية البندقية الإيطالية .

إلا أن العلاقات الفرنسية العثمانية شهدت منعطفا جديدا مع تولي الملك فرانسوا الأول (François Ière) الحكم في فرنسا ، إذ يعدها المؤرخون الإرهاصات الأولى «للعلاقات المنظمة» ، والمبنية على معاهدة كانت الأولى من نوعها بين الدولة العثمانية بصفتها دولة مسلمة ، وأوروبا المسيحية ، ففي ظل حكم هذا الملك ، وتحديدًا في أبريل ومايو من عام ١٥١٧م ، صادق السلطان العثماني سليم الأول على كل الامتيازات التي كانت فرنسا قد حصلت عليها من طرف السلطان المملوكي قانصو غوري سلطان مصر عام ١٥١٧م^(٥) .

ومما ساعد في توطيد هذه العلاقة والحضور السياسي والعسكري العثماني في أوروبا ، تلك الهزيمة التي لحقت بفرنسا في معركة بافي (Pavie) في إيطاليا ، حيث أسر الملك الفرنسي من طرف الإسبان . وبما أن فرنسا قد تعرضت لشبه حصار أوروبي ، فقد توجهت إلى الباب العالي تقترح عليه حلفا ضد إسبانيا ، على الرغم من أن هذه الخطوة الفرنسية كانت تعترضها الكثير من المخاوف والأخطار ، ليس أقلها الخوف من فقدانها «الاعتبار الروحي» ولقب «حامي المسيحية» في حالة تحالفها مع المسلمين^(٦) .

وخلال عام ١٥٢٥م وصل سفير فرنسي إلى الباب العالي يحمل الرغبة الفرنسية في حلف سياسي وعسكري ضد إسبانيا^(٧) . والواقع أن هذه الخطوة الفرنسية قد لقيت ترحيبا عثمانيا فقد بدا أن الباب العالي كالحامي الفعلي لفرنسا^(٨) .

لقد تمت ترجمة هذا التحالف على أرض الواقع من خلال التدخل العثماني لإطلاق سراح الملك فرانسوا الأول ، وعبر عمل عسكري ضد هنغاريا ، التي خضعت للباب

العالي بعد معركة Mohacz، التي جعلت العثمانيين على مسافة قريبة من فيينا عاصمة النمسا، مما خلق حسب المؤرخ Chrière «وضعية سياسية تحولت إلى أساس للعلاقات الفرنسية العثمانية، ومحور تحركها الخارجي خلال المراحل المستقبلية بين الدولتين»^(٩). إنه بالإضافة إلى النتائج السياسية والعسكرية لهذا التحالف، فإن النتائج التجارية والدينية التي حققتها فرنسا كانت ذات أهمية خاصة كتلك التي حصلت عليها من الباب العالي في ٢٠ شتنبر ١٥٢٨ م، نذكر منها:

الحماية العثمانية للقناصل والتجار الفرنسيين الموجودين بأراضيها^(١٠). وعلى الرغم من هذه المراحل المهمة التي قطعتها العلاقات الفرنسية العثمانية خلال القرن السادس عشر، فإن الحدث الأهم خلال تلك الفترة هو معاهدة ١٥٣٥ م، التي دعمت التواجد الفرنسي بالشرق العثماني، من خلال الامتيازات التي منحها العثمانيون لفرنسا. وقد تم التوقيع على هذه المعاهدة عام ١٥٣٣ م، متضمنة اثني عشر بنداً «شكلت أساس الحماية الاقتصادية والسياسية والدينية لفرنسا داخل الباب العالي»^(١١). من أهم هذه البنود:

- حرية الإبحار والاتجار لرعايا البلدين .
- الحرية الدينية للفرنسيين .
- إطلاق سراح الرهائن والأسرى بين الطرفين . بالإضافة إلى امتيازات قانونية وقضائية أخرى^(١٢).

٢ - العلاقات الفرنسية العثمانية خلال القرن السابع عشر :

تتميز العلاقات الفرنسية العثمانية خلال القرن السابع عشر بوضعين مختلفين، أحدهما يغطي النصف الأول من القرن، والثاني يغطي النصف الثاني منه : فالأول هو امتداد لتوقيع معاهدة ١٥٣٥ م، التي سبق الحديث عنها، إذ تحولت الامتيازات إلى تقليد سياسي جعل من القرن السابع عشر قرن الامتيازات الأوروبية في الدولة العثمانية .

وفي هذا السياق تندرج معاهدة ١٦٠٤م التي يعدها بعض المؤرخين الأكثر أهمية خلال القرن السابع عشر^(١٣)، فهي تضمن بالإضافة إلى بنود أخرى منها: أن لجميع الأمم الأوروبية التي ترغب في التجارة مع الباب العالي استعمال السفن والحماية الفرنسية، منع القراصنة من التعرض للسفن الفرنسية. لكن الأكثر أهمية في هذه البنود هو: حق فرنسا في حماية الأراضي المقدسة المسيحية وبالتالي على المسيحيين الشرقيين الاحتماء بالملك الفرنسي^(١٤). وهذا ما يفسر رغبة الملك الفرنسي خصوصا هنري الرابع (Henri IV) في لعب دور حامي المسيحية والمدافع عن مصالحها أمام الباب العالي، أما المسألة الاقتصادية في عهده فلم تحظ إلا بمكانة ثانوية في سياسته^(١٥).

أما الثاني فهو ذو طبيعة خاصة، بمعنى آخر: أزمة دبلوماسية بين الطرفين كانت لها نتائج خطيرة على مسار العلاقات الفرنسية العثمانية، بسبب المساعدة العسكرية التي قدمتها فرنسا للبندقية في حربها ضد الباب العالي بالتحالف مع النمسا، مما أدى إلى اعتقال السفير الفرنسي (Vantely de la haye) المتورط الرئيسي في هذه القضية، وقد كان لهذه الأزمة نتائج سلبية أثرت على التجارة والتجار الفرنسيين، بالإضافة إلى الحماية الخاصة للأماكن المقدسة المسيحية. بل غيرت الخريطة السياسية الأوروبية في علاقاتها بالباب العالي^(١٦).

وعلى الرغم من التوقيع على معاهدة ١٦٧٣م بين فرنسا والباب العالي فإن العلاقات لم تعد إلى سابق عهدها^(١٧).

٣- العلاقات الفرنسية العثمانية خلال القرن الثامن عشر:

خلال هذا القرن تأثرت العلاقات الفرنسية العثمانية بما عرف «بالمسألة الشرقية» (La question d'Orient)، التي وجهت مسار العلاقة طيلة القرن الثامن عشر وحتى حملة نابليون على مصر.

إن الحضور الفرنسي في الشرق العثماني خلال هذا القرن ناتج بالأساس عن السياسة التقليدية التي جمعت فرنسا والباب العالي منذ معاهدة ١٥٣٥م ، فحتى منتصف القرن الثامن عشر كانت فرنسا سياسياً ، تعد الحليف الأوربي الرئيسي للباب العالي . وتجارياً ظل الفرنسيون يحتلون المكانة الأولى في الشرق ، مدعومين بهيئة دبلوماسية كبيرة مشكلة أساساً من السفراء والقناصل . أما دينياً ، فقد ظلت الحماية الفرنسية للمسيحيين الشرقيين والأماكن المقدسة المسيحية ثابتة إن لم نقل تفوق ما كانت عليه في السابق^(١٨) . أكثر من ذلك فإن الحضور الفرنسي بالشرق العثماني كان مدعوماً بالآلة العسكرية بغرض إبراز قوة فرنسا في مقابل ذلك فإن الدولة العثمانية خلال هذا القرن كانت قد فقدت الكثير من هيبتها السياسية والعسكرية ، ذلك أن مشاكلها الخارجية كانت تميز وضعها العام بسبب صراعاتها وحروبها المتلاحقة مع دول الجوار خاصة روسيا ، والنمسا ، اللتين ألحقتا بها خسائر فادحة على مستوى الأراضي ، وأثر ذلك على مكانتها وصورتها في عيون الغربيين^(١٩) ، خاصة بعد حربها ضد التحالف الروسي النمساوي ، والتي انتهت بالتوقيع على معاهدة بلغراد عام ١٧٣٩م ، حيث لعبت فيها فرنسا دور الوسيط والضامن . وبذلك تكون فرنسا من خلال جهود سفيرها (De Vileneuve) قد استطاعت أن تمنح للعلاقات الفرنسية العثمانية دماً جديداً ، خاصة بعد التوقيع على امتيازات عام ١٧٤٠م ثم عام ١٧٦٣م^(٢٠) .

خلال الجزء المتبقي من القرن الثامن عشر شهدت العلاقات بين الطرفين منعطفاً جديداً قاد إلى القطيعة شبه النهائية : فأمام التقدم الهائل الذي حققته روسيا في مواجهتها للباب العالي تراجعت الديبلوماسية الفرنسية بالشرق ، خصوصاً بعد التقارب الذي تم بين فرنسا وروسيا والنمسا أعداء العثمانيين . أكثر من ذلك شارك الجيش الفرنسي الجيش الروسي في معاركه ضد الباب العالي ، مما أثار حفيظة العثمانيين الذين كانوا ينظرون إلى فرنسا كحليف قديم لهم . وبذلك انتهت مرحلة طويلة من العلاقات بين الطرفين لتبدأ مرحلة أخرى كانت أولى أحداثها : الغزو الفرنسي لمصر^(٢١) .

إن السفارة الفرنسية بالشرق العثماني، فضلاً عن دورها الدبلوماسي، كانت بمثابة مركز للدراسات الأدبية والأثرية حول الشرق، فممثل الملك كان سفيراً ولكنه كان أيضاً مدير بعثة علمية^(٢٢).

(٢) الرحالة الفرنسيون داخل الدولة العثمانية(*) :

ليس هدفنا هنا تقديم قائمة عن سير الرحالة الفرنسيين الذين ارتحلوا إلى الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بدوافع شتى، وإنما الهدف السعي إلى بناء تصور مركز وعميق عن هؤلاء الرحالة من خلال معطيات سيرهم الذاتية، التي تحدد انتماءاتهم الثقافية والاجتماعية التي وجهت نظرهم إلى العثمانيين أو المسلمين بصفة عامة؛ بمعنى آخر: الصورة التي أنتجها هؤلاء الرحالة عنهم. إن الرحالة الفرنسيين الذين زاروا الدولة العثمانية أو أقاموا بها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كانوا بالتأكيد يحملون معهم أفكارهم، وأحكامهم، وثقافتهم، وقراءاتهم السابقة التي كانت تشكل عناصر أساسية في توجيه طريقة نظرهم، وإدراكهم، وتقييمهم للأشياء. وبناء على ذلك فإن تقديم المجتمع الإسلامي العثماني من قبل هؤلاء الرحالة، لن يكون بطبيعة الحال تقديماً موضوعياً، وإن كنا نقدر أن ثمة «موضوعية» نسبية متضمنة في رحلاتهم. إن ما هو مؤكد أن المجتمع الإسلامي سوف يتعرض بدون شك للتحريف والتشويه من قبل الرحالة وثقافته، أو بمعنى آخر الموروث الثقافي والانتماء الاجتماعي^(٢٣).

إن دراسة التمثيلات الجماعية لا يمكن أن تتم بدون الأخذ بعين الاعتبار في الوقت نفسه مضمون الصورة الذي قام بإنتاجها، فهذان العنصران ضروريان لفهم الانتقال من الواقع الموضوعي إلى المتخيل. وعلى هذا الأساس فإن العنصر الإنساني، أي شخصية الرحالة، تكوينه، مهنته، ديانته، وسنه عند الرحلة، كلها عناصر ذات أهمية بالغة، لكونها تؤثر بشكل عميق في النظرة والحكم على الأشياء، وبشكل خاص طريقة إدراك الواقع^(٢٤).

من الواضح حسب دراسة السير الذاتية التي قمنا بها من أجل التعرف على العناصر المميزة لكل رحالة على حدة ، أن الرحالة الفرنسي هو نتاج عوامل اجتماعية متعددة توجه فكره ، وأحكامه ؛ وبمعنى آخر بناء الصورة للواقع أو الآخر . إن هذا تفاعل ونتاج ثقافة تراكمت في ذهنه طيلة مراحل حياته ، حتى إن الرحلة أو الرحلات ومضامينها تمثل ترجمة صادقة لها . إن الدين من حيث هو عنصر أساسي في تحديد طريقة التفكير ، وأساس نظام المعلومات في ظل قرون مطبوعة بالصراعات الدينية (القرنان السادس عشر والسابع عشر) ، يبرز عند الرحالة الفرنسيين الذين زاروا الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، عاملاً مهماً ، فكلهم مسيحيون كاثوليك ، وهذا يفسر العلاقة المتميزة التي كانت تربط بين فرنسا والباب العالي : فسياسة الامتيازات العثمانية كانت قد منحت لفرنسا حماية الأماكن المقدسة المسيحية ، والمسيحيين الكاثوليك في الشرق ، هذا الامتياز كان يسمح للرحالة الفرنسيين بالانتقال بكل سهولة إلى الدولة العثمانية . وكمثال على ذلك رحلة السفير «دي هاي دو كورنومان» (Des Hayes de Cournevin) ١٦٢١م التي كان هدفها تعيين قنصل بالقدس ، فحماية الكاثوليك لم تكن فقط مهمة ملكية وإنما كانت فرنسا تريد أن تكون مهمة كل الكاثوليك سواء في فرنسا أو بالشرق العثماني (٢٥) .

إن الانشغالات الدينية القوية خلال هذه الفترة من التاريخ الحديث ، كانت تبرز عند الرحالة الفرنسيين بشكل جد متميز ، ويمثل هذه الحالة الرحالة «جان كوبان» (Jean Coppin) ، الذي قام خلال عام ١٦٣٨م ، برحلة إلى الباب العالي بهدف الحج إلى الأماكن المقدسة المسيحية . وفي عام ١٦٤٠م تم تعيينه قنصلاً بمدينة دمياط في مصر ، وعند عودته إلى فرنسا نشر رحلته التي تضمنت «مشروع حرب مقدسة» (Projet de guerre sainte) ضد العثمانيين (٢٦) . ليس هناك شك في كون التكوين الديني (Théologie) لهذا الرحالة كان وراء رحلته ، وطريقة مشاهدته ، وأسلوب تقديمه للأشياء المشاهدة في الواقع الشرقي العثماني . وفي هذا السياق قدم مشروع حرب

صلبية إلى الملك الفرنسي، ثم بعد ذلك إلى البابا بروما الذي بنى هذا المشروع، وكتب إلى جميع أمراء أوروبا المسيحيين يدعوهم إلى الوحدة والتحالف ضد العدو المشترك، أي الأتراك العثمانيين^(٢٧).

إنه إذا كانت المصالح الدينية قد تم تجاوزها في أوروبا باعتماد الفكر العلمي، فإن دور الفكر الديني ظل قويا ومؤثرا في معرفة العالم الشرقي بحيث يعتمد في تحليله وفي الصورة التي تقدم عنه^(٢٨). إن هذا الحضور الديني يبرز عند جميع الرحالة الفرنسيين للقرنين السابع عشر والثامن عشر، ولكن بشكل خاص عند الرحالة الذين يعملون في سلك رجال الدين: دويدان (Doubdan) والأب دودرو (Père de dreux)^(٢٩) إلخ.

إن الرحالة الفرنسيين خلال الفترة الحديثة من التاريخ قد خضعوا لتكوين إنساني - نسبة للمدرسة الإنسانية - التي كانت تتميز بنظام تفكيرها، وفلسفتها. وهذا يعني أن ذلك قد أثر كثيراً، إن لم نقل أنتج طريقة النظر والصورة التي سجلوها عن العثمانيين. وبما أن التكوين يؤدي غالباً إلى المهنة، فإن الرحالة الفرنسيين للقرنين السابع عشر والثامن عشر قد مارسوا مهناً تتطابق إلى حد بعيد مع التكوين الذي خضعوا له: فنجد في الدرجة الأولى مجموعة الديبلوماسيين، ثم التجار، ثم رجال الدين، ثم المغامرين. فالمجموعة الأولى تشكل الأغلبية، وهذا يتجلى من خلال النشاط الديبلوماسي بين الباب العالي وفرنسا، ومن جهة ثانية الحضور الفرنسي بالشرق العثماني. وقد ساهم هؤلاء الرحالة الديبلوماسيون كثيراً في التعريف بالعالم العثماني في الغرب الأوروبي، هذا الدور الذي كان يتقاطع في الوقت نفسه بدور الإنسانين منذ القرن السادس عشر، ثم فيما بعد بالتفكير العلمي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر^(٣٠).

أما فيما يتعلق بفئة التجار ورجال الدين فإن عددهم كان أقل بكثير من فئة الديبلوماسيين، فخلال هذه المرحلة قل عدد التجار الذين دونوا رحلاتهم إلى الشرق، وهذا يفسر بازدهار التجارة الفرنسية بهذه المنطقة من العالم منذ التوقيع على امتيازات

١٥٣٥م بين فرنسا والباب العالي . كما أن التجارة مع الشرق بالنسبة للتجار الفرنسيين كانت عملية نشطة ، ولم يكونوا يرون داعياً لتدوين رحلاتهم . إن الشرق بالنسبة للتجار هو قيمة مادية قبل كل شيء^(٣١) .

إنه إذا كان عدد الرحالة من رجال الدين قد قل خلال القرن السادس عشر ، فإنه سوف يتكاثر نسبياً خاصة خلال القرن السابع عشر ، وذلك من جهة بفضل الامتياز الذي حصلت عليه فرنسا ، والمتمثل في حماية الأماكن المقدسة المسيحية والمسيحيين الشرقيين ، ومن جهة أخرى ، بفضل الدور الذي قامت به البعثات الدينية . وعلى الرغم من هذا الحضور ، فإن رجال الدين لا يشكلون مصدراً مهما لمعرفة الشرق العثماني ، لأن الانشغالات الدينية المرتبطة بالحج ، ووضع الأماكن المقدسة كانت تمنعهم أو لنقل تحد من الاهتمام بالواقع اليومي العثماني^(٣٢) .

أما فيما يخص فئة الرحالة المغامرين ، فإن رحلاتهم إلى الباب العالي مرتبطة من جهة التكوين الخاص من طرف أقربائهم في التجارة على وجه الخصوص ، ومن جهة أخرى الرغبة في المغامرة . مثال ذلك : الرحالة جان بابتيست تافرنيان (Jean Baptiste Tavernien) الذي حصل على التكوين في التجارة قرب والده الذي كان يتاجر في الخرائط الجغرافية . ارتحل إلى الشرق بدافع المغامرة والاتجار في الأحجار الكريمة . الشيء نفسه ينطبق أيضاً على الرحالة جان تيفينو (Jean Thévenot) الذي خضع لتكوين استشاري من قبل عمه ، وارتحل هو أيضاً إلى الشرق بهدف مشاهدة عجائب الشرق والمغامرة^(٣٣) .

إن الرحالة الفرنسيين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر يشكلون تحديداً أربع مجموعات كبرى :

- الدبلوماسيين ورجال العلم .

- المغامرين .
- رجال الدين أو الحجاج .
- التجار (٣٤) .

لكن يبقى السؤال الأكثر أهمية إلى حد الآن هو : ما العلاقة الموضوعية التي تجمع بين أهداف الرحلات وطريقة مشاهدة الأشياء عند هؤلاء الرحالة ؟

بداية نشير إلى أن ظروف المشاهدة عند الرحالة هي مرتبطة من جهة بالقيمة التي يمنحها للبلد أو البلدان المزارة ، ومن جهة أخرى بأهداف الرحلة . في هذا السياق وحسب التمييز الذي أجريناه بين رحالة القرن السابع عشر والثامن عشر : دبلوماسيين ، مغامرين ، رجال الدين ، تجار ، فإن أفكار الرحالة تختلف بدون شك من فئة إلى أخرى . وفي هذا الخضم فإن نظرة الدبلوماسيين تتحرك في حدود الاعتبارات السياسية والعقلانية . مثال ذلك : الرحالة دي هاي دو كورنومان (Des Hayes de Cournemin) ، وتورنوفور (Tournefort) ، وسفري دو بريف (Saveory de Brèves) . أما نظرة المغامرين فهي مؤطرة بالفضول والبطولة ، وفي بعض الأحيان المبالغة والغرابة . مثال ذلك الرحالة بول لوكا (Paul Lucas) ، وجان تيفينو . أما فيما يتعلق بالحجاج أو رجال الدين فإن نظرتهم مغلفة بالإيمان والتصوف . وكمثال على ذلك الرحالة دويدان (Doubdan) ، وكوبان (Coppin) . وبخلاف كل هذه الفئات فإن نظرة التجار هي مؤطرة بالقيمة المادية للأشياء المشاهدة . مثال ذلك الرحالة تافيرنيه (J.B.Tavernier) .

وعلى الرغم من تباين هذه الفئات من الرحالة ، وتباين طريقة نظرتهم للأشياء ، فقد ساهموا وبدرجات متفاوتة في معرفة العالم العثماني التركي .

يلاحظ أنه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تزايد دور الدبلوماسيين من أجل معرفة جيدة عن العثمانيين ، لكون الفترة تتميز بتطور السفارات الدائمة في الشرق ، وسيطرة الإنسانيين في مجال المعرفة والفكر منذ القرن السادس عشر ، بالإضافة إلى انتشار الفكر العلمي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ولا ننسى في هذا السياق أن الرحالة السفراء كانوا كلهم ينحدرون من أوساط علمية، فقد كانوا يهتمون سواء بالوضعية الداخلية للدولة العثمانية، بحيث كانوا يبعثون تقارير عنها إلى ملوكهم، أو بالغنى الثقافي للباب العالي. وفي هذا الإطار نذكر على سبيل المثال الرحالة السفير دي هاي دو كورنومان الذي كان إنسانياً، بعثه الملك الفرنسي في سفارة إلى الباب العالي بهدف تعيين قنصل بالقدس^(٣٥). وأثناء تواجدهم بالشرق العثماني لم يكتف هؤلاء الرحالة الدبلوماسيون بجمع التحف والمخطوطات، بل اهتموا بشكل خاص بوضعية الباب العالي، سواء منها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية. وهذا ما قام به الرحالة دي هاي دو كورنومان، الذي تعد رحلته مصدراً مهماً لمعرفة الدولة العثمانية خلال القرن السابع عشر. والحكم نفسه ينطبق أيضاً على السفير تورنفوا (J.P.de Tournefort)، الذي بعث في مهمة علمية إلى الشرق عام ١٧٠٠م، دون بعدها رحلة ذات قيمة خاصة في معرفة الشرق العثماني. والشيء نفسه ينطبق أيضاً على الرحالة البارون دو توت (Le Baron de Tott) الذي لم يزر فقط الباب العالي، وإنما ساهم في الأحداث التي عرفتها الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر، خاصة أثناء حربها ضد روسيا، دون بعدها رحلته التي هي بمثابة وثيقة تاريخية حول الأوضاع السياسية للعثمانيين^(٣٦).

إن الدراسة المقارنة للشعوب تتيح بدون شك للفكر المتنور التفكير في الأنا من خلال الآخر أي المجتمع. فالغربة أو الغرائبية (exotisme) شكلت بالنسبة لرحالة القرنين السابع عشر والثامن عشر طريقة لانتقاد المجتمع الفرنسي من خلال عرض المجتمع التركي العثماني. فكتب الرحلات خلال هذه الفترة لم تشكل فقط دعامة للأفكار الفلسفية الجديدة، وإنما قدمت مساهمة كبيرة لبعض رجال الدولة لتبرير إرادتهم في إصلاح مؤسسات الدولة الملكية^(٣٧).

وعلى هذا الأساس، وخلال هذه المرحلة فإن كتب الرحلات الفرنسية، كانت تقدم ليس فقط قيمة كبرى للشرق العثماني، الذي كان يبدو بالنسبة للقرنين السابع عشر والثامن

عشر بعيدا وغامضا ، وإنما كانت تدفعهم أيضا إلى الارتحال إلى الشرق لمشاهدة العجائب التي طالما قرأوا عنها في كتب الرحلات . ومن بين الذين تنطبق عليهم هذه الوضعية الرحالة المغامر جان تيفينو ، الذي يصرح في مقدمة رحلته بأن هدفه من الرحلة جاء تحقيقا للرحلات التي كان يحلم بتحقيقها ، أو سمع عنها كثيرا .^(٣٨) والشيء نفسه يمكن أن يقال عن الرحالة فولني (Volny) ، الذي غادر فرنسا عام ١٧٨٣م باتجاه الشرق ، بهدف الحصول على معرفة معمقة عن هذه البلاد التي تشكل الثقافة الاستشراقية عنها ضرورة لمثقف القرن الثامن عشر^(٣٩) . بالإضافة إلى هؤلاء نجد رحالة مغامرين آخرين سواء من القرن السابع عشر أو الثامن عشر : هنري دوبوفو ، ودو لا بولاي لوغو ، وبول لوكا . . . إلخ . كل هؤلاء الرحالة يشكلون فئة يصعب تفسير دوافع رحلتهم إلى الشرق (عدا عنصر المغامرة) ، فقط لكون رحلتهم مرتبطة بعوامل شخصية أكثر منها ثقافية .

أما بخصوص الرحالة الحجاج أو رجال الدين ، فإذا كان عددهم قليلا خلال القرن السادس عشر لعوامل مرتبطة بالحركة الثقافية والدينية لهذا القرن ، ووضعية العلاقات الفرنسية العثمانية خلال تلك المرحلة ، فإنه خلال القرن السابع عشر حسب يوركا نيكولاس (Iorga Nicolas) سوف يعرف هذا النوع من الرحلة تطورا نسبيا باتجاه الشرق العثماني^(٤٠) ، وهذا يفسر من جهة بالامتياز الذي حصلت عليه فرنسا من الباب العالي لحماية الأماكن المقدسة المسيحية والمسيحيين الشرقيين ، ومن جهة ثانية بالدور الذي قامت به البعثات المسيحية . لكن على الرغم من الحضور المتجدد للرحالة الحجاج في القرن السابع عشر ، فإنهم لا يشكلون مصدرا رئيسيا لمعرفة الشرق الإسلامي ، فالشرق بالنسبة لهؤلاء هو رוחي قبل كل شيء .

أما بخصوص الرحالة التجار ، فإن عددهم قبل القرن السابع عشر كان كبيرا ، غير أن هذا العدد سوف يقل كثيرا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فطيلة تلك الفترة لم نعثر إلا على رحلة واحدة ذات أهداف تجارية ، ويتعلق الأمر بالرحالة تافرنيري (Tavernier) الذي قام بست رحلات إلى الشرق ما بين ١٦٣٦م - ١٦٦١م .

إن هذا الغياب يمكن تفسيره بازدهار التجارة الفرنسية مع الشرق العثماني . فمنذ التوقيع على معاهدة ١٥٣٥ م ، والتي منحت لفرنسا امتيازًا تجاريًا ، فإن التجار الفرنسيين كانوا مدعومين من طرف السفراء أو القناصل ، الشيء الذي أدى إلى ازدهار تجاري فرنسي بالشرق . غير أن التجار لم يتركوا معلومات كثيرة حول الشرق ، فالشرق كما سبقت الإشارة إلى ذلك بالنسبة للتجار ، له قيمة مادية وليس معرفية . وعلى هذا الأساس فإن مساهمة الرحالة التجار في التعريف بالشرق تبقى ضعيفة ، ولا يمكن اعتماد رحلاتهم كمصدر أساسي لمعرفة الشرق .

في الخلاصة إذن ، يبقى الرحالة السفراء الأكثر إسهامًا في التعريف بالشرق العثماني خلال الفترة الحديثة سواء كان ذلك بمبادراتهم الخاصة ، أو بتشجيع من الملوك الفرنسيين والمسؤولين السياسيين للدولة .

(٣) العثمانيون من خلال كتب الرحلات الفرنسية :

شكلت كتب الرحلات خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وسيلة عملية لإعلام وتشكيل الرأي العام حول الجديد الثقافي والعلمي للمرحلة . أما بخصوص العثمانيين ، فإن الرأي العام الفرنسي حولهم إلى إشكالية حقيقية تتغذى بشكل أساسي من إسهامات مختلف فئات الرحالة إلى الشرق .

كيف قدّم إذن الرحالة الفرنسيون العثمانيين إلى الرأي العام الفرنسي ؟ وما الصورة التي أعطيت للتركي خلال تلك الفترة ؟

نذكر في البداية أن الرحلات الفرنسية إلى الشرق العثماني خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، قد أولت اهتمامًا خاصًا للمجتمع العثماني المسلم ، وذلك من خلال التطرق إلى أربعة مواضيع رئيسية : الشعب ، مظاهر الحضارة ، الإسلام التركي ، مؤسسة الحكم .

إنها المواضيع التي كانت تشغل الرأي العام الفرنسي ، ويددوا ذلك واضحاً من خلال التعابير التي كان يستعملها الفرنسيون (il est comme un turc) «إنه مثل تركي» ، (fort comme un turc) «قوي مثل تركي» (une tête de turc) «رأس تركي» . . . إلخ ، ولذلك فقد حرص الرحالة الفرنسيون على تسجيل كل ملاحظاتهم عن الأتراك لتقديمها إلى الرأي العام الذي يتداولها بشكل يومي .

- في تعريف الأتراك وأصلهم :

عدد قليل من الرحالة الفرنسيين الذين تركوا لنا معلومات حول هذا الموضوع ، فالأمر لا يتعلق بتعريف جغرافي للدولة العثمانية ، وإنما بتعريف تاريخي وأنثروبولوجي . في رحلته إلى الشرق العثماني يقدم الرحالة فرمانيل (Fermanel) مساهمة في التعريف بتاريخ الأتراك : «فالأتراك عند بدايتهم لم يكونوا سوى جماعة من الرحل المتشردين الذين نزحوا من بلاد التتار بآسيا الوسطى . . .» أما فيما يتعلق بالتسمية ، أي العثمانيون ، فهي ترجع إلى المحارب عثمان ابن ارطغرل الذي أعطى بعد استقراره بمدينة بورصة الانطلاقة لتأسيس الدولة العثمانية^(٤١) .

لا يضيف هذا الرحالة أو غيره معلومات أخرى عن تاريخ الأتراك وأصلهم ، إذ ينتقل مباشرة بعد ذلك إلى الحديث عن الدولة العثمانية في وضعها الجيوسياسي ، والذي يعكس كبرها وحجمها الاستراتيجي : «منذ عثمان إلى اليوم تعاقب على هذه الدولة اثنان وعشرون خليفة من أب لابن أو من أخ لأخ . . هؤلاء السلاطين وسعوا كثيراً من حدود دولتهم ، الشيء الذي جعلهم يملكون اليوم أجمل جزء من أوروبا وآسيا وإفريقيا . لقد ربحوا بلدانا كثيرة في ظرف أربع مائة سنة ، في حين امتلكها الرومان قديما في ظرف ثمان مائة سنة . . .»^(٤٢) .

لكن هذه الدولة كما يقدمها رحالة آخر : دي هاي دو كورنومان ، تعاني من نقص كبير في الساكنة : « كثير من الناس تتعجب وبدون سبب من كون هذه الدولة فارغة من الساكنة ، على الرغم من أن التركي بإمكانه أن يتزوج أكثر من امرأة واحدة ، الشيء الذي يمكنه من إنجاب عدد كبير من الأطفال ، مما نتج عنه زيادة عدد المسلمين على عدد النصارى . . »^(٤٣) . ويفسر هذا الرحالة ظاهرة التعدد بكون الحرب تقضي على عدد كبير من رجالهم ، كما أن الطاعون يحصد الكثير من أرواحهم^(٤٤) .

وعلى الرغم من أن العنصر التركي الأكثر تحكما في أمور الحكم والسياسة ، فإن شعوبا أخرى غير تركية تتقاسم هذه الدولة مع الأتراك « . . . يسكنها ثلاثة أجناس من مختلف الديانات ، لكنهم غير راضين بالحكم التركي . . سوريا ، فلسطين ، والجزيرة العربية . أما في الجانب الإفريقي فيسكنها العرب والبربر حيث يقطن العرب الأرياف تحت الخيام ، أما البربر فيقطنون المدن والقرى . . »^(٤٥) .

إن الرحالة الفرنسيين للقرنين السابع عشر والثامن عشر لا يضيفون شيئا حول أصول الأتراك ، لماذا ؟

نعتقد أن هناك تفسيرين لهذه المسألة : الأول أن هذا الموضوع سبق التطرق إليه من رحالة القرن السادس عشر^(٤٦) ، الذين قدموا لأول مرة للرأي العام الفرنسي التاريخ التركي ، الثاني أن رحالة القرن السابع عشر والثامن عشر كانوا أكثر اهتماما بالواقع العثماني من الماضي . بالإضافة إلى ذلك فإنه خلال القرن السابع عشر شهدت الكتب المتعلقة بالتاريخ التركي نتاجا غزيرا ، لذلك لم يكن الرحالة يولون هذا العنصر أهمية كبرى تجنباً للتكرار .

- في وصف الأتراك :

فيما يتعلق بالمظهر الخارجي للأتراك لا يقدم لنا الرحالة الفرنسيون إلا وصفاً للرجال ، فجان تيفينو ، هو الوحيد بين جميع الرحالة الذي تحدث في رحلته عن المظهر

الخارجي للأتراك ، وهو في هذا الصدد لا يقدم الصورة التي صاغها رحالة هذه الفترة عن الأتراك ، وإنما الصورة التي كانت لدى الرأي العام الفرنسي . يقول تيفينو : «إن الأتراك يملكون قامة جميلة ، وبما أن أجسامهم جد متوازنة ، فإنهم لا يعانون من عيوب خلقية كالتي نجدها عادة في دول أوروبا . مثل الحذب ، والعرج ، لذا يقال عنهم «قوي مثل تركي» ، لأنهم في غالبيتهم أقوياء وأشداء» (٤٧) .

إن الصورة الجماعية التي يقدمها هذا الرحالة تعكس جانبا إيجابيا أكثر أهمية من الجانب السلبي الذي يطلق عامة على الأتراك .

أما فيما يتعلق بالجانب المعنوي ، فبخلاف ما كان يشاع عن الأتراك منذ القرن السادس عشر : بأنهم غلاظ الطبع وبدون رحمة ، نجد الرحالة الفرنسيين للقرنين السابع عشر والثامن عشر يغيرون جذريا هذه الصورة الموروثة عن فترة الحروب الصليبية . فيفينو الذي أولى هذا الموضوع أهمية خاصة من بين جميع الرحالة يقول : «يعتقد الكثير في البلاد المسيحية بأن الأتراك شياطين كبار ، وبرابرة ، وأناس بدون إيمان ، لكن الذين عرفوهم وتحدثوا إليهم يقولون بأنهم أناس طيبون ، يتبعون حرفيا مقولة (علينا أن نحب لغيرنا ما نحب لأنفسنا)» (٤٨) .

لا يكتفي هذا الرحالة بإيراد هذه المعطيات عن روح ومعنويات الأتراك ، بل يضيف خصوصيات معنوية أخرى بالغة الأهمية : «إنهم (الأتراك) لا يؤمنون بجواز الكذب أو الغش سواء مع مسيحي أو تركي . . ولا يتخاصمون ، ولا يحملون السيوف داخل المدينة ، حتى بالنسبة للجنود باستثناء الخنجر فقط . إنهم قليلو الخصومات ، والمبارزات لا نجدها عندهم ، وهذا راجع بالأساس إلى الإسلام الذي حرم على أتباعه الخمر ، والميسر ، لذا فالأتراك لا يشربون الخمر ، والذين يشربونه لا يحترمون ويمكن أن نقول بأنهم يأكلون من أجل العيش ، ولا يعيشون من أجل الأكل . . .» (٤٩) . هذه الصورة التي يقدمها جان تيفينو عن الجانب المعنوي للأتراك يؤكد أنها أيضا الرحالة الأب

روبير دودرو (P.Robert de Dreux) الذي يضيف إليها أربعة مظاهر معنوية أخرى . يقول هذا الرحالة : «لقد لاحظت فيما هو مشترك عند الأتراك : كثرة الصدق ، كثرة التواضع ، اعتدال في المأكل والمشرب ، وحب كبير لدينهم . . .»^(٥٠) .

نجد هذه الصورة أيضاً عند رحالة آخر من الفترة نفسها حيث يؤكد أن الأتراك : «طيبون . . . كثيرو الجدية والتواضع . . . كما أن البساطة والبراءة كثيرة الانتشار بينهم مع صدق لا مثيل له»^(٥١) .

في الخلاصة إذن نجد أن الأتراك حسب تقديم هؤلاء الرحالة ، شعب يتميز بجسد متميز : قوي ، وصلب ، وبمعنويات كبيرة وحية . إن الملاحظ في هذه المعطيات أنها لا تتطابق مع الصورة الأسطورية للقرون السابقة .

- الرجل التركي والمرأة التركية :

يتميز الرجل التركي أو المرأة التركية كما يقدمهما الرحالة الفرنسيون بلباس كثير التماثل ، مظهره جميل ، ممتع أثناء المشاهدة ، ونظيف ، يعكس ثقافة وفنا شرقيين : «إن لباسهم مفيد للظهور بقامة جميلة ، وتغطي العيوب . . .»^(٥٢) . بالنسبة للرجال فإن الرحالة تيفينو يكاد يكون الوحيد في تقديم معطيات حول هذا الموضوع فالأتراك يلبسون «قمصانا ، ويلبسون فوقها سترة من القماش من الأطلس (Satin) أو من أثواب أخرى راقية . . . فوق هذه السترة يضعون حزاما يمكن أن يستخدم عمامة ، أو حزاما من الجلد مزينا بأقراص قد تكون من الذهب أو الفضة»^(٥٣) .

يضيف هذا الرحالة الدقيق الملاحظة أن الأتراك يحملون دائما في أحزماتهم خنجرين قد يكون مقبضهما مرصعا بالذهب أو الفضة أو من الأحجار الكريمة . . . كما يحملون منديلين كل واحد في جانب تستعمل لأغراض كثيرة . . . يضع الأتراك فوق السترة أيضا ما يشبه المعطف لكن ليس بشكل دائم^(٥٤) .

فيما يخص الأقدام يلبس الأتراك أحذية من لون واحد ، أما كعبها فهو متساو مع مقدمة الحذاء الذي يحمل اسم : البابوش .

لكن العنصر الأكثر تميزا في لباس الأتراك هي العمامة ، التي حسب الرحالة تيفينو ، تعد عنصر تميز من حيث الانتماء الاجتماعي بين الأتراك : «يحمل الأتراك فوق رؤوسهم قبة . . يضعون حولها عمامة زرقاء أو حمراء . . . هذه العمامة هي خمار من القماش أو من الحرير . . . يضعونها على الرأس بشكل دائري ، وبأشكال متعددة بحيث تعرف قيمة التركي الاجتماعية من خلال شكل وطريقة وضع العمامة . . .»^(٥٥) . في السياق نفسه يؤكد الرحالة نفسه بأن اللون الأخضر للعمامة عند الأتراك خاص بالأشراف الذين يتمتعون لآل البيت ، ولا يمكن لأحد من العامة أن يضع عمامة بهذا اللون .

عند نهاية ملاحظاته يضيف هذا الرحالة بأن الأتراك يحلقون رؤوسهم . . ويتركون لحاهم وشواربهم باستثناء الذين يعملون داخل القصر .

إن اللحية عند الأتراك - حسب هذا الرحالة - معيار للاحترام ، لذلك لا يحلقها السلطان ، كما أنهم يقبلون لحي بعضهم البعض^(٥٦) .

من خلال هذه المعلومات التي يقدمها الرحالة تيفينو عن لباس الأتراك ، فإنه يعكس طريقة لباس مختلفة تماما عن لباس الفرنسيين ، متناسق في مظهره ، وممتع أثناء المشاهدة .

فيما يخص النساء التركيات ، فتجدر الملاحظة إلى كون الرحالة الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين قد تعاملوا مع هذا الموضوع بحساسية كبيرة ، وهذا يفسر الكثير من المبالغات والخرافات التي وقع فيها الكثيرون منهم ، وهذا ما نجده في الكثير من أحاديثهم عن المرأة التركية : «هناك الكثير من الصعوبة والخطر لرؤيتهن . . ولا يراهن إلا اللواتي يلتقين بهن في الحمام ولا يشاهدن خارج البيوت . . فإنهن لا يذهبن إلى

الحمام إلا مرة واحدة على الأقل لأن أزواجهن يمنعنهن من ذلك بسبب تعاليم الدين» (٥٧) .

«إن النساء (التركيات) يبقين في البيوت» «وتحترم البيوت التي بها النساء حتى إن العدالة لا تدخل بيت رجل مطالب لديها . . .» (٥٨) .

يسمي الأتراك نساءهن الحرمة (من الحريم) الذي يعني المقدس ، وهو ما لا يجوز المساس به . ومادام الدخول إلى البيوت أمرا صعبا على أهل البلد ، فإنه ممنوع كليا على الأجانب خاصة من الإفرنج (٥٩) .

وعلى الرغم من ذلك فقد ترك هؤلاء الرحالة معلومات مهمة للرأي العام الفرنسي حول المظهر الخارجي وخصائصه ، والجمال التركي وطريقة اللباس .

جان تيفينو عند وضعه لصورة المرأة التركية تحدث عن بعض مميزاتها : «في تركيا النساء جميلات ، صورتهم حسنة وبدون عيوب ، شديداً البياض لعدم خروجهن من البيوت ، ويضفي الحجاب الذي يلبسه عند الخروج بعض الزينة ، ويكحلن عيونهن . . . ويضعن على الأظافر الحنة . إنهن نظيفات» (٦٠) .

كما يلبسن المعاطف (جمع معطف) التي يحزمها بأحزمة مرصعة بأشكال ذهبية أو في بعض الحالات بأحجار كريمة . . . أما عند خروجهن من البيت فيضعن خماراً وسترة ذات كمين طويلين لا تسمح بظهور شيء إلا الأصابع . أما أحذيتهم فهي مثل أحذية الرجال (٦١) .

لقد لاحظ هذا الرحالة أن النساء التركيات لهن شعر طويل يصل إلى الخصر ، لكنهن أيضا يضعن غطاء على الرأس مثل طربوش من أثواب حمراء . . أما عند مغادرتهم البيت فإنهن يضعن خماراً على الرأس والوجه لا يسمح بظهور إلا العينين (٦٢) .

على الرغم من كون النساء التركيات والمرأة المسلمة بصفة عامة لها صفة الاحترام ، فإن الرحالة اهتموا بحياتهن الخاصة والغامضة في تصورهم ، غير أن المعلومات المقدمة من طرف هؤلاء تفتقد إلى الموضوعية ، لأنهم لم يكونوا على علاقة مباشرة بالنساء ، لأن البيوت كانت ممنوعة كلياً على الأجانب . وهذا ما أكدته بعض الرحالة عند قولهم : «نعرف الشيء القليل حول عادات النساء»^(٦٣) . غير أن الرحالة بخصوص هذا الموضوع يميزون بين نوعين من النساء في تركيا : نساء القصر أو السرايا (Serail) ، ونساء العامة ، لكون النموذجين يمثلان طريقتين مختلفتين في الحياة .

- نساء السرايا :

الجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن المعلومات المقدمة من الرحالة الفرنسيين مأخوذة عن بعض النساء اللواتي سبق لهن دخول السرايا ، ولذلك فإن بعض الرحالة يشككن في مصداقية هذه المعلومات لكونها «ترتكز على الخيال . . . لذلك فهي بعيدة عن الحقيقة»^(٦٤) .

بالنسبة لجل الرحالة فإن نساء القصر الأكثر غموضاً في ملك السلطان . أما الجناح الذي يقمن فيه فإنه يحتل ثلث القصر بسبب العدد الكبير من النساء اللواتي يقمن فيه ، والذي قد يصل في بعض الأحيان حسب الرحالة فرمنيل (Fermanel) إلى أربعمئة امرأة أو أكثر .

هاته النسوة حسب هذا الرحالة كلهن هدايا يقدمها الباشاوات إلى السلطان خاصة عند توليه الحكم^(٦٥) . وعلى الرغم من هذا العدد الكبير من النساء فإن السلطان لا يفضل منهن إلا القليلات ، وبالتدقيق ثلاث بحيث يعشن في أجنحة خاصة يكون لهن الخدم أو الإماء اللواتي يخدمنهن .

عندما تنجب إحدى نساء القصر ولدا من السلطان فإنها تتحول إلى أميرة أو بالتركية خادون^(٦٦) .

كثيرة هي المعلومات التي يقدمها الرحالة حول نساء القصر : فالرحالة تافيرنيه يسميهم «البثيسات» أما تورنفور فينعتهم «مخلوقات القصر» ، أما فريير (Feriers) فيسميهم «ضحايا السلطان» .

— نساء العامة :

لا تختلف وضعية النسوة كثيرا عن وضعية نساء القصر ، فالصورة التي يعكسها الرحالة حولهن هي صورة نساء حبيسات البيوت ، وقلما يخرجن منها ، وحتى عند الخروج فهن محجبات . ويميز الرحالة داخل هذه الفئة من النساء بين نساء الأغنياء ونساء العامة ، أما الفئة الأولى حسب أرفيو (Arvieux) «فهن حبيسات البيوت ، وليس لهن من تسلية غير الذهاب إلى الحمام أو الغناء والموسيقى والرقص لتسلية أزواجهن ، واهتمامات أخرى مثل طرز المنادل ، والفوط والقمصان... إلخ»^(٦٧) . غير أن الذهاب إلى الحمام يشكل - حسب الرحالة - النشاط المفضل لديهن ، لذلك أولاه الرحالة اهتماما خاصا في رحلاتهم ، في مقابل ذلك لم يترك لنا هؤلاء أي معلومات عن باقي الأنشطة الأخرى .

لقد عدّ الرحالة دولوار حمامات النساء بمثابة مكان للتجمع واللقاء بين النساء الشرقيات : «كل النساء يذهبن (إلى الحمام) لأنه المكان الوحيد للتجمع ولقاء الصديقات...»^(٦٨) .

- في ثقافة التغذية :

يندرج هذا الموضوع عند الرحالة الفرنسيين للقرنين السابع عشر والثامن عشر ، في إطار عرضهم لبعض مظاهر الحضارة العثمانية التي تعكس درجة التطور ، سواء في

المجال التقني أو المجالين الاجتماعي والثقافي ، التي استطاع المجتمع التركي تحقيقها عبر عاداته ، وديانته وثقافته . ففي كتاباتهم حول الواقع العثماني أولى الرحالة الفرنسيون اهتماما خاصا لمظاهر الحضارة العثمانية كمعادات الأكل ، النظافة والعلاقات بين الأفراد . . . إلخ .

ففيما يتعلق بموضوع ثقافة التغذية اهتم الرحالة بالعناصر المكونة للتغذية والأكثر استهلاكاً من طرف الأتراك : مثل اللحوم بمختلف أنواعها ، والحبوب ، والخضر ، والفواكه ، والعلسل ، الجبن ، الزبدة والزبيب^(٦٩) .

ويلاحظ الرحالة في هذا الموضوع أن الأرز يشكل المادة الأساسية في الأكل التركي حيث يطبخ بطريقة مختلفة : البيلو (Pilau) ، ولابا (lappa) وشورية (Chorba)^(٧٠) .

أما بخصوص المشروبات فإن الرحالة يقدمون معلومات حول أنواع مختلفة منها ، ويشكل الماء العنصر الأساسي فيها ، من هذه المشروبات يذكر الرحالة تافيرنييه : سوربي (sorbet) الشبيه بالمشروبات الغازية ، والبوظة (Boza) القريب من البيرا (Bierre)^(٧١) .

وعلى الرغم من وجود هذه المشروبات على اختلافها ، فإن القهوة - كما لاحظ الرحالة ذلك - تبقى المشروب الأكثر تميزاً للشرق . إن هؤلاء الرحالة لم يهتموا بالقهوة فقط ، وإنما أيضاً بأدوارها الاجتماعية داخل المجتمع التركي ، خاصة عند حديثهم عن المقاهي (Calavéhane) التي كانت وراء ظهور المقاهي الأدبية (Café littéraires) خلال القرن الثامن عشر ، والمقاهي الحالية في العالم بأسره^(٧٢) . أليس هذا تأثيراً ثقافياً عميقاً ليس فقط للأتراك وإنما للشرق في الغرب؟

مما لا شك فيه أن القهوة أكثر من مشروب شرقي ، فهي تعبير عن تقاليد وعادات اجتماعية تدعم العلاقات بين الأفراد ، وتخلق جواً خاصاً في المقاهي .

- في النظافة الجسدية :

لقد تنبه الرحالة الفرنسيون إلى كون النظافة والماء عنصرين أساسيين في حياة المسلمين ، ويفسرون ذلك بكون الإسلام يؤدي دوراً كبيراً في التأكيد على النظافة . ولذلك فقد لاحظ الرحالة على أن الغسل يعد ضرورة دينية قبل كل شيء . ويشكل الحمام بأشكاله المختلفة مكان النظافة المفضل سواء بالنسبة للسلطان الذي يملك حماماً خاصاً به وينسائه أو الأغنياء أو العامة . وقد اختبر بعض الرحالة من أمثال : دولوار ، ولابولاي ، وتيفينو ، وتورنوفور ، وبارون توت الحمام التركي وإيجايياته الصحية ، وقدموا للرأي العام الفرنسي أوصافاً مدهشة حوله .

إن الحمامات الشرقية بالنسبة لهؤلاء فريدة حتى في طريقة بنائها ، إذ تنضبط بشكل أساسي لتعاليم الإسلام ، ولذلك عد الرحالة هذه الظاهرة أكثر من معطى ثقافي بل فلسفة شرعية خالصة .

إن هذه الحمامات كما وصفها الرحالة ، تتكون عادة من جناحين كبيرين ، وتوجد بكل المدن الشرقية ، غالبية الثمن^(٧٣) . كما أنها مفتوحة في وجه الرجال والنساء ، فالرجال يدخلونها صباحاً ، والنساء بعد الزوال ، وهي تشغل من الرابعة صباحاً حتى الثامنة مساءً^(٧٤) .

وعلى هذا الأساس فقد خلص جميع الرحالة إلى استنتاج واحد وهو أن الشرقيين ومنهم الأتراك هواة الحمامات^(٧٥) .

- في العلاقات بين الأفراد :

إن المقصود بالعلاقة بين الأفراد ، تلك العلاقة التي تربط بين عناصر المجتمع ، وقد أولاهما الرحالة اهتماماً خاصاً ، واقتصروا فيها على علاقات الصداقة بين الرجال ، وعلاقة الرجال بالنساء .

بالنسبة للنوع الأول فيتحدث عنه الرحالة باعتباره مظهرا اجتماعيا من خلال الممارسة في الحياة التركية اليومية . ويركزون في ذلك على طريقة السلام والتحية ، والزيارات وطريقة التحدث فيما بين الأتراك .

بالنسبة لطريقة التحية والسلام حسب الرحالة تيفينو ، والتي يلاحظ بأنها تختلف تماما عن طريقة الفرنسيين ، فهي تقوم على وضع اليد على القلب أو البطن ، والانحناء قليلا ، وقول : «السلام عليكم» ، ويرد الآخر بالطريقة نفسها مع قول «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» . وهذه التحية - حسب الرحالة - بالغة الأهمية لأنها تحية الإسلام^(٧٦) .

أما باقي الأشكال الأخرى للتحية ، فهي التقبيل مع الأخذ بطرف اللحية ، وتكون خاصة بين الرجال الأكثر صداقة بين الأتراك^(٧٧) .

فيما يتعلق بالزيارات والحديث فإن الرحالة دولوار يلاحظ أن الأتراك لا يتحدثون أثناءها إلا في القضايا الجادة . كما أن للأتراك تقاليد خاصة عند الزيارة إذ يقدم له صاحب البيت العطر ، ثم مشروباً ، ثم في الأخير القهوة^(٧٨) والضيف عند الأتراك سيد البيت^(٧٩) .

أما النوع الثاني من العلاقة بين الأفراد أي علاقة الرجل بالمرأة فإن الرحالة لا يتحدثون إلا عن العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة بمعنى الزواج . . .^(٨٠) . وهذا الزواج الذي يطلق عليه نكاحاً أيضاً يسجل أمام القاضي بحيث يضم قيمة المهر . . .^(٨١) .

الموضوع الآخر الذي أثار انتباه الرحالة بحيث يشكل بالنسبة إليهم حالة فريدة هو كون الأتراك يتزوجون حتى أربع نساء كما هو محدد في القرآن^(٨٢) . غير أن هذا الزواج له حدود شرعية كما لاحظته الرحالة دولابولاي (De la boullaye) وأن المسلمين جميعاً يحرمون الزواج من الأمهات ، وبنات الأب ، وبناتهم وأخواتهم وخالاتهم ، وعماتهم

... وأخواتهم من الرضاعة ، وأمهات نسائهم ... إلخ^(٨٣) . باستثناء هؤلاء يمكن للأتراك أن يتزوجوا ثلاثة أنواع من النساء : نساء من زواج شرعي ، نساء يطلق عليهن (kibin) ، ثم الإماء . وقد قدم الرحالة الطريقة التي يجري بها الاحتفال بالزواج ، إذ تحمل العروس فوق حصان أو هودج يحمله العبيد إلى بيت العريس حيث يقام الاحتفال ، فتكون النساء في جناح معزول عن الرجال ... إلخ^(٨٤) . كما سجل الرحالة كيف أن العريس قبل أن يدخل بالعروس يصلي ويقرأ بعض الدعوات .

أما بخصوص الطلاق فيلاحظ الرحالة أنه مشروع عند الأتراك سواء عندما يريد الزوج أو عندما تريد الزوجة أيضاً^(٨٥) .

- الإسلام من خلال الأتراك :

إن الحديث عن الإسلام في جميع الرحلات الفرنسية للقرنين السابع عشر والثامن عشر أو حتى قبل ذلك هو الحديث عن موضوع خاص ، إذ الأمر لا يتعلق بموضوع اجتماعي وإنما بالدين الذي هو بمثابة معيار تميز بين المسلمين والمسيحيين ، ولذلك نجد الرحالة الفرنسيين يتعاملون بحساسية مفرطة ، وفي بعض الأحيان مبالغ فيها عند حديثهم عن الإسلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم .

إن الحديث عن الإسلام في عمقه هو حديث عن المصدر الأساسي والروحي لحياة المسلمين ... فالرحالة يقدمون الدين الإسلامي كما شاهدوه عند الأتراك أو عند باقي الشعوب الإسلامية . لقد أدهشتهم قوة تدين المسلمين ، لكنهم يندفعون بقوة في الهجوم على الرسول صلى الله عليه وسلم . . . مكوّنين بذلك صورة غير موضوعية ومحرّفة عن الإسلام ونبي الإسلام . فالرحالة يفتنّون الذي يتميز بدقة وصفه للمجتمع التركي يطعن وبعنف في الديانة الإسلامية : «إن دين الأتراك مليء بالسفاهات والسخافات ...»^(٨٦) . هذا الموقف لم يتغير خلال القرن الثامن عشر ، إذ نجد الرحالة تورنوفور على الرغم من

علمه وموضوعيته يردد الصورة نفسها لرحالة القرن السابع عشر عن الإسلام : «من بين جميع الديانات الفاسدة ، فإن المحمدية (المصطلح الأكثر تداولاً بين الرحالة عن الإسلام) هي الأكثر خطراً ..»^(٨٧) .

وعلى الرغم من اهتمام الرحالة بالقرآن ، فإنهم يزعمون أنه منقول عن اليهودية وعن المسيحية : «إن دين محمد الذي هو أكثر انتشاراً في هذه البلاد ، مأخوذ في جزء منه من ديانة موسى ، وجزء آخر من المسيحية»^(٨٨) . يسجل الرحالة كذلك على أن عقيدة الأتراك أو المسلمين تقوم على توحيد الله : «إن الأتراك يؤمنون ويعبدون إلها واحداً ..»^(٨٩) . كما أنهم يؤمنون بأنبياء الله جميعاً^(٩٠) ، إلا أنهم يعظمون النبي عيسى تعظيماً كبيراً : «... إنهم يعظمون المسيح تعظيماً كبيراً»^(٩١) .

بالإضافة إلى ذلك يعتقد الأتراك - كما لاحظ الرحالة - في اليوم الآخر أي يوم البعث ، وبالجنة والنار .

خلاصة القول إذن : إن الرحالة الفرنسيين سواء تعلق الأمر بالإسلام أو بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يعتمدون على المخيلة في وضع صورة لهما ، ولذلك كانت الصورة التي قدموها صورة محرفة عن الحقيقة وعن الواقع التاريخي وعن العقيدة الدينية للمسلمين .

- المؤسسة السياسية العثمانية :

لا يقل هذا الموضوع أهمية عن المواضيع السابقة في كتابات رحالة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وإن كان هذا الموضوع له خصوصيته بين المواضيع الأخرى ، إذ هو يتعلق بالحكم وأنظمة الدولة ، بمعنى آخر مستوى الوعي السياسي ، وطريقة إدارة الدولة على المستوى العملي ، لذلك فجميع الرحالة وبدون استثناء اهتموا بهذا الموضوع . فضلاً عن الاندهاش والانبهار أمام نظم الدولة العثمانية كثيراً ما عبر الرحالة عن رغبتهم

في نقل بعض مظاهر الحكم العثماني ، والقضاء ، والجيش إلى فرنسا . فكيف إذن قدم هؤلاء الرحالة الحكم العثماني للرأي العام الفرنسي ؟ وما هي الصورة التي عكسوها له؟^(٩٢) .

- السلطان :

كل الرحالة كتبوا عن السلطان العثماني « السيد العظيم » (Grand-Seigneur) أو الإمبراطور (Empereur) كما يسميه الرحالة الفرنسيون ، فهو يمثل قمة هرم السلطة العثمانية ، ويطلق عليه الأتراك السلطان ، كل هذه الأسماء تعكس قوته الكبيرة ومكانته^(٩٣) .

في الواقع أن الرحالة يقدمون عدة تعريفات للسلطان ليس من خلال الألقاب وإنما كما فعل تورنوفور من خلال الامتيازات التي يتمتع بها والتي تعكس صورة للحكم المطلق وللاستبداد : « فإنه بذلك فقط يتمتع بإرث آبائه . . . وينظر إلى شعبه كأنهم أحفاد عبيد أجداده »^(٩٤) .

ويبدو أن المجال الجغرافي الشاسع الذي يحكمه قد أدهش الرحالة والرأي العام الفرنسي ، فحدوده تمتد من ناحية الشمال إلى بلاد القرم والتتار ، جرجيا وبولونيا ، من ناحية الشرق إلى بلاد فارس^(٩٥) . ويعد الرحالة السلطان الوريث الشرعي لعدة إمبراطوريات وممالك تدخل ضمنها الإمبراطورية البيزنطية .

لقد قدم الرحالة وصفاً جسمانياً لبعض السلاطين (مراد ومحمد) غير أن الذي يهتما في هذا المقام هو الجانب المعنوي لأن له علاقة بطريقة الحكم والعلاقة بالرعية ، فالرحالة تفيينو عند حديثه عن السلطان محمد الرابع يقدم بعض مميزات هذا السلطان : فهو شرير وعنيف ، ولا يفكر إلا في الملاهي^(٩٦) . ويبدو من هذه الصورة التي يقدمها الرحالة عن السلطان العثماني من خلال بعض النماذج (محمد الرابع وغيره) قد تم

تعميمها على طول فترة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولم يستثنوا منها أحدا منهم ، غير أن الوقائع التاريخية لا تنسجم مع هذه الصورة السلبية ، وإن كنا نقر أن هناك اختلافاً كبيراً بين سلاطين القرن السادس عشر وما قبله ، وسلاطين القرنين السابع عشر والثامن عشر .

- الصدر الأعظم :

يتفق جميع الرحالة على أن «الصدر الأعظم» أو الوزير العظيم (Grand-Vezir) حسب اللقب الأوروبي ، هو الشخصية الأكثر أهمية في الدولة العثمانية بعد السلطان ، وذلك بالنظر إلى المهام التي يترأسها ، كالمالية ، الشؤون الخارجية ، والعدل . كل قضايا الدولة في يده . . . يترأس ديوان الدولة ، ولا ينقصه إلا اللقب «أي لقب السلطان»^(٩٧) . وتعكس هذه الصورة عن الصدر الأعظم المكانة الخطيرة التي يحتلها في قلب الدولة ، حتى إن الرحالة اعتقدوا بأن سلطاته مطلقة ، وأنه أكثر من السلطان من حيث المهام التي يقوم بها ، وهذا ما يصوره الرحالة السفير دي هاي دو كورنومان وباندهاش كبير : «إن سلطاته مطلقة ، إنه سلطان أكثر من السلطان نفسه ، ففي قصره تعالج جميع القضايا . وكل شيء مرتبط به . . . أعتقد أنه أكثر سعادة من سيده السلطان»^(٩٨) .

وعلى الرغم من كل الصلاحيات التي يتمتع بها الصدر الأعظم ، فإن الرحالة يقدرون الصعوبات والأخطار التي تحيط بالصدر الأعظم ، سواء من طرف المتنافسين على هذا المنصب ، أو الأعداء الذين يعملون على عزله أو ربما قتله : « . . . يعمل الأعداء الأقوياء للوزير لدى السلطان من أجل الحصول على قرار القتل »^(٩٩) . غير أن الرحالة يقدرون تقديراً كبيراً بعض الأسماء الكبيرة من الصدر الأعظم الذين تعاقبوا على مثل هذا المنصب ، مثل أسرة كوبرلي الذين تركوا بصمات واضحة على الدولة العثمانية خلال القرن السابع عشر^(١٠٠) .

- الجيش (الانكشارية) :

الجيش هو أحد العناصر الأساسية في الدولة العثمانية ، والذي أولاه الرحالة اهتماما بالغاً سواء فيما يتعلق بمظهره أو قوته وشجاعته ، وهو بدون شك العنصر الذي كان وراء الصورة التي أعطاها الفرنسيون للأتراك : «قوي مثل تركي» (fort comme un turc) والتي هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع : «لا تتأثر أجسامهم بشيء ، يعملون ما يشاؤون ، ولا أحد يستطيع أن يرفع يده في وجوههم خوفاً على حياته ، حتى أنه يعتقد أنهم مقدسون...»^(١٠١) . وعلى الرغم من المشاكل والهزائم التي عرفتتها الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر ، فإن الرحالة الفرنسيين ظلوا يحملون كل الاعتبار والاحترام للجيش الانكشاري ، وذلك بسبب قوته الحديدية ووحدته : «لا يوجد أي شيء أكثر وحدة من الانكشارية ، إنها الوحدة الكبرى التي تدعم السلطة ، والتي تمنحهم في بعض الأحيان الجرأة لعزل السلطان»^(١٠٢) . ومما يزيد في قوة الانكشارية المعنويات العالية التي هزت مخيلة الرحالة الفرنسيين ، وأصابتهم بالدهشة والانبهار ، ودفعتهم لمحاولة تفسير ظاهرة حماسة وشجاعة الانكشارية ، فبالنسبة للرحالة تيفينو يعتقد : بأنهم «يؤمنون بقوة أنهم إذا كتب عليهم الموت اليوم ، فإنهم سيموتون سواء في بيوتهم ، أم أثناء القتال . إنه إذا لم يكتب أجلهم ، فإن ألف رجل لن يستطيعوا وضع حد لحياتهم...»^(١٠٣) . ولا يكفي هذا الرحالة بهذا التفسير فيضيف بأن هذه الظاهرة الروحية والنفسانية تفسر أيضاً بتمسك الانكشارية بالدين : «إنهم شديداً التمسك بالدين ، ويدفعون حياتهم للدفاع عنه أو نشره ، معتقدين أنهم يموتون شهداء أثناء القتال ضد أعداء ديانتهم ، بأنهم سيتمتعون بالجنة التي وعدهم بها ربهم . إضافة إلى ذلك فإنهم يطيعون بشكل أعمى رؤساءهم ، ويذهبون حيثما تم إرسالهم دون اعتبار إن كانوا سيعودون . كل هذه الأشياء مجتمعة تدفعهم إلى التسابق لمواجهة أخطار الحرب كما يذهبون إلى الأفراح»^(١٠٤) .

الخلاصة :

بعد هذا الاستعراض الطويل لمساهمات الرحالة الفرنسيين في التعريف بالأتراك العثمانيين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، نخلص في النهاية إلى أن أنظار الرحالة الفرنسيين تركزت حول الشرق بصفة عامة والأتراك بصفة خاصة ، الذين يتميزون بخصائص دينية واجتماعية وثقافية وسياسية ، بحيث سيتحولون إلى موضوع أو تقليد يطبع جميع كتب الرحلات الفرنسية في التاريخ الحديث .

فبعد الاتصال الأول بين الأتراك والفرنسيين خلال القرن السادس عشر ، والذي نتج عنه - ولأسباب تاريخية - صورة أسطورية للأتراك وبأنهم وحوش خطيرة . . . فإن رحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وضعوا صورة للأتراك ، على الأقل الجانب الأسطوري فيها أضعف من الواقعية والموضوعية .

فعلى الرغم من التعدد الاثنى الذي كان يميز الدولة العثمانية ، فإن العنصر التركي يبقى الأكثر امتيازاً ، ويحتل أهمية قصوى في كتب الرحلات الفرنسية : بجسمه القوي ، الذي ستحوطه إلى مثل شعبي في فرنسا لا يزال يردد إلى الآن : «قوي مثل تركي» ، وعلى الرغم من ذلك فإن الرحالة يتحدثون إيجابياً عن معنويات الأتراك كأناس طيبين ، صرحاء وصادقين .

ويعكس الوصف الذي قدمه الرحالة للمظهر الخارجي للأتراك (اللباس) ، ثقافة خاصة من خلال اللباس الفضفاض الذي يخفي العيوب ويترك الجسد في منتهى الحرية ، فاللباس الشرقي بالنسبة للرحالة فن له فلسفة خاصة .

أما عن النساء التركيات فإنهن بالنسبة للرحالة مسجونات وعلى الرغم من ذلك فإنهن محترمات ، ويهتمن بمظهرهن الخارجي .

ومن خلال بعض مظاهر الحضارة التركية التي تحدث عنها الرحالة فإنهم لا يختلفون في كون الأتراك قد بلغوا درجة عالية في التطور التقني والاجتماعي ، عبروا عنه من خلال طريقة الأكل ، وكذلك من خلال الحمامات التي هي أساس النظافة . والشيء نفسه يمكن أن يقال عن العلاقة بين الأفراد (رجل / رجل) و (رجل / امرأة) ، والتي تعكس الألفة (Sociabilité) التي أدهشت جميع الرحالة .

أما إذا انتقلنا إلى موضوع الإسلام التركي فإنه لا شيء غير الخيال يؤطر نظرة الرحالة إلى هذا الموضوع . فصورة الإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم لدى هؤلاء هي صورة مشوهة ، وعلى الرغم من ذلك فإن الرحالة يعترفون بكون الإسلام له تأثير كبير في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية ، في حين أن الأتراك متعلقون بدين الإسلام .

أما فيما يتعلق بالنظام السياسي التركي فإن كتب الرحلات تعكس صورة عن دولة شديدة التنظيم ، يحكمها السلطان ، غير أن صورته سلبية لأنه شرس وعنيف وعاشق للملذات والملاهي . ويبقى الصدر الأعظم صاحب السلطة المطلقة بدون لقب (سلطان) الرجل الأول في الدولة .

أما بخصوص الجيش (الانكشارية) ، فبخلاف صورة القرن السادس عشر التي تجعل من الجيش التركي المعادل للوحشة والبربرية والتخريب ، فإن صورته خلال القرن السابع عشر هي صورة القوة والنظام والانضباط . أما خلال القرن الثامن عشر فإن هذا الجيش كان قد فقد الكثير من صورته السابقة .

وهكذا يبدو واضحاً مدى المساهمة الكبيرة التي قدمتها كتب الرحلات الفرنسية للتعريف بالشرق الإسلامي ، خاصة الأتراك العثمانيين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، إلا أن هذه المساهمة يجب التعامل معها بكثير من الحذر لما تحملته في طياتها من تحريفات وتشويهات وأفكار مسبقة خطيرة .

جدول تلخيصي لرحالة القرنين السابع عشر والثامن عشر

الرحالة	المذهب	الاتجاه العلمي	المهنة	هدف الرحلة	تاريخ الرحلة
صافري دو بريف (Cavary de Braves)	كاثوليكي	استشراقي دبلوماسية	دبلوماسي	سفارة	١٥٨٠م
هنري دوبوفو (H.de Beauvau)	كاثوليكي	إنساني	مرتزق ودبلوماسي مغامر	عضو في الوفد الدبلوماسي الفرنسي إلى الباب العالي عام ١٦٠٤م .	١٦٠٤م
دي هاي دو كورنومان (des Hayes de Cournevan)	كاثوليكي	- تربي بالقصر الملكي - إنساني	دبلوماسي	سفارة	١٦٢١م
فرمانيل (Fermanel)	كاثوليكي	إنساني	مستشار برلماني بمدينة روون	المغامرة	١٦٣٠م
جان بابتيست تافرنيني (Tavérnier)	البروتستانتية	تجاري على يد عمه بائع الخرايط الجغرافية	مرتزق تاجر	التجارة	١٦٣١م ١٦٦٣م
جان كوبان (J. Coppin)	كاثوليكي	ديني	رجل دين قنصل	زيارة الأماكن المقدسة النصرانية	١٦٣٨م ١٦٦٣م
جان دولوار (J. Duloir)	-	-	-	المغامرة	١٦٣٩م
دوبدان (Doubdan)	كاثوليكي	ديني	أسقف	زيارة الأماكن المقدسة النصرانية	١٦٥١م
أرفيو (Ch. Arvieux)	كاثوليكي	إنساني دبلوماسي استشراقي	تاجر دبلوماسي	قنصل بمدينة صيدا عام ١٦٥٣م	١٦٥٣م

الرحالة	المذهب	الاتجاه العلمي	المهنة	هدف الرحلة	تاريخ الرحلة
روبير دودرو (R. DE Draux)	كاثوليكي	ديني	أسقف	زيارة الأماكن المقدسة النصرانية بالإضافة إلى عضو في السفارة إلى الباب العالي	١٦٦٥ م
دو لاروك (De la Roque)	كاثوليكي	إنساني استشراقي	مغامر	المغامرة	١٦٨٩ م
بول لوكاس (P. Lucas)	كاثوليكي	التجارة	تاجر	المغامرة والتجارة	١٧٠٠ م
تورنوفور (J.P. Tournefort)	كاثوليكي	إنساني ديني علمي	طبيب ، أستاذ لعلم النبات	بعثة علمية بأمر من الملك لويس الرابع عشر	١٧٠٠ م
البارون دو توت (Baron de Tott)	كاثوليكي	دبلوماسي	دبلوماسي عسكري بالجيش التركي	مهمته دبلوماسية	١٧٥٥ م
فريير (Ferrieres)	كاثوليكي	عسكري	عسكري سياسي	مهمته دبلوماسية	١٧٨٢ م
فولني (Volny)	كاثوليكي	إنساني طبيب	أستاذ التاريخ	الحصول على معرفة استشراقية	١٧٨٣ م

الهوامش

- (١) سبق لنا أن نشرنا مقالا خاصا حول هذا الموضوع تحت عنوان : «العلاقات الفرنسية العثمانية خلال القرن السادس عشر وانعكاساتها المستقبلية : قراءة في معاهدة ١٥٣٥م». مجلة كلية الآداب بتطوان . العدد ٨ ، السنة ١٩٩٧ م . ص ٧٩-٩٥ .
- (٢) De la Jonquière. Histoire de l'empire Ottoman. Paris 1881. p.223
أستاذ التاريخ سابقا بالمدرسة العسكرية كدمبار هاني بالقسطنطينية خلال القرن التاسع عشر .
- (٣) هو أخو السلطان بايزيد الثاني ، ومنافسه في الحكم ، عاش ما بين ١٤٥٩م- ١٤٩٥م . كان قد سقط بيد فرسان رودس ثم تم تحويله إلى فرنسا ثم روما حيث مات .
- (٤) De la Jonquière , op. cit . p.223
- (٥) نصوص ورسائل هذا الموضوع توجد ضمن الوثائق التي نشرها (E.Charrière) Négociation de la France dans le levant: collection des documents inédits sur l'histoire de France. TII. Paris: Imprimerie nationale 1848 . 4 vol . p.285 .
- وتحمل عنوان :
- Confirmation pour Soliman II du traite fait Antérieurement sans la domination des sultans Mamlouks d'Egypte avec les consulats de France à Alexandrie.
- (٦) J.UrÇu. Politique Orientale de François 1er (1515-1547) . Paris , 1908 p.p 27-28

- (٧) نص الرسالة التي بعث بها الملك فرنسوا الأول إلى السلطان سليمان منشورة هي أيضاً ضمن مجموعة الوثائق التي سبقت الإشارة إليها أنا E.Charrière ص ص ١١٣-١١٥ .
- (٨) نص الرسالة الجوابية منشورة هي أيضاً ضمن مجموعة الوثائق التي نشرها E.Charrière ص ص : ١١٦-١١٨ .
- (٩) E.Charrière. op.cit . p.p 114-115 .
- (١٠) De la Jonquière. op. cit . pp . 227-228
- (١١) J.UrÇu , op. cit , p 97 .
- (١٢) نص بنود هذه المعاهدة منشورة لدى : 285-294 pp. E.Charrière , op. cit . ويذكر المؤرخ الفرنسي De la Jonquière أن هذه المعاهدة لا تتضمن سوى سبعة بنود فقط :
- De la Jouquière, op.cit . p 237
- (١٣) CH. Desplat "Henri IV et les Ottomans" colloque , III , Paris 1989, p 398 .
- (١٤) Ibid . pp . 398-419 .
- (١٥) حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى أطروحتنا لنيل الدكتوراة :
- L'Image de l'empire Ottoman à travers les récits de voyages français aux XVIIe-XVIIIe siècles. Thèse de Doctorat . Paris 1993. Chapitre I
- Marquis de Bonnac. Mémoire historique sur l'ambassade de France à (١٦) Istanbul. Paris, 1894. pp .18-23
- Saint-Priest. Mémoire sur l'ambassade de France à la Porte Ottomane. Ed. Schefer, 1894 cèr . 8 . pp. 83-84 .
- Ibid , pp.89-99 . (١٧)

Rambaut Alfred. La diplomatie française en Orient au XVIIIe siècle. (١٨)
R.bleue n°2(1887) pp. 134-143 .

Mantrant Robert. Histoire de l'empire Ottoman. Paris. Éd, Fayard , (١٩)
1989. p.265

Rambant Alfred. op. cit . p 138 . / Saint-Priest , op.cit . pp 143-144 (٢٠)

Ibid . p .139 . (٢١)

Ibid . p.141 . (٢٢)

El Ghachi, Mustapha. Les relations franco-ottomanes du XVIe aux (٢٣)
, 11-12 XVIIIe siècles. Rev. histoire Arab edes études ottomanes. n°
(Octobre 1995). p84.

Ibid , p 85 . (٢٤)

Des Hayes de Cournein. Voyages du Levant fait par le (٢٥)
commandement du Roy en l'année 1621. Paris, 1624 . p.1

(٢٦) العنوان الأصلي لهذه الرحلة هو :

Le Bouchier de l'Europe ou la guerre-sainte avec les voyages dans la
Turquie, la Thébaïde et la Barbarie.

Biographie universelle ancienne et moderne / ouvrage rédigé par la (٢٧)
Société de gens de lettres et des savants. Paris: Éd L.G.Michaud,
1811-1849 . p.262 .

El Ghachi, Mustapha . L'image de l'empire ottoman. op. cit . p.66. (٢٨)

(٢٩) الرحالة الأول كان يعمل بكتدرائية سان بول (Saint-Paul)، وفرنج الإعداد الدينية
بسان دوني (Saint-Denis) أما الثاني فهو من تكوين دير سان جاك
(Saint-Jaques) بباريس .

- (٣٠) El Ghachi, Mostapha , op. cit. P67 .
- (٣١) Ibid . PP. 67-68 .
- (٣٢) Ibid .
- (٣٣) Ibid . pp .68-69 .
- (٣٤) عدد الرحلات التي اعتمدها في هذه الدراسة يصل إلى ٢٢ رحلة مقابل ١٩ رحلة - بعض الرحالة لهم أكثر من رحلة - ٤٤٪ من هؤلاء الرحالة هم من فئة الدبلوماسيين ورجال العلم ، و ٣٨٪ منهم من فئة المغامرين ، و ١٦٪ هم من فئة رجال الدين أو الحجاج ، وأخيراً ١١٪ منهم من فئة التجار . انظر الأطروحة المشار إليها سابقاً ، ص ص : ٤٧-٩٩ .
- (٣٥) نشير في هذا المقام إلى كتاب بالغ الأهمية في هذا الموضوع :
- Ourant Henri. Missions archéologiques françaises en Orient aux XVIIe-XVIIIe siècle. Paris , 1902 .
- (٣٦) هذا الرحالة له رحلة تحت عنوان : Mémoires de Baron de Tott sur les Turc et les Tartanes, Amsterdam , 1784 .4 vol
- (٣٧) El Ghachi, Mustapha , op.cit . p. 70 .
- (٣٨) Jean Thévenot. Les relations d'un voyage fait au levant. Paris , 1664 , Préface
- (٣٩) Volny. Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783-1785 (٣٩) . pp. 21-22.
- (٤٠) Iorga Nicolas. Les voyageurs. français dans l'Orient européen. Paris, 1928, pp.60-61 .
- (٤١) Fermanel. Le voyage d'Italie et du Levant de MM Fermanel (٤١) ...contenant la description des royaumes , vie mœurs et nations tant des Italiens que les Turcs , Grecs , Arabes , Arméniers , Mores Negres et autres nations. Rouen , 1665. pp.104-106 .

- Ibid . (٤٢)
- Des Hayes de cournemin , op.cit . p .187-188 . (٤٣)
- Ibid . (٤٤)
- Ibid .PP. 219-220 . (٤٥)
- (٤٦) يمكن الرجوع إلى هذا الموضوع بتفصيل في كتاب المؤرخة الفرنسية
- Yvelise Bernard. L'Orient du XVIe siècle à travers les récits de voyages français. Paris, 1988. pp. 131-143
- Jean Thévenot. Relation d'un voyage fait ou levant , Paris 1664, (٤٧)
pp. 110-113 .
- Ibid . (٤٨)
- Ibid . (٤٩)
- P.Robert de Dreux. Voyage en Turquie et en Grèce du R.P.R.D. (٥٠)
Aumônier de l'Ambassadeur de France (1665-1669) pub. est annoté
par Hel Pernot , 1925. pp 71-72 .
- Duloir. Les voyages du Sieur Duloir , contenant plusieurs lettres (٥١)
écrites du Levant. Paris, 1654. p.166 .
- J.Thévenot , op.cit . P.55 . (٥٢)
- Ibid . (٥٣)
- Ibid . (٥٤)
- Ibid . (٥٥)
- Ibid . (٥٦)
- Duloir, op.cit . p .170 . (٥٧)
- Arvieux. Mémoires du chevalier d'Arvieux , envoyé extraordinaire du (٥٨)
Roy à la porte , consul d'Alep. Paris, 1731. p. 433 .

- Ibid . p. 424 . (٥٩)
- Thévénôt : op. cit . P . 105 . (٦٠)
- Ibid . pp. 106-107 . (٦١)
- Ibid . (٦٢)
- Ferrieres Sauvebeuf, Mémoires historiques politiques et géographiques. Paris, 1790. T.I . P.23 . (٦٣)
- Tavernier , J.B. Nouvelles relations des sérails du G.S . Comprenant plusieurs singularités qui jusqu'ici n'ont point été mises en lumière. Paris 1681. p. 307 . (٦٤)
- Ferniel. op.cit, p 79 . (٦٥)
- Fernieres. op. cit . pp . 24-25 . (٦٦)
- Arvieux. Mémoires - op. cit . p 425 . (٦٧)
- Duloir. op. cit . p . 182 (٦٨)
- Arvieux. op. cit , pp . 455-460 . (٦٩)
- Tournefort. Relation d'un voyage fait par ordre du Roy. Paris , 1717 , VII, pp 378-379 . (٧٠)
- Tavernier. op. cit . pp.95-96. Thévénôt , op - cit . p 63 . (٧١)
- J.Thévénôt. ibid. p 96 . (٧٢)
- Duloir. op. cit . p 181 . De la Boullaye le Gouz. op - cit . p 42 . (٧٣)
- Tournefort. op. cit . p 360 . (٧٤)
- De la Boullaye le Gouz. op. cit . p 42 . (٧٥)
- أوصافاً دقيقة للشكل الهندسي للحمام ، بالإضافة إلى طريقة الاستحمام بشكل مفصل .

- Thévènot . op. cit . p 57 . (٧٦)
- Tournefort . op. cit . p 375 . (٧٧)
- Duloir. op. cit . pp .169-172 . (٧٨)
- Tournefort. op. cit . p 377 . (٧٩)
- Ibid . P .363 . (٨٠)
- Baron de Tott. op. cit . pp 26-27 . (٨١)
- Ibid . (٨٢)
- La boullaye le Gouz , op. cit . P .33 . (٨٣)
- Duloir. op. cit . pp .170-178 . (٨٤)
- Fermanel . op.cit . PP 166-167 . (٨٥)
- Thévènot. op.cit. p 71. (٨٦)
- Tournefort . op. cit . p 325 . (٨٧)
- Thévènot . op. cit. p 72-73. (٨٨)
- De La Boullaye le Gouz. op. cit . p 30 . (٨٩)
- (٩٠)
- (٩١) Thévènot , op -cit . p 73 . في رحلاتهم نجد تفاصيل غزيرة عن رسل الله ،
عن الجنة وعن النار ، وعن أركان الإسلام الخمسة ، عن المساجد ، وعن
الوضوء ، وكيفية الصلاة عند المسلمين . . . إلخ .
- (٩٢) سوف نقتصر في هذا الموضوع على أبرز الوجوه السياسية والإدارية والدينية
للدولة فقط .
- Thévènot . op. cit . p 194 . (٩٣)
- Tournefort . op. cit . p 285 (٩٤)
- De La Boullaye le Gouz. op. cit . P 46 . (٩٥)

- Thévenot . op. cit . p 115 . (٩٦)
- Ibid . pp 120-121 . (٩٧)
- Des hayes de Courneimin. op. cit . pp 237-297 . (٩٨)
- Thévenot. op. cit . p 123 . (٩٩)
- Tournefort. op. cit . p 293. (١٠٠)
- Thévenot , op. cit . p 133 . (١٠١)
- (١٠٢) Tournefort. op. cit . pp 310 - 311 لقد تمكن الإنكشارية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر من عزل السلطان بايزيد الثاني عام ١٥١٢ م ، وأحمد الثالث ، عام ١٥٩٥ م ، وعزلوا السلطان مصطفى الأول عام ١٦١٨ م ، وقتلوا السلطان عثمان الثاني عام ١٦٢٢ م ، وقتلوا السلطان إبراهيم عام ١٦٤٩ م .
- Thévenot , op. cit . p 135 . (١٠٣)
- Ibid . (١٠٤)

المصادر والمراجع

- ١- مجلة كلية الآداب بطوان ، العدد ٨ ، السنة ١٩٩٧ م .
- 2- De la Jonquière. Histoire de l'empire Ottoman, Paris 1881
- 3- (E. Charrière) Négociation de la France dans le levant: collection des documents inédits sur l'histoire de France, TI. Paris: Imprimerie nationale. 1848, (4 vol).
- وتحمل عنوان :
(Confirmation par Soliman II du trait fait Antérieurement sous la domination des sultans Mamlouks d'Egypte avec les consulats de France à Alexandrie).
- 4- J. Urçu. Politique Orientale de François 1^{er} (1515-1547). Paris, 1908.
- 5- CH. Desplat "Henri IV et les Ottomans". colloque III, Paris 1989.
- 6- Mustapha El Ghachi. L'image de l'empire Ottoman à travers les récits de voyages français aux XVII^e-XVIII^e siècles. Thèse de Doctorat. Paris 1993.
- 7- Marquis de Bonnac. Mémoire historique sur l'ambassade de France à Istanbul. Paris 1894.
- 8- Saint-Priest. Mémoire, sur l'ambassade de France à la porte Ottomane. Ed. Schefer 1894.
- Rambaut Alfred. La diplomatie française en Orient au XVIII^e siècle. en R. bleue n°2 (1887).
- 9- Mantrant Robert. Histoire de l'empire Ottoman. Éd. Fayard, Paris 1989.

- 10- EL Ghachi, Mustapha. Les relations Franco-ottomanes du XVI^e aux XVIII^e siècles. Rev. Histoire Arabe des études ottomanes. n° 11-12, Octobre 1995.
- 11- Des Hayes de Cournemin. Voyages du levant fait par le commandement du Roy en l'année 1621. Paris, 1624.
- 12- "Le Bouclier de l'Europe, ou, La guerre-sainte avec les voyages dans la Turquie, la Thébaïde et la Barbarie".
- 13- Biographie universelle ancienne et moderne/ ouvrage rédigé par la Société de gens de lettres et des savants- Paris: Èd L. G. Michaud, 1811-1849.
- 14- Ouront Henri. Missions Archéologiques françaises en Orient aux XVII^e-XVIII^e siècles, Paris, 1902.
- 15- Mémoires de Baron de Tott sur les Turcs et les Tartares. Amsterdam, 1784. 4 vol.
- 16- Jean Thèvenot. Les relations d'un voyage fait au Levant. Paris, 1664.
- 17- Volny. Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783-1785. Paris 1957.
- 18- Iorga Nicolas. Les voyageurs français dans l'Orient européen. Paris 1928.
- 19- Fernel. Le voyage d'Italie et du Levant de MM Fernel
... contenant la description des royaumes, vie mœurs et nations tant des Italiens que des Turcs, Grecs, Arabes, Aumôniers, Mores Negres et autres nations. Rouen, 1665.
- 20- Yvelise Bernard. L'Orient du XVI^e siècle à travers les récits de voyages français. Paris, 1988.

- 21- P. Robert De Dreux. Voyage en Turquie et en Grèce du R.P.R.D. Aumônier de l'Ambassadeur de France (1665-1669) post. est annoté par Hel Pernot, 1925.
- 22- Duloir. Les voyages du sieur Duloir, contenant plusieurs lettres écrites du Levant. Paris, 1654.
- 23- Arvieux. Mémoires du chevalier d'Arvieux, envoyé extraordinaire du Roy à la porte, consul d'Alep. Paris 1731.
- 24- Ferrieres Sauvebœuf. Mémoires historiques politiques et géographiques. Paris, 1790.
- 25- Tavernier, J.B. Nouvelles relations des sérails du G.S. Comprenant plusieurs singularités qui jusqu'ici n'ont point été mises en lumière. Paris 1681.
- 26- Tournefort. Relation d'un voyage fait par ordre du Roy. Paris, 1717, VII.

مصادر المعلومات الإيرانية

صادق العبادي (*)

المستخلص

تقدّم هذه الدراسة معلومات مفيدة عن مصادر المعلومات التي تتعلق بالدراسات الفارسية والإيرانية بالمعنى الواسع . وتبدأ بمقدمة تستعرض فيها مصادر المعلومات بصفة عامة وأهميتها وتورد بعض إحصاءات عامة عن الإنتاج الفكري تمهيداً لدراسة مصادر المعلومات الإيرانية . وتبدأ تلك المصادر بالبيبلوجرافيات : فهارس الكتب المطبوعة ، وتعطي نماذج مما يصدر منها في إيران ، وكذلك بعض المصادر العربية القديمة التي تغطي فارس أيام الدولة الإسلامية ، وكذلك الكتب العربية المطبوعة . يلي ذلك فهارس الكتب المخطوطة ، ويورد نماذج من أعمال المستشرقين أيضاً . ثم فهارس الدوريات ، ويدخل فيها الدوريات التي تتناول الكتب أيضاً على أساس أنها دوريات . تأتي بعد ذلك الرسائل والأطروحات الجامعية سواء داخل إيران أم خارجها للإيرانيين الذين درسوا في الخارج .

ثم تأتي فئة مهمة ، وهي الموسوعات ودوائر المعارف . وتبدأ الدراسة هنا بنماذج من المؤلفات الموسوعية التي حفل بها التراث الإسلامي سواء بالعربية أم الفارسية ، ثم دائرة المعارف الإسلامية التي ألفها المستشرقون . ثم تتناول الموسوعات ودوائر

(*) باحث شؤون إسلامية وإيرانية مقيم في طهران .

المعارف الإيرانية الحديثة ، وتورد أهمها . تأتي فئة مهمة من المصادر وهي المصادر عن اللغة والآداب الفارسية ، بدءاً ببعض أعمال المستشرقين ، ثم الأعمال الفارسية والإيرانية الحديثة ، ثم ما ألفه في الموضوع ذاته علماء من الهند أو من مصر . ثم تورد نماذج من معاجم اللغة الفارسية سواء تلك التي ظهرت في إيران أم ما ألف منها في بلاد الهند وتركيا .

أما الفئة التالية من المصادر فهي ما كتب عن الدين والمذاهب ، يلي ذلك التراجم والأعلام التي يورد فيها بعض المصادر العربية القديمة والحديثة التي تناولت الأعلام الفرس ، إلى جانب المصادر الفارسية بطبيعة الحال . ثم مصادر تاريخ إيران ، ثم المصادر الجغرافية ، وأخيراً يورد المصادر الإحصائية . ثم يأتي ملحقان في نهاية الدراسة أولهما عن مراكز الدراسات والمعلومات والمكتبات في إيران ، والثاني عن أهم الدوريات الإيرانية القديمة والحديثة .

مصادر المعلومات الإيرانية

المقدمة :

تعد (مصادر المعلومات) اليوم من القضايا الأساسية في عملية التنمية والتقدم ، ومن سمات الحضارة . وقد أثبتت التجارب أن عملية التنمية لا يمكن أن تقوم بدون إيجاد تحول نوعي في مجال العلم والثقافة والمعلومات . وبالرغم من أن الحاسوب (الكمبيوتر) أصبح اليوم بعد إقامة شبكة الإنترنت مصدراً مهماً من مصادر المعلومات ، إلا أن الكتاب المطبوع والدوريات لازالت تشكّل المادة الرئيسية لمصادر المعلومات . وبإلقاء نظرة عابرة على كشافات الكتب والدوريات ككتاب «دليل أولريخ الدولي للدوريات» (Ulrich's International Periodical Directory) الذي يحتوي على كشاف (٦٧, ٠٠٠) دورية في العالم وفي أكثر من لغة . أو دليل القارئ إلى مقالات الدوريات (Reader's Guide to Periodical Literature) الذي تأسس عام (١٩٠٠م) ويصدر منه سنوياً (١٨) عددًا والذي يحتوي على عناوين مقالات (٢٠٠) دورية إنجليزية، نكتشف أهمية هذا الموضوع .

إن مصادر المعلومات لا تقتصر على الكتب والمجلات المطبوعة ، فهناك الأفلام ، والفيديو والصور ، والوثائق الحاسوبية وأقراص الـ CD تلعب دوراً كبيراً في مجال المعلومات في العصر الراهن . إلا أننا نحاول التركيز هنا على المصادر المطبوعة ، وبالذات الكتب المرجعية كالموسوعات ودوائر المعارف .

ويعد الكتاب من المصادر المهمة والأساسية للمعلومات . وحسب إحصائية اليونسكو يُطبع سنوياً (٥٠٠, ٠٠٠) كتاب في العالم باللغات المختلفة . وتعد الفهارس

أو فهرس الفهارس من المصادر القيمة للمعلومات المطبوعة . والمسلمون هم أول من وضع علم الفهارس ، ككتاب : فهرست ابن النديم ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ، ولكن الأوروبيين اهتموا بهذا المجال حديثاً وتقدموا على المسلمين ، وأصدروا موسوعات كبيرة حول فهرس الفهارس منها : Besterman. T. A World Bibliography of Bibliographies في خمسة مجلدات ، طبع عام (١٩٦٧م) . وقد احتوى هذا الكتاب على (١٧٠,٠٠٠) كشافاً في أربعين لغة . وكتاب : Bibliographic Index: A Cumulative Bibliography of Bibliographies الذي يحتوي على مداخل موضوعات ، يصدر كل سنة وأربع وست سنوات كمجموعة .

وتعد فهرس مكتبة الكونغرس الأمريكي من أهم الفهارس العالمية ، والتي صدرت مجموعة في (٤٢) مجلداً في عام (١٩٥٨م) تحت عنوان National Union Catalog pre- 1956 Imprints .

ثم النسخة الجديدة التي تغطي حتى عام (١٩٦٨م) ، والذي طبع في (٧٥٤) مجلداً ويحتوي على [معلومات بيبليوجرافية] (١١) مليون مصدر ، من كتاب ، وخريطة وأطلس وشريط موسيقى لـ (٨٠٠) مكتبة أمريكية . وتطورت الآن فأصبحت على شكل أفلام أو أقراص مُحسَّبة وهكذا في بريطانيا وكندا^(١) .

إن الدول الغربية ، خصوصاً في العقود الأخيرة ، بدأت اهتماماً جدياً في مجال إنتاج الكتب المرجعية . فمثلاً أمريكا تنتج سنوياً حوالي (٢٠٠٠) كتاب مرجعي بالرغم من أسعارها الباهظة . في عام (١٩٠٠م) كانت هناك (١٠,٠٠٠) دورية فنية وعلمية في العالم ، بينما اليوم تشير الإحصائيات إلى وجود (١٠٠,٠٠٠) دورية ، وهذا العدد ينتج مليوني مقالة علمية سنوياً . وفي عام (١٩٦٠م) نشرت أمريكا (١٤,٠٠٠) عنوان كتاب ، بينما وصل هذا العدد في عقد الثمانينيات إلى (٣٥٥,٠٠٠) عنوان من (٢,٢٥٠) ناشراً كما في كتاب BIP الذي تنشره شركة باوكر^(٢) .

وبالرغم من أن إيران من الدول ذات الحضارة الفكرية العريقة ، وأنها كانت في طليعة البلاد الشرقية التي حصلت على المطبعة ، وبالرغم من كثرة إنتاجها الأدبي من الكتاب والصحافة ، إلا أنها متأخرة في مجال توفير مصادر المعلومات والكتب المرجعية بشكل علمي ، إذا ما قيست بالدول الغربية المتقدمة . وسوف نلاحظ في هذه الدراسة كثرة المادة وعدم تمركزها ، ولذلك يواجه الباحث الإيراني مشكلة جمع هذه المعلومات بالرغم من توفرها . أما بالنسبة إلى الباحث غير الإيراني فإن المشكلة الرئيسة هي اقتصار المعلومات الإيرانية على اللغة الفارسية ، وضعف حركة ترجمة المعلومات إلى اللغات الإنجليزية أو الفرنسية أو العربية .

ومن العقبات المهمة أيضاً عدم خضوع المعلومات للمقاييس الدولية إلا في الفترات الأخيرة .

وقد حاولنا في هذه الورقة تقديم ما أمكن من مصادر المعلومات في مختلف المواضيع والمداخل الأساسية ، وهي بالطبع لا تغطي كل المصادر ولكنها تركّز على المهمة منها .

أولاً : فهارس الكتب المطبوعة :

وقد اهتم الإيرانيون أخيراً في هذا المجال وقاموا بإعداد بعض الكشافات في ثلاثة مجالات : الكتب المطبوعة ، الكتب الخطية ، ومقالات الدوريات ، نستعرض هنا أهمها :

فهرست نامه کتابشناسیهای ایران [فهرست كتب الببليوغرافيا الإيرانية] إعداد ايرج افشار . والكتاب مرجع مهم في مجال الكشافات والفهارس . الفصل الأول : يحتوي على فهارس الكتب الأوروبية عن الشرق وإيران ، والفهارس الإيرانية ، والفهارس الإيرانية باللغات الأوروبية ، وفهارس كتب أفغانستان وآسيا المركزية ، وفهرس

المكتبات التي تحتوي على الكتب الفارسية وتلك الكتب ذات الصلة بإيران . الفصل الثاني : ما يرتبط بالكتب الخطية عن الدين والفلسفة والعلوم والأدب والفن والتاريخ والجغرافيا الإيرانية .

فهرست کتابهای چای فارسی [فهرست الكتب الفارسية المطبوعة] (٥) مجلدات ،
تأليف خان بابا مشار (ت ١٩٨٠م) . ويشتمل على (١٤,٠٠٠) عنوان من أصل (٢٠,٠٠٠) عنوان للكتب الفارسية المطبوعة حتى عام (١٩٧٦م) وهو منظم بناءً على عناوين الكتب وليس أسماء المؤلفين . ويعد من أهم المراجع الأساسية في هذا المضمار ، وقد أعد المؤلف كتاباً آخر لهذه المجموعة منظم بناءً على أسماء المؤلفين تحت عنوان :

فهرست مؤلفين كتب چای فارسی [فهرست مؤلفي الكتب الفارسية المطبوعة] الطبعة الأولى ١٩٧٥م في خمسة مجلدات ، دار مؤسسة ترجمة ونشر كتاب .

فهرست کتابهای چای عربي ايران [فهرست الكتب العربية المطبوعة في ايران] تأليف
خان بابا مشار وهو يحتوي على فهرس الكتب العربية من عام ١٣٤٠هـ حتى عام ١٣٨٦هـ .

کتابشناسی دهساله ايران ١٣٣٢-١٣٤٢ شمسي [كشاف كتب ايران للسنوات العشر الشمسية] تأليف ايرج افشار ، أول كشاف وعمل بيليوغرافي ، نشر عام ١٩٦٣م في المكتبة الوطنية - طهران . ثم استمر هذا العمل بواسطة المكتبة الوطنية في طباعة كشاف فصلي أو سنوي باسم :

کتابشناسی ملی ايران [الكشاف الوطني للكتاب الإيراني] ومنذ عام ١٩٨٣م بدأت المكتبة بطباعة الكشاف بناءً على نظام اليونسكو في الفهرسة ، بالتعاون مع مركز البليوغرافيا العالمي (UBC) والاتحاد الدولي للجمعيات والمؤسسات المكتبية (ايفلا) .

كتابشناسی ایران [Bibliography of Iran] تأليف ماهيار نوابي ، نشر مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي - عشرة مجلدات . من المراجع الأساسية المطبوعة حديثاً عن المقالات والكتب المطبوعة باللغات الأوروبية عن إيران .

فهرستواره فارسی [فهرس الكتب الفارسية] تأليف أحمد منزوي ، طهران . أحدث وأوسع معجم ما هو مطبوع أو مخطوط باللغة الفارسية . طبع حديثاً .

کتابنامه علوم ایران [کشاف كتب العلوم في ایران] تأليف غلامحسين صدری افشار ، هذا الکشاف يحتوي على (٣,٠٠٠) عنوان كتاب في الرياضيات والنجوم والفيزياء والفنون والزراعة والطب مما طبع (تأليفاً أو ترجمة) حتى عام ١٩٦٦م باللغة الفارسية .

وهناك فهرس عديدة عامة تتضمن الكتب الإسلامية العربية والتركية والفارسية منها :

کشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : تأليف مصطفى بن عبدالله افندي حاجي خليفة (القرن ١١هـ) الذي يحتوي على حدود (١٦٠٠٠) عنوان في (٣٠٠) موضوع .

ويمكن الوصول إلى الكتب الفارسية أو ما يرتبط ببلاد إيران وكتابها عن هذين الكتابين أيضاً :

الذريعة إلى تصانيف الشيعة (بالعربية) تأليف الشيخ محمد محسن طهراني المعروف بآقا بزرگ طهرانی (١٢٩٣-١٣٨٩) (٢٦) مجلداً . والمؤلف كان يقيم بالنجف وألف الكتاب اعتماداً على مكتبات العراق وسوريا ولبنان ومصر والهند والحجاز وإيران . ويضم الكتاب حوالي (٥٣,٠٠٠) عنوان للكتب الخطية والمطبوعة عن ما كتبه الشيعة ، ونظراً إلى أن المكتبات الإيرانية كانت مصدراً مهماً من مصادره لذلك فإن الكتاب يحتوي على مصادر واسعة عما كتب أو طبع في إيران . ويعد هذا الكتاب مكملًا لكتاب كشف الظنون لحاجي خليفة .

معجم المطبوعات العربية (بالعربية) : لعبدالجبار الرفاعي ، كتاب باللغة العربية ، طهران ، نشرته وزارة الثقافة والإرشاد الإيراني .

ثانياً : فهرس الكتب الخطية :

من المصادر المهمة في الكشفات فهرس محتويات المكتبات الإيرانية وبالذات الخطية ، وقد طبع منها إلى الآن :

فهرست نسخه های خطی فارسی [فهرست النسخ الخطية الفارسية] من إعداد الباحث أحمد منزوي ، أوسع موسوعة عن الكتب الخطية الفارسية في (٧) مجلدات يحتوي على (٥٠,٠٠٠) نسخة خطية ، وهو مقسم على حسب الموضوعات ، ويشمل مخطوطات المكتبات الإيرانية وغير الإيرانية . يذكر المحقق عنوان الكتاب ، خلاصة عن الموضوع ، النسخ الأخرى ، تاريخ الكتابة . ويحتوي على (٣٧) باباً موضوعياً منها : القرآن ، التفسير ، الرياضيات ، النجوم ، الطبيعيات ، الطب ، الكيمياء ، الموسوعات ، الفلسفة ، الكلام ، العقائد ، العرفان ، المنطق ، الملل والنحل ، الأدب ، الخط ، قواعد اللغة ، البلاغة ، العروض ، الدواوين الشعرية ، الأساطير ، الموسيقى . طبعت على نفقة المؤسسة الإقليمية الثقافية (R.C.D) في الأعوام ١٩٦٩ - ١٩٧٤ م في طهران (٣) .

فهرست نسخه های خطی کتابخانه مرکزی . ومركز اسناد دانشاه تهران [فهرست النسخ الخطية لجامعة طهران] من إعداد علي نقی منزوی ومحمد تقی دانش پژوه في (١٨) جزءاً طبعت في الأعوام (١٩٥١ - ١٩٨٥ م) بواسطة جامعة طهران . وهي مجموعة مهمة من النسخ الخطية تحتوي على (١٤,٥٠٠) عنوان كتاب مخطوط وتشمل المجموعات الآتية : مجموعة المكتبة المركزية لجامعة طهران ، مجموعة مكتبة كلية الآداب ، مجموعة كلية الإلهيات ، مجموعة كلية الطب ، مجموعة كلية الحقوق ،

مجموعة عائلة آل آقا الوقفية ، مجموعة حكمت الوقفية ، مجموعة امام جمعة كرمان الوقفية ، مجموعة دهخدا ، مجموعة محمد مشكوة ، مجموعة الكتب المهداة إلى الجامعة .

کتابشناسی فهرست های نسخه های خطی فارسی در کتابخانه های دنیا [کشاف فهرست النسخ الخطیة الفارسیة فی مکتبات العالم] ، وهو فهرست لحوالي (۲۲۲) فهرساً من فهارس الكتب الخطیة الفارسیة ، فی مکتبات العالم .

فهرست نامه کتابشناسیها ایران [فهرس کتب البلیوگرافیا ایرانیة] إعداد ایرج افشار .
الفصل الثاني من الكتاب خاص عن الكتب الخطیة ، فهارسها ، المکتبات العالمیة التي تحتوي علی الكتب الخطیة .

فهرست کتابخانه مجلس شورای ملی [فهرس مخطوطات مجلس الشوری الوطنی (الإسلامی)] طبعت فی (۲۱) مجلداً ، من إعداد ابن یوسف شیرازی و عبدالحسین حائری و سعید نفیسی و فخری راستکار و أحمد منزوی ، و طبعت بواسطة مجلس الشوری فی الأعوام (۱۹۳۹- ۱۹۷۹ م) .

فهرست نسخه های خطی کتابخانه ملی [فهرس مخطوطات المکتبة الوطنیة ایرانیة] إعداد عبدالله أنوار و حبیب عظیمی ، نشرت فی (۱۲) مجلداً .

فهرست نسخه های خطی کتابخانه ایه الله مرعشی نجفی [فهرس النسخ الخطیة لمکتبة ایه الله المرعشی النجفی] إعداد سید محمود مرعشی و سید أحمد حسینی ، طبع منه إلى الآن (۲۴) مجلداً (قم) .

فهرست نسخه های خطی کتابخانه ملی [فهرس النسخ الخطیة لمکتبة ملک الوطنیة] إعداد ایرج افشار ، و محمد تقی دانش پزوه ، فی (۱۰) مجلدات .

فهرست نسخه های خطی آستان قدس رضوی [فهرس النسخ الخطیة لمکتبة الروضة الرضویة فی خراسان] إعداد عماد فهرستی وأحمد گلجین معانی فی (١٢) مجلدًا (خراسان).

فهرست کتب کتابخانه آستان قدس رضوی [فهرس کتب مکتبة الروضة الرضویة] فی (٥) مجلدات ویحتوی علی الكتب المطبوعة والخطیة لأکبر مکتبة فی خراسان .

فهرست کتابخانه ملی تبریز [فهرس المکتبة الوطنیة فی تبریز] إعداد سید یونسی - طبعت فی أعوام ١٩٦٩ - ١٩٧١ م .

فهرست مکروفیلیم های کتابخانه مرکزی دانشاه تهران من [فهرس میکروفیلیم الكتب الخطیة فی جامعة طهران] إعداد محمد تقی دانش پزوه ومجتبی مینوی وذبیح الله صفا ، ویحتوی علی عناوین الكتب الخطیة المصورة من الكتب الخطیة فی مکتبات بریطانیا ، فرنسا ، ترکیة ، الهند ، باکستان ، الاتحاد السوفیاتی السابق ، ومدن ایران والموجودة حالیًا فی مکتبة جامعة طهران . وتشمل (٧٠٠٠) عنوان طبعت فی ثلاثة مجلدات عبر جامعة طهران فی الأعوام ١٩٦٩ و ١٩٧٤ و ١٩٨٤ م .

کتاب A bio- bibliographical survey . London 1627- 58 Charles Ambrose Story وهو أول کتاب حول الكتب المخطوطة الفارسیة تألیف المستشرق البریطانی Charles Ambrose Story .

ثالثًا : فهارس الدوريات :

تعد الدوريات والمجلات من أحدث مصادر الدراسات والمعلومات عن أية منطقة نظرًا لتطورها وحدثتها الزمنية (up date) . وقد أشرنا فی المقدمة إلى توسع هذا المصدر من المعلومات فی العالم . وفي نظرة عامة إلى کتاب اولریخ : الدلیل الدولي للدوريات

(Ulrich's International Periodical Directory) الذي يحتوي على (٦٧, ٠٠٠) دورية في العالم ، أو كتاب : دليل القارئ إلى مقالات الدوريات (Reader's Guide to Periodical Literature) الذي يحتوي على مقالات (٢٠٠) دورية إنجليزية ، نعرف مدى أهمية هذا المصدر .

وقد كانت إيران في مقدمة البلاد الإسلامية التي اهتمت مراكزها العلمية بإصدار الدوريات ، خصوصاً عبر الجامعات أو المؤسسات الثقافية ، وقد شهدت الفترة الأخيرة - خصوصاً في العقد الأخير - تطوراً في الكم والكيف في هذا المجال ، حيث تصدر اليوم في إيران أكثر من (٩٠٠) مطبوعة من جريدة أو مجلة أو دورية .

وقد حاولنا رصد فهارس الدوريات الإيرانية قدر الإمكان ومن أهمها :

فهرست مقالات فارسي [فهرس المقالات الفارسية] من إعداد ابرج افشار . وهو أول وأكبر عمل بيبليوغرافي عن الدوريات الفارسية للأعوام ١٩٠٦ - ١٩٩٠م وقد طبع في أربعة أجزاء كالآتي :

الجزء الأول : يحتوي على قائمة ستة آلاف مقالة فارسية عن الإسلام وإيران في الدوريات المطبوعة في إيران أو خارجها في عشرة موضوعات هي : ١ . الكليات ٢ . الأديان ٣ . الفلسفة والعلوم ٤ . الفن والصناعات ٥ . الجغرافيا ٦ . الملل والمجتمعات ٧ . التاريخ القديم ٨ . التاريخ ٩ . اللغة والآداب ١٠ . الأدب الفارسي . نشر جامعة طهران (١٩٦٠م) .

الجزء الثاني : يحتوي على قائمة أربعة آلاف وستمئة مقالة طبعت في دوريات الأعوام ١٩٦٥ - ١٩٦٦م نشر جامعة طهران (١٩٦٩م) .

الجزء الثالث : يحتوي على قائمة خمسة آلاف وخمسمئة مقالة طبعت في دوريات الأعوام ١٩٦٧ - ١٩٧١م . نشر هذا الجزء مع الأجزاء الأخرى عبر (شركة سهامى كتابهای جیبی ١٩٧٦م) .

الجزء الرابع: يحتوي على قائمة أحد عشر ألف وخمسمائة مقالة طبعت في دوريات الأعوام ١٩٧٢ - فما بعد ، طبع بواسطة شركة انتشارات علمي فرهنگي ١٩٩٠ م . وقد توقف هذا المشروع الفردي وتابعتها وزارة الإرشاد عبر مجلة باسم نماية .

فهرست مقالات فرهنگي در مطبوعات ايران [فهرس المقالات الثقافية في الصحافة الإيرانية] نشر الجزء الأول عام ١٩٧٦ م بواسطة مركز الوثائق الثقافية الآسيوية التابع لوزارة الثقافة واستمر حتى عام ١٩٧٩ م . ثم صدرت نشرة بديلة تحت عنوان: فهرست مقالات انقلاب إسلامي در مطبوعات ايران [فهرس مقالات الثورة الإسلامية في الصحافة الإيرانية] بواسطة وزارة الإرشاد الإسلامي واستمرت حتى عام ١٩٩٢ م .

مجلة نماية [مجلة الموضوعات] مجلة شهرية تصدرها وزارة الإرشاد الإسلامي في إيران منذ عام ١٩٩١ م . عمل بيليوغرافي لأهم الجرائد والدوريات الفارسية ، وهو عمل مكمل لكتاب فهرس المقالات الفارسية لايرج افشار الذي توقف صدوره عام ١٩٩٠ م ، ومشروع فهرست مقالات فرهنگي السابق الذكر . وتطبع المؤسسة نسخة على أقراص CD منذ عام ١٩٩٨ م وتحتوي على نص المقالات المختارة أيضاً .

مجلة كتابشناسي [مجلة علم الكتب] طهران ، مجلة بيليوغرافية متخصصة تصدرها المكتبة الوطنية منذ (٢٥) عاماً .

مجلة كتابنامه [مجلة الكتاب] مجلة متخصصة بالكتب تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي .

وبالإضافة إلى الفهارس المذكورة هناك فهارس للمجلات الفارسية وغير الفارسية الموجودة في بعض المكتبات الإيرانية منها :

فهرست مجلات موجود در كتابخانه استان قدس رضوي [فهرس المجلات الموجودة في مكتبة الروضة الرضوية بخراسان] إعداد رمضان علي إسماعيل پور . طبع في ثلاثة

مجلدات بواسطة نشر استان قدس رضوي بخراسان ١٩٩١ م. ويشمل تعريف (٥٠٠) مجلة من المجلات الفارسية و (٥٠) مجلة أجنبية .

فهرست مجله های موجود در کتابخانه ملی ایران [فهرس مقالات المجلات الموجودة في المكتبة الوطنية الإيرانية] إعداد سرتيب زاده وكبرى خداپرست . في هذا الفهرست هناك تعريف عن مقالات (٥٨٨) مجلة مطبوعة في إيران بالفارسية حتى عام ١٩٧٧ م، نشر المكتبة الوطنية الإيرانية ١٩٧٨ م .

فهرست مجلات کتابخانه دانشکده ادبیات وعلوم إنسانی دانشگاه تهران [فهرس مجلات مكتبة الآداب لجامعة طهران] إعداد شکوه آریایی بور، وتشمل فهرس مقالات (١٦١) دورية فارسية و (١٧٦) دورية إنجليزية، طبعت بواسطة جامعة طهران ١٩٩٢ م .

فهرستان مجله های کتابداری ودکومانتاسیون مرکز خدمات کتابداری [فهرس مجلات مرکز الخدمات المكتبية] في طهران وهو يحتوي على (٢٤٢) مجلة فارسية وإنجليزية ، نشر عام ١٩٧٢ م .

ومن المجلات الفارسية المهمة بعرض الكتب وتقييمها ونقدها : فصلنامه كتاب ، كتابشناختی ملی ، كتاب ماه ، جهان كتاب^(٤) .

رابعاً: الرسائل والأطروحات الجامعية :

ومن المصادر المهمة المعاصرة : الرسائل والأطروحات الجامعية ، وهناك عدة مصادر اهتمت بهذا المجال منها :

نمايه نامه مدارك غير كتابی موجود در مركز اسناد ومدارك علمی ایران [كشاف الوثائق غير الكتبية الموجودة في مركز الوثائق العلمية الإيرانية] يحتوي على (٦٠٠٠) مدخل ،

طهران ١٩٨٧ م ، إصدار مركز إسناد ومدارك علمي إيران [مركز المستندات والوثائق العلمية الإيرانية] .

فهرست ايان نامه های فارغ التحصيلان ایرانی خارج از کشور [فهرس الرسائل الجامعية للإيرانيين المتخرجين خارج إيران للأعوام ١٩١٣ - ١٩٨٤م] باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية ، طهران ، نشر مركز إسناد ومدارك علمي إيران ، ١٩٨٧ م .

چكیده تازه های تحقیق در دانشاها ومراكز تحقیقاتی ایران ، پژوه علوم انسانی [خلاصة البحوث في الجامعات ومراكز الدراسات الإيرانية ، قسم العلوم الإنسانية] طهران ، نشر مركز اسناد ومدارك علمي ایران ١٩٩٣ م .

چكیده اياه نامه های ایران [خلاصة الرسائل الجامعية الإيرانية] طهران ، نشر مركز اسناد ومدارك علمي ایران ، ١٩٩٤ م ، دورية نصف سنوية .

خامساً: الموسوعات ودوائر المعارف :

بالرغم من أن العمل الموسوعي من الأعمال العلمية ذات التاريخ العريق في العالم الإسلامي - بما فيها بلاد فارس - إلا أن العمل الموسوعي بالمعنى الحديث الذي يشمل العمل الموسوعي المنظم وفق الموضوعات أو الترتيب الالفبائي (Encyclopedia) يعد عملاً حديثاً وانتشر في الغرب منذ القرن الثامن عشر .

وخلال الألفي عام الماضية من تاريخ البشرية صدرت حوالي ٢٠٠٠ دائرة معارف وموسوعة عامة ، ولا تخلو أية مكتبة من هذه الموسوعات وتعد من أكثر الكتب فائدة واستخداماً ؛ لأنها تشمل العلوم المختلفة .

والمسلمون لهم دور السبق في العمل الموسوعي كعيون الأخبار لابن قتيبة ، ورسائل إخوان الصفا (ق ٤) وإحصاء العلوم للفارابي (ق ٤) ومفاتيح العلوم للخوارزمي

(ق٤) : والشفاء والقانون لابن سينا (ق٤) : وجامع العلوم لفخر الدين الرازي (ق٦) ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (ق١٠) .

ومن الموسوعات التي ألفها الإيرانيون بالفارسية في القرون الماضية : ذخيرة خوارزمشاهي لإسماعيل جرجاني (ق٦) ودره التاج أو أنموذج العلوم لقطب الدين شيرازي (ق٧) ونفائس الفنون لشمس الدين آملی (ق٨) وأنموذج العلوم لجلال الدين دواني (ق٩) .

ويعد تطور الموسوعات الحديثة منذ القرن الثامن عشر الميلادي حيث صدرت الطبعة الأولى من دائرة المعارف البريطانية عام ١٧٦٨ ، وأما الطبعة الخامسة عشر منها فهي حصيلة (١٧) عاماً من العمل وصرف (٣٢) مليون دولار .

وتعد دوائر المعارف البريطانية والأمريكية والألمانية (بروكهاوس) والفرنسية (لاروس) من دوائر المعارف الحديثة العالمية^(٥) .

وفي المجال الإسلامي ، تعد دائرة المعارف الإسلامية التي ألفها وأعدّها مجموعة من المستشرقين باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية في الأعوام ١٩١٣-١٩٣٦م والتي نشرت مصر ترجمتها العربية عام ١٩٣٣م من أولى الموسوعات التي اشتهرت في العالم الإسلامي وترجمت إلى العربية والفارسية والأردية ، وكانت عاملاً لانتشار فكرة تدوين الموسوعات المحلية والوطنية .

ولم تبدأ فكرة تدوين الموسوعات في إيران إلا في القرن الأخير ، وكانت أول موسوعة هي دائرة المعارف الإسلامية لمصاحب ودانشنامه ايران واسلام وغيرها ، إلا أن التطور المهم حدث بعد انتصار الثورة الإسلامية ، وقبل أن نذكر الموسوعات الحديثة نذكر أهم الموسوعات التي صدرت في العقود الماضية وهي :

دائرة المعارف فارسي [دائرة المعارف الفارسية] بإشراف المرحوم د. غلام حسين مصاحب وبالتعاون مع حوالي (٤٠) أستاذاً إيرانيّاً ، وهي أول موسوعة على الطريقة

العلمية الحديثة، طبع الجزء الأول منها عام ١٩٦٦م بواسطة مؤسسة فرانكلين بطهران ، وتحتوي المجموعة على (٤,٠٠٠) مدخل موضوعي ، قامت بطبعها مؤسسة امير كبير .

دانشنامه ايران و اسلام [دائرة معارف ايران والإسلام] وهي ترجمة من الإنجليزية لدائرة المعارف الإسلامية الأوروبية ، ونظراً لوجود اشكالات في المعلومات فإن الجهة المسؤولة قررت اعتماد الموسوعة كمصدر وترجمة قسم منها، وإضافة أقسام إليها تتناسب والقارئ الإيراني . نشرت عشرة أجزاء من حرف الألف منها في الأعوام ١٩٧٥ - ١٩٨١ م . توقفت هذه الموسوعة عن الصدور وحل محلها موسوعة دانشنامه جهان اسلام (انظر دانشنامه جهان اسلام في هذا المقال) .

دائرة المعارف الإسلامية ايران [دائرة المعارف الإسلامية الإيرانية] موسوعة بالفارسية (٧ مجلدات) طبعت في طهران ١٩٥٣م وهي موسوعة مختصة بقضايا ايران والإسلام وما يتعلق بالعقيدة والأفكار والسياسة والتاريخ والأدب والرجال وأسماء الكتب .

كانت هذه مجموعة من الموسوعات التي طبعت في مرحلة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية في ايران ، ونظراً لعدم دعم الحكومة السابقة لهذه الأعمال لم تتطور بشكل جدّي ، ولكن بعد قيام الجمهورية الإسلامية واهتمامها بالعمل الثقافي الإسلامي ، تم العمل على إصدار عدّة موسوعات جادة ، سواء بدعم حكومي أم عبر مؤسسات خاصة ، تستحق الاهتمام والدراسة وهي :

دائرة المعارف بزرگ اسلامي [دائرة المعارف الإسلامية الكبرى] موسوعة إسلامية حديثة بالعربية والفارسية تصدر في طهران ، صدر منها ثمانية مجلدات من حرف الألف ، ويتوقع أن تصل إلى مائة مجلد ، تصدرها مؤسسة بالاسم نفسه (تأسست عام ١٩٨٣م) بإشراف السيد كاظم موسوي بجنوردي ، مع مجموعة كبيرة من المتخصصين في العلوم المختلفة . وتعد هذه الموسوعة أكبر وأدق موسوعة إسلامية تشمل مختلف المعلومات عن التاريخ والجغرافيا والأعلام والمصطلحات . تضم المؤسسة مكتبة تخصصية ضخمة

مع أرشيف يحتوي على مائة ألف مادة كمرجع للمتخصصين الذين يريدون الكتابة عن مواد الموسوعة ، وتمتاز هذه الموسوعة على سائر الموسوعات الإسلامية بكثرة مداخلها ورؤوس موضوعاتها ، والحدائق في المعلومات ، والتوسع في المقالات كما وكيفا . وكما أشرنا فهذه الموسوعة تمتاز بأنها تطبع بالعربية إلى جانب الفارسية^(٦) .

دانشنامه جهان اسلام [موسوعة العالم الإسلامي] موسوعة بالفارسية تعدها وتنشرها مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية في طهران ، طبع منها حتى الآن ثلاثة مجلدات من حرف الباء . ويتوقع أن تطبع في أربعين مجلداً ، الهدف منها إيجاد موسوعة متكاملة عن العالم الإسلامي ، وجاءت الموسوعة تكميلاً للمعلومات الناقصة التي جاءت في دائرة المعارف الإسلامية المطبوعة في ليدن (هولندا) وتكميلاً لموسوعة «دانشنامه ايران و اسلام» ، وتعكس الموسوعة الجانب الثقافي والحضاري من الإسلام ، لذلك تحتوي على مداخل ومقالات عن : العلوم والفنون والصناعات والاكتشافات ، والمراكز العلمية والمدارس ، والنظم السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية ، والمصطلحات والمفاهيم الدينية ، والمراكز الجغرافية والآثار والأبنية والعمارة الإسلامية ، وأعلام المسلمين في مختلف المجالات ، أهم المعاهدات والحروب والأحداث السياسية والعسكرية ، الفرق والمذاهب والاتجاهات الفكرية ، والعشائر والقبائل ، وكل ما يتعلق بالحضارة والمدنية الإسلامية . والموسوعة تصدرها «دائرة المعارف الإسلامية» التي أسسها السيد علي الخامنه اي عام ١٩٨٣ م عندما كان رئيساً للجمهورية^(٧) .

دايره معارف جهان اسلام [دائرة معارف العالم الإسلامي] موسوعة باللغة الفارسية أسسها وطبع منها عدة أجزاء المرحوم د . مرتضى أسعدي ، وهي موسوعة تحتوي على خمسين فصلاً . عن خمسين بلداً من العالم الإسلامي . يحتوي كل فصل عن البلد الإسلامي : تاريخه ، تأسيسه ، حياة المسلمين في ذلك البلد ، الجغرافية الطبيعية والسياسة ، أهم المدن ، النظام السياسي ، عاداته وأخلاقه وأهم المنعطفات التاريخية ،

وما يرتبط بذلك البلد علاقات ذلك البلد مع إيران ، الوضع الاقتصادي . والهدف من الموسوعة إيجاد مرجع موسوعي بالفارسية عن العالم الإسلامي ، بدأ المشروع عام ١٩٨١م ولكن توقف بسبب وفاة مؤسسه . الجزء الأول يحتوي على ملفات : (حرف الألف) الأردن ، أفغانستان ، الجزائر ، الإمارات العربية المتحدة ، إندونيسيا ؛ (حرف الباء) البحرين ، بروناي (طبع في ١٩٨٧م) . والجزء الثاني (حرف الباء والتاء) بنغلاديش ، باكستان ، تركية (طبع في ١٩٩٠م) .

ايرانیکا [موسوعة ايرانیکا IRANICA] موسوعة تصدرها جامعة كولومبيا بنيويورك بالإنجليزية ، تحت إشراف احسان يار شاطر مع أربعمائه باحث إيراني وأوروبي ، هدفها التعريف بثقافة وتاريخ إيران . جغرافياً تشمل المنطقة الواقعة بين الهند مروراً بباكستان وأفغانستان وإيران واذريجان وتركيا حتى اليونان . وزمناً تشمل التاريخ القديم إلى التاريخ المعاصر . وتشمل الموسوعة : العقائد ، الملل ، السنن والعادات للفرس من القديم والحديث ، الأعلام التاريخية والجغرافية ، العلوم والفنون والتاريخ . طبع منها حتى الآن سبعة مجلدات ، وتهدف الموسوعة إلى تصحيح المعلومات الواردة في الموسوعات الغربية عن إيران وعلاقاتها بدول وشعوب الشرق الأوسط ^(٨) .

دائرة المعارف كتابخانه های جهان [دائرة معارف المكتبات في العالم] موسوعة جديدة من نوعها تحت إشراف السيد محمود المرعشي النجفي ، وعلي رفيعي علا مرودشتي ، سوف تصدرها مكتبة آية الله المرعشي النجفي بـ «قُم» . هذه الموسوعة متخصصة بتعريف : ١ . أهم المكتبات الإسلامية المهمة والمصدرية المعاصرة . ٢ . أهم المكتبات التي كانت قائمة في الحضارة الإسلامية . ٣ . أهم المكتبات التي تحتوي على مخطوطات إسلامية . ٤ . أهم المكتبات في عالمنا المعاصر . وإلى الآن تم إعداد (٤٥) ألف رأس موضوع حول المكتبات التاريخية والمعاصرة في جميع أنحاء العالم ^(٩) .

دايره المعارف تشيع [دائرة المعارف الشيعية] ^(١٠) .

سادساً : اللغة والآداب الفارسية :

تعكس الآداب ، التاريخ المكتوب لكل حضارة ، ويعد تاريخ الأدب الفارسي مصدراً مهماً لثقافة المجتمع الإيراني . في هذا القسم نحاول عرض أهم الكتب المرجعية التي فتحت باب العرض والنقد والتقييم للمراحل الأدبية المختلفة للأدب الفارسي .

وسوف نلاحظ أن فئتين اهتمتا قبل الإيرانيين بتدوين تاريخ الأدب الفارسي :

الأولى : المستشرقون والغربيون وهم أول من فتح هذا الباب لاكتشاف كنوز آداب الشعوب الإسلامية ، وهم الذين اهتموا بالمصادر الأدبية والمخطوطات لاكتشاف المفيد منها . **الثانية :** الهنود من أصول فارسية في شبه القارة الهندية ، نظراً إلى أن الفارسية كانت اللغة العلمية السائدة في الهند وباكستان وأفغانستان وطاجيكستان وأذربيجان وتركيا حتى مطلع القرن الأخير وقبل دخول الاستعمار البريطاني ، وفرض اللغة الإنجليزية وإلغاء دور اللغات المحلية أو الحروف العربية . **الثالثة :** ثم يأتي دور أصحاب الفكر والقلم من الإيرانيين الذين انتبهوا وقاموا بأعمال موسوعية جيدة في هذا المجال . وهذا عرض لأعمال الفئات الثلاث :

تاريخ أدبي إيران [تاريخ الأدب الإيراني] (أوالتاريخ الأدبي لفارس) تأليف المستشرق البريطاني ادوارد براون Edward Browne (١٨٦٢ - ١٩٢٦م) طبع أولاً بالإنجليزية في أربعة مجلدات .

والكتاب مرجع مهم عن تاريخ الأدب الإيراني مقسم إلى أربعة عصور الجزء الأول : من التاريخ القديم حتى عصر الشاعر فردوسي ، ويشمل العصر الأول : من تاريخ إيران الإسلامي والفرق والمذاهب الكلامية ؛ ترجمة علي باشا صالح طبع عام ١٩٥٤م . الجزء الثاني : من عصر فردوسي حتى عصر الشاعر سعدي ، ويشمل تاريخ الأدب في العصر الغزنوي والسلجوقي ، والخوارزمي والدورة الأولى من عصر المغول في إيران ؛

ترجمة فتح الله مجتبائي و غلامحسين صدري افشار ، طبع عام ١٩٧٢ م . الجزء الثالث : من عصر الشاعر سعدي حتى الشاعر جامي ويشمل تاريخ الأدب في عصر المغول الايلخانيين ، والتموريين ؛ ترجمة علي أصغر حكمت طبع عام ١٩٥٨ م . الجزء الرابع : من العصر الصفوي حتى العصر الحديث ويشمل تاريخ الأدب في العصر الصفوي الافشاري والزندي والقاجاري ؛ ترجمه إلى الفارسية د . بهرام مقداي ، وطبع عام ١٩٩٠ م^(١١) .

ادبيات فارس [الأدب الفارسي] تأليف چارلز آمبروز استوري (١٩٦٧ - ١٩٨٨ م) . من أهم المراجع المهمة حول الكتب والمقالات والأدب الفارسي في هذا المضمار . قضى المؤلف أربعين عاماً من حياته لتأليف هذا الكتاب . وهو مرجع بيليوغرافي عن المطبوع والمخطوط والمترجم في الآداب الفارسية . لم يطبع منه إلا جزآن ، الأول : حول ما ألف عن القرآن والتاريخ الإسلامي وتاريخ إيران والأعلام . الجزء الثاني يحتوي على كتب الرياضيات والأوزان والمقادير والنجوم والجغرافيا . وأصل الكتاب بالإنجليزية ، أما الجزء الأول منه فقد ترجم إلى الفارسية عام ١٩٨٣ م بطهران بواسطة السادة : يحيى ارمين پور ، سيروس ايزدي وكريم كشاورز ، وتحت إشراف السيد أحمد قروي^(١٢) .

سبك شناسی [المدارس الأدبية] تأليف ملك الشعراء محمد تقي بهار (متوفي ١٩٥١ م) كتاب طبع في ثلاثة مجلدات ويحتوي على : اللغة والخط والأدب الفارسي قبل الإسلام وبعده ، ومراحل تطور الأدب الفارسي ، طبع عام ١٩٥٨ م نشر امير كبير بطهران ، طبعة حديثة عام ١٩٩٦ م .

حماسه سرانی در ایران [الملاحم في إيران] تأليف د . ذبيح الله صفا . تعد الملاحم الشعرية مرجعاً مهماً في تاريخ وأدب كل أمة . وهذا الكتاب يعرض خمساً وثلاثين ملحمة وطنية واثنيتي عشرة ملحمة دينية وصفاً وتحليلاً ، نشرت الطبعة الأولى عام ١٩٥٢ م والطبعة الأخيرة عام ١٩٨٤ م بواسطة دار امير كبير بطهران .

تاريخ ادبيات در ايران [تاريخ الآداب في إيران] تأليف د. ذبيح الله صفا . كتاب مرجعي وجامع حول التاريخ الأدبي في إيران . ويحتوي كل فصل قبل ذكر الوضع الأدبي ، على الوضع السياسي والاجتماعي والديني لذلك العصر . الجزء الأول : تحقيق حول الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية منذ بداية فتح المسلمين لبلاد فارس وحتى القرن الخامس الهجري ، وقد تناول حياة (٥٧) شاعراً أيضاً . الجزء الثاني : يشمل التاريخ السياسي والاجتماعي والديني والأدبي من القرن الخامس وحتى السابع الهجري ، وفيه أيضاً حياة (٧٠) شاعراً إيرانياً . الجزء الثالث : يشمل القرن السابع والثامن مع ذكر حياة (٧٥) شاعراً و(٧٥) نصّاً أدبياً . الجزء الرابع : يحتوي على تاريخ الأدب في القرنين التاسع والعاشر مع حياة (٤٨) شاعراً و(٣٢) نصّاً أدبياً . الجزء الخامس : دراسة عن الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية للقرون من العاشر وحتى الثاني عشر ويشمل حياة (١٢٦) شاعراً و(٨٠) نصّاً أدبياً . طبعته دار فردوس في طهران (١٣) .

تاريخ زبان فارسی [تاريخ اللغة الفارسية] تأليف د. برويز ناتل خانلري في أربعة مجلدات . ويشمل تاريخ اللغة الفارسية قبل الإسلام ، تاريخ الفارسية بعد الإسلام ، اللهجات المحلية ، قواعد اللغة الفارسية . طبع في (٦) مجلدات في عام ١٩٧٨ (طهران) عبر مؤسسة : بنیاد فرهنگ ایران .

تاريخ زبان فارسی [تاريخ اللغة الفارسية] تأليف د. محسن أبو القاسمي ، كتاب حديث يشمل تاريخ اللغة الفارسية من عصور ما قبل الإسلام حتى الوقت الحاضر في ثلاثة فصول . طبع في طهران بواسطة مؤسسة سمت ١٩٩٤ م .

فرهنگ سخنوران [معجم الشعراء والخطباء] تأليف د. عبدالرسول خيام پور ، مرجع مهم حول شعراء فارس منذ القديم حتى القرن الرابع عشر الهجري ، الطبعة الأولى ١٩٦١ م في تبريز ، والطبعة الجديدة في طهران .

تاريخ تذكره های فارس [تاریخ تراجم الفرس] تألیف أحمد كلجین معاني . مرجع حول شعراء وأدباء إيران والمصادر التي كتبت عن الشعراء والأدباء . نشر جامعة طهران ١٩٦٩م (مجلدين) .

تذكره نویس فارس در هند وباكستان [معجم الكتاب والأدباء الفرس في الهند وباكستان] تألیف سيد علي رضا نقوی . معجم حول الأدباء الفرس في الهند وباكستان منذ العصر التيموري إلى الآن . نشر مؤسسة علمي ١٩٦٤م ، طهران .

اتشكده آذر [كتاب اتشكده آذر] تألیف لطف علي آذر (ق ١٢) . يحتوي على ترجمة (٨٥٠) شاعراً فارسياً . طهران ، دار امير كبير ، ١٩٥٧م .

سخن وسخنوران [الخطابة والخطباء] تألیف بديع الزمان فروزانفر أستاذ بجامعة طهران ، مرجع جيد حول الشعراء والخطباء ، نشرت الطبعة الأولى عام ١٩٢٩م والطبعة الحديثة بواسطة دار خوارزمي ١٩٧١م .

شعر العجم تألیف محمد شبلي نعماني (الهند) . كتاب عن الشعراء الفرس باللغة الأردية ، في أربعة أجزاء عام ١٩١٣م (ألف الجزء الخامس منه سليمان الندوي عام ١٩١٨م) . تم ترجمة الكتاب إلى الفارسية ، وطبع في طهران عبر مكتبة ابن سينا .

دانشنامه ادب فارسی [موسوعة الأدب الفارسي] أحدث موسوعة عن الآداب الفارسية في إيران والجمهوريات الآسيوية الناطقة بالفارسية (وتشمل طاجيكستان ، أفغانستان ، تركستان ، الهند وباكستان) . هذه الموسوعة صدر منها جزآن كبيران من أصل خمسة مجلدات تحت إشراف د. حسن انوشه . الجزء الأول : حول الأدب الفارسي في آسيا المركزية . الجزء الثاني : حول الأدب الفارسي في إيران . الجزء الثالث : حول الأدب الفارسي ، في الهند وباكستان . هذه الموسوعة تشمل كل موضوع يتعلق بالأدب الفارسي ، من المصطلحات والشعراء والأدباء والكتاب ومؤرخي الأدب من المعاصرين

والماضين، ومصادر الأدب والنقد الأدبي الفارسي . وتحتوي على حوالي اثني عشر ألف من رؤوس الموضوعات الأدبية^(١٤) .

ومن المصادر المكتوبة باللغة العربية حول الأدب الفارسي أو المترجمة إليها :

تاريخ الأدب الفارسي ، د. رضا زاده شفق ، ترجمة محمد موسى هندايي - دار الفكر العربي - القاهرة ، ١٩٤٧ م .

في أدب الفرس وحضارتهم ، د. محمد كفاي ، دار النهضة العربية ، بيروت (١٩٦٧ م) .

الأدب الفارسي في أهم أدواره وأشهر أعلامه ، د. محمد محمدي ، طهران ، دار توس (١٩٩٥ م) .

معاجم اللغة الفارسية :

حتى القرن الخامس الهجري لم يشعر الإيرانيون بضرورة تدوين معجم لغوي بالفارسية ، وكان اهتمامهم بإعداد معاجم لغوية عربية وهي لغة دينهم ، ولكن منذ القرن الخامس الهجري ، وبعد انتشار الفارسية في فارس ظهرت الحاجة إلى قاموس بالفارسية .

وأول القواميس الفارسية الحديثة ظهرت في بلاد الهند وتركيا ، والسبب هو عدم إحساس الضرورة لها من قبل الإيرانيين ، في حين كان الناطقون بالفارسية في الهند أكثر حاجة لها ، ولكنها كانت تخرج مع كثير من الأخطاء والأغلاط لأنهم ليسوا أصحاب اللغة الأصليين . فمن مجموع (٢٥٠) معجماً لغوياً فارسياً - فارسياً لم يصنّف الإيرانيون منها إلا (٤٠) معجماً^(١٥) .

وتعد معاجم اللغة من المصادر المهمة للآداب والثقافة وحتى المعلومات عن كل أمة ، ولمعاجم اللغة سابقة طويلة في بلاد فارس . وهناك اليوم حوالي (٢٥٠) معجماً لغوياً فارسياً، ولكننا نذكر أهم مراجع اللغة الفارسية القديمة والحديثة^(١٦) :

برهان قاطع [معجم البرهان القاطع] تأليف محمد حسين بن خلف تبریزی . ألفه في عام ١٠٦٢هـ في حيدر آباد دكن (الهند) . أقدم طبعة في كلكتا عام ١٣٢٤هـ ، ثم طبعت مصححة في طهران عام ١٩٥٦م بواسطة د. محمد معين في (٥) مجلدات ، ويحتوي على (٢٠,٠٠٠) مفردة فارسية ، وقد ظهرت كتب نقدية أو تكميلية كثيرة عليه^(١٧) .

غياث اللغات [معجم غياث اللغات] تأليف محمد غياث الدين بن جلال الدين رامپوری . طبع لأول مرة في الهند ١٢٦٤هـ، ثم طبع في طهران طبعة منقحة بواسطة دار امير كبير .

فرهنگ انندراج [معجم أنندراج] تأليف محمد بادشاه كاتب المهاراجا أنندراج في الهند . انتهى من تأليفه عام ١٣٠٦هـ وطبع في ١٣٠٧هـ في ثلاثة مجلدات . وطبع أخيراً في طهران طبعة منقحة بإشراف د. محمد دبیر سیاقی في (٧) مجلدات بواسطة مكتبة خيام . وهو معجم موسوعي كبير .

فرهنگ نفیسی یافرهنگ ناظم الاطباء [معجم نفیسی] تأليف علي اكبر خان نفیسی (ت ١٣٤٢هـ) . يجمع بين اللغات القديمة والمصطلحات المعاصرة ، طبع عام ١٩٥٥م في (٥) مجلدات بواسطة مكتبة خيام بطهران . وقد احتوى على (١٠٠,٠٠٠) مفردة عربية دخلت الفارسية و (٥٠,٠٠٠) مفردة فارسية أصيلة ، بالإضافة إلى المفردات التركية والأوردية والأوروبية الدخيلة .

لغتنامه دهخدا (معجم دهخدا اللغوي) أهم وأحدث وأوسع معجم للغة والأعلام التاريخية والجغرافية في اللغة الفارسية في (٢٥,٠٠٠) صفحة ، تأليف علي اكبر دهخدا

(ت ١٩٥٥م)، مع مجموعة من أساتذة اللغة، عمل عليها خلال ٤٥ عاماً بدعم من الحكومة الإيرانية. والكتاب مرجع لغوي وموسوعي يبحث عن كل مفردة ومصطلح وعلم ورد في الآداب والكتب الفارسية، مع ذكر الشواهد والأمثلة والأشعار واللهجات المحلية.

ويحتوي الكتاب على (٢٠٠,٠٠٠) مفردة فارسية، و (٦٠٠,٠٠٠) كلمة فارسية مركبة، و (٨٠,٠٠٠) من الأعلام التاريخية والجغرافية. ويحتوي الكتاب على (٥٠٠,٠٠٠) بيت شعر وشاهد أدبي. ونظراً إلى أن (٥٥٪) من مفردات الفارسية الحديثة هي مفردات ذات أصول عربية، لذلك فإن هذا المعجم يحتوي على جميع المفردات العربية والهندية واللاتينية الدخيلة على الفارسية بمعناها الأصلي أو بالمعنى الجديد. تم طبع المعجم في (٢٢٢) جزءاً خلال الأعوام ١٩٤٦ - ١٩٨١ م. وتم طبع المعجم حديثاً بواسطة جامعة طهران ١٩٩٤م تحت إشراف د. محمد معين و د. سيد جعفر شهیدی (١٨).

لغتنامه فارس [المعجم الفارسي] معجم حديث يشمل فقط اللغات والمصطلحات من معجم دهخدا، وبشكل مختصر، مع حذف الأعلام والشواهد. طبع الجزء الأول عام ١٩٨٨م عبر مؤسسة دهخدا.

فرهنش فارسي معين [معجم معين الفارسي] تأليف د. محمد معين. من المعاجم الفارسية الحديثة وتشمل اللغات الفارسية، والأجنبية والأعلام في (٦) مجلدات. ويعد هذا المعجم هو المعجم العملي السائد في إيران اليوم. نشر دار امير كبير ١٩٧٤م. ويحتوي على (١٠٠,٠٠٠) مفردة لغوية.

فرهنگ فارسی امروز [معجم الفارسية المعاصرة] تأليف صدری افشار، نسرین حکمی، نسترن حکمی. أحدث معجم يحتوي على المصطلحات الفارسية الراجعة اليوم، نشر كلمة طهران ١٩٩٨م.

فرهنگ اساطیر و اشارات داستانی در ادبیات فارسی [معجم الأساطير والتلميحات القصصية في الأدب الفارسي] تأليف د. محمد جعفر ياحقى . مرجع مهم لكشف وشرح الإشارات والتلميحات والكنائيات الأدبية ومصادرها في الأدب الفارسي . الطبعة الأولى نشر مؤسسة مطالعات وتحقيقات بالتعاون مع مكتبة سروش عام ١٩٩٠ م ، طهران .

سابعاً: الدين والمذاهب :

يشكّل المسلمون (٩٨, ٩٪) من نفوس إيران (٦٠ مليوناً) ويشكل الشيعة منهم (٩٠٪) والمذاهب الإسلامية (٩٪) و(١٪) بقية الأقليات الدينية^(١٩) . وأفضل مرجع لمعرفة المذاهب والفرق الإسلامية : تاريخها ، عقائدها ، نفوسها ، أماكن انتشارها ووضعها الفعلي هو الموسوعات ودوائر المعارف التي ذكرنا في الصفحات السابقة .

وهناك بعض المراجع التي اهتمت بشكل أكثر تخصصاً بموضوع الأديان والمذاهب السائدة في إيران نذكر ثلاثة نماذج منها :

تاريخ اديان ومذاهب در ايران [تاريخ الأديان والمذاهب في ايران] تأليف عباس قريباني . كتاب من تسعة فصول يحتوي على : الأديان في إيران القديمة الزرداشتية ، اليهودية ، المسيحية ، المانية (المانوية) والمزدكية ، الإسلام ومذهب التشيع ، الفرق الإسلامية الأخرى في إيران . نشر دار أنيس (١٩٩٥ م) طهران .

فرهنگ فرق اسلامی [معجم الفرق الإسلامية] تأليف د. محمد جواد مشكور ، أستاذ تاريخ الأديان في خراسان . معجم علمي ومحاذ حول جميع الفرق والمذاهب الإسلامية ، طبع استان قدس رضوى في خراسان ١٩٨٩ م .

دائرة معارف تشيع [دائرة المعارف الشيعية]^(٢٠) موسوعة متخصصة عن المذهب الشيعي الإمامي وإيران . صدر منها حتى الآن ستة مجلدات بالفارسية (من الألف إلى

الخاء) عن مؤسسة محبي في طهران بإشراف أحمد صدر حاج سيد جوادى . صدر الجزء الأول عام ١٩٨٧ م . وهي موسوعة متخصصة تناول كل ما يرتبط بالتشيع والإسلام من مداخل تاريخية ، وجغرافية ، وأعلام ورجال ، ومفاهيم ، وكتب ، كتبت بشكل علمي ومحايّد . ومن ميزات هذه الموسوعة عرض مداخل كأهل السنة أو الخلافة والخلفاء بشكل علمي وأكاديمي بعيداً عن الروح الطائفية والمذهبية .

ثامناً : التراجم والأعلام :

هناك ثلاث مجموعات أساسية في مجال الأعلام والتراجم للحصول على معلومات عن أعلام إيران قديماً وحديثاً :

المجموعة الأولى : كتب الموسوعات ودائرة المعارف قديماً وحديثاً والتي ذكرناها بالتفصيل في القسم الرابع . وحياة الشعراء الذين ذكرناهم في القسم الخامس .

المجموعة الثانية : كتب الأعلام الإسلامية العامة أو الرجال والتي تضم الأعلام من الإيرانيين وغيرهم منها :

نزّهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري (ق٦) ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (ق٦) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ق٦) . ومن الكتب الحديثة : الأعلام لخير الدين الزركلي (ق١٤) ، وريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب للتبريزي (ق١٤) ، وكتاب الكنى والألقاب للشيخ عباس قمي (ق١٤) .

المجموعة الثالثة : كتب التراجم الخاصة بأعلام الإيرانيين ومنها :

زندنيامه مفاخر اسلام [حياة مفاخر الإسلام] تأليف علي دواني . كتاب رجالي عام ، يحتوي على عدد كبير من علماء وفقهاء إيران .

تاريخ فلاسفة إيران ازاغازتا امروز [تاريخ فلاسفة إيران من الماضي إلى اليوم] .

تاريخ رجال إيران در قرون ١٢ و ١٣ و ١٤ [تاريخ رجال إيران في القرون ١٢ و ١٣ و ١٤] تأليف مهدي بامداد ، طهران ، نشر زوار ١٩٦٨ م في ستة مجلدات . ويحتوي على تراجم الشخصيات السياسية والاجتماعية للقرون المذكورة .

المجموعة الرابعة : تراجم النساء :

كتب تراجم النساء تعد من الأعمال الجديدة في إيران وظهرت خلال القرنين الأخيرين نذكر بعضها :

خيرات حسان ، تأليف محمد اعتماد السلطنة (ق ١٤) في (٣) مجلدات . وهو مرجع عام يشمل نساء إيران والهند وتركيا والبلاد الإسلامية الأخرى .

رياحين الشريعة تأليف ذبيح الله محلاتي (فارس) . كتاب حول حياة أعلام النساء وهو مرجع عام حول النساء في الإسلام ، ولكنه يشمل الكثير من أعلام النساء في إيران . خمسة مجلدات ، طبعة دار إسلامية ، طهران .

از رابعة تا روین [من رابعة إلى روین] تأليف كشاورز صدر ، طهران ١٩٥٥ م ، ويشمل حياة (١٦٠) شاعرة إيرانية .

كارنامه زنان مشهور ایران قبل از اسلام تا عصر حاضر [قائمة المشاهير من نساء إيران قبل الإسلام إلى العصر الحاضر] تأليف فخري قويمى . ويحتوي على ثلاثة فصول : قبل الإسلام ، بعد الإسلام ، القرن الأخير ، ويحتوي على ترجمة (٢٢٢) امرأة .

مشاهير زنان ایرانی وارس وى [المشاهير من نساء إيران وشاعرات الفرس] محمد حسن رجى ، طهران ، وزارة الإرشاد ١٩٩٥ م . والكتاب يحتوي على ترجمة (٦٠٠) من أعلام النساء في إيران حتى عام ١٩٠٠ م ذوات الدور العلمي والأدبي والسياسي ، والديني . وهذا أحدث وأكمل كتاب في هذا المجال .

زنان سخنور [النساء الشاعرات والخطيبات] في ثلاثة مجلدات ، طهران ١٩٥٧م ، ويشمل حياة (٣٠٠) شاعرة إيرانية^(٢١) .

المجموعة الخامسة : تراجم المعاصرين :

ليس هناك اهتمام جدي لإصدار مصادر عن المعاصرين كما في Who's who ، ولكن بعض المؤسسات أصدرت مجموعات تحتوي على أسماء المعاصرين في مجالات معينة منها :

بانك اطلاعات محققين ومتخصصين كشور [مركز معلومات الباحثين والمتخصصين في إيران] إصدار مركز اطلاعات ومدارك علمي ، طهران (١٩٩٧م) ٣ مجلدات .

برگزیدگان علمی فرهنگي ایران [الفائزون بالجوائز العلمية والثقافية في إيران للأعوام ١٩٧٩-١٩٩٤م] نشر مكتبة كوير .

تاسعاً : تاريخ إيران :

كتب الباحثون والمؤرخون كتباً كثيرة عن التاريخ القديم والحديث لفارس اخترنا بعض النماذج منها :

المجموعة الأولى : مصادر التاريخ القديم لبلاد فارس^(٢٢) :

إيران از آغاز تا اسلام [إيران من البداية إلى الإسلام] تأليف المستشرق الفرنسي د. غريشمن . يشمل الكتاب حضارات بلاد فارس وأديانها القديمة ، والتاريخ السياسي والاجتماعي لها ، ترجمه إلى الفارسية د. محمد معين ، وطبع عام ١٩٥٧م بواسطة مؤسسة ترجمة ونشر كتاب .

إيران باستان [إيران القديمة] تأليف حسن پيرنيا في ثلاثة مجلدات . مرجع جيد حول حضارات الفرس ، الخط ، اللغة ، الفن ، الأدب ، الوضع السياسي والاجتماعي ، الشعوب والقبائل . الطبعة الأولى ١٩٥٢م بواسطة مكتبة ابن سينا .

تاريخ هردوت تأليف المؤرخ اليوناني هردوت (٤٨٠ - ٤٢٥ قبل الميلاد) . مرجع مهم عن التاريخ القديم كتب في القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو أول مرجع عن تاريخ إيران القديمة ، ترجمه إلى الفارسية وحيد مازندراني .

تاريخ تمدن إيران ساساني (تاريخ حضارة إيران في العهد الساساني) سعيد نفيسى ، نشر جامعة طهران ، ١٩٥٢م .

إيران وتمدن ایرانی [إيران والحضارة الإيرانية] للمستشرق كولمان هوار ، ترجمة حسن انوشه ، نشر دار امير كبير ١٩٨٤م .

تاريخ اجتماعي ایران در دوران يش از تاريخ [التاريخ الاجتماعي لإيران في عصور ما قبل التاريخ] سعيد نفيسى ، جامعة طهران ١٩٦٣م .

المجموعة الثانية : تاريخ إيران في العصر الإسلامي :

جاء ذكر تاريخ إيران وملوكها وشعوبها وأحداثها في أكثر المصادر التاريخية الإسلامية كتاريخ اليعقوبي (٢٨٤هـ) ، والأخبار الطوال للدينوري (القرن ٣) ، ومروج الذهب للمسعودي (٣٤٦هـ) ، وتاريخ الطبري (٣١٠هـ) ، والكمال في التاريخ لابن الأثير الجزري (٦٣٠هـ) ، وجامع التواريخ للهمداني (٧١٨هـ) ، وروضة الصفا لخواوندشاه (٩٠٣هـ) ، وحبیب السیر لغياث الدين الحسيني (٩٤٢هـ) ، وقد ترجمت جميع هذه الكتب إلى الفارسية وطبعت بها .

وهناك مصادر تاريخية معاصرة أو خاصة بفترات معينة أو بالتاريخ المعاصر تركتها للاختصار .

عاشراً : المصادر الجغرافية :

تعد المصادر الجغرافية مصدراً مختلفاً عن المصادر الأخرى ، نظراً لاحتوائها على الصور والخرائط ، وإن بعضها كانت كتباً موسوعية عن الجغرافيا والوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لتلك البلاد ، ويمكن الحصول على المعلومات الجغرافية في دوائر المعارف والكتب الموسوعية ولكن بشكل عام . وبالرغم من أن اليونانيين هم الذين كتبوا أولاً عن الجغرافيا ككتاب جغرافية بطليموس ، إلا أن المسلمين توسعوا في هذا العلم ، وطوروه بشكل واسع .

وقد كان لعلماء فارس - كبقية العلماء المسلمين - دور يستحق الذكر في كتابة الكتب الجغرافية ، كابن خردادبة الإيراني الأصل ، الذي اعدّ كتاباً باسم «المسالك والممالك» في القرن الثالث للخليفة المعتمد العباسي ، وهو كتاب حول طرق التجارة من أوروبا إلى الصين والهند عبر الشام والعراق وإيران .

ومن الكتب القديمة والتي تحتوي على جغرافية إيران قديماً كتاب البلدان لليعقوبي (ق٣) ، وكتاب المسالك في معرفة الممالك للجهاني (ق٣) ، والذي اختصره ابن فقيه في كتاب البلدان وكتاب عجائب البلدان لابن مهلهل (ق٤) (٢٣) ، والمسالك والممالك لابن حوقل ، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ق٤) ، ومروج الذهب للمسعودي ، ومعجم البلدان لياقوت الرومي (ق٧) (٢٤) .

ويعد كتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب (ق٤) أول كتاب جغرافي بالفارسية (٣٥) ، وكذلك كتاب سفرنامه ناصر خسرو (ق٥) ، للشاعر الإيراني ناصر خسرو ، ويعد أبو ريحان البيروني من المتبحرين في علم الجغرافيا قديماً والذي ألف قانون المسعودي .

ومن المصادر الجغرافية القديمة التي تحتوي على معلومات عن إيران معجم البلدان لياقوت الرومي الحموي ، وقد سبق ذكره ، (ق٧) ، وتحفة النظار لابن بطوطة (ق٨) ، ومن الكتب الجغرافية في (القرن ٨) نزهة القلوب لحمد الله المستوفي من علماء فارس والمعاصر لرشيد الدين الفضل^(٢٦) .

ومن الكشافات والفهارس عن الجغرافية المعاصرة :

كتابخناسي جغرافيا [كشاف الكتب الجغرافية] تأليف صديقة سلطاني فر ، طهران (١٩٨٥) نشر مركز اسناد ومدارك علمي .

فهرست مقالات جغرافيايي [فهرست المقالات الجغرافية] محمد حسن گنجي ، طهران ، جامعة طهران ١٩٦٢ م .

کتابنامه خليج فارس [کشاف كتب الخليج الفارسي] لإسماعيل زائين ، طهران ، نشر مؤسسة العلوم الإنسانية .

أما المصادر الحديثة في هذا المجال فهي :

جغرافياي تاريخي سرزمين های خلافت شرقی [الجغرافية التاريخية لأراضي الخلافة الشرقية] تأليف المستشرق البريطاني كاي لسترنج (١٨٥٤ - ١٩٣٣ م) ويحتوي بالإضافة إلى جغرافية إيران ، بلاد ما بين النهرين وآسيا الوسطى .

جغرافياي مفصل ایران [جغرافية إيران التفصيلية] د. ربيع بديعی ، مجلدان ، نشر اقبال ، طهران (١٩٩٤ م) .

فرهنگ جغرافياي ایران (اباديهها) [المعجم الجغرافي لإيران — القرى] (٩) مجلدات . إعداد المنظمة الجغرافية الإيرانية للجيش ، طهران ، الطبعة الأولى ١٩٥١ م ، وهناك طبعة حديثة وهي أوسع وأدق مرجع جغرافي للقرى والمدن الإيرانية .

فرهنگ آبادیهای ایران [معجم القرى والمدن الإيرانية] تأليف لطف الله مفخم بايان ، طهران ، نشر امير كبير ١٩٦٠ م .

اسامي نقاط روستايي وشهرى براساس تقسيمات كشورى [أسماء المراكز القروية والمدنية ...] إعداد المركز الإحصائي الإيراني ، طهران ١٩٦٩ م ، تطبع كل خمس سنوات طبعة حديثة .

فهرست بناهای تاریخی واماكن باستانی ایران [فهرست الأبنية التاريخية والأماكن الأثرية الإيرانية] إعداد المنظمة الوطنية للآثار الإيرانية ، طهران ١٩٦٦ م . وتحتوي على (٤٣٣) عمارة تاريخية و(١٣٢) أثرًا وموقعًا تاريخيًا ، مع الصور .

فرهنگ آبادیها ومكانهای مذهبی كشور [قاموس القرى والأماكن الدينية في إيران] محمد علي بابلي يزدي ، نشر قدس رضوي .

ایران شهر [بلاد ایران] كتاب موسوعي في مجلدين أعدهما مكتب اليونسكو عام ١٩٦٠ في أربعة فصول عن الجغرافيا الإنسانية والطبيعية ، والتاريخ السياسي والثقافي والمؤسسات الحكومية والاقتصاد الإيراني .

الحادي عشر : الإحصاءات :

ومن المصادر المهمة والحديثة للمعلومات الإحصاءات التي يصدرها دورياً أو سنوياً ، مركز الإحصاء الإيراني ، ومنها :

سائمه آماری ایران [الإحصائيات السنوية الإيرانية] ، يصدرها سنوياً المركز الوطني للإحصاء الإيراني التابع لوزارة التخطيط ، وهو مرجع إحصائي مهم عن جميع الشؤون الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية والدينية في إيران من (٢٥) فصلاً . ويجدد الكتاب سنوياً (update) .

الهوامش

- (١) مرادي ، مرجع شناس ، ص ٦٤ .
- (٢) مرادي ، نور الله . مرجع شناس . طهران: دار فرهنگ معاصر ، ١٩٧٠م . ص ٣٠ .
- (٣) ماهيار ، عباس . مرجع شناس ادبي ، ص ٥٤ .
- (٤) تكميلاً للفائدة ذكرنا في نهاية الورقة اسم وعنوان عشرين دورية إيرانية يمكن أن تكون مصدراً مفيداً من مصادر المعلومات .
- (٥) مرادي ، منبع شناس . ص ٨٣-١٠٠ .
- (٦) مجلة كيهان فرهنگي . (طهران)، العدد ١٢٧ ، ١٩٩٦م ، صص ١٠٣-٧٦ .
- (٧) عن مقابلة مع د. غلام علي حداد عادل مدير الموسوعة ، مجلة كيهان فرهنگي ، العدد ١٣٧ ، (١٩٩٦م) ، ص ص ١٠-١١ .
- (٨) ماهيار ، عباس . مرجع شناس ادبي ، ص ١٠١ .
- (٩) مقابلة مع السيد علي رفيعي علامر ودشتي المسؤول العلمي للمشروع كيهان فرهنگي ، العدد ١٢٧ ، ١٩٩٦م ، صص ١١١-١١٠ .
- (١٠) انظر المادة السابعة : الدين والمذاهب من هذه الورقة .
- (١١) ماهيار ، عباس . مرجع شناس ادبي ، ص ١٣٦ .
- (١٢) المرجع نفسه ، ص ٤٨ .
- (١٣) ذبيح الله صفا . تاريخ ادبيات ايران . طهران: نشر فردوس .
- (١٤) مقابلة مع د. حسن انوشه ، كيهان فرهنگي ، ١٢٧ ، ١٩٩٦م ، طهران ، صص ١٠٤-١٠٦ .
- (١٥) مرادي-مرجع شناس ، ص ١٣٣ .
- (١٦) للمزيد انظر : ماهيار ، مرجع شناس ادبي ، ص ٧٩ والجزء الأربعين من لغتنامه دهخدا، طبع جامعة طهران ، وفرهنگهای فارسي وفرهنگ گونه لدبير سياقي .

- (١٧) مرادي ، مرجع شناس ، ص ١٢٩ .
- (١٨) دهخدا ، علي اكبر . مقدمة لغتنامه دهخدا ، نشر جامعة طهران ، ١٩٩٤م ،
ودبير سياقي فرهنگهای فارسي و فرهنگ گونه ها ، طهران ١٩٨٩م ، ص ١٥٣ .
- (١٩) دايرة المعارف تشيع ، مادة ايران ، ص ٦٢٧ .
- (٢٠) هذه الموسوعة تختلف عن (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية) للسيد حسن الأمين
المطبوعة في لبنان (٩ مجلدات) ١٣٩٣هـ باللغة العربية .
- (٢١) المصدر : فرهنگ زندگينامه ج ١ ، حسن انوشه ، نشر رجاء ، طهران ١٩٩٠م ،
ص ٤٣-٤١ .
- (٢٢) ماهيار ، عباس مرجع شناس ادبی ، ص ٢٥٤ .
- (٢٣) يبدو أن هذا الكتاب مفقود ولكن نقل عنه ياقوت صاحب معجم البلدان والقزويني
صاحب الآثار الخالية كثيراً .
- (٢٤) مرادي ، منبع شناس ، ص ٢٤٧-٢٦٠ .
- (٢٥) الكتاب لمؤلف مجهول ، إهداء إلى الأمير أبي الحارث فريغوني ، اكتشف وطبع
لأول مرة في بخارى (١٩٣٠م) بواسطة المستشرقين الروس وله ترجمة إنجليزية
وفارسية .
- (٢٦) مرادي منبع شناسي .

مراجع البحث

- ١- عباس ماهيار . مرجع شناس ادبي ، طهران: نشر قطرة ، ١٩٩٦ م .
- ٢- غلامرضا ستوده . مرجع شناس ورورش تحقيق در ادبيات فارس ، طهران: نشر سمت ، ١٩٩٢ م .
- ٣- نور الله مرادي . مرجع شناس ، طهران: نشر فرهنگ معاصر ، ١٩٩٧ م .
- ٤- ملحق كيهان فرهنگي خاص عن دوائر المعارف الحديثة في إيران ، العدد ١٢٧ ، ١٩٩٦ م ، طهران .
- ٥- مقدمة لغتنامه دهخدا . نشر جامعة طهران ١٩٩٤ م .

الملحق الأول

مراكز الدراسات والمعلومات والمكتبات

هذه قائمة منتخبة لبعض وأهم مراكز الدراسات والمكتبات الإيرانية ، والتي تحتوي على مراكز للمعلومات ومكتبات متخصصة :

كتابخانة بزرگ مرعشی نجفی [مكتبة المرعشي النجفي الكبرى] قم . من المكتبات المهمة التي تهتم بالكتب المخطوطة ، وتحتوي على (٢٥٠,٠٠٠) كتاب مخطوط . بنياد پُرشهای اسلامی [مؤسسة الدراسات الإسلامية] خراسان ، التابعة للروضة الرضوية ، تهتم بالدراسات التاريخية والجغرافية والإسلامية .

بنياد دائرة المعارف بزرگ اسلامی [مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية الكبرى] طهران ، تحتوي على مائة ألف ملف عن المعلومات الإسلامية وهي مكتبة غنية .

جهاد دانشگاهی دانشگاه تهران [مؤسسة الجهاد الجامعي] طهران ، تابعة لجامعة طهران ، وتهتم بالدراسات والكتب الجامعية .

سازمان مطالعة وتدوين كتب علوم انسانی دانشگاهها [منظمة تأليف الكتب الجامعية] طهران . تهتم بإعداد الكتب الجامعية .

سازمان اسناد ملی [منظمة الوثائق الوطنية] طهران ، أهم مركز يحتفظ بالوثائق والأوراق الحكومية والأثرية .

سازمان جغرافیائی [المنظمة الجغرافية] طهران . تابعة لوزارة الدفاع ، ومتخصصة في الخرائط الجغرافية عن إيران .

مركز اطلاعات ومدارك علمي [مركز المعلومات والوثائق العلمية] . طهران ، تابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي . في هذا المركز تجمع الوثائق والمعلومات عن الدراسات العلمية والثقافية ، وبنوك المعلومات وخلاصات الرسائل الجامعية .

سازمان مدارك فرهنگي انقلاب اسلامي [منظمة الوثائق الثقافية للشورة الإسلامية] طهران ، تابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي . تهتم بالدراسات والصحف والمقالات المتعلقة بمرحلة ما بعد انتصار الثورة .

مؤسسة پژوهش و برنامه ريزی آموزش عالی [مؤسسة التحقيق والتخطيط للتعليم العالي] طهران ، تابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي . وتهتم بالمعلومات عن التعليم العالي والجامعي .

موسسه عالی پژوهش در برنامه ريزی و توسعه [المؤسسة العليا للتحقيق في مجالات التخطيط والتنمية] طهران ، تابعة لوزارة التخطيط ، وتهتم بأمور التحقيق حول التنمية .

کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران [المكتبة الوطنية] طهران ، تابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، من المكتبات المهمة في إيران .

کتابخانه مرکزی دانشگاه تهران [المكتبة المركزية لجامعة طهران] طهران ، ولها مكتبات تخصصية تابعة للكليات .

کتابخانه مجلس شورای اسلامی [مكتبة المجلس الشورى الإسلامي] طهران ، تابع للمجلس الشورى الإسلامي .

سازمان ميراث فرهنگي [منظمة التراث الثقافي] طهران ، تابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، وتهتم بالتراث والآثار والوثائق التاريخية .

مرکز آمار ایران [المركز الإيراني للإحصاء] طهران ، تابع لوزارة التخطيط . متخصص في إعداد الإحصاءات عن جميع الشؤون الإيرانية .

پژوهشگاه مطالعات علوم انسانی [مركز دراسات العلوم الإنسانية] طهران ، تابع لوزارة الثقافة والتعليم العالي .

دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی [مكتب الدراسات السياسية والدولية] طهران ، تابع لوزارة الخارجية .

- پژوهشکده باقر العلوم [مركز تحقيق باقر العلوم] قم . تابع لمؤسسة الإعلام الإسلامي .
مركز متخصص بالدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية .
- مركز اسناد انقلاب اسلامي [مركز وثائق الثورة الإسلامية] طهران ، قم ، مركز متخصص
بوثائق الثورة الإسلامية وتاريخها .
- مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامي [مركز الدراسات الكمبيوترية للعلوم الإسلامية]
قم ، متخصصة بإعداد معاجم وموسوعات حاسوبية في العلوم الإسلامية .
- مركز مطالعات وتحقيقات اسلامي [مركز الدراسات والبحوث الإسلامية] قم ، تابع
للحوزة العلمية في قم ، ويهتم بالدراسات الدينية والإسلامية .

الملحق الثاني

أهم الدوريات الإيرانية القديمة والحديثة

- تعد المجلات الدورية مصدراً مهماً للبحوث والدراسات في مختلف الموضوعات خصوصاً الأدبية والتاريخية والعلمية .
- نذكر هنا بعض المجلات المهمة باللغة الفارسية والتي احتوت على دراسات وبحوث تستحق المراجعة(*) :
- ١ . مجلة دانشكده [مجلة الكلية] أول دورية صدرت عام ١٩٢٨ م عن جامعة طهران بواسطة ملك الشعراء بهار وصدر منها (١٢) عدداً سنوياً .
 - ٢ . مجله ارمغان [مجلة ارمغان] الشهرية مديرها حسن وحيد دستجردي صدرت منذ عام ١٩٢٩ م لمدة (٤٧) سنة .
 - ٣ . مجله آينه [مجلة المستقبل] أصدرها د . محمود افشار منذ عام ١٩٢٥ م بشكل متقطع وصدر منها خمس سنوات متقطعة آخرها كان عام ١٩٧٩ م .
 - ٤ . مجله روزگار نو [مجلة العصر الجديد] مجلة فارسية كانت تصدر بواسطة المستشرقين في أمريكا وبريطانيا منذ عام ١٩٤١ م واستمرت حوالي خمس سنوات حتى عام ١٩٤٦ م .
 - ٥ . مجله سخن [مجلة الكلمة] بإدارة د . پرويز ناتل خانلري ، تأسست عام ١٩٤٣ م واستمرت لمدة (٢٦) عاماً آخرها كان عام ١٩٧٩ م .
 - ٦ . مجله يادگار [مجلة الذكرى] شهرية تأسست عام ١٩٤٤ م على يد عباس اقبال اشتياني واستمرت لمدة خمس سنوات .

(*) للمزيد من المعلومات حول المجلات الحديثة راجع : راهنمای روزنامه ها و مجله های ایران ١٣٧٤.٧٥ ، / دليل الجرائد والمجلات الإيرانية / إصدار المكتبة الوطنية الإيرانية ١٩٩٧ م .

٧. مجله دانشكده ادبيات دانشگاه تهران [مجلة كلية الآداب لجامعة طهران] فصلية .
٨. مجله دانشكده ادبيات وعلوم انسانی [مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة طهران] فصلية ، تأسست عام ١٩٥٣ م ومستمرة إلى الآن .
٩. مجله حقوق وعلوم سیاسی [مجلة الحقوق والعلوم السياسية لجامعة طهران] فصلية .
١٠. نشریه دانشكده ادبيات وعلوم انسانی دانشگاه تبریز [مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة تبريز] فصلية تأسست عام ١٩٥٨ ، مستمرة إلى الآن .
١١. مجله دانشكده ادبيات وعلوم انسانی دانشگاه فردوس مشهد [مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة فردوس في مشهد] فصلية ، تأسست عام ١٩٦٥ م ومستمرة إلى الآن .
١٢. مجله یغما [مجلة يغما] الشهرية . أسسها حبيب يغمائي عام ١٩٤٨ م واستمرت حتى عام ١٩٧٨ م لمدة ثلاثين عامًا .
١٣. مجله فرهنگ ایران زمین [مجلة ثقافة بلاد إيران] فصلية . أسسها مجموعة من الأساتذة بإشراف ابرج افشار عام ١٩٥٣ م صدر منها لحد الآن (٢٨) جزءاً آخرها عام ١٩٨٩ م .
١٤. مجله راهنمای کتاب [مجلة دليل الكتاب] من أقدم المجلات المهمة بتعريف ونقد الكتب الفارسية ، أسسها إحسان يارشاطر وكان يرأسها ابرج افشار ، تأسست عام ١٩٥٨ م واستمرت حتى عام ١٩٧٨ م .
١٥. مجله نشر دانش [مجلة العلم] فصلية . تصدرها لجنة الكتب الجامعية ، برئاسة د. نصر الله پور جوادي ، تأسست عام ١٩٨٠ م ومستمرة إلى الآن .
١٦. مجله کیهان اندیشه [مجلة كيهان الفكرية] مجلة شهرية . تصدرها مؤسسة كيهان منذ عام ١٩٦٨ م متخصصة بشؤون الفكر والفلسفة .
١٧. مجله کیهان فرهنگی [مجلة كيهان الثقافية] مجلة شهرية . تصدرها مؤسسة كيهان منذ عام ١٩٨٤ م مهتمة بشؤون الفكر والثقافة في إيران .

- ١٨ . مجله آينه پژوهش [مرآة التحقيق] تصدرها دفتر التبليغ الإسلامي في قم منذ ١٩٩٠م مهتمة بقضايا نقد وتقديم الكتب والبحوث .
- ١٩ . مجله ايران شناخت [معرفة إيران] مجلة متخصصة بقضايا آسيا الوسطى والقفقاز (القوقاز) منذ عام ١٩٩٥م .
- ٢٠ . مجله تاريخ وفرهنگ معاصر [التاريخ والثقافة المعاصرة] تصدر منذ ١٩٩١م ، يرأس تحريرها السيد هادي خسرو شاهي متخصصة بالتاريخ والثقافة الإيرانية المعاصرة .
- ٢١ . مجله تحقيقات اسلامي [الدراسات الإسلامية] تصدر سنوياً عددتين منذ ١٩٦٨م ، من دائرة المعارف الإسلامية ، وفيها دراسات تاريخية وثقافية .
- ٢٢ . مجله التوحيد [التوحيد] مجلة باللغة العربية تصدر منذ ١٩٨٣م متخصصة بالثقافة والفكر الإسلامي وتغطي قضايا وشؤون الجمهورية الإسلامية .
- ٢٣ . چكيده پايان نامه های ايران [خلاصة الرسائل الجامعية في إيران] تصدر منذ ١٩٩٣م ، تصدرها مركز الاطلاعات والوثائق العلمية في إيران .
- ٢٤ . مجله مشکوة [المشكاة] مجلة دراسات ثقافية إسلامية . تصدر منذ ١٩٨٢م في خراسان عبر مؤسسة الدراسات الإسلامية .
- ٢٥ . مجله وقف ميراث جاويدان [الوقف ، التراث الخالد] مجلة دراسات حول الدراسات الإسلامية والوقف تصدر منذ ١٩٩٣م ، تصدرها منظمة الأوقاف الإيرانية .

بعض المصادر المهمة عن العالم الإسلامي في باكستان

الدكتور ظهور أحمد أظهر (*)

المستخلص

تركّز الدراسة على سبعة مصادر كبرى ، وهي : (١) «دائرة المعارف الإسلامية الأردنية» التي أنجزتها جامعة البنجاب ، وهي تقع في (٢٦) مجلدًا ، أنجزت خلال أربعين سنة تقريبًا ، وهي موسوعة ضخمة عن العالم الإسلامي : ماضيه وحاضره ، وتشتمل على أكثر من عشرة آلاف مادة ، تقع في أكثر من ثلاثين ألف صفحة . وهي تعتمد على دائرة المعارف الإسلامية التي أعدها المستشرقون ونشرتها الأكاديمية الملكية في لندن بهولندا . ولكن مواد الدائرة الأصلية قد أخذت بكل حذر واحتياط ، وتم حذف كثير من المعلومات ، وإضافة عدد كبير من المقالات الجديدة الأصلية بأقلام علماء من داخل باكستان وخارجها . وقد أعطت الدراسة بعض المواد كنماذج على الجهد الذي بذل في الدائرة ، مثل : «قرآن مجيد» ، ومادة «محمد» صلى الله عليه وسلم ، كما تتضمن الدراسة عرضًا مفصلاً لهذه المقالات لبيان مدى ما تضمه من معلومات .

(٢) «التاريخ الأدبي لمسلمي شبه القارة الباكستانية الهندية» ، ويقع في (١٩) مجلدًا ، وهو من المصادر المهمة عن الأدب الإسلامي في باكستان بالمفهوم الواسع ،

(*) عميد كلية الدراسات الإسلامية والشرقية ، جامعة البنجاب بلامهور .

وهو يعطي صورة جامعة عن تاريخ المسلمين الحضاري والثقافي والعلمي والديني والفكري في شبه القارة عبر العصور ، وعلاقات مسلمي شبه القارة بإخوانهم المسلمين فيما وراء النهر وبلاد العجم وغيرهم من المسلمين في العالم . وتستعرض الدراسة محتويات مجلدات هذا العمل .

(٣) و (٤) «تاريخ الفقه الإسلامي» ، و«فقهاء الهند» للشيخ محمد إسحق بهت من كبار العلماء . والكتاب الأول ، يتناول المجاميع والفتاوى الفقهية التي أصدرها العلماء عبر العصور في شبه القارة ، وقد أوردتها الدراسة على وجه الحصر . أما الكتاب الثاني ، فهو عن تاريخ الفقه الإسلامي وتراجم الفقهاء في شبه القارة ومؤلفاتهم وأعمالهم . (٥) «السيرة النبوية» ، وهي موسوعة ضخمة أصدرتها مجلة نقوش في (١٤) مجلدًا . وقد ألّمت الدراسة بمحتويات جميع المجلدات . (٦) «كشاف اصطلاحات الفنون» ، للتهانوي ، وهو من الكتب المعروفة في التراث العربي الإسلامي . وقد تناولت الدراسة مع هذا العمل عملاً في المجال نفسه وهو «دستور العلماء» . (٧) «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» لعبدالحى الحسني وابنه أبو الحسن الندوي . وهو موسوعة معجمية كبرى لتراجم العلماء والأعيان في شبه القارة .

بعض المصادر المهمة عن العالم الإسلامي في باكستان

إن مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي -دينًا وأمة- والتي هي إنتاج العلماء الأجلاء والأساتذة الأفاضل من أبناء الأمة الإسلامية في جمهورية باكستان الإسلامية، وما إليها من مناطق شبه القارة، لكثيرة جدًا، وهي تحتوي على المعلومات القيمة عن تاريخ الإسلام وعقائده وعباداته، وعن المسلمين -أفرادًا وشعوبًا- وبلادهم وحكوماتهم وثقافتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وعن نشاطاتهم في المجالات المختلفة. وإن الاطلاع على تلك المصادر أو الدراسة لها، تعطي فكرة واضحة عن اهتمام العلماء الأجلاء والمؤلفين الأفاضل بما كان، ولا يزال، يجري من الوقائع والأحداث، ليس في جنوب آسيا فحسب، بل في أنحاء العالم الإسلامي كافة، وفي شتى المجالات. وهذه المصادر القيمة، على اختلافها وتنوعها، في مستوى جيد، وبكمية كبيرة، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على الاطمئنان على مستقبل زاهر للأمة، كما يدل على وجود تراث غال عن ماضيها المجيد، وفوق ذلك كله، فإن هذه الثروة المتوفرة من المعلومات الواسعة عن الإسلام والأمة الإسلامية بأقلام أبنائها في هذه المناطق، لموضع فخر واعتزاز، وطمأنينة، وبهجة دائمة.

وهذه الإصدارات الكثيرة من المصادر المتنوعة عن العالم الإسلامي في باكستان، لم تكن نتيجة الجهود الفردية فحسب، وإنما شاركت في إنتاجها وإعدادها مؤسسات ومعاهد لها تاريخها ومكانتها في المجالات العلمية والأدبية، وأما التعريف بها، أو تناولها عرضاً ودراسةً ونقدًا، فذلك مما يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد. إذن، فسوف نكتفي هنا بالإيجاز والانتصاب، بل نلجأ إلى الإجمال أحيانًا.

وستتناول هنا، من بين هذه المصادر القيمة المتنوعة، بين قديمها وحديثها، ما يأتي: (١) دائرة المعارف الإسلامية الأردنية. (٢) التاريخ الأدبي لمسلمي شبه القارة

الباكستانية الهندية . (٣) تاريخ الفقه والفقهاء . (٤) كشاف اصطلاحات الفنون . (٥) دستور العلماء . (٦) نزهة الخواطر . (٧) والعدد الممتاز لمجلة (نقوش) عن السيرة النبوية .

وأما أهم هذه المصادر الإسلامية القيمة، وأولها، بل على رأسها، فهي دائرة المعارف الإسلامية الأردنية، والتي قد تم إنجازها وطباعتها خلال أربعين عاماً تقريباً، وفي ستة وعشرين مجلداً ضخماً، وعلى أكثر من ثلاثين ألف صفحة ذات العمودين من القطع الكبير، بالإضافة إلى طبعتها الموجزة وتكملتها الكبيرة، والفهارس الفنية لموضوعاتها ومؤلفيها وكتّابها. والجدير بالذكر، بهذه المناسبة، أن العديد من الجهات والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي، وخاصة في تركيا ومصر وإيران، كانت قد قررت إصدار موسوعة إسلامية شاملة على أساس ونمط الموسوعة الإسلامية الإنجليزية، التي أصدرتها الأكاديمية الملكية الهولندية في ليدن، ولكنها كلها، مع الأسف، لم تتمكن من إنجازها وإكمالها إلى الآن، وإنما توقف عملها ونشاطها، أو تأخر لسبب أو لآخر، غير جامعة البنجاب بلاهور في باكستان، والتي كانت قد قررت إعداد دائرة المعارف الإسلامية الأردنية (وهي لغة باكستان القومية اليوم) واستمرت جهودها، رغم المشاكل والعقبات، إلى أن حققت إنجازها في غضون أربعين عاماً تقريباً^(١).

ويجدر بنا الإشارة إلى أن إعداد الموسوعات العلمية في الأمة الإسلامية قديم جداً، فقد حازت هذه الأمة قصب السبق على غيرها من الأمم في هذا المجال، حيث ألف علماءها الأجلاء وكتّابها الأفاضل كتباً موسوعية كثيرة، لها مكانتها الموسوعية، وقد اعترف بها أهل العلم في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، وأما إعداد الموسوعة الإسلامية الأولى بمعنى الكلمة، فإن الفضل في ذلك يرجع إلى جامعة البنجاب^(٢). وأول من اقترح إعداد هذه الموسوعة الإسلامية باللغة الأردنية على أحدث النظم هو الأستاذ الدكتور المولوي محمد شفيع (المتوفى ١٩٦٤م) من عمداء الكلية الشرقية

لجامعة البنجاب ، وذلك في عهد الاستعمار البريطاني ، سنة ١٩٤٠م ، ولكن الإنجليز أسقطوا هذه الفكرة ورفضوا تمويلها^(٣) وتحقيقها . ثم أعاد الفكرة وكرّر الاقتراح بها المغفور له الأستاذ الدكتور سيد عبدالله (المتوفى ١٩٨١م) أستاذ اللغة الأردية بالجامعة ومن عمداء الكلية الشرقية بعد إنشاء باكستان في الخمسينيات ، فوافقت عليها سلطات جامعة البنجاب ، واتخذ مجلسها التنفيذي قراراً في سنة ١٩٥٠م ، ينص على تبني هذا المشروع العظيم ، من إعداد «دائرة معارف إسلامية أردية» ، تضم معلومات قيمة جمّة عن الإسلام وأمته ، في كل زمان ومكان ، وعلى أوسع نطاق ، وتستوعب العقائد والعبادات الإسلامية ، بأنواعها ، بالإضافة إلى الموضوعات التاريخية والحضارية والثقافية والعلمية والأدبية لكل شعب من شعوب العالم الإسلامي ، بما في ذلك أعلام الدول الإسلامية وقادتها ، ومدنها التاريخية وبلادها الواسعة ، وعاداتها المعروفة وتقاليدها المتعارف عليها ، إلى غير ذلك من الموضوعات والمعلومات .

وبعد ذلك القرار التاريخي العظيم الذي اتخذه مجلس الجامعة التنفيذي ، تحولت المسؤولية إلى المجلس الإداري للموسوعة (والذي ترأسه الدكتور مولوي محمد شفيق المار ذكره ، كأول رئيس تحرير للموسوعة) ، والمكون من أساتذة الجامعة والعلماء الخبراء في مجال البحث والتحقيق والتأليف . ونظراً إلى ما كان يواجهه العالم الإسلامي ، وخاصة في تلك الآونة ، من قلة الخبرة المطلوبة والوسائل اللازمة ، فقد تقرر الاستفادة ، مع كل تحفظ وحذر واحتياط ، من دائرة المعارف الإسلامية الإنجليزية ، التي أعدتها ونشرتها الأكاديمية الملكية الهولندية في ليدن ، وكانت عبارة عن أربعة أجزاء ضخمة مع ملحق كبير . وقد شارك في إعدادها أعلام المستشرقين من أوروبا وأمريكا بالإضافة إلى بعض الأساتذة والكتاب البارزين من العالم الإسلامي الموثوق بهم عند المستشرقين . وقد استغرق صدور طبعها الأولى (أربعة مجلدات وملحق) ثلاثين عاماً (من ١٩٠٨ إلى ١٩٣٨م)^(٤) . ولكن المستشرقين ، ومن اليهم من المشاركة ، مهما كان مبلغهم من العلم ، وأيا كان موقفهم من الإسلام ، وحيثما كانوا في بلاد الغرب والشرق ، فإن لهم وجهة نظر خاصة بهم ، ولهم أهداف معينة وأغراض منشودة ، وذلك مما جعل

المجلس الإداري للموسوعة يقرر اتخاذ موقف الحذر والاحتياط والتحفظ تجاه ترجمة الموسوعة الإنجليزية أو الاستفادة منها، وذلك بعد أن سمحت له الأكاديمية الملكية الهولندية بالترجمة والاستفادة من موسوعتها. وقد كان مما اتفق عليه المجلس الإداري لدائرة المعارف الإسلامية الأردنية، ما يأتي^(٥): (١) تترجم مقالة بكاملها إلى الأردية إذا لم يوجد فيها ما يسيء إلى الإسلام ومقدساته، مع إضافات جديدة في متن المقالة بين القوسين أو كملحوظة في نهايتها، إذا كان لابد من ذلك، واقتضته الحال. (٢) ويحذف من المقالة ما يسيء إلى الإسلام ومقدساته من آراء المستشرقين المغرضة أو الباطلة مع إضافة المعلومات الصحيحة المفيدة. (٣) وتطرح المقالة بكاملها وتستبدل بجديدة، وذلك إذا كانت تمثل النوايا الخبيثة والأفكار الهدامة للمستشرقين، ولم ينفع الحذف من المقالة أو الإضافة إلى متنها عند ترجمتها. (٤) وقد أضيفت مقالات جديدة عن موضوعات مهمة كثيرة، قد أهملتها الطبعة الإنجليزية الهولندية، كما أضيف عدد لا بأس به من المقالات الجديدة عن موضوعات تخص تاريخ الإسلام والمسلمين في شبه القارة^(٦).

إذن، فإن دائرة المعارف الإسلامية الأردنية التي تم إعدادها وإنجازها ونشرها في ستة وعشرين مجلداً ضخماً تحت إشراف جامعة البنجاب (وهي أقدم الجامعات في باكستان وأكبرها، فقد احتفلت بذكرائها المئوية الأولى في ١٩٨٢م)، وإن كانت تقوم أساساً على الموسوعة الإنجليزية الهولندية، ومعظم موادها أو مقالاتها نصوص مترجمة أو مستفادة من الأصل الإنجليزي، لكنها في الوقت نفسه تضم الكثير من الأصالة، وقد مرت موادها أو مقالاتها المترجمة بأيدٍ مسلمة أمينة يمكن الاعتماد عليها والثقة بها، وإن الجهود المشكورة التي أنتجت وأخرجتها من العدم إلى حيز الوجود لا يرجع الفضل فيها، وفي إصلاح المقالات وتصحيحها وتعديل في موادها أو الإضافة إليها، إلى الأساتذة الأفاضل الجامعيين والعلماء الأجلاء من داخل باكستان فحسب، بل يشاركونهم في ذلك إخوانهم من خارج باكستان من البلاد العربية والإسلامية، وذلك لأن المجلس الإداري والقائمين بإعداد الموسوعة الإسلامية الأردنية قد استفادوا مما نشر من دائرة

المعارف الإسلامية التركية، كما استفادوا مما نشر من دائرة المعارف الإسلامية العربية في مصر، إلى جانب الاستفادة من دائرة المعارف للأستاذ محمد فريد وجدي المصري، ودائرة المعارف التي أعدها بطرس البستاني^(٧).

ومن أبرز المزايا والخصائص، التي يمتاز بها هذا العمل الأدبي العلمي العظيم، أن دائرة المعارف الإسلامية الأردنية هذه قد اكتملت قبل سنتين أو أكثر، وهي تتكون من ستة وعشرين مجلدًا ضخمًا، ولا يقل عدد صفحاتها عن ثلاثين ألف صفحة ذات العمودين من قطع كبير، وهي تحتوي على أكثر من عشرة آلاف مادة أو مقالة، وحتى إن بعض هذه المقالات أو المواد يضم العديد من المقالات الضمنية أو الفرعية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نتناول للدراسة بعضها لكي نتمكن من أخذ فكرة عن ذلك العمل العلمي العظيم، أو الإنجاز العظيم (كما يسميه القائمون بإعداد الموسوعة في تعريفهم بها)^(٨). فأولها والتي نفضلها على غيرها من المقالات، هي مقالة أو مادة «محمد» (رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٩)، إنها ليست مقالة أو مادة واحدة فقط، وإنما هي كتاب مستقل يضم العديد من المقالات أو الموضوعات الفرعية، وكل مادة منها تستحق أن تعد مقالة مستقلة، وهي كل واحدة منها، لكتاب مستقل. وكل مقالة أو مادة فرعية تغطي جانبًا معينًا من حياة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسيرته العطرة؛ فالمقالة الفرعية الأولى من ضمن مادة «محمد» (رسول الله صلى الله عليه وسلم) للأستاذ الدكتور حميد الله، عن حياة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من مولده إلى وفاته، مع نبذة من خلقه وهديه، وما قام به من تبليغ الرسالة وتكوين الأمة وتأسيس الدولة^(١٠). والمادة الثانية أو المقالة الفرعية الثانية عن شمائله وأخلاقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم^(١١)، وقد فصل الكاتب القول فيها عن جميع جوانب الخلق والشمائل النبوية. والمقالة الفرعية الثالثة عن دعوته وتبليغ رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس^(١٢)، وهي تغطي جميع الجوانب عن الدعوة الإسلامية خلال العهدين المكي والمدني. والمقالة الخاصة أو الفرعية الرابعة هي عن ميثاق المدينة المنورة، والذي أعطاه الرسول الشارع صلى الله عليه وسلم لأمته خاصة ولل بشرية عامة بعد هجرته إلى

يثر^(١٣)، وتضم المعلومات القيمة التي جاءت في كتاب خالد عن ميثاق المدينة للأستاذ الدكتور حميد الله، والذي سمّاه مؤلفه بالوثائق السياسية عن عهد الرسالة والخلافة الراشدة، وفي هذا الكتاب ذكر المؤلف - وهو على حق في ذلك - بأن ذلك الميثاق، هو أول دستور مكتوب محفوظ في التاريخ البشري المعلوم اليوم^(١٤).

والمقالة الفرعية الخامسة الخاصة بالمعاهدات النبوية للقائد العسكري الفريق (كل زار أحمد)، رحمه الله (وله بحوث غزيرة ومؤلفات عديدة عن السيرة النبوية العطرة). وقد تناول فيها الكاتب معاهدة صلح الحديبية، وفتح خيبر وفدك وتيماء وجرباء وأذرح وأكد دومة الجندل، بالإضافة إلى ميثاق المدينة^(١٥). والمقالة السابعة من بين هذه المقالات الفرعية، هي عن نظام الحكم والإدارة في العهد النبوي^(١٦)، وقد أعدها الدكتور حميد الله. والمادة الثامنة أو المقالة الفرعية الثامنة التي تأتي ضمن مقالة أو مادة محمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم) هي عن مكانته التشريعية بصفته شارعاً ومقتناً^(١٧)، وهي تتناول التشريع الإسلامي خلال العهدين المكي والمدني، كما أنها تتناول أفضية الرسول صلى الله عليه وسلم وفتاواه في شتى المناسبات^(١٨). وأما المقالة الفرعية التاسعة، فهي عن البلاغة النبوية، وهي لكاتب هذا البحث. وقد تناول فيها جوانب البلاغة النبوية وعناصرها التي أثرت في تكوين الأسلوب البلاغي النبوي، وهي عصمة الله عز وجل وحمايته لرسوله الخاتم، وبلاغة القرآن الكريم والبيئة القرشية الهاشمية وبلاغة بني سعد، كما أن الكاتب قد نبه على الفروق التي توجد بين بلاغة القرآن الكريم وبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم بصفته بشراً عربياً من قريش، بالإضافة إلى الإشارة إلى الخطب النبوية وأساليبها البلاغية^(١٩). والمقالة العاشرة عن مكانة المرأة ومنزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعتراف بحقوقها، ولأول مرة في التاريخ البشري، والأمر بتكريمها^(٢٠).

وأما المقالة الفرعية الحادية عشرة فقد خصصت للمعجزات النبوية وأن معجزته الخالدة هي القرآن الكريم، بل هو معجزة المعجزات، ففيه معجزات قد شاهدها الإنسان

المعاصر لنزول الوحي الرباني، وقد تحققت ورآها البشر في وقتها، ومنها المعجزات القرآنية التي يشاهدها، وسوف يظل يشاهدها البشر، في كل مكان وزمان، إذ القرآن الكريم آخر رسالات الله إلى الناس، وهي باقية دائمة خالدة، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه^(٢١). والمقالة الثانية عشرة من بين هذه المقالات أو المواد الفرعية من مادة «محمد» صلى الله عليه وسلم، خصصت للمصادر والمراجع عن السيرة النبوية العطرة، بين قديمها وحديثها بشتى اللغات، أولها وعلى رأسها: اللغة العربية، وهذا الكشف لمصادر السيرة النبوية طويل ومسهب، وقد شارك في إعداداته العديد من الأساتذة والكتّاب^(٢٢).

فهذا عرض موجز لهذه المقالة الطويلة أو المادة التي عنوانها «محمد» رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشتمل على أكثر من ثلاثمائة صفحة، وقد خصصها المجلس الإداري للموسوعة الإسلامية الأردية عن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله إلى كافة البشر، ويقول رئيس تحرير الموسوعة في مدخل المقالة^(٢٣)، عاملاً بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية. وقد تم إعداد هذه المقالة بكل تكريم واحترام وحزم واحتياط وعلى خشية من الله عز وجل، حتى لا يبادر لسان القلم بكلمة لا تليق بمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمته، لأنها مقالة تختلف عن بقية المقالات أو المواد، فهي عن شخصية تحتل مكانة مركزية من إيماننا وإسلامنا، إذ هو قطب تدور حوله حقائق الكون كله، وقد حاولنا أن نعد هذه المقالة من المصادر الموثوق بها، وحتى لا نكون من المسيئين إلى منصب الرسول صلى الله عليه وسلم السامي وعظمته في نفوس أمته، والرجاء من قراء هذه المقالة، قراءة المقتالتين الآخرين، أولاهما عن السيرة النبوية^(٢٤)، والمقالة الثانية التي تضمها موسوعتنا هذه عن علم السيرة وكتّابها، حيث رتبنا كتب السيرة ترتيباً زمنياً حسب مكانتها كمرجع، ودرجتها في الثقة والاعتماد. وهذا المدخل لا يحتاج إلى تشريح أو توضيح، ويدل على اهتمام المجلس الإداري بمكانة سيدنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم وسيرته الموثقة الصحيحة لكي يطلع عليها المسلم دون تردد أو ريبه ، كما يدل على اهتمامهم بالمعلومات الأخرى التي جاءت في بقية المواد من موسوعتهم هذه . وبحسنا هذا الموجز ، وإن كان لا يسع التفاصيل الزائدة ، إلا أن الإمام ببعض المواد الموسوعية الأخرى ، سوف يفيد القارئ العربي في تقدير الموضوع الذي نحن الآن بصده .

فلنأخذ مقالة أخرى ، بالإضافة إلى ما مرّ من مقالة عن مادة «محمد» - رسول الله صلى الله عليه وسلم - ، من بين مقالات الموسوعة هذه للدراسة على سبيل المثال لا الحصر ، وهي مقالة طويلة عن «القرآن المجيد» ، وتضم العديد من المقالات أو المواد الفرعية ، وتتناول كل مادة منها جانباً معيناً من جوانب كتاب الله عز وجل ، وهي إنتاج العديد من الكتّاب والباحثين البارزين ، فالمادة الأولى أو المادة الفرعية الأولى عن أصل كلمة القرآن واشتقاقها ، وأسماء القرآن الكريم الأخرى المستخرجة أو المستنبطة من آياته البينات ، ويصرح كاتب المقالة بأن اسم القرآن الكريم قد تكرر في المصحف المبارك ستاً وستين مرة ، وأن من أسمائه الواردة في آياته الكريمة ، الفرقان والكتاب والذكر ، وقد ذكر اثنين وثلاثين اسماً من بين أسمائه الصفاتية المقتبسة من آياته البينات كالمبارك والحكيم والمجيد والتنزيل ، إلخ ، كما تحدث عن الوحي وأقسامه وفترته ، والمكي والمدني من السور ، وعن رموز التلاوة وآدابها ، وعلامات الوقف^(٢٥) . ثم تأتي المقالة الفرعية الثانية ، من ضمن مادة (قرآن مجيد) عن الحروف المقطعات في أوائل بعض السور القرآنية ، وقد جاءت فيها وجوه التأويل على ما ورد من الآثار والأقوال في ذلك ، وهي اثنا عشر وجهاً^(٢٦) . والمقالة الفرعية الثالثة عن «السبعة أحرف» ، وهي ترجع إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف فافقرأوا ما تيسر منه^(٢٧) . والرابعة عن جمع القرآن وتدوينه وحفظه ، أولاً في ضوء ما جاء في القرآن الكريم نفسه عن ذلك ، ثم ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم^(٢٨) . وقد جاءت مقالة فرعية مستقلة عن جمع القرآن وتدوينه رسمياً في عهد أبي

بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهي المقالة السادسة من ضمن مادة «قرآن مجيد» . والمقالة السابعة عن كَتَبَةِ الوحي وتراجمهم ومكانتهم في الصحبة النبوية واهتمامهم بكتابة التنزيل المبارك^(٢٩) .

وأما المقالة الفرعية الثامنة فهي عن رسم المصحف الشريف ، وفي شرح ما ورد عن القواعد الستة للرسم القرآني وهي : الحذف والزيادة والهمزة والبدل والفصل والوصل^(٣٠) . كما أن المقالة التاسعة ، من بين هذه المقالات الفرعية ، عن القراء السبعة وقراءاتهم بالإضافة إلى أشهر تلاميذهم ومن روى^(٣١) عنهم قراءاتهم . والمقالة العاشرة تتضمن ما جاء عن النقط والإعجام والحركات^(٣٢) . والمقالة الحادية عشرة ، وهي أطول مقالة من بين هذه المقالات الفرعية التي جاءت ضمن مادة «قرآن مجيد» ، عن موضوعات القرآن الكريم ومحتوياته ، فأول هذه الموضوعات ، وعلى رأسها ، هو الله جل جلاله ، من وجوده وتوحيده وتنزيهه ، والشرك بالله إلى غير ذلك من الموضوعات والمحتويات ، وقد ذكر منها الكاتب ثمانية وعشرين^(٣٣) موضوعاً . والثانية عشرة عن فضائل القرآن الكريم وآدابه^(٣٤) . والمقالة الثالثة عشرة عن إعجاز القرآن الكريم وتحدث فيها الكاتب عن معنى الإعجاز لغةً واصطلاحاً ، ثم تناول وجوه الإعجاز فذكر منها عشرة وجوه ، ثم تحدث عن علوم البلاغة وأشهر الكتب المؤلفة فيها . ثم تأتي المقالة الفرعية الرابعة عشر وهي عن قصص القرآن الكريم ، وتشمل قصص جميع الأنبياء والرسل الذين قصهم الله تعالى على رسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم ، بمن فيهم هو نفسه صلى الله عليه وسلم ، كما نص عليه الوحي المكي والمدني من الوقائع والأحداث عن السيرة العطرة ، بالإضافة إلى قصص أنبياء بني إسرائيل الذين أشار إليهم الكتاب العزيز ، وقصص الأشخاص الأعلام المذكورين في القرآن الكريم غير الأنبياء ، مثل قصة مريم ، وامرأة فرعون ، ولقمان ، وأصحاب الكهف ، والسبت ، وغيرهم^(٣٥) . وتتلوها المقالة الخامسة عشر عن علوم القرآن الكريم كعلم التفسير ، بأصوله وأنواعه وأشهر كتبه كالطبري والبغوي والزمخشري والرازي وابن كثير وبعض التفاسير الحديثة ، وكعلم

القراءات ورسم القرآن الكريم وإعجازه وغريبه ، وعلوم النحو واللغة والأدب وغيرها من العلوم التي تمت بصلة إلى الكتاب العزيز ، وأشهر الكتب المؤلفة في هذه العلوم القرآنية ، وقد استقصاها الكاتب فجمع منها ستمائة كتاباً ، وتنتهي هذه المقالة عن علوم القرآن بترجمات معانيه في شتى لغات العالم ، ومنها الأردنية مع نماذج الخط القرآني عبر العصور (٣٦) .

ولكي نعطي صورة واضحة كاملة للقارئ العربي الكريم عن دائرة المعارف الإسلامية الأردنية ، ومادتها الدسمة الغزيرة ، نشير إلى أطول مقالة فيها ، وهي عن فنون المسلمين الجميلة^(٣٧) ، والتي تضم خمس عشرة مقالة فرعية طويلة ، وهي الفن ، معناه ومدلولاته ، وفن الشعر في اللغات الإسلامية المختلفة ، وعلى رأسها وأولها العربية ، والموسيقى والرسم والفن المعماري والخط والتجليد والتذهيب ، والتكفيت والفخار . . . إلخ . علماً بأن هذه الفنون الجميلة كلها قد جاءت عنها مقالات مستقلة مفصلة في مواضعها من الترتيب المعجمي لدائرة المعارف الإسلامية الأردنية ، وهذه المقالة الطويلة تتكون من خمسمائة صفحة تقريباً !

وجملة القول : إن دائرة المعارف الإسلامية الأردنية تمثل جهوداً جبارة بذلها القائمون بإدارتها ، وتمتاز بما قاموا به من إصلاح وتصحيح وتعديل وتجديد وإضافة إلى ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية الإنجليزية ، فمن المقالات الجديدة التي أضيفت إلى النص الأردني ، ولم تكن موجودة في النص الإنجليزي ، أو كانت ولكنها كانت مليئة بالآراء الباطلة والأفكار الهدامة والأهداف الخبيثة التي جبل عليها بعض المستشرقين ، وعلى رأس هذه المقالات الجديدة وأهمها تراجم الأعلام البارزين من زعماء المسلمين وعلمائهم وأدبائهم وشعرائهم من العالم الإسلامي المعاصر ، وخاصة من شبه القارة الباكستانية الهندية ، ونخص بالذكر من بين هذه المقالات الجديدة مقالة «الله جل جلاله» ، و «محمد» (صلى الله عليه وسلم) ، والقرآن الكريم ، والحديث النبوي

وأصوله، والفقه الإسلامي وأصوله، ومقالة عن الحدود الشرعية والتعزيرات، ومقالة عن علوم المسلمين وفنونهم بالإضافة إلى ما كتب عن المسلمين وبلادهم وآدابهم في جنوب آسيا أو شبه القارة الباكستانية الهندية^(٣٨).

وهذا العمل العظيم، الذي أنجزته جامعة البنجاب، رغم الصعوبات والعقبات من قلة الوسائل والتقصّف المالي، قد نال إعجاب أهل العلم في الشرق والغرب، وقد سجلوا ذلك في آرائهم عن هذا المشروع العظيم، والتي نشرها المجلس الإداري للموسوعة في كتاب، كما أن حكومة باكستان قد أشادت بهذا المشروع العظيم وقدرت جهود القائمين بإدارته وإكماله^(٣٩).

وقبل أن ننهي الحديث عن دائرة المعارف الإسلامية الأردنية ونتقل إلى موضوع آخر عن مشروع أدبي عظيم قد أنجزته، هو الآخر، جامعة البنجاب، وهو مشروع التاريخ الأدبي لمسلمي شبه القارة الباكستانية الهندية قبل هذا يجدر بنا أن نشير إلى أن المجلس الإداري للموسوعة قد اتخذ قراراً لإخراج طبعة موجزة لها، وفعلًا، طبع المجلد الأول منها بالإضافة إلى إعداد الكشاف الكامل للموضوعات أو مواد الموسوعة، وفي الوقت نفسه بدأ الاستعداد للطبعة الثانية، مع إضافات جديدة من الموضوعات والمواد، ومن المتوقع أن يصل عدد المجلدات إلى ثلاثين مجلدًا، وعدد الصفحات قد يتجاوز أربعين ألف صفحة.

وأما «التاريخ الأدبي لمسلمي شبه القارة الباكستانية الهندية» (واسم الكتاب بالأردية تاريخ أدبيات مسلماناں باكستان وھند) فهو من المصادر المهمة عن الأدب الإسلامي في باكستان. ويأتي بعد دائرة المعارف الإسلامية الأردنية، وهو مشروع أدبي عظيم قد أنجزته أيضًا جامعة البنجاب بـلاهور، وهو كموسوعة أدبية كبيرة من تسعة عشر مجلدًا، يعطي صورة جامعة عن تاريخ المسلمين الحضاري والثقافي والأدبي والعلمي والديني والفكري في القارة عبر العصور، في كل ناحية من نواحي البلاد، حيث نزل بها المسلمون ووصل

إليها الإسلام دين الله الحق ورسالته الصادقة الأخيرة إلى البشر أجمعين . كما أنه يصور لنا جوانب الصلات بين إخوانهم في العالم العربي بعواصمه الثقافية ومعاهده الأدبية ، وبين بلاد شبه القارة ، حين كان الإسلام يحكمها طوال القرون الطويلة الماضية ، كما يقدم لنا صوراً مشرقة مضيئة عن علاقات مسلمي شبه القارة بإخوانهم في ما وراء النهر وبلاد العجم ؛ فقد كانت القوافل الثقافية والأدبية والفكرية تأتي إلى شبه القارة الهندية الإسلامية آنذاك ، من العالمين العربي والإسلامي ، بشكل المتوافدين من العلماء والأدباء والشعراء والمبلغين ، أو بشكل العائدين إلى بيوتهم من الطلاب والدعاة ، بعد أن أكملوا دراساتهم وارتووا من حياض المعارف والآداب ، وقد حملوا معهم كثيراً من المعارف والآداب وقليلاً من الكتب المؤلفة لأعلام الشرق الإسلامي كله .

فهذه الموسوعة الأدبية العظيمة إنما هي تاريخ حافل لهذه القوافل ولهؤلاء المتوافدين والعائدين ، كما تتضمن تاريخ اللغات المختلفة وآدابها الواسعة الجمة بما فيها العربية ، لغة القرآن الكريم ، ولغة المعارف الإسلامية ، تلك اللغات المختلفة التي تعلمها أو تحدث بها المسلمون في كل زمان ، وفي كل ناحية من بلاد شبه القارة التي يقطنها المئات من الشعوب والأجناس^(٤٠) البشرية المختلفة ، وكل شعب أو جنس له لغته المستقلة الخاصة به . وهذه اللغات لها آدابها الواسعة وعلومها الجمة وثقافتها المتميزة وحضارتها المنفردة ، فالتاريخ الأدبي لمسلمي شبه القارة الباكستانية الهندية ، والذي أنجزته جامعة البنجاب ، يسجل المعلومات الدسمة والمعارف الغزيرة عن ذلك التبادل الثقافي وتلك النشاطات الأدبية التي استمرت عبر القرون^(٤١) .

وقد بدأ هذا المشروع في ١٩٦٣م تحت إشراف البروفيسور حميد أحمد خان - رحمه الله - (الشقيق الأصغر للشيخ ظفر علي خان الشاعر الصحفي والصادق الوفي للملك عبدالعزيز بن سعود رحمه الله ومن أكبر أنصاره ومؤيديه في^(٤٢) شبه القارة آنذاك) ، واكتمل في ١٩٧٣م حيث استغرق إعدادة عشر سنوات . والكتاب يحتوي على

تاريخ ست عشرة لغة وآدابها في شبه القارة، وهي العربية والفارسية والأردية والبنغالية والبنجابية والسندية والبشتوية والبلوذية والبراهوية والكشميرية والسرائيكية والهندكوية والبلتية والشينائية والبروشسكية والخوارية. فأما العربية فقد كانت ولا زالت لغة الدين والعقيدة لمسلمي شبه القارة، ولم تكن لغة البلاد الرسمية إلا خلال الفترة الوجيزة التي تلت الفتح الإسلامي على يد القائد العربي اليافع محمد بن القاسم الثقفي^(٤٣)، رحمه الله. وأما الفارسية فقد بقيت كلغة البلاد الرسمية ولغة الثقافة وأداة التعليم خلال الحكم الإسلامي لشبه القارة منذ الفتح الغزنوي لبلاد شبه القارة حتى نهاية الحكم المغولي (من ١٥٢٦ إلى ١٨٥٧ م). وأما اللغة الأردية فقد نشأت في ظل الإسلام وتطورت على تغذية ثقافية ولغوية من اللغة العربية، لغة القرآن ولغة الدين والعقيدة، وعن اللغة الفارسية، لغة الثقافة والأدب وأداة التعليم لمسلمي شبه القارة واللغة الرسمية للبلاد خلال الحكم الإسلامي عبر العصور، وهي لغة باكستان القومية اليوم. كما أن البنغالية هي لغة بنغلاديش القومية، وتنطق اللغة البنجابية في إقليم البنجاب. كما أن السندية هي لغة إقليم السند، بينما تنطق البشتوية في سرحد أي إقليم باكستان الشمالي، وفي بعض مناطق إقليم بلوشستان. كما أن البلوذية والبراهوية أيضاً تنطقان في بلوشستان، والكشميرية هي لغة مسلمي كشمير، بينما تنطق السرائيكية في بعض مناطق بنجاب الجنوبية، والهندكوية في بعض مناطق إقليم الحدود الشمالي من باكستان. وأما اللغات الأربع الأخيرة، وهي البلتية والشينائية والبروشسكية والخوارية، فهي توجد في المناطق الشمالية الجبلية لباكستان. وهذه الموسوعة الأدبية العظيمة التي أعدها جامعة البنجاب تحتوي على تاريخ هذه اللغات وآدابها كلها في شبه القارة أو جنوب آسيا!

ويتكون هذا المشروع الأدبي العظيم من تسعة عشر مجلداً، موزعاً على الأدوار التاريخية واللغات وآدابها، فالدور الإسلامي الأول يبدأ بالفتح الإسلامي في أحراريات القرن الهجري الأول أي في ٧١٣ م، حين تم الفتح الإسلامي لمنطقة (مكران)، وينتهي هذا الدور بالفتح الغزنوي لمناطق الهند الشمالية، بما فيها لاهور وملتان، ويمتد إلى

أربعة قرون إلا الربع . وفي خلال هذه الفترة ظلت اللغة العربية وآدابها وثقافة العرب وحضارتهم غالبية مهيمنة على مناطق الشمال الغربي من شبه القارة^(٤٤) . والدور الثاني من الحكم الإسلامي في شبه القارة يشمل عهد الغزنويين والسلطين ، ويمتد إلى خمسة قرون تقريباً . وفي هذا العهد لم تعد للعربية مكانتها التي كانت تتمتع بها في الدور الأول ، وإنما حلت محلها الفارسية^(٤٥) . وأما الدور الثالث من الحكم الإسلامي في بلاد شبه القارة ، فهو العصر المغولي الذي استمر من ١٥٢٦م إلى ١٨٥٧م ، حين تم الاحتلال البريطاني لبلاد شبه القارة بعد أن أسقط الإنجليز الملك بهادر شاه ظفر ، وقبضوا عليه وقتلوا أولاده ونفوه إلى بورما حيث مات ودفن^(٤٦) . ويمتاز العصر المغولي بالغزو الثقافي الأجنبي والتيارات الأجنبية من الأفكار الهدامة ، والانطباع والتأثر البالغ بالمجتمع الهندوكي وتقاليده ، مع التطور الحضاري والمعماري والتعليمي ، ولولا الملك المغولي عالمكير ، والعلماء المكافحون من أمثال الشيخ أحمد السرهندي ، لانهسر المد الإسلامي ، ولغلبت الهندوكية والوثنية على العقول والأجسام معاً^(٤٧) !

ويقول رئيس تحرير الموسوعة الأدبية ، معرفاً بالمشروع العظيم للتاريخ الأدبي ما ترجمته^(٤٨) :

«وقد راعينا عدة أمور في تدوين هذا التاريخ الأدبي ، ومنها أنه لا يمكن اكتمال التاريخ الحضاري والأدبي لأمة من الأمم ، حتى تتم الدراسة النقدية الشاملة والمحاسبة السليمة المتعاطفة لنشاطاتها اللغوية والأدبية والاجتماعية بأسرها ، وعليه ، فقد حاولنا جاهدين أن ننبه على الخلفية الاجتماعية والفكرية للغة العربية والفارسية والتركية والأردية والبنغالية والبشتوية والبنجابية والسندية والبلوشية والكشميرية والبراهوية والبلتية والسينائية والبروشسكية والخوارية والهندكوية والسرائكية ، وكل لغة نطق بها أو يُنطق بها في باكستان ، وأنه يجب علينا أن ندون تاريخ شعبنا الأدبي بعد دراسة نقدية وتاريخية لكل ما تم إنتاجه من الابتكارات الأدبية ، سواء كانت على أساس الأمثال السائرة ، أم القصص

الشعبية، أم الأناشيد الوطنية التي تعبر عن الحماسة والشجاعة، أم التصوف، أم العواطف العميقة، أم على أساس نظرية الأدب للأدب، أم إرضاء الغريزة الإبداعية، أم التعبير عما يجول في طبيعة الإنسان من العواطف الجياشة، وقد حاولنا جاهدين أن نهتم بكل جانب من جوانب الحياة، وبكل أسلوب من أساليب اللغة، وبكل جهة من جهات الفكر، وهكذا نرى أن هذا التاريخ الأدبي يمثل ثقافتنا تمثيلاً شاملاً في أصح معاني الكلمة وأدقها».

والموسوعة الأدبية هذه لا تترك شاردة ولا واردة من تاريخ هذه اللغات وآدابها ولا تهمل جانباً من جوانبها، والدارس البصير لهذه المجلدات الكثيرة الضخمة التي تشتمل على أكثر من خمسة عشر ألفاً من الصفحات، يجد أمامه شعباً حياً، وصورة كاملة عن شعب حي بماضيه المجيد وتاريخه الحافل!

وينقسم كتاب التاريخ الأدبي، المكون من تسعة عشر مجلداً باللغة الأردية، والمحتوي لخمس عشرة ألفاً من الصفحات، والذي بدأ تأليفه في ١٩٦٣م واكتمل بإعداد فهارسه في ١٩٨٣م، إلى ما يأتي من الأقسام والتفاصيل:

١. المجلد الأول يمهّد الطريق كمقدمة لهذه الموسوعة العظيمة، ويشتمل على كلمة الافتتاح والمقدمة وأربعة أبواب، فالمقدمة تشتمل على التعريف بالمشروع، والأبواب الأربعة تسلط الضوء على الحضارة الإسلامية والعلوم المتداولة عند مسلمي شبه القارة وتطور الفكر الإسلامي في شبه القارة^(٤٩).

٢. والمجلد الثاني عن تاريخ اللغة العربية وآدابها، وقد شارك كاتب هذه الأسطر في تأليف هذا المجلد، وكان نائب رئيس التحرير في إعداده ومراجعته وسوف يمر بنا العرض السريع له.

٣. وأما المجلدات الثالث والرابع والخامس، فقد خصصت كلها لتاريخ اللغة الفارسية وآدابها في شبه القارة، فالمجلد الثالث عن العصور الأولى، كما أن المجلد الرابع منها يغطي المدة التي مضت قبل ١٧٠٩م، والخامس يتحدث عن الأدب الفارسي

الهندي منذ ١٧٠٩م إلى يومنا هذا أي إلى سنة ١٩٧٢م ، ويشمل الحديث عن شعر (أسد الله غالب) الفارسي ودواوين (إقبال) الشعرية باللغة الفارسية .

٤ . والمجلدات الخمسة التالية أي السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر كلها عن تاريخ اللغة الأردنية وآدابها ، فالمجلد الأول يتناول نشأة اللغة الأردنية وتطورها والشعر الأردني البدائي ، وما نشأ من الخلاف بين اللغويين والكتّاب عن أصل اللغة الأردنية (أهي آرية أم سامية) وعن موطنها الأصلي (أهو إقليم البنجاب أو السند أو بلاد الدكن أو العاصمة دلهي وما حولها من المناطق والقرى) ، وأما المجلد السابع فهو يتحدث عن تطور اللغة الأردنية وآدابها منذ ١٧٠٩م إلى ١٨٥٧م ، وهي السنة التي انتهى فيها الحكم الإسلامي وحل محله الاستعمار البريطاني ، والمجلد التاسع من ١٨٥٧ إلى ١٩١٤م أي عصر اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وأما المجلد العاشر ، فهو عن ١٩١٤م إلى ١٩٧٢م .

٥ . وأما المجلدان الحادي عشر والثاني عشر ، فكلاهما عن اللغة البنغالية وآدابها ، فالأول أي الحادي عشر يتناول نشأة اللغة وأصلها وتطورها وآدابها منذ ١٨٨٧م إلى ١٨٥٧م . والثاني عشر يتناول الآداب البنغالية منذ ١٨٥٧م إلى ١٩٧٢م ، وهي السنة التي انفصلت باكستان الشرقية عن جناحها الغربي .

٦ . وقد خصص المجلدان الثالث عشر والرابع عشر للغات الإقليمية والمحلية ، فالأول يخص اللغات : البنجابية والبشتوية والسندية وآدابها ، بينما يتحدث المجلد الأخير عن اللغات المحلية وآدابها كالبلوخية والبراهوية والكشميرية والسرائكية والبلتية والشيناية والبروشسكية والخوارية .

ويكاد الكتّاب يتفقون على أن نقطة بداية آداب هذه اللغات الباكستانية كلها ، بما فيها الأردنية ، كانت هي الآداب الدينية ، كما أن من أربعين إلى ثمانين في المئة من مفرداتها اللغوية من العربية ، وهي كلها تكتب بالخط العربي ، خط القرآن الكريم ، كما

أن المصطلحات العلمية والفنية وحتى الأدبية ، ترجع إلى أصل عربي . وقد أخذ شعراؤها وكتّابها الكثير من المعاني والمفاهيم العربية ، وذلك لأنهم كانوا يبدؤون دراستهم بقراءة القرآن الكريم واللغة العربية وآدابها ، فلن تجد عالماً أو كاتباً أو شاعراً من بينهم في العصور الأولى إلا وهو يعرف العربية أو يلم بها إلماماً . وأما بقية المجلدات فهي فهارس الأعلام والأماكن .

وقد بقي موجز القول عن المجلد الثاني من التاريخ الأدبي والذي قد خصص للغة العربية وآدابها في شبه القارة منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا . فهو يحتوي على مقدمة وهي الباب الأول ، وستة أبواب أخرى . فالمقدمة أو الباب الأول يتحدث عن الصلات القديمة بين شبه الجزيرة العربية وبين شبه القارة ، وكيف ، ومتى دخل الإسلام إلى هذه المنطقة ، وكيف أثر في نفوس العامة وما تركه من الذكريات الخالدة^(٥٠) . والباب الثاني عن الحكم العربي في السند وما إليها من المناطق ، وهي التي كانت تحت الخلافة العربية في دمشق ثم في بغداد كإقليم من أقاليمها ، وهي المناطق التي تتكون منها اليوم جمهورية باكستان الإسلامية ، فكان باكستان إنما هي امتداد وتجديد للإقليم العربي السندي للخلافة الإسلامية بالأمس ، ومن ثم صلة باكستان بالبلاد العربية الشقيقة لم تزل ، ولن تزال ، قوية قريبة جداً^(٥١) . وفي هذا العصر ظهر عدد من العلماء والشعراء والكتّاب ذكروهم الجاحظ في بعض مؤلفاته كالبيان والحيوان ، نقلاً عن علي المدني الذي ضاعت مؤلفاته الكثيرة عن ذلك العصر العربي في السند والهند ، ومن هؤلاء الشيخ عبدالرحمن ابن صبيح السعدي من أتباع التابعين ، وأحمد بن محمد المنصوري السندي ، والشاعر أبو عطاء السندي الذي عُني بشعره الرواة واللغويون والأدباء العرب ، وقد سجل شعره أبو تمام في حماسه ، وهو القائل^(٥٢) :

وقد نهلت منا المثقفة السمر

ذكرتك والخطى يخطر بيننا

ثم يأتي الباب الثالث من الكتاب ويتناول العصر الغزنوي الذي تكاثر فيه العلماء من أمثال الشيخ محمد بن عبد الجبار العتبي وأبي ریحان البیروني ، والشعراء من أمثال أبي العلاء اللاهوري وصاحبه مسعود سعد سلمان اللاهوري الذي يقول^(٥٣) :

ولیل کأن الشمس ضلت ممرها وليس لها نحو المشارق مرجع

والباب الرابع عن الآداب العربية في عصر السلاطين . كما أن الخامس والسادس من الأبواب يتناولان العصر المغولي . وأما الباب السابع والأخير ، فهو يتناول العصر الحديث الذي كثر فيه تأليف الكتب العربية وعمت فيه المطابع كما ظهر فيه الشعراء من أمثال الشيخ فيض الحسن السهارنبوري وأصغر الروحي اللاهوري ، وكل واحد منهما صاحب ديوان شعري عربي مطبوع متداول بين الناس ، وقد قام بتحقيقهما كاتب هذا البحث ، ونشر ديوان كل واحد منهما تحت إشراف المجمع العربي الباكستاني^(٥٤) !

ومن بين هذه المصادر كتابان : تاريخ الفقه الإسلامي وفقهاء الهند : وهما للشيخ محمد إسحاق بهتي من كبار الباحثين الأفاضل الذين بذلوا جهوداً جبارة في خدمة العلوم الإسلامية والعربية ، وقد ألف العديد من الكتب في مصادر الدراسات الإسلامية بالإضافة إلى بحوث ومقالات نشرت في الدوريات الأردنية ودائرة المعارف الإسلامية الأردنية^(٥٥) . وقد أنفق مدة غير قصيرة في مجال البحث الفقهي وتاريخ الفقه والفقهاء في شبه القارة ، وله كتابان في هذا الموضوع بالأردية ؛ فأولهما : الفقه الإسلامي وتاريخه في شبه القارة ، وقد سماه : «علم الفقه في شبه القارة الباكستانية الهندية» وأكمّله في يناير ١٩٧٣ م ، ونشر في يونيو من السنة نفسها . والكتاب يتناول المجاميع الفقهية والفتاوى الدينية التي أصدرها الفقهاء عبر العصور في شبه القارة خلال الحكم الإسلامي ، فجمعوها ونسبوا إما إلى ملوك العصر أو إلى مؤلفيها . ومن بين هذه الفتاوى البارزة الممتازة :

- ١ . الفتاوى الغياثية ، وقد نسبت إلى سلطان غياث الدين (بلبن) التركي المتوفى في ٦٦٤هـ (١٢٦٦م) وهو من سلاطين دلهي المسلمين المعروفين^(٥٦) .
- ٢ . الفتاوى القراخانية : نسبة إلى (قراخان) أحد القادة العسكريين البارزين في عهد السلطان جلال الدين خلجي من سلاطين دلهي البارزين^(٥٧) .
- ٣ . الفوائد الفيروزشاهية : وهي مجموعة من الفتاوى والمسائل الفقهية صدرت في عهد السلطان (فيروز شاه تغلق) المتوفى سنة ٧٩٠هـ (١٣٨٩م) فنسبت إليه واشتهرت باسمه^(٥٨) .
- ٤ . الفتاوى التاتارخانية ، وتنسب إلى القائد التركي (تاتارخان) الذي كان من قواد السلطان (فيروز شاه تغلق) المار ذكره ، وهي مجموعة كبيرة في ثلاثين مجلداً^(٥٩) .
- ٥ . الفتاوى الحمادية : وقد أصدرها القاضي حماد الدين ، من فقهاء الإسلام في شبه القارة ، وقد جمعها ورتبها وساعده في ذلك تلاميذه فعرفت باسمه ، وكان قاضي القضاة لبلاد كجرات في الهند^(٦٠) .
- ٦ . الفتاوى الإبراهيم شاهية (بالعربية) : وهي مجموعة الفتاوى التي صدرت في عهد السلطان إبراهيم شاه من سلاطين الهند ، وقد أصدرها وجمعها ونسبها إليه القاضي أحمد نظام الدين الكيلاني^(٦١) .
- ٧ . الفتاوى الإبراهيم شاهية (بالفارسية) . وهي لنفس المؤلف ونسبت إلى الملك نفسه إلا أنها كتبت باللغة الفارسية .
- ٨ . الفتاوى الأمينية : وهي مجموعة فقهية ألفها الشيخ محمد الأمين البخاري أحد الفقهاء الأحناف المهاجرين من آسيا الوسطى إلى الهند في العصر المغولي^(٦٢) .
- ٩ . الفتاوى البابرية : وهي للشيخ نور الدين الخوافي الذي كان في عصر الملك المغولي ظهير الدين بابر ، وألف الفتاوى في عهده ونسبها إليه^(٦٣) .

١٠ . المتانة في مرمة الخزانة : وهي من أشهر المجاميع الفقهية المتداولة في البلاد ، وقد شارك في إعدادها عدد من المؤلفين الفقهاء ، ومنهم الشيخ محمد جعفر بوكاني السندي .

١١ . الفتاوى العالمية كيرية : وتنسب إلى الملك الصالح العالم الرباني (أورنكزيب عالمكير) المتوفى سنة ١٧٠٧ م . وقد كان من العلماء وعرف بتحمسه للدين وحبه لأهل العلم ولعله بالقرآن الكريم ، وهو الملك المغولي الذي حكم الهند كلها أربعين سنة من أذناها إلى أقصاها ، وكان قد أصدر الأوامر الملكية في عهده بتكوين لجنة من الفقهاء البارزين لتأليف مجموعة من الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية تكون مصدراً للقضاء ودستوراً للحكم ، وهي لاتزال متداولة ومعمولاً بها حتى اليوم ، وقد ترجمت إلى عدة لغات ومنها الإنجليزية^(٦٤) .

ولاتزال هذه المجاميع الفقهية أو الفتاوى مخطوطة ، ولم يطبع منها إلا المجموعتان الأخيرتان ، وقد فصل الكاتب الشيخ محمد إسحاق بهتي القول في التعريف بهذه المجاميع كلها وأبرز مزاياها وخصائصها .

وأما الكتاب الثاني للمؤلف نفسه فهو تاريخ الفقه الإسلامي في الهند الإسلامية وتراجم فقهاءها وهو في تسعة مجلدات . ويشمل تاريخ الفقه والفقهاء عبر العصور في شبه القارة الباكستانية الهندية ، وكتاب الفقه الإسلامي المار ذكره آنفاً (أو علم الفقه في شبه القارة الباكستانية الهندية كما يسميه مؤلفه) ، قد جاء كمقدمة وتمهيد لهذه المجلدات التسعة عن تاريخ الفقه والفقهاء في شبه القارة ، إلا أن المؤلف كتب مقدمة لكل مجلد من هذه المجلدات تحدث فيها عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للعصر ، وقد خصص المجلد الأول من كتابه هذا لفقهاء القرون الثمانية الأولى من الهجرة النبوية ، والمجلد الثاني يتناول الفقه والفقهاء في القرن التاسع الهجري ، ثم يأتي المجلد الثالث الذي يتركز على فقهاء القرن العاشر الهجري وما أنتجت أعلامهم من علوم

الفقه وأصوله ، وأما المجلد الرابع فقد قسمه المؤلف قسمين ، وكلاهما يتناول فقهاء القرنين الهجريين الحادي عشر والثاني عشر ومؤلفاتهم الفقهية ، والمجلد الخامس المنقسم قسمان عن القرنين الهجريين الثالث عشر والرابع عشر .

وقد قام المؤلف بدراسة شاملة للمصادر والمراجع المتوافرة عن الموضوع سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة ، وحاول أن يدرس المؤلفات الفقهية لهؤلاء الفقهاء الذين ترجم لهم في كتابه ، وأبرز الجوانب المهمة من فقههم وسيرهم والظروف المحيطة بهم ، وهذه المجلدات التسعة تعطي فكرة واضحة وشاملة عن تطور الفقه الإسلامي ودوره في حياة الأمة الإسلامية في شبه القارة الباكستانية الهندية . والباحثون الذين تناولوا موضوع الفقه والفقهاء في هذه المنطقة عبر العصور الطويلة عددهم قليل ، ولاتزال مؤلفاتهم وفتاواهم مخطوطة مهمة خاملة في زوايا المكتبات الخاصة والعامة ، وتنتظر من يتولى تحقيقها وطبعها ، وتلك هي مأساة الآداب العربية في جنوب آسيا^(٦٥) !

وقد كانت السيرة النبوية العطرة ، ولاتزال ، من الموضوعات الإسلامية التي حظيت بالاهتمام البالغ من علماء المسلمين في جنوب آسيا أو شبه القارة الباكستانية الهندية ، ولهم مؤلفات عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشتى اللغات ، ومنها العربية^(٦٦) والفارسية . فأما اللغة الأردية ، لغة باكستان القومية اليوم ، فقد ألفوا بها كتباً ، شعراً ونثراً ، كما ترجموا إليها كتباً قيمة من اللغات الأخرى ، من العربية خاصة عن السيرة النبوية حتى ملأوا بها المكتبات . ولن تجد كتاباً جيداً عن السيرة النبوية باللغة العربية في القديم والحديث إلا وقد ترجم إلى الأردية أو لغات باكستان الإقليمية والمحلية الأخرى ، بداية بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق وابن هشام ، ونهايةً بعقريه محمد صلى الله عليه وسلم للعقاد وكتاب : حياة محمد لمحمد حسنين هيكل المصري^(٦٧) .

وممن تناول موضوع السيرة النبوية شعراً فأجاد فيه وأبدع شاعر الأردنية المفلتق أبو الأثر حفيظ جالندري، رحمه الله، فقد نظم المغازي النبوية بالأردية وسماها «شاهنامة الإسلام» (وهذا هو الشاعر الذي ألف «السلام الجمهوري الباكستاني المتداول)، وأما ما ألفه علماء المسلمين بالنثر الأردني فهو كثير ولا يعد ولا يحصى، فمما نشر في باكستان من مصادر السيرة النبوية بالنثر الأردني كتاب «سيرة النبي صلى الله عليه وسلم» للعلامة شبلي النعماني، وهو كتاب يعد ركناً أساسياً بل حجر الزاوية لأدب السيرة النبوية الأردنية، ولكنه مات قبل أن ينجز الأجزاء الستة الضخمة الباقية للكتاب، فتاب عنه في ذلك تلميذه الأرشد الفاضل الشيخ السيد سليمان الندوي رحمه الله، وتبعهما القاضي محمد سليمان المنصور بوري رحمه الله، فألف كتابه «رحمة للعالمين» في ثلاثة أجزاء^(٦٨) وقد ترجم إلى اللغة العربية، وغير ذلك كثير.

وأما ما يعد موسوعة السيرة النبوية باللغة الأردنية، والذي سيبقى مصدراً مهماً بارزاً من مصادر السيرة النبوية في باكستان، فهو «العدد الممتاز لمجلة (نقوش) اللاهورية عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم» في أربعة عشر مجلداً ضخماً (ثلاثة عشر مجلداً عن موضوعات السيرة النبوية، والجزء الرابع عشر خصص للفهارس الفنية). وكل مجلد يحتوي على ثمانمائة صفحة تقريباً، والمجموع اثنا عشر ألفاً من الصفحات تقريباً^(٦٩). ومجلة «نقوش» هي دورية أردنية من أقدم المجلات الأردنية اللاهورية في باكستان، وعادة تصدر مرة في السنة. وكل عدد من أعدادها يكون عدداً ممتازاً عن موضوع من الموضوعات الأدبية والعلمية والثقافية والتاريخية وغيرها، وقد نال هذا العدد الممتاز للمجلة إعجاباً وترحيباً من قراء اللغة الأردنية في باكستان وفي خارجها، بمن فيهم المغفور له (الجنرال ضياء الحق). والمجلة لاتزال تصدر وتشغل حالياً بإعداد عدد ممتاز عن القرآن الكريم، وقد صدر من هذا العمل مجلدان حتى الآن، وكل مجلد منهما يحتوي على ألف صفحة تقريباً، وهذا العدد الممتاز الأخير سوف يكون مصدراً مهماً عن القرآن الكريم كموسوعة قرآنية كبيرة.

قال رئيس تحرير المجلة الأستاذ الراحل محمد طفيل ، وهو يعرف بالعدد الممتاز (وفي المجلد الأول منه والذي صدر في شهر ديسمبر سنة ١٩٨٢م) عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في كلمة العدد، ما معناه: «إن الشيخ محمود حسن شيخ الهند ، رحمه الله ، قد قال وهو يعرف بترجمته الأردية للقرآن الكريم: إذا عشر أحد من القراء الكرام على خطأ أو زلة فعليه أن يتكرم بالإصلاح والتصحيح، ليبقى هذا العمل المتواضع عوناً مفيداً للقراء الكرام دائماً أبداً، ورغم أنني لست عالماً كالشيخ محمود حسن، ولكنني أرى في هذا العدد الممتاز عن السيرة النبوية ما رآه الشيخ في ترجمته للقرآن الكريم ، وأتمنى ما تمناه الشيخ وأرجو مثل ما رجاه الشيخ لكي أتمكن من الإصلاح والتصحيح في الطبقات القادمة»^(٧٠).

ونراه يقول في كلمة الافتتاح للمجلد التاسع في سنة ١٩٨٤م ، وبعد أن انتهى من إعداد المجلدين التاسع والعاشر للطباعة : «هذه عشرة مجلدات أقدمها بين يديكم أيها القراء الكرام ! ولكنني أعتقد بأن العمل الكثير من ذلك لا يزال باقياً ينتظرنا وقد نكملهُ ، وقد قال أحد أصدقائي ، وهو يعلق على ما قمت به من خدمة السيرة النبوية : إن القيام بخدمة السيرة لا يسوغ لأحد ولم يتحمل ثقلها ومسؤوليتها أحد قبلك ، فقد أخذ الشيخ شبلي النعماني يؤلف عن السيرة النبوية فمات قبل أن يكمل عمله ، وأراد القاضي سليمان المنصوربوري أن يؤلف كتاباً مفصلاً عن السيرة ، ولكنه مات دون ذلك ، وأراد الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله أن يؤلف عن الموضوع بعد أن تهدأ أموره ، ولكنه أيضاً توفي قبل ذلك . وأنا أخشى عليك أن تموت قبل الإتمام . وقد كان جوابي له : هذا كل ما أتمناه!»^(٧١) ولكن الرجل لم يمت قبل أن يكمل العدد الممتاز عن السيرة النبوية ، وحتى المجلد عن الفهارس الفنية ، فقد صدر آخر المجلدات في يناير ١٩٨٥م ، وكان قد بدأ يعد المجلد الأول في سنة ١٩٧٢م ، وأكمل مهمته هذه قبيل وفاته رحمه الله ! وكان قد اعتزم على أن ينهي مجلدات العدد فيهدي بها الأمة الإسلامية بمناسبة بداية القرن الهجري الخامس عشر ، وقد فعل!^(٧٢).

ويستهل المجلد الأول (الذي صدر في ديسمبر ١٩٨٢م) من العدد الممتاز بمقالة مبسطة للشيخ أبي الحسن علي الندوي ، وعنوانها : «القرن الهجري الخامس عشر في مرآة الماضي والحاضر»^(٧٣) ، وقد تحدث الشيخ عن الظروف والأحوال التي مر بها ويمر بها الإسلام والمسلمون بين أمس والحاضر ، ثم تقدم بعشرة اقتراحات عن المشروع الإسلامي المستقبلي .

وتنقسم المعلومات في هذا المجلد قسمين ، فالقسم الأول^(٧٤) يتناول المبادئ والقواعد لكتابة السيرة والتأليف فيها ، أو الجانب التقني لفن السيرة النبوية . والقسم الثاني يحتوي على المصادر الأساسية للسيرة النبوية ؛ فأولها وعلى رأسها القرآن الكريم ، لأن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تقول بأن خلقه صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم^(٧٥) ، ثم تأتي المصادر الأصلية الأولى من مؤلفات التابعين ومن تبعهم كأبان بن عثمان ، وعروة بن الزبير ، وشرحبيل بن سعد ، ووهب بن منبه ، ومن بعدهم كابن إسحاق ، وابن هشام ، وابن سعد وغيرهم^(٧٦) . وكُتِّب القسم الثاني يؤكدون لقارئ السيرة النبوية بأن ما وصل إلينا من المعلومات والروايات عن ذلك إنما هو مستند وموثوق به ، ولا يقل استناداً وثقة عن الحديث النبوي الشريف ، ويردون على ما أورده المستشرقون على استناد المعلومات عن السيرة النبوية ومكانتها ردّاً مقنعاً شافياً^(٧٧) .

وأما المجلد الثاني الذي يحتوي ، كالمجلد الأول ، على ألف صفحة تقريباً فهو يتناول الفتوح الإسلامية وأسبابها وخلفيتها ، بالإضافة إلى ما استفادته البشرية من انتشار الإسلام والنظم الإدارية العادلة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين المهديين ، ونظام الحكم الفريد الذي ليس له مثال في التاريخ وقد عجز الزمان عن نظيره حتى اليوم ، والذي لا يزال موضع فخر واهتمام للدارسين في الشرق والغرب من الأصدقاء والأعداء على السواء . فالمجلد يقدم مادة دراسية دسمة من البحوث القيمة المسهبة المقنعة بأقلام الأساتذة الجامعيين الأفاضل والعلماء الباحثين^(٧٨) الأجلاء .

وكذلك المجلد الثالث يحفل بالمعلومات الغزيرة عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويستوفي ما كتب عن ذلك في الشرق والغرب .

وعلى سبيل المثال وليس بقصد التفصيل والاستيفاء ، نرجع إلى المجلد الحادي عشر الذي يقدم لنا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق ، وترجمته الأردنية الكاملة ، ودراسته النقدية الشاملة للأستاذ الدكتور حميد الله^(٧٩) ، وفيه بحث مفصل قيم وموثق عن «المستشرقين ودراسة السيرة النبوية» للأستاذ الدكتور نثار أحمد ، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة من الجامعات الهندية^(٨٠) . وهكذا كل مجلد من المجلدات الأربعة عشرة يتناول موضوعات معينة ، ويستوعب جوانبها ، ويستوفي المعلومات بعمق ودقة بأقلام الأعلام في الشرق والغرب ، ويهتم رئيس التحرير بكل صدق وأمانة بالألا يسمح بما يسيء إلى السيرة العطرة ، أو بما لا يروق عقيدة المسلم وعواطفه . وهذا العدد الممتاز عن السيرة النبوية نادر وفريد من نوعه ، لأننا لا نعرف مجلة دورية أصدرت عددًا ممتازًا عن موضوع واحد في أربعة عشر مجلدًا من اثنتي عشر ألف صفحة تقريبًا !

ونرى من المفيد والمناسب أن نلم إلمامًا ببقية المجلدات من هذا العدد الممتاز عن السيرة النبوية لمجلة «نقوش» الدورية . ونشير إلى أهم ما جاء فيها من المعلومات القيمة لكي نعطي فكرة موجزة للقارئ العربي الكريم عن هذا العمل العظيم المبرور والجهد المبذول المشكور . فالمجلد الثالث^(٨١) يتركز على عظمة الرسول في إنقاذه العالم البشري الذي كان يعاني من الجهل والتخلف والهمجية . وموضوع المجلد الرابع^(٨٢) هو التغيير الثوري الذي أحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم في إعداد نخبة مختارة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، الذين أدوا واجبهم في كل مجال من المجالات العملية ، وآراء أهل العلم من غير المسلمين في ذلك . كما أن المجلد الخامس^(٨٣) يتناول الحياة القبلية قبل الإسلام ثم ما أحدثه هذا الدين فيها من التغيير

الثوري حتى تمكنت الأمة العربية الإسلامية الأولى من تنظيم دولة متقدمة ومجتمع راق .
ويتركز المجلد السادس على مفخرة من مفاخر الإسلام والسيرة النبوية العطرة، ألا وهو
البحر الزاخر^(٨٤) من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقواله وآرائه في العقائد
والعبادات والمعاملات والأخلاق، مما ساهم وساعد في إعداد الإنسان المسلم في
القرن الأول الهجري وفيما بعده من العصور^(٨٥).

وأما المجلد السابع^(٨٦) فقد تناول الطرق والوسائل التي اختارها محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تعليم الفرد المسلم، وأشهر تلاميذه من الصحابة الذين أعدم
للدور القيادي في الأمة، بما فيهم الخلفاء الراشدون، وأساتذة الأمة ومُرَبُّوها وقادتها
العسكريون والمدنيون، بالإضافة إلى كتبه الوحي، وأقضية الرسول صلى الله عليه
وسلم. وأما بحوث المجلد الثامن^(٨٧) فهي تركزت على البلاغة النبوية وخطب الرسول
صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه. والمعجزات النبوية والجوانب المهمة من دور
الرسالة المحمدية في بناء الأمة هي موضوعات المجلد التاسع^(٨٨). وأما المجلد العاشر
فموضوعه ما جاء من الشعر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم على ألسنة الشعراء عبر
العصور، ليس في العربية والفارسية والأردية فحسب بل في لغات العالم الأخرى التي
تحدث بها المسلمون^(٨٩). والمجلد الثالث عشر يتركز على أثر الإسلام السياسي
والفكري والخلقي في المجتمع البشري، وجهود الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من
الملوك والحكام في ذلك. والمجلد الرابع عشر عن المتفرقات والفهارس الفنية الشاملة
للعديد الممتاز عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجملة القول فإن هذا العدد
الممتاز لمجلة نقوش موسوعة كبيرة عن السيرة النبوية وعن الكتب المؤلفة في
الموضوع، وسيبقى مصدراً مهماً من المصادر عن العالم الإسلامي، ويستحق التقدير
والإعجاب.

ومن المصادر المهمة والمتداولة بين أهل العلم عن العالم الإسلامي في باكستان كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» ، تأليف الشيخ الأجل المولوي القاضي محمد أعلى بن علي بن القاضي محمد حامد الفاروقي السني الحنفي التهانوي^(٩٠) ، وهو موسوعة معجمية كبيرة عن المصطلحات الفنية التي تعارف عليها العلماء والمؤلفون المسلمون في كل مكان . كما أنه من كتب التراث العربي الإسلامي في شبه القارة الباكستانية الهندية ، وقد نالت هذه الموسوعة المعجمية إعجاب المستشرقين وتقديرهم ، مما جعل المستعمر البريطاني يهتم بها تحقيقاً ونشراً ودراسةً واستفادةً . وظهرت الطبعة الأولى للكتاب قبل قرن وربع القرن تقريباً في سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦٣ م) تحت إشراف «جمعية بنغال الآسيوية» بمدينة (كلكتة) ، عاصمة بنغال الشرقية اليوم ، وكان المستعمر البريطاني قد كلف رجلين فاضلين بتحقيق الكتاب وتصحيحه . وهما من المدرسين في كلية (فورت وليام) البريطانية التي أنشأها الاستعمار البريطاني في كلكتة للاطلاع على أسرار بلاد شبه القارة وشعوبها من خلال الكتب المؤلفة ، وهما المولوي عبدالحق والمولوي غلام قادر ، وأما مؤلف الكتاب فهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري ، وقد فرغ من تأليفه سنة ١١٥٧ هـ حيث صرح هو في خطبة الكتاب بذلك^(٩١) .

والطبعة الأولى لكتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» التي تقع في (١٥٦٤) صفحة من القطع الكبير في مجلدين ضخمين مليئة بالأخطاء الكثيرة بما فيها الأخطاء المطبعية ، ومن المؤسف المؤلف ، أن داراً من دور النشر في بيروت ، قد نشرت صورة فوتوغرافية من هذه الطبعة الأولى والمليئة بالأخطاء ، دون تصحيح أو تحقيق ، فمعنى ذلك أن هذه الموسوعة المعجمية الثمينة لاتزال في انتظار من يقوم بتحقيقها وتصحيحها ، وإعداد فهارسها الفنية لكي يتمكن الطالب من الاستفادة منها ، فهي تزخر بمعلومات جمة واسعة عن المصطلحات الفنية للعلوم الإسلامية والآداب العربية التي يحتاج إليها كل طالب ، ولكن المؤلف رحمه الله قد رتب موسوعته هذه ترتيباً خاصاً ، صعب المنال وقد صرح هو نفسه بذلك ، وهو يذكر سبب التأليف^(٩٢) :

«ولم أجد كتاباً حاوياً لاصطلاحات جميع العلوم المتداولة بين الناس وغيرها . . . إلى أن قال : فلما فرغت من تحصيل العلوم العربية والشرعية من حضرة جناب أستاذي والذي ، شمرت عن ساق الجد إلى اقتناء ذخائر العلوم ، الحكمة الفلسفية من الحكمة الطبيعية والإلهية والرياضية كعلم الحساب والهندسة والهيئة والاسطرلاب ونحوها ، فلم يتيسر تحصيلها من الأساتذة فصرفت شطراً من الزمان إلى مطالعة مختصراتها الموجودة عندي ، فكشفها الله تعالى عليّ ، فاقبست منها المصطلحات وأوان المطالعة ، وسطرتها على حدة في كل باب يليق بها على ترتيب حروف التهجي كي يسهل استخراجها لكل أحد» .

وقد تتبع المؤلف في تأليفه هذا ثلاثة كتب كما يصرح^(٩٣) هو بذلك ، وهي : (١) بحر الجواهر في المصطلحات المنطقية والفلسفية . (٢) وحدود الأمراض في علوم الطب (٣) واللطائف الأشرفية في علم التصوف . وقسم المؤلف كتابه قسمين : فالقسم الأول للمصطلحات الفنية العربية ، والثاني للكلمات الفارسية ، وقد انتهى من التأليف في بضع سنين ، واستوعب آفاقاً من المصطلحات الفنية ، إلا أن طريقته ومنواله في الترتيب ليس سهلاً على الطالب العادي ، ولا يمكنه من أن يتطرق إلى مقصوده . وذلك مما يحتاج إلى وضع الفهارس الفنية ، وقد حاول ذلك الموليوان اللذان كانا كلفا بتحقيق الكتاب وتصحيحه لطبعته الحجرية الأولى ، التي صدرت في كلكتة ، ولم يوفق حضرة الطابع البيروتى للكتاب في إعداد الفهارس ، بل حذف منها ما كان موجوداً في الطبعة الحجرية ، غير أنه قسم الكتاب إلى ستة مجلدات لكي يبرز استحقاقه لطبع الكتاب ونشره وتوزيعه واكتساب النقود به .

وقبل أن نتقل إلى موضوعنا الأخير لبحثنا هذا الموجز ، نرى من المناسب المفيد أن نقف وقفة قصيرة عند «دستور العلماء» وهو موسوعة مصطلحية أخرى من بين المصادر المهمة عن الموضوع ، وقد أعدها الشيخ عبد النبي العثماني الأحمد نكري ، من

مدينة (أحمد نكر) في الهند ، ومن علماء النحو العربي البارزين^(٩٤) ، وله مؤلفات أخرى غير هذه الموسوعة المصطلحية التي سماها بكتاب «جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون بتصريح شاف وتوضيح واف» . وقد طبع الكتاب قبل قرن من الزمان تقريباً في (حيدر آباد دكن) في ثلاثة مجلدات سنة ١٣٣١ هـ . ويصرح المؤلف بطريقته التي اتبعها وبغاياته المقصودة من تأليفه هذا الذي فرغ منه وأكمّله في سنة ١١٧٣ هـ ، فيقول^(٩٥) : «نظمت المسائل في سلك قديم ، وسلكت المطالب على صراط مستقيم ، جعلت الحرف الأول مع الثاني باباً ليسهل الوصول إلى مقصورات المقاصد من الأبواب ، ولا يبقى الاحتياج في نيل المآرب إلى عدة كتاب ، وأشرت في أثناء البيان إلى أبحاث شريفة ، ونثرت في سؤق التبيان اعتراضات لطيفة» .

ويجدر بنا الانتباه والإشارة إلى أن الشيخ العثماني هذا قد عاش في العصر الذي عاش فيه الشيخ التهانوي سابق الذكر ، والذي أنهى تأليفه في المصطلحات سنة ١١٥٧ هـ أي قبيل تأليف العثماني بخمس عشرة سنة تقريباً ، وليس لدينا ما يؤكد لنا عن اللقاء بين الرجلين ، كما أننا لا نستطيع أن نبرر استفادة أحدهما عن الآخر في الأخذ أو التأليف ، ولكن الكتابين يشتركان في الغرض والموضوع كما أنهما يتقاربان في المعلومات ويشتهان في الأسلوب ، إلا أن دستور العلماء يمتاز عن كشاف اصطلاحات الفنون بالإيجاز والإجمال ، فبينما نرى الشيخ التهانوي يأتي بالتفاصيل عن موضوع ويتناول أكثر جوانبه ، ويورد النصوص الطويلة من المتون ، والمصادر التي استفاد منها وعول عليها ، نجد الشيخ العثماني يؤثر الإيجاز والاقتضاب ، ولا ينسخ العبارات الطويلة من المتون ، ويجتنب التفصيل والإطناب ، ويكتفي بجملته أو جملتين بل كلمة أو كلمتين أحياناً ، وعباراته موجزة واضحة ومترنة مضبوطة ، لا تعقيد فيها ولا التباس ، بينما يعميل التهانوي إلي الإطناب ويستوفي المعلومات بتفاصيلها المملة ، والمعقدة في بعض الأحيان ، وقد قسم كتابه كشاف اصطلاحات الفنون إلى فنين مستقلين ، وأما العثماني فإنه لا يقسم دستور العلماء إلى القسمين أو الفنين وإنما يمزج بين العبارات العربية والفارسية ، وحتى في مصطلح واحد من موسوعته المعجمية .

فعلى سبيل المثال يأخذ العثماني كلمة «البدعة» ليتحدث عنها ، فيقول^(٩٦) : «هي الأمر المحدث ، وفي شرح المقاص : البدعة المذمومة هي المحدث في الدين من غير أن يكون في عهد الصحابة والتابعين ، ولا عليه دليل شرعي ، ومن الجهلة من يجعل كل أمر لم يكن في زمن الصحابة بدعة مذمومة ، وإن لم يقد دليل على قبحه ، تمسكاً بقوله عليه الصلاة والسلام : إياكم ومحدثات الأمور ، ولا يعلمون أن المراد بذلك هو أن يجعل في الدين ما ليس منه ، عصمنا الله من اتباع الهوى ، وثبتنا على اقتفاء الهدى بالنبي وآله الأمجاد» . وأما التهانوي فيفصل القول في البدعة ويورد أقوال الأئمة وآراء الفقهاء فيها ويأتي بأقسامها المفصلة^(٩٧) .

ونتهي بحثنا هذا بحديث موجز عن كتاب قد سار بذكره الركبان ، وأفاد الناس كثيراً ، وعولوا عليه ، ولجأوا إليه للاطلاع على تراجم الأعلام من المسلمين في شبه القارة ، وهو كتاب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» في ثمانية مجلدات للشيخ الشريف الحكيم عبدالحى الحسيني ، رحمه الله ، المتوفى ١٣٤١ هـ ، وقد ترجم الكتاب إلى الأردية ونشر في لاهور سنة ١٩٦٦ م ، وقد قام بمراجعته وإكماله ابن المؤلف البار العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي ، وظهرت طبعته الأولى تحت إشراف دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد دكن في ما بين سنة ١٩٥٤ م و ١٩٧٠ م (١٣٧٤ هـ و ١٣٩٠ هـ)^(٩٨) .

والكتاب يعد موسوعة معجمية كبرى لتراجم العلماء والأعيان في شبه القارة ، وقد قسمهم المؤلف إلى طبقات ، فجعل منهم أربع عشرة طبقة ، فالمجلد الأول يغطي القرون السبعة الأولى من الهجرة النبوية ، ويبدأ بتراجم الأعيان من الصحابة والتابعين الذين قصدوا الهند ، وينتهي بتراجم الأعيان من القرن الهجري السابع . ثم كل قرن له مجلد كامل مستقل ، وآخر المجلدات ، وهو المجلد الثامن ، يحمل تراجم الطبقة الرابعة عشر من أعيان القرن الرابع عشر الهجري ، ويضم الكتاب حوالي خمسة آلاف من تراجم الأعيان بما فيها ترجمة المؤلف نفسه^(٩٩) .

وقد صدر المجلد الأول من الكتاب بمقدمة مسهبة لنجل المؤلف ، والشقيق الأكبر للشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، وهو عبدالعلي الحسيني ، رحمه الله . وقد فصل فيها القول عن الآداب العربية وأعلامها المشاهير في شتى العلوم والفنون مع ترجمة وافية عن مؤلف الكتاب ، ولقد أصاب وأنصف الشيخ عبدالعلي ، متحدثاً عن الكتاب حين قال^(١٠٠) : « ذكر فيها تراجم أعيان الهند ومآثرهم وكل ما اتصل به من أخبارهم ، وانتهى إليه علمه من تعلمهم وأعمالهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم وسني وفياتهم ، مع مراعاة أصول التاريخ بثبت وتحرر غير مقتصر على خوارق العادات والكرامات وحكايات القنص والشجاعة وحسن المحاضرة ولطف المذاكرة والفكاهة والنوارد والجود ، شأن غيره من الإخباريين في الهند » .

الهوامش

- (١) الإنجاز العظيم لجامعة البنجاب ، طبعة لاهور ، ١٩٩٨م ، ص ٢٠١ .
- (٢) المرجع نفسه .
- (٣) المرجع نفسه ، ص ٣ ، وتاريخ جامعة البنجاب ، لاهور ، ١٩٨٢ ، ص ٢٧٣ .
- (٤) الإنجاز العظيم لجامعة البنجاب ، ص ٤ .
- (٥) المرجع نفسه ، ص ٤ ، وتاريخ جامعة البنجاب ، ص ٢٢٣ .
- (٦) المرجع نفسه .
- (٧) المرجع نفسه .
- (٨) المرجع نفسه .
- (٩) دائرة المعارف الإسلامية الأردنية ، ١/١٩ .
- (١٠) المرجع نفسه ، ص ٨٩ .
- (١١) المرجع نفسه ص ، ٨٩-١٤٧ .
- (١٢) المرجع نفسه ، ص ١٤٧-١٥٩ .
- (١٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٩ .
- (١٤) الوثائق السياسية ، لاهور ، ١٩٦١م ، ص ٧ .
- (١٥) دائرة المعارف الإسلامية الأردنية ، ١٩/١٦٦ .
- (١٦) المرجع نفسه ، ص ٢١٣ .
- (١٧) المرجع نفسه ، ص ٢٣٢ .
- (١٨) المرجع نفسه .
- (١٩) المرجع نفسه ، ص ٢٣٤ .
- (٢١) المرجع نفسه ، ص ٢٥٣ ، والقرآن الكريم ٤١/٤٢ .
- (٢٢) دائرة المعارف الإسلامية الأردنية ١٦/٣١٨ .
- (٢٣) المرجع نفسه .

- (٢٤) المرجع نفسه .
- (٢٥) المرجع نفسه .
- (٢٦) المرجع نفسه ، ص ٢٣١ .
- (٢٧) المرجع نفسه .
- (٢٨) المرجع نفسه .
- (٢٩) المرجع نفسه ، ص ٣٤٤ .
- (٣٠) المرجع نفسه ، ص ٣٤٨ .
- (٣١) المرجع نفسه ، ص ٣٥١ .
- (٣٢) المرجع نفسه ، ص ٣٥٦ .
- (٣٣) المرجع نفسه ، ص ١٥٩ .
- (٣٤) المرجع نفسه ، ص ٤٣٨ .
- (٣٥) المرجع نفسه ، ص ٤٧٠ .
- (٣٦) المرجع نفسه ، ص ٥٢٩ .
- (٣٧) المرجع نفسه ، ٤٩١/١٥ .
- (٣٨) الإنجاز العظيم لجامعة البنجاب ، ص ٧-٦ .
- (٣٩) المرجع نفسه .
- (٤٠) اللغات الهندية وآدابها لمحي الدين الألواني ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٩ .
- (٤١) التاريخ الأدبي ، لاهور ، ١٩٧٢م ، ١/١٦١ .
- (٤٢) مقالات مؤتمر المئوية ، الرياض ، ١٤١٩هـ .
- (٤٣) مجلة المجمع العربي الباكستاني ، ١٤: ٢ ، لاهور ، ١٩٩٣م .
- (٤٤) التاريخ الأدبي ، ٣-١/٢ .
- (٤٥) المرجع نفسه .
- (٤٦) فقهاء الهند ، ١٤/٨ .

- (٤٧) العلامة إقبال والشخصية الإسلامية للدكتور أكرم شاه باللغة الأردنية ، لاهور ، ١٩٩٨م ، ص ٢٧٣ .
- (٤٨) التاريخ الأدبي ، ١٦/١ .
- (٤٩) المرجع نفسه .
- (٥٠) التاريخ الأدبي ، ٢٧/٢ .
- (٥١) المرجع نفسه .
- (٥٢) المرجع نفسه ، وحماسة أبي تمام ، لاهور ، ١٩٤٦م ، ص ٩ .
- (٥٣) التاريخ الأدبي ، ٩٨/٢ .
- (٥٤) المرجع نفسه ، ٣٩٣:٢ .
- (٥٥) دائرة المعارف الإسلامية الأردنية (فهارسها) .
- (٥٦) علم الفقه للشيخ محمد إسحاق ، ص ٣٣ .
- (٥٧) المرجع نفسه .
- (٥٨) المرجع نفسه ، ص ٣٥ .
- (٥٩) المرجع نفسه .
- (٦٠) المرجع نفسه ، ونزهة الخواطر ، ٧٧/٦ .
- (٦١) علم الفقه ، ص ٣٥ .
- (٦٢) المرجع نفسه .
- (٦٣) المرجع نفسه .
- (٦٤) علم الفقه ، ص ٤٦ ، والتاريخ الأدبي ، ١٧٧/٢ .
- (٦٥) المرجع نفسه .
- (٦٦) تم اكتشاف أكثر من خمسة مخطوطات عربية من كتب التراث عن السيرة النبوية بالعربية لعلماء شبه القارة المسلمين لحد الآن ، وحققت منها ثلاثة مخطوطات كرسائل للدكتوراه تحت إشراف الكاتب بقسم اللغة العربية لجامعة البنجاب بـ لاهور .

- (٦٧) راجع فهرسة كتب السيرة باللغة الأردية في باكستان للأستاذ أحمد يار ، طبعة جامعة بنجاب ، لاهور ، ١٩٦٣ م .
- (٦٨) أدب السيرة النبوية بالأردية للدكتور خالد محمود ، لاهور ، ١٩٨١ م (وهي رسالته للدكتوراه من جامعة البنجاب) .
- (٦٩) العدد الممتاز عن السيرة النبوية لمجلة نقوش ، ١٩٧٦ م .
- (٧٠) نقوش ، العدد الممتاز عن السيرة النبوية ، ٣/١ .
- (٧١) المرجع نفسه .
- (٧٢) المرجع نفسه .
- (٧٣) نقوش ، ٣٧-٩/١ .
- (٧٤) المرجع نفسه ، ٨١-٣٨/١ .
- (٧٥) المرجع نفسه ، ص ٣٦٩-٨٩ .
- (٧٦) المرجع نفسه ، ص ٧٧٠-٣٩٦ .
- (٧٧) المرجع نفسه .
- (٧٨) المرجع نفسه ، ٦٣١-٥٤٠/٢ .
- (٧٩) المرجع نفسه ، ٤٨٠-١/١١ .
- (٨٠) المرجع نفسه ، ٧٤٠/١١ .
- (٨١) المرجع نفسه ، ١٢/٣ .
- (٨٢) المرجع نفسه ، ٧٤٠-٧/٤ .
- (٨٣) المرجع نفسه ، ١٦/٥ .
- (٨٤) المرجع نفسه .
- (٨٥) المرجع نفسه .
- (٨٦) المرجع نفسه ، ٧/٧ .
- (٨٧) المرجع نفسه ، ٨ .

- (٨٨) المرجع نفسه ، ٣/١٣ .
- (٨٩) الإنجاز العظيم لجامعة البنجاب ، ص ١٢ .
- (٩٠) المرجع نفسه .
- (٩١) وقد ترجم له في نزهة الخواطر ٨/ ١٨٣ ، دون ذكر وفاته .
- (٩٢) كشاف اصطلاحات الفنون ، كلكتة ، ١٨٦٣ م ، ص ٢-١ .
- (٩٣) المرجع نفسه .
- (٩٤) نزهة الخواطر ، ٦/ ١٧٢ .
- (٩٥) دستور العلماء ، ١/ ٥٣ .
- (٩٦) المرجع نفسه ، ١/ ٢٣٢ .
- (٩٧) التاريخ الأدبي ، ٢/ ٢٧٣ .
- (٩٨) راجع مقدمة الجزء الأول من نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر .
- (٩٩) المرجع نفسه .
- (١٠٠) المرجع نفسه .

البحوث الأجنبية

Symposium
on
Islamic World
Information Sources

Volume I

King AbdulAziz Puplic Library
Riyadh 1424 - 2004

The Foreign Researches

1. Muslim Communities of Russia: The Information Sources in the St. Petersburg Libraries Asvaturov A.S.	1
2. Treatment of Problems Faced by the Muslim Communities: The Issue of Liberation of Kashmir Prof. Dr. Anis Ahmad	47
3. The Plight of Muslims in Jammu and Kashmir: A Review of Information Sources Zahiruddin Khurshid	67
4. Sources of Information on Muslim Minorities: A case of Singapore Prof. Dr. Abdus Sattar Chaudhry	103
5. British Military Research on Afghanistan, Iran, and the Arabian Peninsula- the Gazetteer Projects Prof. Dr. Ludwig W. Adamec	125

Muslim Communities of Russia: The Information Sources in the St. Petersburg Libraries

Asvaturov A. S. (*)

Abstract

This paper aims to survey information sources on the Russian Muslim communities and peoples held in the libraries of St. Petersburg. It describes the historical provenance of these sources, publication type and themes covered. The National Library of Russia in St. Petersburg has the most complete collection in the world on the Muslim peoples and of Russia and the former USSR. This collection includes books dating from 17th century up to the present time. It is perhaps the largest such collection in the world. The paper deals with the NLR in detail. These collections includes books, newspapers and journals. The paper lists the subject headings of information on the Muslims of Russia.

The paper gives a review of the language collections and literature of the peoples of Russia in the department of non-slavic collection. This includes separate collections relating to Azerbaijan, Bashkirs, Kazakhs, Kirghiz, Crimean Tatars, Tatars, Tadjiks, Turkmen, Uzbeks, and the North Caucasus.

(*) National Library of Russia, St. Petersburg, Russia

The paper also reviews scholarly libraries in St. Petersburg that keep collections on Muslim communities of Russia other than NLR, including the library of the St. Petersburg Ethnographic Institute, the library of the St. Petersburg Oriental Institute, the St. Petersburg Archival collection of non-Traditional Periodicals and Documentation on Social Movements, and other academic libraries.

Muslim Communities of Russia: The Information Sources in the St. Petersburg Libraries

1. Introduction

Of all the information sources dealing with the traditionally Muslim peoples of Russia the research is concerned with the printed book and periodical stocks of St. Petersburg scholarly libraries including the reference and bibliographic systems catering for those stocks. The research is concerned with the library collections connected with the states, which are independent nowadays, but they used to be the part of the Russian Empire and the USSR. There are also defined the storage places and the contents of not numerous, but not the least important documents of small circulation being printed in the 80s - beginning of the 90s.

The research aims to give a survey of the information sources on the Russian Muslim communities and peoples in St. Petersburg, to give chronological limits of those sources, their characteristics as far as the publication type and the theme are concerned. It also seems important to evaluate the information sources physical, bibliographic and language accessibility to the users.

We shall dwell only on the sources in the Russian language and the Muslim peoples languages of Russia.

Until recent time the approach to such peoples of Russia as the Tatars, the Chechens, etc. as "Muslim peoples" was impossible. The existing bibliographies are also orientated not on the religious communities and minorities, but on the national and territorial formations. Until recent time it

was impossible to come across even expressions like "Muslim community", "Muslim minority" in the bibliographic references.

United by common faith, traditions, common initial history and interests in contemporary Russia, the Muslim peoples of Russia differ in the language criterion. The biggest Muslim collections of St. Petersburg are classified according to the language criterion. Therefore the information of the Muslim communities is that of the Russian peoples being influenced by Islam and its culture. They are the Tatars, the Bashkirs, peoples of Daghestan, the Chechens, the Ingushes, those who live on the territory of Russia being of the Middle Asia and Azerbaijan extraction.

The question of the Russian Muslim communities and peoples information sources accessibility is considered on the physical, bibliographic and language level. The bibliographic accessibility of considered information sources first of all is connected with their exposure in the library catalogue systems. The classified catalogues of the greater part of the Russian libraries are arranged on the librarian bibliographic classification (LBC). The LBC as it looks nowadays is the system, which with the help of its rubrics reflects the atheistic lines, having reigned in the former USSR. Aiming to search the information on Muslim communities it is more reasonable to appeal to the subject catalogues of Russian libraries. E.g. the subject catalogue of the National Library of Russia has about 1,5 million rubrics. (There is an electronic version of the subject rubrics, so called "clue".) The rubrics of that catalogue which could be useful in the search of the literature on Muslim communities of Russia is enclosed.

The Language accessibility of the information sources is also very important. The great deal of them, and maybe the most interesting one, is

written in the languages of the peoples of Russia who owing to tradition confess Islam. Religious and cultural values, moral and manners are very much connected with the language, and the loss of it when living in huge foreign culture megalopolises leads to the religious and cultural catastrophe. Till present time in the situation of the state atheistic policy it was the collections of the biggest libraries of St. Petersburg that very often helped such Muslim communities of the city as the Tatar and the Crimean-Tatar communities to preserve their knowledge of history, the religious and cultural traditions.

The information sources must be accessible to any national community of Russia in accordance with the national and language possibilities and demands. In the Russian libraries there is not enough literature in the national languages. By the beginning of the 90s in the total stock of the mass libraries of Russia the literature in the languages of the peoples of Russia accounted only 1,3%. It is natural that a large part of the literature in the national languages is concentrated in the national territorial formations, subjects of the Russian Federation. but many representatives of the nationalities live outside those formations. For example, of 6,5 million Tatars 3/4 of them live outside Tatarstan. The quantity of the publication titles printed in the languages of the Russian peoples has been not numerous until recent time. E.g. in the beginning of the 90s there were printed only 10-15 titles a year in the languages of such traditionally Islam people as the Ingushes, and there were 200 titles only in the Tatar language.

We must not neglect the right of the traditionally Muslim peoples who used to be the part of the USSR to get the information in the native

language. In the period between 1979 and 1989 the quantity of the Kirghiz in the Russian Federation increased 2/8 times as much, the Azerbaijanian - 2/2 times as much, the Tadjik - 2/1 times as much, the Uzbek - 1/8 times as much, the Turkmen - 1/7 times as much. In the situation like that the unique, rich, chronologically deep and complete national collections of the St. Petersburg libraries are very important. But when using them there may occur difficulties connected with the graphic base of the written language. Before the revolution of 1917 the Muslim peoples of the Middle Asia, the Volga Region, the Caucasus used the written language based on the Arab alphabet. They were the Adyghes, the Avars, the Azerbaijani, the Bashkirs, the Chechens, the Ingushes, the Kazahs, the Lezgins, the Tabasaranas, the Tatars, the Tadjiks, the Uzbeks and others. After the revolution to those peoples there was elaborated and instilled the written language based on the Latin alphabet. In the St. Petersburg libraries there are still some books, though not numerous, printed in the Latin graphic. In the end of the 30-s the written language of those peoples was transferred to the Russian alphabet. So the great part of the traditionally Muslim Russian peoples' cultural heritage turns out to be inaccessible to the contemporary user.

Boris Yeltsin has recently proclaimed St. Petersburg the cultural capital of Russia. And it is in St. Petersburg that there is the unique and probably the greatest in the world stocks of literature in the languages of different Muslim peoples of Russia and the former USSR. In the libraries of St. Petersburg there is literature which very often cannot be found on the territory of the Muslim of Russia and the former USSR. e.g., in the periods of anti religious campaigns the literature written in the Arabic alphabet was removed from the libraries and destroyed. The same thing happened later on to the national literature printed in the Latin alphabet. As to the biggest

libraries of St. Petersburg such literature was preserved, even if it was stored in a special way, being not accessible to an ordinary reader. Nowadays, when it is quite accessible, it seems strange that a book about e.g. the Tatar prosody in the Latin graphic base used to be kept in a special place together with some book by an author being subject to repression.

We are going to dwell upon the pre-Revolutionary books kept in St. Petersburg libraries. In the soviet period of the Russian history the state atheistic politics was carried out, the mass media and publishing houses were under censorship, so there was not much information of the situation in the Muslim communities. Nowadays representatives of the Muslim communities, as well as the research workers keep applying to the pre-Revolutionary sources. And it's not supprising. 18 million Muslims (31 million if we count Bukhara and Khiva) were dwelling in Russia. There were 26279 mosques in the country and 45339 clergymen. (The data from "The World of Islam". Vol.2 N 1-6. St. Petersburg, 1913). Articles and materials taken from pre-revolutionary Muslim editions are now reprinted in contemporary magazines. It's worth notice that many Muslim magazines and newspapers were resumed in the end of 80s - beginning of the 90s.

2. The National Library of Russia

The National Library of Russia has the most complete collection in the traditionally Muslim peoples' languages of Russia and the former USSR. This literature is stored in the Department of the national Literature in the Languages of Peoples of Russia and the Former USSR. That collection is accessible to all the readers and includes books beginning with the first

printed ones of the 17th century up to the present time. There is no other library in the world having e.g. a collection which could be compared to that of the Tatar pre-Revolutionary book. So the greater part of the research is concerned with the collections of the National library of Russia.

The great part of information on Muslim communities of Russia is located in books, newspapers and journals written in the Russian language. Though that literature is scattered among huge stocks of the National Library of Russia, which numbers over 30million units, so it is not an easy task to seek for it. As we said already it is more reasonable to search it with the help of the Subject Catalogue. The literature on Muslim communities of Russia and former the USSR is accumulated in the following rubrics of the Subject Catalogue of the National Library of Russia:

Islam - Azerbaijan

Islam in CIS

Islam - Georgia

Islam and national relations

Islam - History - Abkhazia

Islam - History - Daghestan

Islam - History - the Kazakh Soviet Socialist Republic

Islam - History - Kazakhstan

Islam - History - Kirghizia

Islam - History - the USSR

Islam - History - the Uzbek Soviet Socialist Republic

Islam - Russia

Islam - Russia-Periodicals

Islam - Russia-Articles

Islam - the Northern Caucasus

Islam - Middle Asian Republics

Islam - Middle Asia

Islam - Tadjikistan

Islam - the Tatar Autonomous Soviet Socialist Republic

Islam - the Checheno-Ingush Autonomous Soviet Socialist Republic

One of the basic points of our research is the supposition that the information on Muslim communities in the Russian libraries should be searched in accordance with the names of the peoples who owing to tradition confess Islam. In case of the Subject Catalogue of the National Library of Russia it is worth applying to the following rubrics:

Adyghes

Avars

Azerbaijani

Bashkirs

Ingushes

Kazahs

Kirghiz

Kumyks

Lezgins

Tabasarans

Tadjic

Tatars

Turkmen

Uzbek

Chechens

E.g.the rubric "Tatars" is connected with the following rubrics accumulating literature on the theme of our search:

Kasim's Tatars

Kazan's Tatars

Volga Region's Tatars

Siberia's Tatars

Tatars in St. Petersburg

It is very important that under the Subject Catalogue of the National Library of Russia you can find literature both in the Russian language and in the European languages. Literature in the native languages of the Muslim communities of Russia is reflected only in the catalogues of the Department of the national Literature of the peoples of Russia and the Former Territory of the USSR. The Catalogues of the Department are presented only in a card version, there is not any electronic version so far.

The National Library of Russia has the biggest collections of the Russian pre-Revolutionary printed boks. In our research we dwell also on the pre-Revolutionary editions.

Before the revolution there existed a great number of periodicals reflecting life of the Muslim communities of Russia. The most part of them were printed in the native languages of the Muslim peoples of Russia and they can be found in the Department of the national Literature (in the Languages of the non-Slavic peoples of Russia). We shall dwell upon the contents of those collections later on. The most interesting of the Russian language periodicals are the journals "Foreign Review" ("Inorodcheskoye

Obozrenie").-Kazan, 1912-1917. and "The World of Islam" ("Mir Islama").-St. Petersburg, 1912-1914. The magazines have materials about the life of the communities, and their spiritual and secular life, news of the Muslim world. The full complexes of these editions are stored in the Department of Russian Journals in the National Library of Russia. A lot of factual materials can be found in the newspaper "The Turkmenian Record" ("Turkmenskije Vedomosti") which was edited in Russian since 1870 in Tashkent. That newspaper was accompanied with supplements printed in the languages of the Muslim peoples of the Middle Asia. All the issues of the newspaper are stored in the Newspaper Department of the National Library of Russia.

Among the information sources there are also address books covering different towns of Russia and the USSR. Address books edited in the 20s and 30s years are especially valuable. It is known that in Russian cities representatives of national Muslim communities lived in definite areas together. And if there was no mosque in the town the prayer hall was arranged in one of the town buildings in the residential area of the Muslim community. At those prayer halls there were also primary schools where children could learn the Arab alphabet, Koran, and other basic things of the culture. Later in the 60s new residential areas were constructed and the members of the community were scattered in different parts of the city and live connections inside the local Muslim communities grew feeble. All those changes could be followed with the help of the address books, such as "All the St. Petersburg". The full collection of address books of Russia and the USSR is located in the Central Reference Library of the National Library of Russia.

2.2. Review of the language collections of the literature of the peoples of Russia & the former USSR in the Department of national (non-Slavic) literature of the National Library of Russia

The Department of national Literature belonging to the peoples of Russia had been founded in 1949 after the Oriental Department was divided. On 1st January 1998 the Department stock was numbering 1,5 units (books, newspapers and magazines). There is literature in 90 languages. The collection is arranged according to the language. Books, newspapers and journals are stored separately. The Department catalogues are also organised in accordance with the language. The catalogues are not transferred into the electronic form, though that work will be fulfilled in near future only. In the general catalogues of the library (the General Alphabetical Catalogue, the Subject Catalogue, the Classification Catalogue) the main part of the literature is not reflected at all but for the editions with a title page not only a native language but in the Russian, or some other European language as well. In accordance with the theme of the research we are making the survey of the collections of the Department of Muslim Literature of Russia and the former USSR. All the collections of the Department are acceptable to all the readers of the National Library of Russia. There are no any limitations whatsoever. The editions kept in the stocks could be taken through the international interlibrary borrowing service, it is also allowed to make copies. One thing makes it difficult to read the books of the Muslim communities of Russia, which is characteristic of all the editions, - it is the existence of the three alphabetical bases. Most of the readers read the literature in the native language printed on the basis of the Russian alphabet and do not apply to the editions printed on the basis of the Arab or Latin

alphabet. A lot of them, e.g., the Tatars living in St. Petersburg, read only in Russian or in Tatar presented with the help of the Russian alphabet. So they cannot read all the rich pre-Revolutionary editions printed on the Arab basis.

Before the revolution the most part of books, newspapers and journals of the Muslim communities of Russia were printed in the Arab alphabet basis. So there is an opinion among the researchers that printing books written in the native languages of the Muslim communities with the help of the Cyrillic alphabet was one of the ways to deprive them of their native language and make them use Russian. For the Muslim peoples of Russia the special alphabet based on the Russian graphics was designed, the dictionaries were printed and translations of the Russian literature as well. The political course aiming at the Russian orientation of the other peoples is defined in the resolutions of the State Duma in 1907: "We must by all means teach the aliens the Russian language so that in each generation it grew closer to them, and our Russian culture became theirs." The politics of wiping off the national culture and religious traditions continued after the revolution under the slogan of constructing the new historical community of people - "the soviet people". Sometimes ideological reasons distorted the facts. So in "The Soviet Encyclopaedia" it says that the Dargin language had had no written language before the revolution. ("The Soviet Encyclopaedia" volume 7-M., 1972). But in the Department there are two pre-Revolutionary books in the Dargin language printed in Petrovsk (Makhatchkala) on the basis of the Arab alphabet.

Nowadays some of the traditionally Muslim republics which used to be Soviet passed on to the Latin alphabet. Since 1993 it is introduced in

Azerbaijan and Uzbekistan. Turkmenia has passed on to the Latin alphabet, and Tatarstan is going to do it. It is sure to result in disconnecting the community off the modern written culture of the people once again.

The Azerbaijan Stock:

The Collection of books in the Azerbaijan language is numbering 48thousand units. There are collections of newspapers and journals in the Azerbaijan language. Then to the law making all the publishing houses send one copy of each edition to the National Library the Library has quite a full complex of Azerbaijanian newspapers and journals covering the period from the end of the 20s to 1989. The Azerbaijanian literature like all the printed products of the Muslim communities living on the territory of the Russian Empire and the USSR has three written bases - the Arab, the Latin and the Russian ones.

The Reference Apparatus for the Azerbaijanian collection consists of the Classification catalogue of books, the Language Catalogue divided into books, newspapers and journals. Books written in the Azerbaijanian language are also presented in general catalogue of the Department in the order of Russian alphabet.

The Department has about 3thousand books printed on the basis of the Arab alphabet. 9 thousand books of the collection were printed in the period from the Mid 20s to 1937 on the basis of the Latin alphabet.

There are about 950 books in the Azerbaijanian language edited before the revolution on the basis of the Arab alphabet. The most part of them -

about 400 - is fiction. They are poems, historical novels, and plays. The next big part of them is religious literature. They are sermons, admonitions, religious treatises, collected prayers, readers in Koran. The books were printed not only in Baku, Gyanja, but also in Daghestan. So the book called "Essential Islam" was published in the Azerbaijanian language in Temirkhan-Shura (now Buinaksk) in Mavraev's Publishing House in 1911. All in all there are about 100 pre-Revolutionary books in the Department. Among them are such books as "The History of the Islam Culture" by Zeidan published in 1913 in Baku.

The next biggest group of books are textbooks - about 80 titles. It is important that most of the books are concerned with the history of Islam, traditional Muslim education, Muslim moral. In the Department there are pre-Revolutionary books on shariat laws and history of Azerbaijan and its neighbours (in the language). Some of the most interesting books are Reports of the Muslim Societies which were working in the field of popularising literacy. For the Azerbaijanian books were printed also in Russia, Armenia, Georgia, Tataria - we can have an opinion about the life of the Muslim Azerbaijan communities in the Russian Empire.

The books of the Department printed after the revolution in the period from the end of the 20s to the end of the 50s is very much influenced by the cruel pressure of the communist ideology. Though we can find in them a lot of interesting facts about the life of Azerbaijan Muslim community in the USSR. First of all it is true about the bibliographic editions, official documents regulating the life of the Azerbaijanian people. E.g., in 1921 the very valuable bibliographic edition by Mamed-Zade "The Azerbaijanian Turk Books Printed from 1875 to 1921" was published in Baku.

A very valuable information about the life of the Azerbaijanian people and Azerbaijanian Muslim communities in the Russian Empire can be found in the Azerbaijanian newspapers and journals.

All the Azerbaijanian pre-revolutionary newspapers and journals of the Department were printed on the basis of the Arab alphabet. The Department has the following pre-Revolutionary newspapers:

"Asar hâgigat." (The truthful compositions)-Baku. (1911 NN1.1912 NN1.)

"Achik Sez (The clear word). -Baku. (1915 NN1-74. 1916 NN75-183, 185-212, 214-240, 242-250, 252-264, 267, 269, 271, 273-321, 323, 344, 346-358, 360-364. 1917 NN365-374, 373, 376, 377, 379-388, 391, 393-405, 408-414, 416-423, 425-431, 435-445, 448-452, 454-456, 458, 459, 461-474, 477, 479, 480, 482, 484-487, 489-492, 495-546, 549-553, 559-564, 566, 568, 569, 575, 578-580, 590, 591, 593-597.).

"Bâku hâyatı" (The life of Baku) -Bku. (1912 NN 1-4.).

"Basirat" (The vigilance) -Bâku. (1914 NN 1-35. 1915 NN 36-63, 65-73. 1916 NN 74-102, 104-131. 1917 NN 132-140, 142-149, 151, 152, 154-166, 168-173, 175.).

"Hoommet".-Baku; Astrakhan. (1917 NN 1-3. 1919 NN 17, 21, 26. 1920 NN 35.). "Dîgru soz" (The truly word). -Baku. (1916 NN 1-10, 12-24, 26-37. 1917 NN38-40.).

"Ziay" (The light). -Tbilisi. (1879 NN 1-4. 1880 NN 5-18, 20-30.).

"Ziay-i-Cavcasia" (The brightness of Caucasus) -Óbilisi. (1880-1881 NN 1-3. 1881-1882 NN 1-4, 5-31. 1883 NN 32, 2-31. 1884 NN 2-4, 6, 10.).

Akinchy (The sower). -Baku. (1875 NN 2-12. 1876 NN 1-24. 1877 NN 1-20.). "İgbal" (The bliss). -Baku. (1912 NN 1-249. 1913 NN 250-543. 1914 NN 544-827. 1915 NN 828-923.).

"Igdam" (The enterprise).-Baku. (1914NN 1-9. 1915 NN 10-72.).

"Irshad (The guide.-Baku. (1906NN21, 39, 102-122, 125-140, 142, 143, 145-153, 155-159, 161-171, 173-179, 182-186, 188-195, 197-205, 207-220, 224-230, 232, 234-245, 247-252, 254-256, 259-281, 283-294, 296.1907NN3-25, 27-49, 51-70, 72-88, 90-115, 116-131. 1908NN1-95.).

Ittifag" (Unity) -Baku. (1908 NN 3-25. 1909 NN 1-226.).

"Ishig" (Light). -Baku. (1912 NN 2-4, 6-13.).

"Yeny igbal" (The new bliss).-Baku. (1915NN1-196.1916NN 197-388, 390-470, 472-494.1917NN495-505, 507, 508, 509-552, 555-560, 562, 563, 565-567, 569-579, 581-586, 588, 591, 593, 594, 596-597, 599-605, 608, 609, 611, 613-655, 657-662.).

"Yeny Igdam" (The new enterprise) -Baku. (1915 NN 1-40, 42-103, 105, 106, 108-154.).

"Yeny irshad" (The new guid) -Baku. (1911 NN 1-83, 85-100. 1912 NN 4 - 53.).

"Yeny Hagigat" (The new truth) -Baku. (1911 NN 3-44.).

"Eeshkul"-Óbilisi. (1883-1891 NN 9-123.).

"Kunesh."-Baku. (1910 NN 4-70, 72-104. 1911 NN 1-17.).

"Mazgar" (The Apparitions). -Óbilisi. (1908 NN 1-7, 8. 1909 NN 1-11, 13. 1910 NN 14-17. 1911 NN 1. 1912 NN1. 1913 NN 1. 1914 NN 1. 1915 NN 2-7. 1916NN1. 1917 NN1.). " Íalumat" (The News). -Baku. (1911 NN 1-42). "Íusavat" (The Equality). -Baku. (1917 NN 1, 3.).

"Nidjat" (The Rescuå). -Baku. (1910 NN 1-6. 1911 NN 7-58, 60. 1912NN 1-26.). "Palahduz". -Baku. (1910 NN 1-11. 1911 NN 1-2, 4-10.).

"Sada" (The Voice). -Baku. (1909 NN 1-69. 1910 NN 1-24, 26-27, 29-65, 67-264.1911 NN1-146.).

"Saday Cävkaaz" (The voice of Caucasus).

-Baku. (1915 NN 1-72, 74-81, 83-88, 90-139, 141-169, 171-176. 1916 NN 1-29.).

"Säday hag" (The voice of verity). -Baku. (1912 NN 1-238. 1913 NN 1-300. 1914 NN 1-301. 1915 NN 1-122.).

" Sovgat" (The Gift). -Baku. (1916 NN 1-29, 31-53, 55-79, 81-98. 1917 NN 99-108, 110-121, 123-132, 134-149, 151-155, 157, 158, 164, 169-175, 181-183, 185-188, 190, 192-197, 200-210.) .

" Son habar" (The last news). -Baku. (1915 NN 1-35. 1916 NN 36-37.).

"Taza habar" (The new news). -Baku. (1912 NN 4-58, 60-88. 1914 NN 1-3. 1915 NN 4-25.).

"Òäza heyat" (The new life).-Baku. (1907NN12, 14-29, 31-115, 117-136, 138-146, 148-168, 170-209. 1908 N 210.NN 2-7, 9-36, 38-111, 113-230.).

"Òärakky" (The progress). -Baku. (1908 NN 4-9, 11-20, 22-38, 42, 46-76, 80-112, 114-128. 1909 NN 1-97, 99-196, 198-225.).

" Hågigat" (The truth) . -Baku. (1909 NN 1-6. 1910 NN 1-143, 145-158, 160-164.).

"Hagigat afkar" (The thoughts of truth) -Baku. (1911 NN 1-11. 1912 NN 1-8.). "Heyat" (The life) -Baku. (1905 NN 1-6, 8-12, 14-17, 20-131. 1906 NN1-25, 27-82, 84, 86-179, 181-192.).

"Hameyat" (The Attachment). -Astrakhan. (1907 NN 1-7.).

"Hilal (The Moon). -Baku. (1910 NN 1-2. 1911 NN 1-3.)." "Charigchy" (Web-footer) . -Baku. (1911 NN 1-12, 14-16. 1912 NN 17-21.). " "Shàrgee Rus" (The Russian East). -?bilisi. (1903 NN 1-115. 1904 NN1-13, 15-74,

77-79, 81-86, 89-99, 101, 102, 104, 106-119, 121, 124, 204-209, 211-216, 218-220, 222-224, 226-228, 230-237, 239-241, 243-247, 249-253, 255-263.).

In the Department there are the following magazines:

Ari (The bee).-Baku. (1910 NN1, 2.1911 NN3-13.).

Babay-ameer (the Joker).-Baku. (1915 NN1-31. 1916 NN1-29.).

Bakhul.-Baku. (1907 NN2-9.).

Burhany-Hagigat (The Argument of Truth).

Erivan. (1917 NN 2-3).

Dâbistan (The School).-Baku. (1906 NN1-5.).

Dirlik (The Life).-Baku. (1914 NN2-7. 1915 NN9, 12-17.1916 NN2-9.).

Yeni flewzat (The new blessing).-Baku. (1910 NN2-11. 1911 NN 1-10.).

Zanbur (Thewasp).-Baku. (1909 NN 1-40, 42. 1910 NN 1-28.).

The Mirror.-Baku. (1910 NN1-5.)

Kel-niyat.-Baku. (1912 NN1-17, 19-31. 1913 NN1-6.).

Lek-Lek.-Årivan. (1914 NN 1-12.).

Maktab (The school).- Baku. (1911 NN1-3.1912 NN4-22.1913 NN1-22.1914 NN1-20.1915 NN1-15.1916 NN1-8, 11.).

Molla-Nasreddin.-Baku. (1906 NN1-39.1907 NN1-48.1908 NN1-52.1909 NN1-52. 1910 NN1-42. 1911/1912 NN 1-47. 1913 NN1-29. 1914 NN1-25.).

Rechber (The guide).-Baku. (1906 NN1-3.1907 N 5.).

Tuty (The Parrot).-Baku. (1914 NN1.1915 NN2-7, 9-45.1916 NN1-42, 44-46.1917 NN1-10, 12-13, 17-21.).

Flewzat (The blessing).-Baku. (1906 NN1-6.1907 NN7-15, 17-32.).

Hak-yely (the Way of Truth).-Baku. (1911 NN1-3.1912 NN4-21.).

Shalala (The Waterfall).-Baku. (1913 NN1-47.1914 Nn1-9.).

Shehaby Sagib (The Lighting).-Baku. (1911 NN2-8.).

The Bashkirs stock

The Collection of books in the Bashkir language is numbering over 12thousand editions. There is also a collection of newspapers and journals. The Reference Apparatus for the Bashkirian collection consistsof the Classification catalogue of books divided into books, newspapers and journals. Books written in the Bashkirian language are also presented in general catalogue of the Department in the Russian alphabet order of the titles. In the Collection there are about 600 Bashkirian books printed on the basis of the Arab alphabet. Mainly those are books printed in the 20s, beginning of the 30s. Those are agitation books translated from Russian, popular science editions, books on agriculture, decrees of the new power. There are only few pre-Revolutionary books - about 10titles only. The following editions of the beginning of the 30s may be interesting - "Directory for the Commission Checking the Lists of Persons of Citizens Deprived of Their Rights". It is known that such people as clergymen were deprived of their rights in that period. There are about 2thousand editions printed in the 20s, beginning of the 30s on the basis of the Latin alphabet.

In the 90s they started publishing Bashkirian books on Islam. In 1996 in Ufa the book by Bikbulatov "Lessons of Religion" (edition of 1917) is reprinted. In 1993 in Ufa Koran is printed in the Arab and the Bashkirian languages. In 1994 in Ufa the book "The Muslim Rights" is published. All those editions are presented in the Collection. The information about the life

of the Bashkirian communities before the revolution can be found in the Tatar periodicals of that period which is very well presented in the Department.

The Kazakhs stock

The National Library Collection of books in the Kazakh language is numbering over 37thousand units. There are about 3,5thousand editions printed on the basis of the Arab alphabet. 600Of them were printed before 1917. They passed on to the Latin alphabet in 1928, but few books were printed in the Arab alphabet till the 50s. In the end of the 30s they passed on to the Russian alphabet. There is also a s collection of the newspapers and journals. From the second part of the 20s and to the end of the USSR the Library used to get all the printed products in the Kazakh language according to the Law. The Reference Apparatus for the Kazakh Collection consists of the Classification Catalogue of books divided into books, newspapers and journals. The Kazakh books are also presented in the general catalogue in the order of the Russian alphabet.

Before the revolution the Kazhakh books were printed in Kazan, Moscow, Orenburg, Petropavlovsk, Semipalatinsk. Tashkent, Ufa. Only some of the pre-Revolutionary Kazakh books of the National Library collection are printed in the Russian alphabet. Among them are the heroic epic book "Er-Targhyn" published in 1862 by Nikolai Ilmsky, an Orientalist and the creator of the Christian Tatar schools. It is one of the oldest books of the Kazakh Collection.

We have looked through 610 pre-Revolutionary edition. The most part of them is fiction. Those are folk epic books, religious poems, plays. There

are over 10reprint editions of the lyrical poem "The Girl Named Zhibek". About 60editions on religion - religious treatises and textbooks. There are 24books for children, 15editions of textbooks, 10books on ethnography of the Kazakh people.

In the National Library Collection there are the following pre-Revolutionary newspapers in the Kazakh language:

Alash.-Tashkent. (1916NN 1-5.1917 NN 6-22.).

Birlik tuy. (The Banner of unity).-Tashkent. (1917 N8, 10-14, 16.).

Dala vilajaty gazety (The Kirghiz steppe newspaper).-Omsk. (1888 NN1-52.1889 NN1-52. 1890 NN 1-52. 1891 NN 1-51. 1892 NN1-52. 1893 NN1-22.1894 NN 1-51. 1895 NN 1-49. 1896 NN 1-52. 1897 NN 1-51. 1898 NN 1-52. 1899 NN 1-52. 1900 NN 1-52. 1901 NN 1-52. 1902 NN 1-12.).

Turkestan vilajaty gazety (Turkestan newspaper).- St.Petersburg; Tashkent. (1870 NN 1-8.1871 NN 1-24. 1872 NN 1-24 1873 NN 1, 2, 5-25. 1874 NN 2-8, 10, 12-24. 1875 NN 1-31. 1876 NN 1-33. 1877 NN 1-33. 1879 NN 1--28. 1880 NN 1-25. 1881 NN 1-24. 1882 NN 1-24.).

Kazak.-Orenburg. (1913 NN 1-44. 1914 NN 45-92. 1915 NN 93-163. 1916-1917 NN 164-219.).

Kazakhstan.-Uralsk. (1911 NN 1 (16/3), 2 (27/5), 1 (15/9), 2 (1/12), 3 (15/12) .1912 NN 4-12. 1913 NN 1-2.)

The Department also has the Kazakh magazine printed before the revolution on the basis of the Arab alphabet - "Ay-kap", - Troitsk. (1911 NN 1-12.1912 NN1-14. 1913 NN1-24. 1914 NN1-24. 1915 NN 1-14.).

From 1928 to 1938 the Latin alphabet was used in Kazakh books. In the collections of the National Library of Russia there are about 6000books printed on the basis of the Latin alphabet. Those are resolutions of the party

organs, decrees of the local administration, Communist leaders' works. There are a lot of textbooks, translations of the Russian classical literature. One can judge the contents of the books with the help of the titles. Before the revolution there were a lot of reprints of the poem "Get up, Kazakh!", but in that period the names of the collected poems do not sound solemn any more and look so sweet - "Wake up, Kazakh Shepherd!"

In spite of the ideological orientation many of the books printed after the revolution give the research workers some material to study the life of Kazakhs. E.g., Some information about confiscation of property were printed, as a result of that confiscation a lot of Kazakhs turned out to be on the verge of death. Now such a booklet as "Why Each Peasant Must Join the Society of Friendship with the Force" seems very funny, but in the end of the 20s a friendship like that was compulsory.

The Kirghiz stock

In the Department there are about 14thousand books in the Kirghiz language. 2,5 thousand of them were printed on the basis of the Latin alphabet. Those books were printed in the period from 1926 to 1939.

There are about 500Kirghiz books printed on the basis of the Arab alphabet in the period from 1924 to 30s. The Department has a very full collection of magazines and newspapers in the Kirghiz language for the period when Kirhizia was a part of the USSR.

The Reference apparatus for the Kirghiz Collection consists of the Classification Catalogue of Books, separate Alphabet Catalogues for books, magazines and newspapers. The Kirghiz books are reflected also in the

General Catalogue of the Department provided with descriptions both in the Kirghizian and Russian languages.

Most of the Kirghizian books presented in the Collection, printed on the basis of the Arab alphabet, are documents of the new administration, and Rules of different Communist organisations. There are also textbooks, and agricultural literature.

In the period from the end of the 20s to the beginning of the 30s books were printed on the basis of the Latin alphabet. They are works by the Kirghizian tellers - Toktogul, Togoloko Moldo, the epic work "Manas", the epic poems "Kurmanbek", "Janysh-Baiysh", "Er-Tabyldy" and others. But the most of the books presented in the Collection are printed on the basis of the Russian alphabet.

Kirghizian books of the Collection printed before the revolution on the basis of the Russian alphabet are the result of the orthodox missionary work. Those books were printed in Kazan.

The National Library of Russia has a full collection of Kirghizian books of the Soviet period, for the Library used to get all the printed production in accordance with the law. The science of history was very much influenced by the Communist ideology. Information concerning such aspects of the people's life as national traditions and the Muslim ethics, was presented in the editions of that period in a negative way.

The Crimean Tatars stock

The Collection of Books in the Crimean Tatar language numbers 3870 units. There is also a collection of newspapers and magazines. The

reference apparatus for the Collection of Books in the Crimean Tatar language consists of the classification Catalogue for books, the language catalogue divided into books, newspapers and magazines. The books are also presented in the General Catalogue of the Department in the order of the Russian alphabet. In the Department there is literature for the period from the last third of the 19th century to the present time. The common thing is characteristic of it, as of all the printed production of the Muslim communities of Russia 19th- 20th centuries, - the three alphabets - Arab, Latin and Russian.

Until the end of the 20s the Crimean Tatar book, newspapers and magazines were printed on the basis of the Arab alphabet. In the Department there are separate issues of such newspapers as "Vetan-Khadimi" of 1908, "Milet" (People), issues of 1906 and 1917, of the political literature newspaper newspaper printed in Bakhtchisaray. The Department has nearly all the issues for the newspaper "Terjiman" (Translator) for the period from 1883 to 1884 and from 1906 to 1917, printed in Bakhtchisaray by the famous enlightener Ismail Gasprinsky. It is interesting that even nowadays representatives of the St. Petersburg Crimean Tatar Community apply to that newspaper, making copies of some of its materials. The importance of that edition for Muslim of Russia was so great that some of the materials of "Terjiman" were printed in the languages of the Muslim communities of the Middle Asia and Azerbaijan. The Department has the following issues of pre revolutionary newspapers printed in the Crimean Tatar language on the basis of the Arab alphabet:

Vetan-hadimy.-Karasybazar. (1908 NN 2, 20-22.).

Millet (The people).-Bahchisaray. (1906 Oct.).

Terdjiman (Translator).-Bahchisaray. (1883 NN1-29.1884 NN1-47. 1889 NN2-5.1890 NN 20.1906 NN1-146. 1907 NN 1-50, 52-86. 1908 NN 1-81. 1909 NN 1-52. 1910 NN 1-52. 1911 NN 1-52. 1912 NN 1-40, 1-63. 1913 NN 1-287. 1914 NN 1-66, 68-132, 134-157, 160-268. 1915 NN 1-73, 75-286. 1916 NN 1-113, 115-117, 119-145, 147-148, 150-152, 154-160, 162-165, 167-181, 183, 185-187, 188-194, 196-256, 258-269, 271-276, 278-279.1917 NN 1-35, 37-42, 44-50, 66, 68, 70, 76-79, 133-141, 144-180, 182-191, 194-205, 207, 208, 214-232.).

The Department has about 200 books in the Crimean Tatar language, printed before 1917. The oldest one is that printed in 1832 in Kazan - it is the book by Seyid Mukhammed Risa "Asseb O-Sseyar", or "Seven Planets, containing the history of the Crimean khans from 1466 to 1737". The Crimean Tatar book was mainly printed before the revolution of 1917 in Bakhtchisaray (the Crimea). In the Collection of the Department there are Crimean Tatar books printed in Kishinev, Odessa, St. Petersburg. Among them are valuable from the historical point of view "Materials for the History of the Crimean Khanate" from the archive of the Foreign Affairs Ministry of Russia, printed in 1864 in St. Petersburg.

As to the contents the quarter of the pre revolutionary editions are religious ones. They are Koran readers, the history of Islam, directories for pilgrims. The next biggest part of the pre revolutionary Collection of books are textbooks for the Muslim schools. In the Collection there are also

children's books, bibliographies of Tatar books, books on medicine, geographic tours. There are also editions of the government committees and institutions. The Collection also has reprints from "Terjiman" concerning heredity cases of the Tatars considered at Russian courts.

After the revolution till 1927 Crimean Tatar books were printed on the basis of the Arab alphabet. They are decrees of the new administration, school textbooks, agricultural literature. 1928 the Latin alphabet was introduced and it existed till 1937. In the stocks of the National Library of Russia there are over 1500 Crimean Tatar books printed on the basis of the Latin alphabet. The ideological influence of the new administration in that period grew stronger. In that period the very characteristic name of selected poems was "Songs of the Happy Generation". The National Library of Russia has only few books in the Crimean Tatar language for the period from 1942 to 60s. In 70s-80s the Crimean Tatar literature was printed in Tashkent and the National Library of Russia has almost every edition of that period.

The Tatars stock

The Department has over 34 thousand books in the Tatar language. There is also a very good collection of newspapers and magazines printed in the Tatar language in Russia. The reference apparatus consists of the Classification Catalogue of Books, the Language Alphabet Catalogue of books, newspapers and magazines. The book stock is also reflected in the General Catalogue of the Department in the order of the Russian alphabet of the titles.

The Tatar books were acquired by the Public Empire Library in a very early period. In the Library report for 1810 it was mentioned that there were still unclassified 175 books in oriental languages, among which were books in the Tatar language. The books were to go under censorship and only after that were acquired by the stock. The oldest book in the Tatar language presented in the National Library of Russia is "The Decree of Catherine II" edited in St. Petersburg in 1780 About Striving of the Tatar Nation for Culture, for Preservation of the National and Muslim Traditions, gives evidence of a great number of books, newspapers and magazines printed before the revolution in the Tatar language. In 1913 there were printed more books in the Tatar language than in 1990. Since the 16th century, after the fall of the Kazan Khanate, Tatars were settling in the Russian Empire. Before the revolution Tatars were settling in definite areas of Russian towns, which helped preserve the national and religious traditions. E.g., in St. Petersburg they lived since the foundation of the city in 1703. That nation was very easy to enter all the areas of the Russian life from business to the service in the Emperor's best military units. Information on life of the Tatar communities in Russia is contained first of all in the periodicals of that period. In the Tatar periodicals there is a lot of information on other Muslim communities of Russia. Sometimes it is only the Tatar periodicals that gives such information. In 1905 the first Tatar newspaper "Nur" was printed in St. Petersburg. It was edited by Akhun Bayazitov. The newspaper published his materials on Islam, and wrote about spiritual, business and social life of the Tatar community of St. Petersburg. It presented some materials on the life of Muslim Communities in Russia and abroad, printed some official documents and laws concerning the life of the Muslims of Russia. The newspaper was necessary both to Tatars and other Muslim

communities of the North-West of Russia, separated from the Muslim centres, so that people living there were forgetting their native language and did not know the Arab alphabet.

The literature printed on the basis of the Arab and Latin alphabet is separated neither in the Catalogues nor in the Stocks of the Department. The literature printed on the basis of the Arab and of Latin alphabet was printed till the mid 20s when the special Tatar Latin alphabet was worked out and introduced.

The alphabet on Russian graphic basis doesn't satisfy some part of modern Tatar scientist and politicians. There exist already a decision of returning to Tatar alphabet on Latin basis. As a consequence the majority of the Tatar living outside Tatarstan will again experience difficulties while reading modern Tatar press.

It was already before the revolution of 1917 Tatar books and periodicals had been published both on Arabic and Russian graphic basis. Christian-Tatar are known to live in Tatarstan. It is easy to distinct pre-revolutionary sources of Tatar Christian community by Russian graphic basis. There are about thousand of pre-revolutionary editions on Tatar devoted to the problems of faith in the Department. About 200 are written on Russian graphic basis. These are books on Christianity for Russian Orthodox Tatars. About 800 pre-revolutionary Tatar books in the Department are printed on Arabic graphic basis. These are books on Islam, and prayer-books, collections of sermons, delivered in mosques, religious verses, and books on Muslim holidays. There are 30 reprint editions of Sufi treatise by Allajar Sufi "The Support of the Weak".

The majority of 1000 pre-revolutionary fiction books are printed on Arabic graphic basis. Russian graphics of Tatar language was used in books and newspapers which were published for Christian Tatars. We have not found any exceptions while studying Tatar stock in the Department.

The Department has the following pre-revolutionary Tatar's journals printed on the basis of the Arab alphabet:

Akmulla.-Troick. (1911-1912 NN 1-9. 1913 NN 20-32. 1914 NN 33-41. 1915-1916 NN42-51.).

Aq-yul (The Bright way): Journal for children.-Kazan. (1913-1914 NN1-24. 1914 NN1-17. 1915 NN1-24. 1916 NN1, 2.).

An (The conscience).-Kazan. (1912-1913 NN 1-24.1914-1915 NN1-24. 1915 NN1-24. 1916 NN1-24. 1917 NN1, 11/12. 1918 NN 1.).

Balalar donyasi (The childs world).-Kazan . (1917 NN 1, 2, 5, 6, 7. 1918 NN 8.).

ad-Din val-ad?b (The religious education). -Kazan . (1906 I NN1-3, 5-12. 1907 I NN13, 14. 1907 II NN1-14. 1908 III NN 1-7. 1913 III NN 8-24. 1913 IY NN1-3. 1914 IY NN5-19. 1914 Y NN 1.1915 Y 2-20. 1915 YII-3. 1916 YI NN 4-16.1916 YII NN 1-4.1917 YI NN 5, 6, 9.).

Din va magishat (The faith and life).-Orenburg. (1909-1916. 50 number in year. 1917NN 1-8, 16, 32-34, 45-47, 50.).

Iktisad (Theeconomy) .- Orenburg. (1909NN1-3, 8, 10-12. 1910NN3-12.1911NN1-12.1912 NN1-9. 1913 NN 1-6.).

Kandala (The bug). -Tomsk. (1918 NN 1, 2.).

Karmak (The fisfing-rod).- Orenburg. (1915 NN 1-24. 1916 NN 1-24. 1917 NN 1-4.)

Magarif (The enlightenment).-Astrakhan. (1909-1910 NN 1-14.).

Maglumat.-Ufa . (1908 NN 1-22.1909 NN 23-44.1910 NN 45-61.1915/1916 NN1-22.1917 NN 8.).

Maglumat-i gididia.-Ufa. (1911 /1912 NN 1-16.).

Maktab (The school).-Kazan. (1913 NN1-15.1914 NN1-10.).

Rossia saudase. (The Russian commerce).-Kazan. (1914 NN 1-12.1915 NN 1-12.)

Soyem-Bika. -Kazan. (1913 NN 1-4. 1914 NN 5-24.1915 NN 1-5. 1916 NN 6-24. 1916/1917 NN 1-4. 1917NN 5, 6, 9.).

Tup (The cannon).-Astrakhan. (1907 NN 1-3.).

T?ribia (The education).-Kazan. (1908 NN 1-4.).

T?ribia-i atfal (The education and children). -Moscow. (1907NN 1-5.).

Ufa kooperatori. -Ufa. (1917 NN 1-3.).

Ufa agricultures list. -Ufa. (1914 NN 1-27. 1915 NN 1-36. 1916NN 1-33. 19-7 NN 14-19, 32-33.).

Hokuk ve hayat (The law and life). - K?zan. (1913 NN 1-5. 1914 NN 1.).

Chayat (The scorpio).- Tashkent. (1917 NN 3, 6.).

Chukech.-Orenburg. (1909NN 71, 74, 75. 1910 NN 77, 78.).

Shura. - Orenburg. (1908 NN 1, 3-4, 6-16, 18.1909 -1915. 24 numbers in year. 1916 NN1-7, 9-24. 1917 NN 1-4, 8-24.).

Yaz (The spring). -Orenburg (1907 N 1.).

Yalt-ult (The glitter).-Kazan. (1910 NN 1-19.1911 NN 20-30. 1912 NN 31-35, 36-48. 1913 NN 49-64. 1914 NN 65-83. 1915 NN 84-102. 1916 NN 103-116, 118-122. 1918 NN 123.).

Yashen (The lighting).- Kazan. (1908 NN 1-5. 1909 NN 6-10.).

The Department has the following pre-revolution?ry tatar's newspapers:

Azad (The free).-Kazan. (1906 NN 1-56).

Azad halyk (The free people).-Kazan. (1906 NN1-15.).

Astrakhan Telegraphy).-Astrakhan. (1915 N1)

Bajanulhak (The explanation of truth).- Kazan. (1906 NN1-111. 1907 NN112-135, 137-264.1908NN265-413.1909 NN414-524, 526-560.1910 NN561-706.1911 NN707-955.1912 NN956-1157. 1913 NN 1158-1288.1914 NN1289-1307.).

Beznen il. (Our Land)-Moscow. (1916 NN 1-7. 1917 NN8-14.).

Borhan-i taraqqi (The progressive word).-Astrakhan. (1906NN 31-57. 1907NN58-120, 1-5.1908 NN6-61.

1909NN62-109.1910 NN110-128.1911 NN129-146.).

Vaqit (The time).-Orenburg. (1907 NN 238-261.1908 NN264-268, 270-303, 305-315, 317-330, 337-378, 380-385, 387-390, 392-393, 395-397, 399-400, 402-413.1909 NN414-418, 420-463, 465-496, 498, 500-503, 505-507, 510-560.1910 Nn561-712.1911 NN713-898.1912 NN 899-1095. 1913 NN 1096-1379. 1914 NN 1380-1667. 1915 NN1668-1763, 1765-1952. 1916 NN 1953-2151.1917 NN2152-2184, 2203-2300.1918 NN2302-2308.).

Duma.-St.Petersburg. (1907 NN 1-6).

al-Galam-i-moslimin (The Muslim world). -Ufa. (1906 NN1-40.1907 NN1, 2.).

Idel (The Volga).-Astrakhan. (1907 NN1-8, 10-14.1908 NN15-66, 68-105, 107-116.1909 NN 117-216. 1910 NN 217-315. 1911 NN 316-414. 1912 NN 415-514, 1913 NN515-616. 1914 NN617-623.).

(The Homeland).-St.Petersburg. (1913 NN1-9.1914 NN10-55. 1915NN 56-89.1917NN 72.).

Islax (The reform).-Astrakhan. (1907 NN 1-3.).

al-Islax (The reform). -Kazan. (1907 NN1-2, 4-12.1908 NN 13-14, 16-55. 1909 NN 56-61, 63-68.).

Yoldiz (The star). -Kazan. (1906 NN 1-70. 1907 NN 71-209. 1908 NN

210-346. 1909 NN 347-485. 1910 NN 486-626. 1911 NN 627-773. 1912 NN 774-924. 1913 NN 925-1093. 1914 NN1094-139. 1915 NN 1340-1582. 1916 NN 1583-1735. 1917 NN 1736-1762, 1764-1781, 1783-1784, 1810-1824, 1826-1832, 1834-1838, 1840-1841. 1843, 1845-1855, 1858-1859. 1918 NN 1860-1900.).

Qazan moxbire (The Kazan herald).-Kazan. (1905 NN 1-18. 1906 NN 19-196. 1907 NN 197-261. 1908 NN 262-310. 1909 NN 311-359. 1910 NN 360-404. 1911 NN405-416.).

Qoyash (The sun).-Kazan, (1912 NN 1-12. 1913 NN 13-301. 1914 NN302-594. 1915 NN 595-884. 1916 NN 885-1037, 1039-1061. 1917 NN 1062-1102, 1104-1107, 1109-1122, 1124-1130, 1132-1149, 1151-1162, 1164-1175. 1918 NN 1231-1234.).

Mizan (The scales). -Astrakhan. (1908 N 1. 1909 NN 2-24.).

Nur (The light).- St.Petersburg. (1905 -1914 NN 1-310.).

Rus va moselman moxbire (Russian-Muslim herald).- Kazan. (1909 NN1-3.1910 N1.).

Siberia. -Tomsk. (1912 NN1-59. 1913 NN 60-145.).

Sugish Chabarlare. (in russian graphic base)-Vyatka. (1916 NN1-14. 1917 NN 1-4, 6-7, 11/12.).

Suz (The word). -Moscow. (1915 NN1-6. 1916 NN7-55, 57-87.).

Tavysh (The voice). -Kazan. (1907 NN 1-6.).

Tan yoldizi (The North star). -Kazan. (1906 NN 1-61, 63-65.).

Tan magmugasi.-Kazan. (1906 N 1. 1907 N 2.).

Tormish (The life). -Ufa. (1913 NN 1-17.1914 NN18-105. 1915 NN 158-387. 1916 NN 388-567.1917 NN 568-573, 575-580, 582-584, 586-594, 596-597, 599-600, 602-606, 608-619, 621-623, 625-626, 630, 633-638,

641, 643-645, 647, 653-673, 675-679, 680, 681-688, 689-709, 711, 714, 716-721, 723, 725-734, 736, 738-776. 1918 NN 777-796, 798-818, 820-832.).

Ulfiat.-St.Petersburg. (1905 NN1-3.1906 NN4-48, 51-53.1907 NN54-83.).

Chalik (People).-Astrakhan. (1914 NN1-52. 1915 NN53-65.).

Achbar (The herald).-Kazan. (1907 NN1-9.1908 NN10-85.).

The Tadjiks stock

The Collection of books in the Tadjik language is numbering 12. 5 thousand units. There are about 500 books printed on basis of the Arab alphabet. Near 1200 books were printed on basis of the Latin alphabet. Tadjik's books on the Russian graphic basis have been printed from the end of the 30s till nowadays.

The National Library of Russia has a full collection of Tadjiks books, journals and newspapers of the Soviet period, for the library used to get all the printed production in accordance with the law.

The Reference apparatus for Tadjik stock consists of the Classification Catalogue of books, separate Alphabet catalogues for boks, magazines and newspapers. Tadjiks books are reflected also in the General Catalogue of the Department provided with descriptions both in the Tadjik and Russian languages.

The Department has 20 books printed before 1917 on the basis of the Arab alphabet. The Tadjik books were printed in Tashkent, Samarkand, Kazan, St. Petersburg. Among them is the work "About some events in

Bukhara, Kokand and Kashgaria" was printed in Kazan in 1861, the Sufis articles by Ubeydalla Hodja was printed in Tashkent in 1910, "The diary of journeys of Ameer of Bukhara" was printed in 1895 in Kazan. Among other books we can find books on the principles of faith, didactic verses for children, collections of poems and musical pieces.

After the establishment of Soviet Power along with textbooks on national language, editions of fiction literature popular in the whole Middle East, mostly propagandist books, works by communist leaders and books that praise the new regime were printed in Dushanbe. All this literature is well represented in the Department. In this period quite a lot of atheist literature opposed to some traits of traditional folk life of Tadjik.

In the Department some of the editions that were published in the beginning of 90s in Dushanbe that deal with different sides of life of the contemporary Muslims of Tadjikistan. There are also commentaries of Koran, admonitions directed to the faithful, calendars which were published at the same time.

The Turkmen stock

The Collection of books in the Turkmen language is numbering about 13 thousand books. The Department also has journals and newspapers published in Turkmenistan after the establishment of Soviet Power. The Reference apparatus for Turkmen stock consists of the Classification catalogues of books, separate Alphabet Catalogues for books, magazines and newspapers. The Turkmen books are reflected also in the General Catalogue of the Department provided with descriptions both in the

Turkmen and Russian languages.

The Department has about 500 books were printed on the basis of the Arabic alphabet. In the Turkmen collection there are about 2000 books printed on the basis of the Latin alphabet.

The books on Turkmen language were being published in the beginning of the XX century in Baku, and Tashkent. In 1907 there was edited in 50 copies "Mistical poem spread among Turkmens of Kaspian region" by Magimguli. The Department has this book. In Tashkent was also published a reprint of "The light of teaching: exposition of Muslim dogma" from "Turkestan native newspaper" of 1905-1906.

The main part of books and periodicals in the Department is printed in Russian graphics. Turkmenistan now has started to use Latin graphic. But the Department receives little literature from Turkmenistan now.

The Uzbeks stock

The Collection of books in the Uzbek language is numbering 55,5 thousand units. The department has quite a full complex of Uzbek newspapers and journals covering the period from the 20s to 1990. The Uzbek literature like all the printed products of the Muslim communities of Russia and the former USSR has three written bases - the Arab, the Latin and the Russian ones.

The Reference Apparatus for the Uzbek stock consists of the Classification catalogue of books, the Language catalogue divided into books, newspapers and journals. Books written in the Uzbek language are

also presented in General catalogue of the Department in the order of Russian alphabet. In Language catalogue are not separated Uzbek books printed on the Latin graphic basis, but are separated editions printed on Arab graphic basis. In this case the carts are put in reformed Arab alphabet order.

Uzbek printed books in the Department are dated from the middle of XIX century to nowadays. But now the books received are small and odd.

From 3,5 thousands of Uzbek books in the Arabic graphic basis in the Department about 800 had been published before the establishment of Soviet power in Uzbekistan. The books were published also out of Uzbekistan - in Baku, and Kazan. 56% of pre-revolutionary books are on religious subjects. These are prayer-collections, treatise on religious philosophy, religious verses and books on the history of Islam. The Sufi treatise in verses "The Support of the Weak" by Allajar Sufi, which was published also in other languages of Muslim peoples (Tatar, Kumyk) is among them. The earliest edition of "The Support of the Weak" in the Department was published in 1846. There are 10 editions of this treatise in the Department. But the record-breaking in reprints is the book of religious verses of Bakyrangani Suleimena - they are 80 between 1846 and 1916. One of the eldest books in Uzbek language in the Department is "The Narration of Usuf", published in 1839. Unfortunately this book is without the title. There is in the stock repeatedly republished book "The Nukshbundi society member way of action" by Majzub Namangon. 25% of pre revolutionary Uzbek books in the Department is fiction, 8% is educational literature. There are also books in Muslim law, linguistics, and history. There is, for example, "The Turkestan history" by Olim Mahdum Hodji, published in

Tashkent in 1915.

Of great value for the scientists are pre revolutionary Uzbek newspapers. These are:

"Asia." -Tashkent. (1908 NN 1-3, 5.).

"The voice of Turkestan" (Saday Turksan). (1914. (NN 1-67.).

Kentash (The council). -Tashkent. (1917 N1.).

Nazhot (Theliberation) (1917NN1, 7, 9/10, 12/13, 17.). Samarkhand .- Samarkhand, (1913 NN 6, 10, 12-14, 21-23, 25, 27, 31-32, 45.). This newspaper was published in Russian. The Department has numbers for 1904-1907 yy. and for 1913 y. (NN 1-44.).

Saday Fergana (The echo of Fergana). Kokhand- (1914 NN 1-99, 1915 NN 100-123.).

Tarakhy (Progress). -Tashkent. (1906 NN 1-18.).

Todjar (Businessmen). (1907 - 1908 NN 1-20.).

Trik suz (The word). -Kokhand.1917 N1.

Turan, 1917 N 1-4.

Turkestan vilayty gazety.-Tashkent, (All numbers for 1887-1891, 1897-1917 yy)

Turk aly. (1917 NN 1-2.).

Hurriyat (The freedom) (1917 NN 20-35, 37-43, 44-49, 51-53, 55-57, 60-62.1918 NN 65-66, 70, 72-80, 84, 86.).

Hurshid (The sun)-Tashkent. (1906 NN1-10.).

Shuhrat (The glory). -Taskent. (1907 NN1-4. 1908 NN 5-10.).

The Department has pre-revolutionary journal "Aina" (The mirror)was published in Samarkhand (1913 NN2-10.1914 NN14-12, 19-52, 1-6.1915 NN7-16.).

The North Caucasus stocks

The North Caucasus stocks includes books, newspapers and journals on languages of the peoples of Daguestan (Avars, Dargin, Kumyghs, Lezgin, Lucks, Tabasarans ? ??), Adyghes, Chechens, Ingushes. In the Department there are approximately 40.000 books on these languages. Same as the whole literature of Muslim peoples of the former USSR they were printed with the use of 3 graphical basis of alphabet: Arabic, Latin and Russian.

The Reference Apparatus for the North Caucasus stocks consists of the Classification catalogues of books for each language, the language catalogues divided into books, newspapers and journals. Books written in the North Caucasus languages are also presented in General catalogue of the Department in the order of Russian alphabet.

Muslim peoples of the North Caucasus are closely linked to the place where they live, their faith, general history and, particularly, the history of book-printing. Printing in the North Caucasus started at the end of the XIXth century and the first books in many North Caucasus languages were printed in Dagestan - in Mavraev's Printing House "Islamiya" in Temirchan-Shura and in Mikhailov's Printing House in Port-Petrovsk (Makhachkala) with the use of Arabic graphic. Arabic written language came to Caucasus with the spread of Islam between XVI and XVIII. Until the end of the 20s of the XX th century. Until the end of the 1920s Muslim schools functioned in Dagestan, Chechnia and Ingushetia. The books were printed using the Adzham system of writing based on Arab alphabet. In the two printing-houses of Dagestan before the Revolution 1917 about 400 books in North Caucasus languages were printed. Textbooks for Muslim schools,

dictionaries (Arab-Kumyk, for example), collections of prayers, religious poems and treatises were published.

The books in Avar, Dargin, Kumyk, Lakh languages that are kept in the Department were printed in the Mavraev Printng House in the beginning of the century. These are, for example, some of the books that are found in the Department: in Avar: Gazi Muhammad "Knowledge on prophet Muhammad, on the problems of Islam worship".-Temirkhan-Shura,1912. "A collection of verses in local languages" .- Temirkhan-Shura, 1911.

In Kumyk: Amirov Z.I. "Islam faith:for young people and pupils".-Temirkhan-Shura,1912. Abusafian "omplaints of the Young Girl".-Temirkhan-Shura, 1910. Batyr Murzaev Puhay "The Fall of Habibi".-Temirkhan-Shura,1910. Hadjaev A. "stronomy of Islam" .- Temirkhan-Shura, 1909. The same: "The Way of Salvation" .- Temirkhan-Shura, 1908. The same: "The delight of children:alphabet .- Temirkhan-Shura, 1909. The same: "The Collections of folk poems" .- Temirkhan-Shura, 1907. (There are reprints 1909, 1912 and 1914).

In Lak: Muhammad Balhar"Admonitions and sirmons for Common People". -Temirkhan-Shura, 1912. Muhammad Mirzaev Gaysa "The River of Tears".- Temirkhan-Shura, 1910. Ahmedov Gabdulla "the Book-Collection of Truth" .- Temirkhan-Shura, 1910. Ramazanov G. "Abidged theses of Muslim Religion and Sayings of Mohammed." -Temirkhan-Shura, 1909. Djandarov Dj. "The Mother of Crimes (on the harm of hard drinking)". -Temirkhan-Shura, 1912.

The books in the languages of peoples of the North Caucasus were printed before Revolutionary of 1917 in the Arabic alphabet basis also in

Simferopol, Bakhtchisaray (Crimea), port-Petrovsk (Dagestan). For example in 1903 Kumyk treatise on Muslim theology "The Saving Boat" by Kusi Akay Abusafian was published in Bahchisaray and the collection of verses by the same author was published in Simferopol. Both editions are in the Department. On Dargin language there are collection of verses of Avar and Dargin poets and the collection of verses on the principles of Islam. Both books were issued in Port-Petrovsk. Books on languages of peoples of the North Caucasus were also published on basis of Cyrillic alphabet. "Arithmetic in Kumyk language" issued in Tbilisi (Tiflis) in 1867 is written on Russian graphic basis. The manual is composed by Abdulla Omar-Ogly. "Avar tales and songs" were published in 1867 in printing-house of Headquarter of Dagestan Troops in Temirkhan-Shura. There is in the department the book by Kadi Ansar Magomet "Ansar in love" published in Hasovjurt (Chechnia) in 1913.

In a sum it may be stated that the Department stocks on the languages of Muslim peoples of the North Caucasus rather reflect the policy of new power towards those peoples than give the information about their life. 70% of the literature in the Department is printed in Cyrillic alphabet. 20% of books are printed in Latin alphabet and 10% - in Arabic graphic basis.

Directions and documents of the authorities, agricultural literature, books of communist classics and atheistic literature were being published on Arab graphic basis during first years of Soviet power. To the above mentioned in Latin alphabet were added translations of Russian classics, new law and Constitutions, school textbooks. In 30th and beginning of 50th propagation literature and literature on agriculture was prevailing. The rise

of atheistic publications can be fixed in 50th. In 70th -80th prevailed school manual literature, national fiction and collections of poesy. In the end of 80th there begins to be published alongside with books of national writers also the books on Muslim religion. Koran was published, pre revolutionary Muslim books were republished (on Russian graphic basis). There appeared original publications dedicated to life and history of Muslim communities in Russia. The book by A.Zafes "Islam in Adyghe" was published in Krasnodar on Adygh language in 1989.

The National Library of Russia receives a complimentary copy of books, newspapers and magazines from all Northern-Caucasus Republics which are in the staff of Russia. There is a full number of newspaper and magazines which were issued in Northern-Caucasus Republics during the years of soviet power in the stocks of the Department. Beginning from 1990 almost nothing has been received from Chechen Republic.

Review of the scholarly libraries of St. Petersburg having collections on Muslim communities of Russia

The Library of the St. Petersburg Ethnographic Institute was founded in 1902. The Library stock is numbering 100 thousand units. The literature on Russian and European languages dedicated to different sides of the life of Muslim peoples of European part of Russia, Caucasus, Siberia, Middle Asia, Kazakhstan (according to specialization of the university). It is literature on ethnography, anthropology, applied arts, architecture of the dwelling, geography and on subjects connected with ethnography, such as archeology, linguistics, folklore studies of Muslim peoples of Russia. The Reference Apparats for the stock consists of Alphabet and Subject manual

catalogues. The Library is accessible only for staff of the Institute and scholars from Academic institutes.

The Library of the St. Petersburg Oriental Institute was founded in 1818. The Library stock is divided on two parts:

- 1) the books and periodicals in the Russian and European languages
- 2) the literature in the languages of the peoples of Asia and Africa.

The literatures in the languages of Muslim peoples of the Caucasus, the Middle Asia, the Volga Region are in the second part of the stock.

The stock is arranged according to the languages. The Reference Apparatus consists of the Alphabet Catalogue for books in the oriental languages and the Catalogue of periodicals in the oriental languages. There is also the Classification catalogue for the books and articles in the oriental languages.

The library's catalogues were founded in 1907.

The library is accessible only for the staff of the Institute and scholars from Academic institutes.

The St.Petersburg archival collecton of nontraditional periodicals and documentation on social movements (Russia in Transition)

The archival collection was originated in 1989 by Prof. A.Alekseev. Today it is one of the largest, most representative and specialized collections of informational and analytical material relating to social muvemements, political processes and social change in Russia from 1986 to the present day.

The archive contains:

- a collection of the new press in Russia and some neighbour states (the former USSR). It's about 7,000 titles of different types of periodicals and newspapers, including more than 1,000 samizdat titles;
- a collection of documents, relating to development in those countries during the past ten years, with a particular emphasis on documents from social organisations and mass movements of various political, religion and socio-cultural orientations;
- a collection of books on sociology, politics and history, handbooks and literature on contemporary social processes (in Russian and some other western languages).

In total the archive contains about 500,000 items.

The informational and analytical material- newspapers, journals, books - are catalogued both alphabetically and by subject.

The Archive is a research-informational centre, operating within the Institute of Sociology (St.Petersburg branch) of the Russian Academy of Sciences.

The documents dedicated to the Russia and neighbour states are arranged in the Subject Catalogue under the following rubrics:

- Azerbaijan;
- Kazakhstan;
- Crimean Tatar;
- national cultural movements;
- Middle Asia;

- Chechnia;
- South of Russia.

The national self-consciousness of various peoples is known to revive in former USSR by the end of 80th. National communities in cities of Russia, Baltia founded national cultural societies. The representatives of Muslim Turkish peoples became very active. Under the rubric "national cultural movements" of the Subject catalogue there collected both periodicals, registered by State and published being unregistered (Samizdat). Mostly these are editions of the end of the 80th - beginning of the 90th. The majority of them have been published in Russian, for example Moscow Muslim issue "At-Tavhid" (1990), which was patronized by right-radical Muslim philosopher Geydar Dgemal. It was also in Moscow in beginning of 90th that there has been published in Russian the newspaper "The Ties. Russia and Arab East." The newspaper informed Muslims of Russia on the Arab-Muslim culture. There is in the Archives the newspaper of Tadjik cultural society "Sogdiana" (1990, 1991 Russian and Tadjik text). There are publications of Tatar, Dagestan, Azrbaijan communities from Baltia, St. Peppersburg, Moscow. Under the rubric "Chechnia" there is a collection of Chechen newspapers issued in 90th in Russian. This is "Vainach" (1997), "Chechen Republic Voice" (1997), "Nativland Defenders" (1997), "Imam" (1997), "Islam Order" (1997), "Marsho" (1996), "Free Chechnia". "Chechenets" (1997). The newspapers has been published both in Chechen Republic and in Dagestan and Russia (Minvody).

Under the rubric "Crimea Tatar" there is a collection of periodicals (newspapers, bulletins), which have been issued in Crimea from 1988.

Among them there are bulletins of Crimea Tatar organisation "Crimea", dedicated to the problems of Crimea and Crimea Tatars (in Russian) weekly magazine "Vatan" (motherland) issued in Russian and Crimean-Tatar languages. There are 1988, 1990, 1992 year numbers. Rich materials of Crimea-Tatar people life are contained in Reports of the Conferences of Crimean-Tatar national movement Organization.

The Library of the St. Petersburg Branch of the Linguistics Institute has the literature in Turkish and Caucasus languages of the Muslim peoples of the Russia. The library stock is numbering 100 thousand units. The library was founded in 1921. In 1956 the books from University of language and writing of the peoples of the USSR were transmitted in the Library. The main part of the stocks of Linguistic University Library is frmed by the books on linguistic in Russian and European languages. The most complete collection of the literature on Caucasus languages. There are Alphabet and Classification catalogues in the library. The library is accessible for the staff of the Institute, students and scholars from Academic institutes.

There is a lot of Literature on the Muslim communities of Russia in the Library of Academy of Science. Unfortunately this literature is not separated. The books are in general stock of the main book-keeping and in the library catalogues the literature in the languages of Muslim communities of Russia is represented in order of Russian alphabet.

Treatment of Problems Faced by the Muslim Communities: The Issue of Liberation of Kashmir

Prof. Dr. Anis Ahmad^(*)

Abstract

In the first section the paper deals with the transmission of information in Islam, especially in Qur'anic and Hadith sciences. The communication of information, about an event or act, with a sense of ethical responsibility, is viewed as part of the role of Allah's Messengers. This responsibility is termed as Amanah, and is supported by in Islam by Qur'anic principles. Observance of a code of conduct and ethics in connection with information is a major Islamic concern.

The paper concentrates of the dispute over Kashmir as reported in the Indian and Pakistani press. This has covers a period covering over 50 years, from 1947 until today. The paper confines the study to many leading newspapers on the both sides of the dispute, and over a relatively long period, from December 1947 to December 1998.

It traces the roots of the problem from 1947 and asserts that India's occupation of Kashmir by India, and continued refusal to grant

(*) Director General , Dawah Academy, International Islamic University, Islamabad, Pakistan.

independence is its source. The treatment of the Indian media reflects the Indian attitude that Kashmir is an integral part of India.

The paper demonstrates how information may reflect the cultural, political and religious attitudes of people at its source.

Treatment of Problems Faced by the Muslim Communities: The Issue of Liberation of Kashmir

(I)

Gathering of information though appears simple, nevertheless, is a complex ethical process. It is complex due to a three tier process. First, a researcher looks into the available information and makes a selection of relevant information. In the second step, this information is arranged in an orderly manner. And lastly an interpretation and search for a meaning is conducted to make sense out of the available facts. While tall claims are made about objectivity of facts, and facts often do not speak for themselves. It is the researcher who allows facts to stand on their feet. This does not mean that fairness, honesty, and objectivity in research is meaningless terms. It only speaks for the finitude of the researcher, reporter, and observer who with all possible commitment to objective reporting remains a prisoner of his own culture, world-view, orientation and biases. E. H. Carr is perhaps near to truth when he writes: "The historian, then is an individual human being. Like other individuals, he is also a social phenomenon, both the product and the conscious and unconscious spokes-person of the society to which he belongs, it is this capacity that he approaches the facts of historical past".⁽¹⁾

Reporting news is not a different phenomenon. "The news, in other words, is the account of an event, not something intrinsic in the vent itself"⁽²⁾ Collection of "facts", their sorting out, categorization, putting them in the proper perspective, relating them with behind the scene. Information is not a mechanical, robotic process. It involves the whole personality of the researcher and the reporter. Does that become any possibility of objectivity

and encountering the facts as they are? We would like to begin our search for an answer starting with a review of the guiding principles in the Qur'an.

Pre-empting the possible finite and subjective dimension of the human personality the Qur'an says: "O you who believe if a defaulter comes to you with any news, ascertain the truth, lest you harm people un-wittingly, and afterwards become full of repentance for what you have done." (*al-Hujrat* 49:6).

Communication of information, about an event or act, with a sense of ethical responsibility, consequently, is viewed as a pre-requirement for the ethical role of Allah's messengers. More specifically, the Qur'anic term *amanah* (trustship) and *amin* (trustee) refer to the credibility of the messengers of Allah. For they should not but convey the truth and whole of it (*al-Haqq*, the *Kalam of Allah*).

The Islamic ethical obligation of *amanah* is further supported and re-enforced by the other Qur'anic principles such as *shahadah*, *iblagh*, '*amr bi al-ma'ruf*, *da'wah*, *nasihah*, *wassiyah* and *ta'lim*. These basic terms of the Qur'an essentially deal with information (*risalah*, message), its source (*wahy*, *mushahidah*, *tafakhur* and *ta'aqqul*) as well as with the *mursal*, *mad'u* and the recipient of the information. The Prophet as the first recipient of information, directly coming from the ultimate source of knowledge, communicates it, with a sense of *amanah* and *Khilafah* indiscriminately to the people of the world.

The message and the messenger both are directly monitored by the author of the message and all that is contained in it, therefore, the prophetic communication of information presents highest level of credibility and accuracy in reporting any message or information. Guided and groomed by

this ethical paradigm in reporting and communicating information the first generation of the Muslim community (*the ashab al-Rasul*) evolved systematic disciplines of the sciences of the Qur'an and *hadith*, in which every single piece of information was thoroughly scrutinized, evaluated, judged and verified. Indeed, the rigorous criterion applied in the above two sciences was not strictly observed in all historical reports, still the critical approach evolved with reference to '*ulum al-Qur'an* and '*ulum al-hadith* did influence the intellectual and cultural climate in the academic circles of the Muslim *ummah*.

The use of historical criticism, internal as well as external, in the western scholarship, however, developed only in the post-renaissance history. German and French scholars took up the challenge and formulated principles for historical criticism. The discipline fully developed only in the 19th century with scholarly writings like those of Charles Langlois and Charles Sagnobos in the Nineteenth century in France.⁽³⁾ Reporting of information whether in a scholarly historical accounts or in a journal or a newspaper is a highly ethical enterprise. Dissemination of information without prior verification or its adulteration with heresay and one's personal biases and opinion is regarded un-ethical and immoral or spreading of evil by the Qur'an and the sunnah. The Qur'an goes to the extent of legislating a heavy punishment (*qazaf*) on wilful spread of incorrect information. If a person accuses the other and cannot produce a proof the shari'ah punishes the accuser with eighty lashes and never again accepts such a person as a legal witness (*an-Nur* 24:4-5).

Observance of a code of conduct and ethics in connection with information thus becomes one of the major Islamic concerns. Islam does

not visualize a society where a newspaper reporter, whenever, he likes, commit an act of personality assassination with just a stroke of his pen. A deep ethical sense and feeling of accountability, in front of Allah subhanahu wa ta'ala, is expected to dominate the mind of a Muslim reporter and researcher. With this brief treatment of the Islamic framework of reference on information and its source and use, let us turn to how Muslim issues, more specifically the international issue of freedom fight of Kashmiris is treated in the media.

This analysis will show how close a resemblance this issue has with the international issue of *al-Qudus al-Sharif*. Millions of indigenous Palestinian Muslims, Christians and even oriental Jews were deprived of their homeland and denied citizenship of Palestine at the whim of the British colonial masters who did not own Palestine. Nevertheless, the British authorities through the well-known Balfore declaration allowed creation of the racial state of Israel on a land which never belonged to them.

The following analysis will also show how the liberation movement is projected as an internal matter of India though India committed itself to the resolution of this issue through the international forum of U. N.

It will also show how Pakistan and Indian media and intellectuals present their side of the coin. Perhaps, it is only when we look on both sides of the coin that we may understand different dimensions of this issue.

(II)

This analysis makes use of representative newspapers The Daily Dawn, Karachi, The Muslim, Islamabad, The Frontier Post, Peshawar, The

Hindustan Times, Delhi, The Pakistan Observer, Islamabad, The Gulf News, Dubai, The Times of India, Delhi, The Far Eastern Economic Review, Hong Kong, The Nation, Lahore, The News, Islamabad, The Statesmen, Delhi, The Front-line, India, The Indian Express, Delhi, and the Hindu, Delhi. Due to paucity of space, we confine this study to representative writings only during the period of December 1997 - December 1998 provide the data for this study.

The Issue:

The roots of the on-going massacre of the Muslim majority in the Indian Occupied Kashmir (IOK) by the 600,000 Indian troops para-military personnel and certain factions created by the Indian authorities are traced, quite naturally, differently by the Indian and Pakistani media. The common position taken by the Indian media is that IOK is territorially a part of the India. However, "India was ready for talks with Pakistan if the neighbouring country accepted the reality that Jammu and Kashmir was an integral part of India", *The India Express*, New Delhi, Dec. 8, 1998. Rohit Bhan in his report quotes the Indian Prime Minister Atal Bahari Vajpayee to have further added "They (Pakistan) have to realise that we are not going to succumb to pressure tactics and not even an inch will be handed over to them".

The Indian view-point to enforce "status quo", as suggested clearly in the above statement of its present Prime Minister by recognising the "reality" that Jammu and Kashmir was an "integral part" of India, is justified on two counts. First that the instrument of accession signed by the Hindu

Maharaja of the over eighty-five percent Muslim population, without seeking the opinion of the people, as originally required by the Act of Independence, has allowed India to consider IOK as its territory.⁽⁴⁾ Though a known British historian Alastair Lamb, has documented in his research that the Indian armed forces landed in Kashir before the instrument was signed. He also provides the details of how Mr. Mehr Chand Mahajan, the Hindu Prime Minister of Kashmir and the Indian Secretary of State, Mr. V. P. Menon collaborated in getting it signed by the Maharaja.⁽⁵⁾

The Indian media insists that since the Hindu Maharaja of the State of Kashmir signed the instrument of accession, Kashmir becomes an "integral part" of India. They, however, fail to interpret and explain why despite the so-called accession Kashmir constitutionally remained a state with its special status as guaranteed by the Article 370 of the Indian Constitution. Examining "The Complexities of Article 370", Rakshat Puri refers to the B. J. P.'s resolution to remove Article 370 from the constitution because it "fosters a psychology of separation in the state". he further writes "The B.J.P. leadership does not seem to have taken into account the fact that the only constitutional connection which Jammu and Kashmir has with the Union resides in Article 370. As former Prime Minister Nurshimha Rao was reported pointing out once, removal of Article 370 by itself was not possible because it would result in parting with the State. In November 1949 the Maharaja of Jammu and Kashmir announced acceptance of the Indian Constitution. Article 370 gave constitutional form to that acceptance".⁽⁶⁾

This constitutional anomaly, as it appears in the Indian press, creates a dilemma for the Indian statesmen. Constitutionally, IOK cannot be treated

like the State of Utra Pardish, or Urisha. IOK has a special status and was allowed "its own constitution given to it by a Constituent Assembly in 1956, confirming the center's control on little more than defence, foreign affairs, communication etc."⁽⁷⁾ This and several other ground realities substantiate that IOK was never considered "Integral part" of India by the Indian Constitution, the Indian Parliament and the Indian authorities.

Nevertheless, the Indian media projects IOK as part of India. In another interesting report in Statesman, Delhi, J. K. Dutt, blames first Prime Minister of India, Mr. Nehru for the Kashmir problem and calls him "origination of the Kashmir fiasco" for his prompting referring the matter to the U. N. and for willingly agreeing to a cease-fire.⁽⁸⁾ How the Kashmiris in IOK view themselves in relation with India is analysed by Mr. Dutt as follows: "Every year the Prime Minister in his Independence Day speech assures the nation that Kashmir is part of India and what is more, he presumes that the Kashmiris will echo his sentiments. He little realises he reflects nothing but hallucination! A visitor to Kashmir is invariably accosted with "are you from Hindustan?" The hostility to things Indian is openly manifested".

Mr. Dutt also blames Nehru for "his repeated pledges of plebiscite from 1947 to 1954, "not merely a pledge to your (Pakistan's) government, but also to the people of Kashmir and to the world" (Oct. 31, 1947). He also questions Nehru's assessment of the psychology of the Kashmir Muslims as "though highly gifted in many ways - in intelligence, in artisanship etc. are not what are called a virile people. They are soft and addicted to easy living". Events were to prove him wrong....".

Indian media also blames Nehru for I.O.K. to have a Prime Minister thus recognizing nearly autonomous status of I.O.K. Mr. N.B. Grant writing in *Hindustan Times* says, "Right from the word go we have done everything under the sun to make the world believe that Kashmir was not an integral part of India to the same extent as the other states were. To start with, Shaikh Abdullah was installed in Kashmir as its first Prime Minister and not as another Chief Minister thus placing him at par with the Prime Minister of India. This was followed by a special status granted to Kashmir and Article 370 of the Constitution to provide for its 'traditions' and susceptibilities which were said to be peculiar to it. We even allowed, and still do, the Srinagar radio states to identify itself as Radio Kashmir and not as All India Radio on the lines of all other radio stations in India. As if this was not bad enough in the beginning we went to the extent of allowing Kashmir to have a separate Constitution, a separate flag, and also a separate anthem. Of course, the last straw was when we took the case to the U. N., to clear our own doubts whether Kashmir was really a part of India. We agreed to a plebiscite to resolve it".⁽⁹⁾ Similar views are expressed by B.K. Karkra in *Hindustan Times*.⁽¹⁰⁾

That the issue, nevertheless, is presented as an internal and local problem by the Indian media. The fact of the matter is on August 13, 1948 and on Jun. 5, 1949 two Security Council resolutions were adopted wherein it was agreed by both Pakistan and India that "the future status of Jammu and Kashmir shall be determined in accordance with the will of the people". The Jun. 5 1949 resolution re-confirmed that "the question of accession of the state of Jammu and Kashmir to India or Pakistan will be decided through the democratic method of a free and impartial plebiscite". These

ground realities leave no room to doubt that it is international and not a national issue.

Nevertheless, the state of India during the past fifty years continues to claim I.O.K. as its integral part. A. G. Noorani in his article "*Kashmir: 50 Years*", published in the Statesman, India refers to contradictions in the Indian position on Kashmir. He quotes Indian Foreign Secretary, Mr. Raghunath having said on June 4, 1998 that "it's our internal matter". While on August 7, 1952, he quotes, Mr. Nehru having said in his important speech in the Indian Parliament, "It is an international problem. It would be an international problem anyhow if it concerned any other nation besides India as it does. It becomes further an international problem because a large number of other countries also took interest and gave advice. So, while the accession was complete in law and in fact, the other fact which has nothing to do with the law also remains, namely, our pledge to the people of Kashmir - if you like to the people of the world- that this matter can be re-affirmed or cancelled or cut out by the people of Kashmir if they so wish". He further writes:

"As late as 25th February, 1955, Mr. Nehru was asked by Mr. Lakshmi Charan in the Lok Sabha "in view of the fact the Kashmir Constituent Assembly has ratified the accession of the state to India what will be the terms of discussion on Kashmir with the Pakistani Prime Minister? "A question like this cannot be solved unilaterally". On 15th May, 1954, even after the U. S. Pak Pact was signed, Mr. Nehru said, "India still stands by the international commitments on the Kashmir issue and will

implement them at the appropriate time. In a press conference in New Delhi, on November 16, 1949 he declared, "if you rule out mediation, then the only two things that remain are either continuation of a deadlock or war. So far as we are concerned, and I have said this repeatedly, we want to rule out war..... A deadlock, of course, will continue until there is a settlement. Then, mediation is the only way out. When I say mediation it does not mean necessarily the type or kind or extent of mediation tact we have had. This is a matter for consideration. But I do say that it should be under the auspices of the United Nations. What form it should take can be considered later".⁽¹¹⁾ However, after having quoted Pandit Nehru and others, A. G. Noorani still maintains, "Pakistan insists on plebiscite knowing full well that India can not accept any proposal which entails Kashmir's cessation from the Indian Union".

A review of some of the representative views presented in the Indian media indicates that the most of the discussions moves around "accession" with India, and does not take into account over six hundred years long history of the state of Kashmir, nor does it consider the cultural, religious, social and economic affiliations, unity and identification with the culture of Pakistan.

Treatment of the Kashmir issue in the Pakistan media often refer to the "unfinished agenda of the partition of the subcontinent".⁽¹²⁾ These writings also provide details of the human tragedy and violation of human rights of the Muslims in the IOK. Statistical data inform us that the Indian security

—

forces have been killing at an average of 20 Kashmiri Muslims per day for the last eight years.⁽¹³⁾ Kashmiri intellectuals such as Mir Abdul Aziz, diplomats like Syed A. Ahsani and Dr. Tanvir Ahmad, jurists like Justice Dr. Nasim Hassan Shah and others emphasize on Kashmir as not a bilateral but an international issue with its roots in the history and culture of the Kashmiri Muslims. While Indian press builds its arguments on Simla accord and try to show that Pakistan and India should resolve the issue without any mediation. Pakistani intellectuals disown the Indian interpretation of the 1972 Simla accord and focus on the U. N. resolutions officially agreed and accepted as binding by Pakistan and India. They also insist on including the Kashmiris in any meaningful negotiation on the future of the Muslim community in Kashmir.

The major point of disagreement in these treatments appear to be the insistence of Kashmiri Muslims on exercise of their constitutional and human right to decide their future through a plebiscite. While the Indian media recognizes historicity of the U. N. resolutions demanding right to self-determination of the Kashmiri Muslims, nevertheless, it tries to overlook these and proposes acceptance of status quo.

Pakistani media often refers to U. N. resolution 47 (1948) of April 21, 1948; No. 51 (1948) of June 3, 1948; of August 13, 1948; June 5, 1949; March 14, 1950, March 30, 1951; and Jun. 24, 1954 these resolutions say in so many words:

"Observing that the Governments of India and Pakistan have accepted the provisions of the United Nations Commission for India and Pakistan Resolutions of 13 August, 1948 and 5th

January 1941 and have re-affirmed their desire that the future of the state of Jammu and Kashmir shall be decided through the democratic method of a free and impartial plebiscite conducted under the auspices of the United Nations.

Observing that on 27th October 1950 the General Council of the All Jammu and Kashmir National Conference adopted recommending the convening of a constituent assembly for the purpose of determining the future shape and affiliation of the state of Jammu and Kashmir.

Observing further for statements of responsible authorities that action is proposed to cover such a constituent assembly would be elected by only a part of the whole territory of Jammu and Kashmir. Reminding the government and authorities concerned of the principle embodied in its resolutions 47 (1948) of 21 April, 1948, 51 (1948) of 3rd June, 1948 and 80 (1950) of the March 1950 and the United Nations Commission for India and Pakistan resolutions of 13th August, 1948 - 5th January, 1949 that the final disposition of the state of Jammu and Kashmir will be made in accordance with the will of the people expressed through the democratic method of a free and impartial plebiscite conducted under the auspices of the United Nations".⁽¹⁴⁾

Responding to the Indian suggestion of the Oslo-type solution Pakistani media has rejected the idea with a re-affirmation that only a U. N. supervised plebiscite can solve the problem. That status quo is no solution is also obvious from the continuous disturbance in the valley. The Indian and western strategy is to confuse the issue under the pretext of "normalization" and ask Pakistan and India to have mutual trade and

cultural exchange progress, visits of intellectuals and more frequent sports activities particularly cricket. Once both countries have "normal" relations the Kashmir issue would have already been forgotten and put in a freezer. The recent bus-diplomacy, in which the Indian Prime Minister visited Lahore, despite strong protests from patriotic Pakistanis in Lahore, is one important step in this direction. The Kashmiri Muslims and the over-whelming majority of Pakistanis reject the idea of normalization before the Kashmir issue is resolved. For them there is no other issue but Kashmir. Unless this issue is resolved under the U. N. resolutions, we can not think of normalization.

The above treatment of the Kashmir problem in Indian and Pakistani media shows how the deep rooted biases continue to be reflected in the Indian media despite the fact that the Kashmiris who are the most important part of the whole issue want to exercise their right to self-determination perhaps in favour of accession of Kashmir with Pakistan.

REFERENCE

1. Edward Hallett Carr, *What is History*, New York, Vintage Books, Radon House, 1961, p. 42.
2. Curtis D. MacDougall, *Interpretive Reporting*, New York, Macmillan Publishing Co. 1972, p. 12.
3. Charles Langlois and Charles Sagnobos, *Introduction to the Study of History*, tr. G. G. Berry, N. Y. Barnes & Nobles, 1966, (1898, Paris).
4. Prem Shankar Jha, "India's Flawed Approach", *Hindustan Times*, Oct. 22, 1998.
5. Alastair Lamb, *Birth of A Tragedy: Kashmir 1947*, Roxford Books, Hertfordshire, U. K., 1994. pp. 87-103.
6. Rakshat Puri, "The Complexities of Article 370", *Hindustan Times*, Feb. 25, 1998.
7. Rakshat Puri, "The Complexities of Article 370", *Hindustan Times*, Feb. 25, 1998.
8. J. K. Dutt, "A Way Out for Kashmir", *Statesmen*, India, July 16, 1998.
9. N. B. Grant, "Flaws in India's Kashmir Policy", *Hindustan Times*, September 11, 1998.
10. B. K. Karkra, "Kashmir Problem is Our Own Creation", *Hindustan Times*, August 24, 1998.
11. A. G. Noorani, "Kashmir: 50 Year", *Statesman*, Delhi, India, June 28 and 29, 1998.
12. General (Retd.) Mirza Aslam Beg, "Our Kashmir Policy", *The Frontier Post*, Feb. 27, 1998.
13. Brig. (Retd.) A. I. Tirmizi, *Massacre of Kashmiri Pundits and After*, The Muslim, Islamabad, Feb. 25, 1998.
14. Dr. Nasim Hassan Shah, "Plebiscite not Unconstitutional", *Dawn*, Karachi, August 31, 1998.

REFERENCE MATERIAL

1. Air Marshal Ayaz Ahmed Khan (Retd.), Kashmir Needs A Strong Pakistan, Dawn, December 8, 1997.
2. Abdul Jabar Sabit, Balkanisation of Afghanistan, The Frontier Post, December 28, 1997.
3. Brig. A. I. Tirmazi (Retd.), Massacre of Kashmiri Pandits and After!, The Muslim, February 25, 1998.
4. General (Retd.) Mirza Aslam Beg, Our Kashmir Policy, The Frontier Post, February 27, 1998.
5. Dr. Azmat Hayat Khan, Geo-Strategic Importance of Central Asia, The Frontier Post, December 30, 1997.
6. Rakshat Puri, The Complexities of Article 370, Hindustan Times, February 25, 1998.
7. Parshotam Mehra, Afghanistan Today: A Grim Scenario, Tribune India, February 21, 1998.
8. Mir Abdul Aziz, The Danger Involved in Abolition of Article 370, Pakistan Observer, April 6, 1998.
9. Amanullah Khan, Proposed Solutions of Kashmir Issue, The Nation, March 16, 1998.
10. Kuldip Nayar, Gun Not The Answer To Kashmir Problem, Gulf News, May 9, 1998.
11. C Lakshmanan, Indian Parties Blind To Dalit Concerns, The Frontier Post, April 23, 1998 (Times of India).
12. Mir Abdul Aziz, Indian Forces Landed in Kashmir Before 'Accession': British Author Exposes Fraud in October 1947, Pakistan Observer, May 12, 1998.

13. Col (Retd.) Ghulam Sarwar, India's Response to Militancy in IHK, The Frontier Post, May 11, 1998.
14. Rahimullah Yusufzai, Elusive Afghan Peace, The News, May 9, 1998.
15. Shiraz Sidhva, The Hot Spot: Kashmir Dispute Becomes Focus of World Attention, Far Eastern Economic Review, June 18, 1998.
16. Simon Jenkins, Watch Out For Kosovo D-Day, Goes The Spin, Gulf News, June 11, 1998.
17. Justice Dr. Nasim Hasan Shah, Kashmir: Not A Bilateral But An International Issue, The Nation, June 14, 1998.
18. Khalilur Rahman, Oslo-Type Solution For Kashmir?, The Frontier Post, June 8, 1998.
19. Nasim Zehra, Pakistan Gains on Kashmir, The News, June 12, 1998.
20. Shahwar Junaid, Reviewing The Afghan Situation, The Nation, June 18, 1998.
21. A. G. Noorani, Kashmir: 50 Years-I, The Statesman, June 28, 1998.
22. A. G. Noorani, Kashmir: 50 Years-II, The Statesman, June 29, 1998.
23. Nasim Zehra, Kashmir on World Agenda, Gulf News, June 19, 1998.
24. Inayatullah, Kashmir: India Vs The World, The Nation, July 1, 1998.
25. Dr. S. M. Rahman, Dual Deterrence: Pakistan's Strategic Bonus-I, The Muslim, June 24, 1998.
26. J. K. Dutt, A Way Out For Kashmir, Statesman India, July 16, 1998.
27. A. G. Noorani, Kashmir: History And Politics, Frontline (India), July 31, 1998.
28. R. Jeffrey Smith, West Turns Blind Eye To Serb Terrorism, Dan, August 5, 1998.
29. Syed A. Ahsani, Kashmir Is World's Responsibility, The Frontier Post, July 18, 1998.

30. Muhammad Abd Al-Hameed, A Way Out On Kashmir, Nation, August 15, 1998.
31. Mir Abdul Aziz, Fifty Years of Kashmir in United Nations, Pakistan Observer, August 12, 1998.
32. B. K. Karkra, Kashmir Problem is our own Creation, Hindustan Times, August 24, 1998.
33. N. B. Grant, Flaws in India's Kashmir Policy, Hindustan Times, September 11, 1998.
34. Dr. Nasim Hasan Shah, Plebiscite Not Unconstitutional, Dawn, August 31, 1998.
35. Dr. Fazal-Ur-Rahim Marwat, Les Miserables, Les Afghans, The Frontier Post, September 4, 1998.
36. Prem Shankar Jha, India's Flawed Approach, Hindustan Times, October 22, 1998.
37. Prem Shankar Jha, Validity of Accession, Hindustan Times, October 23, 1998.
38. Shireen T. Hunter, Flaws in the Afghan Strategy, Gulf News, October 2, 1998.
39. Mir Abdul Aziz, Plain Speaking on Kashmir by Indian Writers, The Muslim, October 12, 1998.
40. Tanvir Ahmad Khan, Negotiating Kashmir, The News, October 7, 1998.
41. Moonis Ahmar, Mediation in Afghanistan, The News, October 1, 1998.
42. Ihsanul Haque, Kashmir Policy: A Change of Perception Among The Indians, The Nation, November 14, 1998

43. Mir Abdul Aziz, Farooq Abdullah's Complete Failure, Pakistan Observer, November 14, 1998.
44. Col. Mohammad Qayum (Retd.), How to Unravel Afghan Tangle? The Muslim, November 13 & 14, 1998.
45. K. A. Mulk, Kashmiris: The Final Arbitrations-I, Pakistan Observer, December 15, 1998.
46. K. A. Mulk, Kashmiris: The Final Arbitrations-II, Pakistan Observer, December 16, 1998.
47. K. A. Mulk, Kashmiris: The Final Arbitrations-III, Pakistan Observer, December 17, 1998.
48. Dr. Ijaz Hussain, Mediation on Kashmir, The News, December 18, 1998.
49. Rohit Bhan, We Won't Hand Over Even an Inch: PM Tells Pak., The Indian Express, New Delhi, Dec. 8, 1998.
50. Plea to Persist with Indo-Pak. Talks, The Hindu, Delhi, Dec. 9, 1998.
51. Amit Baruah, India, Pak. Must Analyse Key Issues. The Hindu, Delhi, Dec. 4, 1998.

The Plight of Muslims in Jammu and Kashmir: A Review of Information Sources

Zahiruddin Khurshid^(*)

Abstract

The suffering of Muslims of the state of Jammu and Kashmir under Indian occupation forces since 1947 is a continuation of a long history of ordeal that started with the conquest of the Muslim majority state by the Sikhs in 1819. The British take over of Kashmir in 1846 did not bring any respite to the Muslims as the state was then sold to Maharaja Gulab Singh at a cost of 7.5 million rupees (\$ 187,500). At the end of the British rule of the Indian subcontinent in 1947, the state of Jammu and Kashmir was left to the mercy of the then Maharaja of Kashmir, Hari Singh. The Kashmiri people felt betrayed and revolted against him. In order to receive military assistance from India to suppress the Muslim rebellion, the Maharaja was forced to accede the state to India on 27 October 1947. Indian troops were flown into Kashmir the same day and thus marked the beginning of a popular Muslim uprising against the occupation forces.

When the Kashmiri Muslims gained success by liberating several parts of the occupied territory, the Indian government requested the United

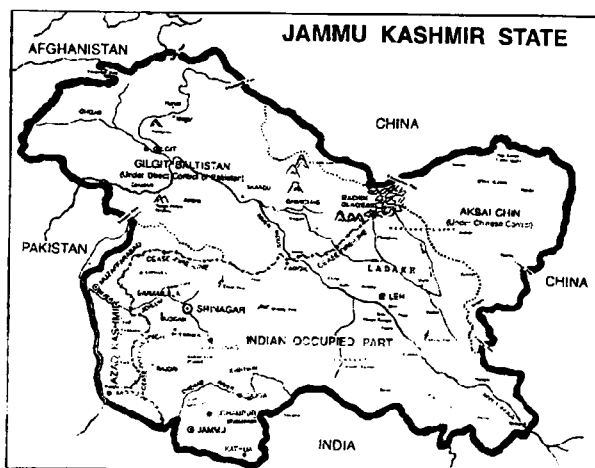
(*) Senior Manager, Cataloging Operations Division, King Fahd University of Petroleum & Minerals Library

Nations to intervene. The UN passed a resolution on 21 April 1948, asking the parties to stop fighting and urged India to hold plebiscite on the question of the accession of the state to India or Pakistan. Unfortunately India backed out of its promises of holding plebiscite and started to bring in more troops into Kashmir to suppress any resistance by the Muslims. Surrounded by hundreds of thousands of Indian troops, Kashmiri Muslims tried to change the political framework by democratic and peaceful methods. However, when the 1987 elections were massively rigged, they lost hope of getting their rights through peaceful means and declared Jihad to liberate their homeland. On the other hand, the Indian government stepped up the use of force which is evident from the following statistics of atrocities committed on Muslims in Kashmir between 1989 and 1995: 46,935 killed; 3,996 tortured to death; 200 children burnt alive, 11,251 seriously injured; 60,999 youths in torture cells; 72,755 rendered disabled, 5,840 women gang raped, 43,332 houses gutted; and 63 mosques desecrated.

The paper aims to give an account of the suffering of Muslims of Jammu and Kashmir as reported in numerous local and international information sources, including monographs, periodicals, newsletters, biographies, diaries, and electronic media. The reports of several human rights and other organizations, such as Amnesty International, Asia Watch, Kashmiri American Council, Kashmiri-Canadian Council, and do on will also be reviewed.

THE LAND AND THE PEOPLE

"Kashmir is situated in the extreme north of the India-Pakistan subcontinent and at the southern point of Central Asia. With an area of 86,000 square miles and a population currently estimated at around 12 million, it is surrounded by four countries: China, Afghanistan, Pakistan and India, with the narrow Wakhan strip (in Afghanistan) separating it from Tajikistan and Krgystan"⁽¹⁾ (see map).



Inspired by the beauties and bounties of nature bestowed on the land and the people of Kashmir, a poet pronounced that "*if there is a paradise on earth, it is here, it is here.*" Some others called it a "heavenly valley."⁽²⁾ Today, this paradise has turned into an inferno.⁽³⁾ What has caused the transformation of the situation in Kashmir requires us to look back into the history.

Islam had reached Kashmir through Muslim traders during the time of Muhammad bin Qasim. Propagation of Islam started almost immediately and as a result, many people converted to Islam. A major breakthrough came in 1324 when a Buddhist ruler, Rinchen converted to Islam and adopted the title of Sadraddin. "His conversion marks the beginning of Muslim rule in Kashmir."⁽⁴⁾ Islam continued to flourish in Kashmir through the efforts of Muslim scholars and theologians. By the end of the 15th century, a majority of Kashmiris had embraced Islam through voluntary conversion.

"The conquest of the valley by the Mughuls in 1586 is generally regarded as marking the beginning of Kashmir's modern history."⁽⁵⁾ The Kashmir valley prospered under the Moghul empire for over 120 years. Following the death of the last Moghul ruler, Aurangzeb in 1707, the situation started to deteriorate and led to the invasion of the territory by Afghan conquerors. Most famous among them was Ahmad Shah Abdali who died in 1772. The subsequent Afghan rulers gradually lost their control over Kashmir and it finally fell to the Sikhs in 1819. The Sikh rule in Kashmir lasted for about 28 years. They lost the territory to the British, who signed the treaty of Amritsar with Gulab Singh, the Dogra Raja on 16 March 1846 and sold Kashmir to him for 7.5 million rupees. "Gulab Singh's acquisition of the Vale of Kashmir marks the foundation of the State of Jammu and Kashmir which was to cause such trouble in the subcontinent in 1947."⁽⁶⁾

ORIGIN OF THE KASHMIR DISPUTE

At the time of independence from the British, The Kashmiri Muslims, who were hoping that the British would give them rather than the Maharaja Hari Singh the right to decide about their future felt, betrayed and revolted against this unlawful act. When the Maharaja realized that the situation was getting out of his control, he sought the help of the Indian government, which was only willing to help him if he would agree to accede the state to India. According to the Indian claim, the Maharaja accepted the Indian demand and acceded the state to India on 27 October 1947. However, Alastair Lamb, an expert on the Kashmir dispute, has challenged the Indian claim that the instrument of accession was ever signed by the Maharaja. He believes that the signed instrument of accession did not exist at all and that is why the Indian government never produced the original document of accession either in official documents or at any international forum.⁽⁷⁾ The annexation of the state of Jammu and Kashmir against the wishes of its people followed by airlifting 300 troops of the First Sikh Battalion to Srinagar on the morning of 27 October 1947 resulted in a popular mass movement against the Indian occupation forces. "The people of Kashmir have since marked that fateful event as Black day with acts of defiance and resistance to the occupation."⁽⁸⁾

The genocide of the Kashmiri Muslims, which was started earlier by the Maharaja of Kashmir, Hari Singh, especially in the Jammu area where an estimated 200,000 Muslims were massacred,⁽⁹⁾ continued under the Indian occupation forces. It incited the tribesmen from the North-West Frontier area to come to the aid of their Muslim brothers. They achieved immediate

success in fighting against the enemy forces, liberated some 5134 square miles of the occupied territory, and installed a self-government of Azad (free) Kashmir. Although it was an indigenous rebellion against the Maharaja's unlawful act, India blamed Pakistan for an incursion into Kashmir and started a full-fledged war with Pakistan. However, when they realized the loss of territories in Kashmir, the Indian government approached the United Nations to intervene. Pandit Jawaharlal Nehru, the Indian Prime Minister, wrote to the UN Secretary General on 31 December 1947 promising that "as soon as the raiders are driven out and normalcy is restored, the people of the State will freely decide their fate and that decision will be taken according to the universally accepted democratic means of plebiscite or referendum."⁽¹⁰⁾ The UN deliberated the issue and passed a resolution on 20 January 1948 establishing a Commission called United Nations Commission for India and Pakistan (UNCIP), to investigate the facts of the dispute and carry out any mediatory influence likely to smooth away difficulties. A further resolution was adopted on 21 April 1948 asking the parties to stop fighting and urged India to hold plebiscite "on the question of the accession of the state to India or Pakistan." A cease-fire came into effect on 1 January 1949. The cease-fire between India and Pakistan not only halted the advancement of the Kashmiri freedom fighters in liberating their homeland, it also gave India the time to consolidate its position by bringing more troops into Kashmir. Once the situation turned to their advantage, India backed out of its promises of holding plebiscite and pronounced Kashmir as an integral part of India. Kashmiri Muslims felt betrayed once again. Surrounded by thousands of Indian troops, they found themselves helpless and decided to achieve their objectives through

democratic and peaceful means. However, when the March 1987 elections were rigged to prevent Muslims from gaining control of the Legislative Assembly, they lost faith in getting their rights through the ballot box and started an "armed resistance along with the nationwide political movement for freedom from Indian occupation and holding of a plebiscite under UN resolutions to decide the political future of the state."⁽¹¹⁾ The current mass uprising, which started in 1989 sprung up spontaneously in the wake of the failure of the political process in 1987 state elections. The Kashmiris boycotted all the subsequent elections. According to the *Washington Post* (23 December 1989), less than 2% voted in the elections in the occupied Kashmir in 1989.

ATROCITIES IN KASHMIR

The failure of the state government in containing the uprising prompted the Indian government to dissolve the Legislative Assembly and enforce the presidential rule in the state in January 1990. Governor Jagmohan, known as one of the most ruthless and communal person, was asked to handle the situation with heavy a hand. His reign of terror is best described by his compatriots in a booklet issued by the Kashmiri American Council in Washington.⁽¹²⁾ His own memoir⁽¹³⁾ also sheds some light on the gruesome acts which he committed during his term as governor.

As the freedom movement intensified, Jagmohan started to bring into Kashmir a large number of the regular army ersonnel, paramilitary forces, the Central Reserve Police (CRP) and the Border Security Force (BSF). Today the number of Indian security forces has increased to over 700,000. In addition, there are 16 Indian secret service agencies operating in the

state.⁽¹⁴⁾ They are all engaged in unspeakable atrocities on the Kashmiri Muslims for the last 9 years. A review of these atrocities supported by the statistics provided by the Kashmiri-Canadian Council (Toronto, Canada)⁽¹⁵⁾ is given below.

Killing

Kashmir has become a killing field for Muslims. More than 60,000 Kashmiris have been killed during the last 8 years. The most unfortunate part of these killings is that it is indiscriminate and without any regard to the age or physical condition of the people. That is why we find, among the victims, many children and elderly people. The indiscriminate firing on processions and public meetings has caused heavy casualties of the civilian population. In one incident on 21 January 1990, the CRP opened fire on anti-Indian protesters demanding Kashmir's freedom, killing more than 100 people. Similarly on 21 May 1990, the security forces opened fire on the funeral procession of the Kashmiri leader Mir Waiz Moulvi Farooq killing 57 civilians and wounding hundreds. In another incident on 22 October 1993, the BSF opened an indiscriminate fire on an unarmed procession (protesting the siege of a shrine, Hazratbal, by the Indian forces) at Bijbehada, killing 51 persons and injuring hundreds of people.⁽¹⁶⁾

Amnesty International has noted that "in India, the security forces are able to kill, torture and "disappear" without any fear that they will be brought to account for their action. Legislation provides widespread powers to shoot-to-kill, and protects members of the security forces from investigation and prosecution."⁽¹⁷⁾ Having no fear of prosecution for their unlawful acts, the Indian forces have become so irresponsible that they even

open fire at the sound of fire crackers or tire bursts, imagining it as an attack on them and thus killing scores of innocent people.

As a consequence of the killing of innocent people on such a large scale, over 15,000 children have lost their parents and have become orphans. Over 12,000 women have lost their husbands and are left with the heavy responsibility of feeding themselves and their children. Social institutions are either non-existent or their number is so small that they can hardly alleviate the sufferings of thousands of orphans and widows.

Torture

The Kashmiri Mujahideen prefer to be killed in fighting against the security forces rather than captured alive. If captured, they go through a long ordeal of torture and physical and mental abuses. In the end when every possible method of torture has been applied, the captives either do not survive or become incapacitated for life in different ways. The Indian government has opened many interrogation centers both within and outside Kashmir to force Mujahideen to disclose information about their activities through torture. That is why these centers are also called "torture cells."

Over 61,000 youths are currently in torture cells with little or no hope of the end to their miseries. A large number of them may not survive for long. The relatives of many of those captured do not even know the whereabouts of their loved ones and whether they are dead or alive. "Amnesty International has recorded hundreds of "disappearances" in Jammu and Kashmir since 1990. The whereabouts of the majority of those who have "disappeared" remains unknown despite the filing of scores of habeas

corpus petitions in the state High Court."⁽¹⁸⁾ There is a general feeling among the Kashmiris that if a Mujahid is taken for interrogation, the chances for his family to see him alive would be very limited. In many cases, the security forces would torture the Mujahideen to death and dump their bodies by the roadside, in a ditch or in a river within a few days of their capture. An investigative report on torture and deaths in custody has been issued by Amnesty International in 1995.⁽¹⁹⁾ More than 6000 Kashmiris have lost their lives through torture in interrogation centers. It is very common for the residents living close to these centers to hear screams of the Mujahideen going through torture and abuse. According to Davis, "there can be little doubt that torture has been widely practiced in Kashmir to extract operational intelligence from captured militants and suspects. Similarly, custodial deaths have also been a perennial problem. Cases of security forces turning over suspects' dead bodies to local police bearing marks of torture have occurred repeatedly."⁽²⁰⁾ Saghir Qamar has also presented in his book stories of atrocities committed in torture cells of Kashmir.⁽²¹⁾

Injury and Disability

The Kashmiri Muslims who become target of indiscriminate firing by the security forces or are caught in crossfire between the Indian forces and Mujahideen receive serious injuries which result in death or permanent disability. The problem is aggravated due to the lack of medical facilities and care. Often the injured people are either not allowed to be taken to hospitals or given delayed treatment in which cases many people die of excessive bleeding. Those who survive death do not get proper treatment

and live with injuries for long time or get disability of various kinds. An estimated 65,505 have become disabled since 1989 and about 13,692 are in hospitals and clinics with serious injuries.

Rape and Molestation

Of the atrocities committed by the Indian security forces on the Kashmiri Muslims, rape and molestation of women and girls of all ages are the two most inhuman acts. Unfortunately India is using rape as an "instrument of terror."⁽²²⁾ An extension of this dreadful act, started by the Indian forces, is the gang rape which was later practiced by the Serbs as a weapon of aggression against Muslims during the Bosnian war. By barring the access of local and international media and human rights organizations to the people and the affected areas of Kashmir, the Indian government tries to prevent stories of the crimes committed by the security forces from being reported. Even then some reports have come out from different quarters giving accounts of shameful acts committed against the Kashmiri women. Some of these reports have been published by such credible organizations as, Asia Watch, a Division of Human Rights Watch, and Physicians for Human Rights.⁽²³⁾ According to the statistics provided by the Kashmiri-Canadian Council, 6,349 women have been gang raped. The number of these incidents, including the names of victims, their ages, addresses or locations, and other details have been widely reported. It would be appropriate to mention here just two incidents, which give us some idea about how the Muslim women are being dishonored and abused in Jammu and Kashmir. In May 1990, a young bride, Mubina Gani, was detained and gang-raped by BSF soldiers while she was traveling from the

included many civilians, including women and children. The incident sparked protests all over Kashmir. The security forces opened fire on a demonstration in Bijbihada killing 37 unarmed people who were protesting against the siege of Hazratbal. Although the siege was finally lifted, the Indian government has posted security forces in bunkers around Hazratbal. The second major incident of desecration took place in Charar-e-Sharief on 11 May 1995. According to the Washington Post, "a 550-year-old shrine built to honor the patron saint of Kashmir valley had been burnt to the ground in a gun battle between primarily Hindu Indian security forces and Muslim separatist rebels fighting to free Kashmir from India. More than 1,500 houses and shops in the mountain side town of Charar-e-Sharief had been reduced to smoldering rubble."⁽²⁸⁾ In addition, over 40 people were killed in the encounter between Mujahideen and the security forces. A detailed report of the incident has been published in *Jihad-e-Kashmir*.⁽²⁹⁾

INFORMATION SOURCES ON KASHMIR

The unlawful accession of Kashmir to India in 1947 and the ensuing suppression of the Kashmiri Muslims by the Indian security forces have caught widespread attention both at local and international levels. As a result, a large number of documents highlighting the Kashmir problem have been produced by journalists, historians, politicians, and media people especially during the last 50 years. They are predominantly in two languages, English and Urdu. A lesser amount is also available in other languages, including Arabic, Hindi, Persian, etc.

Access to the information on Kashmir is through a variety of sources, including general sources such as, electronic databases, bibliographies, and

lists of publications issued by independent and non-governmental organizations, and specific sources, such as books, journals, reports, diaries, etc. A description of these sources is given below for the benefit of those who would like to review them for a better understanding of the Kashmir problem.

Electronic Databases

For a comprehensive list of documents on Kashmir, the major sources are the electronic databases, such as LaserCat, a CD-ROM bibliographic database of approximately 4.75 million records; WorldCat (the OCLC Online Union Catalog) of over 40 million records; Social Sciences Citation Index-Compact Disc Edition, (SSCI-CDE), etc. SSCI-CDE is an index of periodical literature. A keyword search of the September 1998 issue of LaserCat retrieved approximately 300 documents on Kashmir. The same keyword search of the WorldCat retrieved 3,648 documents. It is important to mention here that the electronic databases include the majority of documents in English language published in Europe and North America. The documents published in India and Pakistan, the two countries who are parties to the Kashmiri dispute, are not well covered especially those published in their respective national languages, Hindi and Urdu. However, the value of these databases with regard to the Kashmir issue lies in the fact that they include many documents, which have been produced by authors and publishers belonging to the countries not directly related to the Kashmiri conflict. As such, their works present independent and unbiased opinion and observations about the conflict and therefore, make them more credible.

Bibliographies

Despite the availability of hundreds of published and unpublished documents on Kashmir, a comprehensive bibliography is yet to be published. The only bibliographies available to us are those included in many books on Kashmir. The most comprehensive of them is the one given in Schofield's book.⁽³⁰⁾ The total number of references she has cited in 15 chapters of the book and the conclusion are 1,155. In addition, she has also provided a separate bibliography, which includes citations to 27 unpublished sources, 143 interviews and briefings, and 187 books, articles and published papers. The dates of publication of these sources range from 1849 to 1995, which shows that their coverage of the history of the Kashmiri conflict is quite comprehensive. The other notable books which include selected bibliographies on Kashmir are those by Lamb⁽³¹⁾ and Amin.⁽³²⁾

List of Publications of Independent Organizations and Agencies

Independent and non-governmental organizations in both India and Pakistan, and international human rights organizations have produced valuable documents on Kashmir. These documents are included in the lists of their publications, which are issued separately or included in their reports. The following is a brief introduction of some renowned organizations and agencies engaged in research and studies on Kashmir and have produced numerous documents and reports.

Amnesty International (AI). AI "conducts impartial research and organizes worldwide action by local members on behalf of prisoners held in

countries other than their own. Local groups appeal for release of prisoners of conscience, join campaigns highlighting political imprisonment and detention without charge or trial and participate in urgent action networks to bring immediate pressure in cases where torture, "disappearances" or execution are feared."⁽³³⁾ Despite restrictions on the movement of AI observers in Jammu and Kashmir, the organization has managed to gather information on human rights violations committed by the Indian security forces and presented them with facts and figures in their reports.⁽³⁴⁾ These reports are widely quoted in international media as well as in books, articles, and other documents on Kashmir.

Asia Watch. A division of Human Rights Watch founded in 1985 to monitor and promote internationally recognized human rights in Asia. The organization has produced several reports on torture, rape, and other human rights abuses in Kashmir. In preparing these reports,⁽³⁵⁾ the organization has used first hand information gathered from the victims.

Kashmiri American Council (KAC). The KAC is "a non-profit organization dedicated to raising the level of awareness in the United States about the struggle of the people of Kashmir for self-determination as called for under the United Nations resolution. It is also dedicated to the promotion of social contacts among families with Kashmir ancestry settles across the country, regardless of their religious and political affiliation." The Washington-based Council under the dynamic leadership of Ghulam Nabi Fai has produced many documents from small brochures and leaflets to lengthy reports⁽³⁶⁾ highlighting the Kashmiri conflict, the plight of Muslims

as reported in international media, and case studies on various issues of the conflict. The Council also maintains a Web site <<http://www.erols.com/gfai/index.htm>>.

Kashmiri-Canadian Council (KCC). "A non-profit, Toronto-based non-governmental organization dedicated to promote the Kashmiri cause, both within Canada and internationally. The KCC is working under the leadership of Mushtaq A. Jeelani to publicize the tragedy of Indian-occupied Kashmir; to uphold and defend the human rights of the people of Jammu and Kashmir; and to raise the level of awareness about the Kashmiri people's struggle for their right of self determination as enshrined in successive United Nations resolutions of 1948 and 1949." The Council publishes a quarterly journal, *Kashmir Quarterly*, maintains a Web site <<http://www.kashmiri-cc.ca>>, and issues news releases in electronic format. The Los Angeles Times has awarded "Times Pick Award" to the KCC for its Web site.

World Kashmir Freedom Movement. This is a British counterpart of the Kashmiri American Council and the Kashmiri-Canadian Council. The organization is headed by Ayub Thakur and is engaged in lobbying for the cause of the Kashmiri people in the United Kingdom and internationally.

Institute of Policy Studies (IPS). A Pakistani non-governmental organization for policy oriented research and an independent forum for informed discussion and dialogue on national and international issues. Kashmir is one of the major areas where the Institute has concentrated and has produced several books and documents.⁽³⁷⁾

Monographs

The unresolved problem of Jammu and Kashmir for over half a century and the continuing suffering of the Kashmiri Muslims at the hands of the Indian security forces have prompted many notable journalists, historians, and human rights activists to travel across the ill-fated state to gather first hand information about the origins, development and implications of the Kashmiri conflict. Several of them have published books giving documented account of the issue. It is not possible to mention all these works here. However, the works⁽³⁸⁾ by Lamb, Schofield, Wirsing, Newberg, and Sugarman are notable for their comprehensiveness and critical analysis of the Kashmir problem. A selected bibliography at the end of the paper includes many other books on Kashmir published in different parts of the world.

Journals

The current uprising in Kashmir initially did not receive a wider media coverage, due to restrictions imposed on the movement of foreign journalists in the troubled state. The world at large was getting very little information about the atrocities committed by the Indian forces. In this background, some non-governmental organizations and groups from Pakistan, Europe and North America, took initiative by bringing out several journals and newsletters giving news items, analyses, interviews of Mujahideen and accounts of their achievements and sufferings from their own sources inside occupied Kashmir and Azad Kashmir. The following is a review of some of these journals.

Jihad-e-Kashmir. The most prominent journal of current affairs on Kashmir is being published in Urdu from Rawalpindi, Pakistan since 1991. Originally issued monthly but is now published twice a month. It covers events of the previous two weeks in Kashmir, includes news reports, personal accounts of Mujahideen, interviews of not only Kashmiri Mujahideen, but also of Muslim leaders from all over the world, essays on problems and issues facing the Islamic Ummah, etc. Each year the journal also gives in one of its issues the list of martyres, who gave away their lives in Kashmir for the sake of Allah. The journal has several correspondents in Jammu, Srinagar and New Delhi, who contribute features on Kashmir regularly. For more information, visit the Web site <<http://www.jihad-e-kashmir.org.pk>>.

Kashmir Al-Muslimah. This is an Arabic edition of Jihad-e-Kashmir with essays, interviews, news items, reports on Kashmir for the readers in Arab countries. The journal has helped in highlighting the Kashmir problem in the Middle East.

Kashmir Al-Jareeha. A newsletter published in Arabic by the Kashmir Committee of the World Assembly of Muslim Youth (WAMY) in Riyadh, Saudi Arabia. The newsletter includes news items and successes and losses of various Mujahideen groups in Kashmir during the month in report.

Kashmir Quarterly. It is a quarterly journal issued in English by the Kashmiri-Canadian Council since 1995. The journal reports on developments in the Indian occupied Kashmir and neighboring areas in the form of essays, reports, commentaries and letters. There is also a section entitled "Quarterly Review on Human Rights Violations," which gives

report of atrocities committed by the Indian security forces during the previous quarter. The source of these report is a Srinagar-based press agency called Kashmir Press International (KPI). The quarterly is also distributed to subscribers in electronic format via e-mail.

Kashmir Today. A bimonthly journal on Kashmir, issued by the Kashmir Solidarity USA, New York, since 1994.

Kashmir Watch. A monthly journal published in English by the Institute of Policy Studies, Islamabad. The journal includes news items, essays, and reports on the Kashmiri freedom movement.

Autobiographies

The Kashmiri freedom movement has produced scores of people who have given tremendous sacrifices for the just cause of Kashmir. The issues of *Jihad-e-Kashmir* are filled with the heroic stories of these Mujahideen. Many of these stories are personal account of the miseries and torture they have suffered in prison, interrogation centers, and torture cells in Kashmir and other parts of India. One such personal account is given in a three-volume set entitled *Rudad-e-Qafas* (the prison diary) by Syed Ali Gilani,⁽³⁹⁾ who is currently the Chairman of All-Parties Hurriyat Conference (APHC), an alliance of several political parties in Kashmir, who are fighting for the freedom of Kashmir. While the first two volumes have already been published by the Institute of Policy Studies, the manuscript of the third volume has been confiscated by the Indian government. *Rudad-e-Qafas* is not only a history of the Kashmir freedom movement, it also gives an insight into what farce India is playing in the occupied Kashmir in the name

of 'democracy' and secularism. The book gives "an account of the third degree methods, which are employed by the Indian army and police at the interrogation centre in Jammu. The inmates of this interrogation centre are kept in abject conditions, the purpose being to demoralize and terrorise them so that they make fake "confessions" and admit all the charges and allegations, the police want them to admit."⁽⁴⁰⁾

There are also a few autobiographies of the people who have been directly responsible for causing this tragedy or committing atrocities on Kashmiri Muslims under their rule. Famous among them are the autobiographies of Sheikh Mohammad Abdullah,⁽⁴¹⁾ his son Farooq Abdullah,⁽⁴²⁾ and Jagmohan⁽⁴³⁾ who has been the governor of the state of Jammu and Kashmir. In their books all of them justify their acts of oppressions as a means of keeping the state under the Indian occupation. However, they also admit that excesses have been committed on the people of Kashmir by the Indian security forces.

World Media

Despite the Indian government's attempt to impose a news blackout in Jammu and Kashmir, the world media have managed to cover the events in the occupied territory quite regularly. The British Broadcasting Corporation (BBC) through its correspondents stationed in Srinagar and New Delhi has taken a lead among other broadcasting agencies in broadcasting news reports from Kashmir in its Urdu and Hindi services almost daily. Occasionally reports and films on encounters between Mujahideen and the Indian security forces are also shown on the BBC television. The other agencies which broadcast news on Kashmir are Voice of America (VOA),

All India Radio (AIR), Voice of Germany (VOG), Radio Pakistan, Radio Muzaffarabad (Azad Kashmir), Radio Tehran, Radio Australia, etc. The Institute of Policy Studies has brought out an excellent source⁽⁴⁴⁾ giving details of the coverage of the Kashmir conflict by various broadcasting agencies around the world.

In the print media also, the events in Kashmir are being covered quite regularly. The renowned world dailies--*New York Times*, *Guardian*, *Financial Times*, *Times*, *London*, and weeklies- *Time* and *Newsweek* include news reports, articles and analyses on the Kashmir issue. A selection of clippings from the above newspapers and weeklies has also been compiled by the IPS.⁽⁴⁵⁾

Kashmir Press International (KPI). KPI is a press agency dedicated to highlighting the Kashmiri freedom movement through press releases, audiocassettes and videocassettes. It has offices in Srinagar and Azad Kashmir with correspondents and reporters sending authoritative and timely reports of the freedom movement from inside Kashmir.

CONCLUSION

The endless suffering of the Kashmiri Muslims is a matter of grave concern for the Islamic Ummah. We have done very little to stop the illegal actions from the sale of Kashmir by the British to its annexation by the government of India. The history of Kashmir is very well recorded both by local and independent foreign journalists, historians and scholars. Their works cited in this paper prove beyond any doubt that the annexation of Kashmir by India was illegal and that India backed out after accepting the

UN resolutions demanding the right of self determination for the Kashmiri people to decide about their future. There are hard evidences in the reports by Amnesty International, Asia Watch, and other human rights organizations that the Indian security forces are engaged in killing, torture, rape, and other crimes against humanity in Kashmir.

The Organization of Islamic Conference (OIC) has formed a Contact Group to monitor the situation in Kashmir and make recommendations to the OIC in finding ways for resolving the Kashmir problem. The OIC may need to exert pressure on India through more than 50 member states to stop atrocities in Kashmir, withdraw its security forces from the state, and give the Kashmiris the right of self determination required by the UN resolutions.

The review of information sources on the plight of Kashmiri Muslims is an attempt to trace the history of sufferings in Kashmir. It is hoped that these sources will help us in a better understanding of the Kashmir problem.

REFERENCES

- (1) *Facts About Kashmir*. Washington: Kashmiri American Council, 1995. p. 1
- (2) Zikmund, Miroslav. *Kashmir, the Heavenly Valley*. Prague: Artia, 1962, 14 p.
- (3) Khayal, Ghulam Nabi, ed. *Kashmir: Paradise Turned Inferno*. Srinagar: Jammu and Kashmir Forum for Human Rights & Civil Liberties, 1993, 122 p.
- (4) Schofield, Victoria. *Kashmir in the Crossfire*. London: I. B. Tauris, 1996, p.15.
- (5) Ibid, p.19
- (6) Lamb, Alastair. *The Kashmir Problem: a Historical Survey*. New York: Praeger, 1967, p. 25.
- (7) Lamb, Alastair. *Birth of a Tragedy: Kashmir, 1947*. Hertingfordbury : Roxford, 1994.
- (8) Dar, Fazal H. "Tragedy of immense proportion," *Kashmir Quarterly* 3, no.4 (winter 1997), p.27
- (9) Lamb, Alastair. *Kashmir: a Disputed Legacy, 1846-1990*. Herts: Roxford Books, 1991, p. 108.
- (10) Korbel, Joseph. *Danger in Kashmir*, 2nd ed. Princeton: Princeton University Press, 1966, p. 98.
- (11) Ahmed, Khurshid. Foreword to the *Kashmir: an Appraisal of Current Situation*, by M. Shafi Khan. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1994. p. [+].
- (12) *Jagmohan: in the Eyes of His Compatriots*. Washington: Kashmiri American Council, 1991?

- (13) Jagmohan. *My Frozen Turbulence in Kashmir*. New Delhi: Allied Publishers, 1991, 723 p.
- (14) *Facts About Kashmir*, 1995, p. 5
- (15) "Brutalities of Indian occupation forces in Kashmir since 1989: statistics," *Jihad-e-Kashmir* 6(1 February 1996), p.[23]; an updated statistics in electronic format received by the author from the Canadian-Kashmiri Council on April 3, 1998 via e-mail.
- (16) Amin, Tahir. *Mass Resistance in Kashmir: Origins, Evolution, Options*. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1995, p.112
- (17) "Amnesty International's concern," *Kashmir Quarterly* 3, no.4 (winter 1997), p.36
- (18) "Disappearances," *Kashmir Quarterly* 3, no.4 (winter 1997), p.14
- (19) Amnesty International. *Torture and Deaths in Custody in Jammu and Kashmir*. New York: Amnesty International, 1995, p. 125.
- (20) Davis, Anthony. "The conflict in Kashmir," *Jane's Intelligence Review* 7, no.1(January 1995), p. 42.
- (21) Qamar, Mohammad Saghir. *Torture Cells of Occupied Kashmir* (in Urdu). Rawalpindi: Kashmir Publications Center, 1995.
- (22) Amin, *Mass Resistance in Kashmir*, p. 118
- (23) Asia Watch. *Rape in Kashmir: a Crime of War*. New York: Human Rights Watch, May 1993, 18 p.
- (24) Fai, Ghulam Nabi. *Kashmir: Rape, Murder and Terror*. Washington: Kashmiri American Council, 1993, [p. 3]
- (25) Kashmiri American Council. *Another Year of Deliberations and Another Year of Death, Rape and Torture in Kashmir*. Washington: KAC, 1997, 82 p.
- (26) Kashmiri American Council. *Violence Against Women: a Case Study of Kashmiri Women*. Washington: KAC, 1998, p.26.

- (27) Izuddin, Abdul Basit. *Al-Majid Al-Babri: Qadhiyah La Tunsu* (in Arabic). Makkah: Islamic World League, 1993, 116 p.
- (28) Moore, Molly and Anderson, John Warel. "Kashmir in flames: why India hides from the truth," *The Washington Post* 21 May 1995.
- (29) Hamdani, Ali Mohammad. "Special report" (in Urdu), *Jihad -e-Kashmir*. 5, no.6 (16 March 1995):26-28; 5, no.7(1 April 1995): 25-27; 5, no.11(1 June 1995):7- 12.
- (30) Schofield, *Kashmir in the Crossfire*, p. 299-338.
- (31) Lamb, *The Kashmir Problem*, p. 151-54.
- (32) Amin, *Mass Resistance in Kashmir*, p. 161-66.
- (33) *Yearbook of International Organizations*, 32nd ed. Munchen: K.G. Saur, 1995, v.1, p. 57.
- (34) Amnesty International. 'An Unnatural Fate': *Disappearances and Impunity in the Indian States of Jammu and Kashmir and Punjab*, December 1993; *Torture and Deaths in Custody in Jammu and Kashmir*, January 1995.
- (35) Asia Watch. *Human Rights in India: Kashmir under Siege, May 1991; Arms and Abuses in Indian Punjab and Kashmir, September 1994; Continuing Repression in Kashmir, August 1994; The Human Rights Crisis in Kashmir: a Pattern of Impunity*, June 1993; *Rape in Kashmir: a Crime of War*, May 1993.
- (36) Kashmiri American Council. *Violence Against Women: a Case Study of Kashmiri Women*, March 1998; *Another Year of Deliberations and Another Year of Death, Rape and Torture in Kashmir*, August 1997; *What the Honorable Indian Delegate will not Tell the Distinguished Members of the U.N. Commission on Human Rights*, April 1996; *Kashmiri Pandits (Hindus) Expose Jagmohan's Plot*, [1990].

- (37) Amin, Tahir. *Mass Resistance in Kashmir*, 1995; Khan, M Shafi. *Kashmir: an Appraisal of Current Situation*, 1994; Bajwa, Nisar Ahmad, ed. *Selections from the World Broadcast on Kashmir*, [1991]; Bajwa Nisar Ahmad, ed. *Selections from the World Media on Kashmir*, 1991; Mirza, M. A. Haq. *The Withering Chinar*, 1991; Jan, Tarik, *Kashmir Suffers*, 1991; Jan, Tarik and Sarwar, Ghulam. eds. *Kashmir Problem: Challenge and Response*, 1990; *Kashmir: Background to the Dispute*, 1990; Valie, Zahed A. *Kashmir Today: Perceptions and Reality*, 1993; Rafai, Syed Noorul Hasan and Karipak, Abdul Kabeer. *Kashmir Bleeds*, 1991.
- (38) Lamb, Alastair. *Birth of a Tragedy*, 1947, 1994; *Crisis in Kashmir*, 1947-1966, 1966; *Kashmir: a Disputed Legacy, 1846-1990*, 1991; *The Kashmir Problem: a Historical Survey*, 1967; Schofield, Victoria. *Kashmir in the Crossfire*, 1996; Wirsing, Robert. *India, Pakistan and the Kashmir Dispute: on Regional Conflict and its Resolution*, 1994; Newberg, Paula R. *Double Betrayal: Repression and Insurgency in Kashmir*, 1995; Sugarman, Martin A. *Kashmir: Paradise Lost*, 1994.
- (39) Gilani, Syed Ali. *The Prison Diary* (in Urdu). Islamabad: Institute of Policy Studies, 1994-95. 2v.
- (40) *The Frontier Post*, Peshawar, 2 February 1994.
- (41) Abdullah, Sheikh Mohammad. *Flames of the Chinar*; translated from Urdu by Khushwant Singh. New Delhi, 1993.
- (42) Abdullah, Farooq. *My Dismissal*. New Delhi, 1985.
- (43) Jagmohan. *My Frozen Turbulence*, 1991.
- (44) Bajwa, ed. *Selections from the World Broadcast on Kashmir*, 1991.
- (45) Bajwa, ed. *Selections from the World Media on Kashmir*, 1991.

SELECTED BIBLIOGRAPHY

MONOGRAPHS

Abdullah, Farooq. *My Dismissal*. New Delhi, 1985.

Abdullah, Sheikh Mohammad. *Flames of the Chinar*; translated from Urdu by Khushwant Singh. New Delhi, 1993.

Akbar, M. J. *Kashmir: Behind the Vale*. New Delhi: Viking, 1991.

Akhtar, Shaheen. *Uprising in Indian Held Jammu & Kashmir*. Islamabad: Institute of Regional Studies, 1991.

Amin, Tahir. *Mass Resistance in Kashmir: Origins, Evolution, Options*. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1995.

Bajwa, Nisar Ahmad, ed. *Selections from the World Broadcast on Kashmir*. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1991.

Bajwa, Nisar Ahmad, ed. *Selections from the World Media on Kashmir*. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1991.

Bhattacharjea, Ajit. *Kashmir: the Wounded Valley*. New Delhi, 1994.

Brecher, Michael. *The Struggle for Kashmir*. Toronto: The Reyson Press, 1953.

Chopra, Pran. *India, Pakistan and the Kashmir Tangle*. New Delhi, 1994.

Ferguson, James P. *Kashmir: an Historical Introduction*. London: Centaur Press, 1961.

Gilani, Syed Ali. *The Prison Diary* (in Urdu). Islamabad: Institute of Policy Studies, 1994-95. 2v.

Giyas-ud-Din, Pir. *Understanding the Kashmir Insurgency*. Delhi, 1992.

Government of Pakistan. *Kashmir in the Security Council*. Islamabad, March 1990.

Graff, Donald Frederick. *The Kashmir Question in the Security Council, 1948-1952*. Master thesis - Montana State University, 1952.

Gupta, Sisir. *Kashmir: a Study in India-Pakistan Relations*. Bombay: Asia Publishing House, 1967.

Hayes, Louis D. *The Impact of US Policy on the Kashmir Conflict*. Tucson: University of Arizona Press, 1971.

Jaffar, S. M. *Kashmir Sold and Resold*. Lahore, 1992.

Jagmohan. *My Frozen Turbulence*. New Delhi: Allied Publishers, 1991.

Jan, Tarik, ed. *Kashmir Suffers*. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1991.

Jan, Tarik, Sarwar, Ghulam, eds. *Kashmir Problem: Challenge and Response*. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1990.

Kadian, Rajesh. *The Kashmir Tangle: Issues and Options*. New Delhi, 1992.

Kamal, Nazir A. *Denial of Freedom and Human Rights: a Review of Indian Repression in Kashmir*. Islamabad: Institute of Strategic Studies, 1996.

Karim, Afsir. *Kashmir: the Troubled Frontiers*. New Delhi, 1994.

Kashmir: Background to the Dispute. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1990.

- Kashmir Brief. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1997.
- Khan, M. Shafi. Kashmir: a Question of Life and Death of 112 Million People. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1989.
- Khan, M. Shafi. Kashmir: an Appraisal of Current Situation. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1994.
- Khayal, Ghulam Nabi, ed. Kashmir: Paradise Turned Inferno. Srinagar: Jammu and Kashmir Forum for Human Rights & Civil Liberties, 1993.
- Korbel, Joseph. Danger in Kashmir, 2nd ed. Princeton: Princeton University Press, 1966.
- Lakhanpal, P. L., ed. Essential Documents and Notes on Kashmir Dispute. Delhi: International Books, 1965.
- Lamb, Alastair. Birth of a Tragedy, 1947. Hertingfordbury: Roxford, 1994.
- Lamb, Alastair. Crisis in Kashmir, 1947-1966. London: outledge & Kegan Paul, 1966.
- Lamb, Alastair. Kashmir: a Disputed Legacy, 1846-1990. Herts: Roxford Books, 1991.
- Lamb, Alastair. The Kashmir Problem: a historical survey. New York: Praeger, 1967.
- Mirza, M. A. Haq. The Withering Chinara. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1992.
- Mushtaqur Rahman. Divided Kashmir: Old Problems, New Opportunities for India, Pakistan, and the Kashmiri People. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1996.

- Naqash, Nasir A. and Shah, G. M. Kashmir, from Crisis to Crisis. New Delhi: APH Pub. Corp., 1997.
- Newberg, Paula R. Double Betrayal: Repression and Insurgency in Kashmir. Washington: Carnegie Endowment for International Peace, 1995.
- Panikkar, K. M. The Founding of the Kashmir State: a Biography of Maharajah Gulab Singh 1792-1858. London, 1953.
- Permu, P. K. A History of Muslim Rule in Kashmir 1320-1819. New Delhi, 1969.
- Puri, Balraj. Kashmir: Towards Insurgency. London: Orient Longman, 1993.
- Puri, Balraj. Kashmir: Triumph and Tragedy of Indian Federation. New Delhi, 1981.
- Qamar, Mohammad Saghir. The Line of Blood (in Urdu). Rawalpindi: Kashmiri Publications Center, 1996.
- Qamar, Mohammad Saghir. Torture Cells of Kashmir (in Urdu). Rawalpindi: Kashmiri Publications Center, 1995.
- Rafai, Syed Noorul Hasan, Karipak, Abdul Kabeer, eds. Kashmir Bleeds, 2nd ed. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1991.
- Saraf, Muhammad Yusuf. Kashmiris Fight for Freedom. Lahore, 1977.
- Schofield, Victoria. Kashmir in the Crossfire. London: IB Tauris, 1996.
- Sharma, Dewan. Kashmir under the Sikhs. Delhi, 1983.
- Singh, Talveen. Kashmir: a Tragedy of Errors. New Delhi: Viking, 1995.

- Sugarman, Martin A. *Kashmir: Paradise Lost*. Malibu: Sugarman Productions, 1994.
- Sugarman, Martin A. *War Above the Clouds: Siachen Glacier*. Malibu: Sugarman Productions, 1996.
- Suhrawardy, A. H. *Kashmir: the Incredible Freedom Fight*. Lahore: Jang Publications, 1991.
- Suhrawardy, A. H. *Tragedy in Kashmir*. Lahore, 1983.
- Taseer, C. Bilqees. *The Kashmir of Sheikh Muhammad Abdullah*. Lahore, 1986.
- Thomas, Raju G. C., ed. *Perspective on Kashmir: the Roots of Conflict in South Asia*. Boulder: Westview Press, 1992.
- Valie, Zahed A. *Kashmir Today: Perceptions and Reality*. Islamabad: Institute of Policy Studies, 1993.
- Verma, P. S. *Jammu and Kashmir at the Political Crossroads*. New Delhi, 1994.
- Wani, Nizamuddin. *Muslim Rule in Kashmir (1554-86)*. Jammu, 1987.
- Wirsing, Robert. *India, Pakistan, and the Kashmir Dispute: on Regional Conflict and its Resolution*. New York: St. Martin's Press, 1994.
- Wolpert, Stanley. *Jinnah of Pakistan*. New York: Oxford University Press, 1984.
- Zikmund, Miroslav. *Kashmir, the Heavenly Valley*. Prague: Artia, 1962.

ARTICLES

Abdul Aziz, Mir. "What human rights activists in India say about Kashmir,"
The Muslim, 7 April 1992.

Ahmad, Khurshid. "Kashmir at the UN and beyond," Dawn, 27 November
1994.

Ashraf, Fahmida. "Indo-Israeli relation: future trends," Strategic Studies,
November 1993.

Bedi, Rahul. "Casualties rise in Kashmir," Jane's Defence Weekly, 28
January 1995.

Bewaja, Harinder. "Kashmir: losing control," India Today, 31 May 1993.

Brecher, Michael. "Kashmir: a case study in UN mediation," Pacific Affairs,
September 1953.

Davis, Anthony. "The conflict in Kashmir," Jane's Intelligence Review, 7,
no.1(January 1995), p.40-46.

Desmond, Edward. "The insurgency in Kashmir (1989-1991),"
Contemporary South Asia, 4, no.1(1995), p.5-16.

Moreau, Ron. "A brutal crackdown," Newsweek, 26 November 1991.

Muralidharan, Sukumar. "Nightmare at Doda," The Frontline, 15 July 1994.

Noorani, A. G. "The tortured and the damned: human rights in Kashmir,"
The Frontline, 28 January 1994.

"Once paradise, now hell," The Message, January 1994, p.23-25.

Puri, Balraj. "Kashmiriyat: the vitality of Kashmiri identity," Contemporary
South Asia, 4, no.1(March 1995).

Rizvi, Gowher. "Nehru and the Indo-Pakistan rivalry over Kashmir 1947-64," *Contemporary South Asia*, 4, no.1(1995), p.17-37.

Singh, Khushwant. "The valley of tears," *The Telegraph*, 5 February 1990.

Wylie, Bob. "Valley on fire," *Guardian*, 3 August 1991.

REPORTS

Amnesty International. *Torture and Deaths in Custody in Jammu and Kashmir*. New York, January 1995.

Amnesty International. 'An Unnatural Fate': Disappearances and Immunity in the Indian States of Jammu and Kashmir and Punjab. New York, December 1993.

Asia Watch. *Arms and Abuses in Indian Punjab and Kashmir*. New York, September 1994.

Asia Watch. *Continuing Repression in Kashmir*, New York, August 1994.

Asia Watch. *Human Rights in India: Kashmir Under Siege*. New York, May 1991.

Asia Watch. *The Human Rights Crisis in Kashmir: a Pattern of Impunity*. New York, June 1993.

Asia Watch. *Rape in Kashmir: a Crime of War*. New York, May 1993.

Fai, Ghulam Nabi. *Kashmir: Rape, Murder and Terror*. Washington: Kashmiri American Council, December 1993.

Goodhart, William, Sir. *Human Rights in Kashmir: Report of a Mission*. Geneva: International Commission of Jurists, 1995.

Gopsill, Tim. *Heaven on Fire: a Report of the British Parliamentary Group*, reproduced in the daily Nation, Lahore, 29 May 1993.

Gossman, Patricia. *The Crackdown in Kashmir: Torture of Detainees and Assaults on the Medical Community*. Boston: Physicians for Human Rights and Asia Watch, 1993.

International Commission of Jurists. *Report of a Mission: Human Rights in Kashmir*. Geneva, 1994.

Kashmiri American Council. *Another Year of Deliberations and Another Year of Death, Rape and Torture in Kashmir*. Washington: KAC, 1997.

Kashmiri American Council. *Violence Against Women: a Case Study of Kashmiri Women*. Washington: KAC, 1998.

Kashmiri American Council. *What the Honorable Indian Delegate will not Tell the Distinguished Members of the U. N. Commission on Human Rights*. Washington: KAC, 1996.

Punjab Human Rights Organization. *The Kashmir Massacre: a Report on the Assassination of Mirwaiz Maulvi Farooq and its Aftermath*. Punjab, 1990.

JOURNALS

Jihad-e-Kashmir (in Urdu). Rawalpindi, Pakistan, 1991-

Kashmir Al-Jareeha (in Arabic). Riyadh: World Assembly of Muslim Youth, 1994-

Kashmir Al-Muslimah (in Arabic). Islamabad, Pakistan, 1993-

Kashmir Today. New York: Kashmir Solidarity USA, 1994-

Kashmir Quarterly. Toronto: Kashmiri-Canadian Council, 1995-

Kashmir Watch. Islamabad: Institute of Policy Studies.

Sources of Information on Muslim Minorities: A case of Singapore

Prof. Dr. Abdus Sattar Chaudhry^(*)

Abstract

Muslims in Singapore account for about 16 per cent of the total population. They live alongside non-Muslims in a country where freedom of religion is enshrined in the constitution. Singapore is a multiracial city-state surrounded by three Muslim countries. Muslims there face a multitude of challenges and need to equip themselves with proper knowledge and understanding of their faith. In this context, the role of information is crucial.

Islamic organizations in Singapore are trying to make Islamic information available to Muslims and non-Muslims alike in an effective manner by the use of modern information technology.

This paper provides an overview of the major activities of Singapore's main Islamic organizations. It introduces the relevant Internet sites, describes the various publication programs, and surveys the information

(*) Division of Information Studies, School of Applied Science Nanyang Technological University Singapore

resource collections. Organizations active in information generation and dissemination belong to Government departments, community organizations, Da'wa agencies, and professional groups. Internet technology has become a primary means of information dissemination among Islamic organizations in Singapore. All of these Internet sites and they provide links to outside sources of information related to Islam and Muslims. They also have active publication programs and produce serial publications including in-house bulletins, monthly magazines, and quarterly journals. They use seminars, public talks, and discussions for intellectual discourse on special issues related to Muslim communities.

Many organizations have some material on Islam and Muslims in their collections. Most local Islamic organizations maintain some sort of library or information resource center containing collections of information materials on Islam and Muslims. The library collections are, however, small and need to be better developed and organized.

Sources of Information on Muslim Minorities: A case of Singapore

Introduction

Singapore is a multi religious and multiracial cosmopolitan city-state of about three million people. It is strategically located in the Southeast Asian region, surrounded by three Muslim countries, Brunei, Indonesia and Malaysia. The Muslims in Singapore are a minority group, constituting about 16 per cent of the total population⁽¹⁾. Most Muslims in Singapore are Malays but there are also Arabs, Chinese, Indians, and Pakistanis among them⁽²⁾. They live alongside Taoists, Buddhists, Christians and Hindus in this country in which freedom of religion is enshrined in the Constitution⁽³⁾. As members of a modern and rapidly changing metropolis, Muslims in Singapore face a multitude of challenges to the practice and interpretation to their faith. These challenges raise a variety of issues relating to Islamic education, Islamic law and legal institutions, the management of Islamic institutions, leadership in the Muslim community, and non-Muslim perception of Islam and Muslims⁽⁴⁾. Such a situation makes it necessary that Muslims in Singapore are well equipped with proper knowledge and understanding of their faith to be able to provide clear and coherent explanations about Islam and its position in the modern world. Among other things, this requires dedicated Islamic organizations with strong information and publication programs for the development and nurturing of critical reflection and thinking among Muslims. A variety of organizations and institutions have been established in Singapore by Government and the Muslim community to redress social and other problems. These organizations are contributing towards the generation and distribution of information on Islam and Muslims through various means.

This paper provides an overview of the major activities of main Islamic organizations in Singapore. It describes the various publication programs and methods used by these organizations for effective dissemination of information on Islam and Muslims. Data for this study was collected through review of publications, browsing of web sites, and discussions with the staff and volunteers involved in different type of Islamic activities. The information is expected to be of interest to Muslim minorities in other parts of the world. The first section of the paper provides a general introduction of important Islamic organizations (mission, objectives, and major functions) while the specific sources of information (Web sites, publications, and resource centers) are described in the second section. The paper concludes with a summary of strategies employed and approaches taken by the Islamic organization for dissemination of information to Muslims and non-Muslims.

ISLAMIC ORGANIZATIONS

GOVERNMENT BODIES

1. MUIS (Majlis Ugama Islam Singapura)

The Religious Council of Muslims (MUIS) was established in 1968 as an advisory body on matters relating to Islam in Singapore⁽⁵⁾. It is responsible for the promotion of religious, social, educational, economic and cultural activities in accordance with the principles and traditions of Islam as enshrined in the Holy Quran and Sunnah. The principal functions of MUIS are as follows:

- * Administration of zakat, fitrah, waqf, pilgrimage affairs and da'wah activities

- * Administration of the affairs of mosques
- * Coordination of Islamic education programs
- * Issuance of fatwas (religious rulings)
- * Provision of study grants to Muslim students
- * Provision of financial relief to poor and needy Muslims
- * Assistance to new converts

MUIS also administers the Islamic Center of Singapore which provides a number of facilities aimed at disseminating information including a library, an audio-visual room and other facilities for meetings, seminars, lectures, etc. MUIS also plays an effective role in dissemination of information on Islam and Muslims through a network of more than 70 mosques and a number of community groups.

2. MENDAKI (Council for the Development of Singapore Muslim Community)

MENDAKI was established in 1982 to uplift the educational performance of the Muslim community. While its primary focus remains on educational development, MENDAKI's programs also include social, cultural and economic development⁽⁶⁾. Through its six departments of Corporate Services, Economic Development, Education, Finance, Research and Development, and Social and Cultural Affairs, MENDAKI is committed to achieving the following objectives:

- * To foster a well-educated and well-trained Muslim community
- * To strengthen values consistent with Islamic teachings in order to contribute to wholesome family and social and cultural values
- * To help identify economic opportunities for the Muslim community

- * To build up the required research, administrative and support services to attain the mission of excellence in education for the Muslim community
- * To develop close rapport and support with the Muslim grass root community organizations, Government and outside organizations.

MENDAKI is also playing an important role in the dissemination of information on Islam and Muslims. It has conceptualized a "Community Intranet" designed to take the Muslim grassroots organizations in the 21st century. It maintains a resource center that serves as a reference and information center for MEDAKI's activities. Its collection includes materials on educational, social, cultural and economic development of the Muslim community.

3. PERDAUS (Persatuan Pelajar Pelajar Agama Dewasa Singapura)

PERDAUS (Adult Religious Students Association) is an established social and educational organization formed in 1964 as an affiliate organization of MUIS and MENDAKI ⁽⁷⁾. It is steered by a combination of highly qualified young professionals and experienced community leaders. PERDAUS carries out its community services through three centers comprising students and adults by organizing the following programs:

- * Academic tuition
- * Family development programs
- * Community programs
- * Legal and counseling

PERDAUS' future directions are charted by Plan 2000 and Plan2005, which set performance targets to be achieved during the coming 10-15

years. It is expected to play a positive role in the dissemination of information working harmoniously with all parties to promote the development of the Islamic Ummah and the Muslim community.

MISSIONNARY AGENCIES

1. Jamiyah Singapura (Muslim Missionary Society of Singapore)

JAMIYAH Singapura was founded in 1932. It currently has more than 35,000 members ⁽⁸⁾. Its activities encompass various educational, religious, welfare and social programs. In addition to a library of information materials on Islam and Muslims, JAMIYAH maintains a Web site on Islamic information. The Web page allows the community to post notices and messages to facilitate an exposure to different cultures and ideas broadening horizon of Muslim community. JAMIYAH established an Information Technology Unit in 1997 to equip Muslims with knowledge and skills that would be relevant in the year 2000 and beyond with focus in the following areas:

- * To inform the community of the latest development sand trends
- * To train the community with the skills necessary for them to avoid being obsolete and redundant
- * To help reduce the intimidation from not knowing IT
- * To provide advisory services to everyday computer users

As a continuing effort to train the community, JAMIYAH holds seminars and workshops to address certain issues and to educate members.

2. PERGAS (Persatuan Guru-Guru Agama Singapura)

PERGAS Singapura (Singapore Religious Teachers' Association) is striving towards the establishment of a "Khaira Ummah" by building and establishing a comprehensive Islamic personality among Muslims in Singapore⁽⁹⁾. Its activities are aimed at creating awareness and understanding based on knowledge for the doing of good deeds. Its major programs include the following:

- * Cyber Ummah: interaction with teachers, activists, and concerned Muslims
- * Kalendar Kita: Muslim calendar of events, a link to search Muslim activities around the island
- * Prayer Timetable: Current year timetable for Singapore

PERGAS has also set up a Web site that provides links to authentic sources of information on Islam and Muslims and related topics.

3. The Muhammadiyah Association

The birth of Muhammadiyah Association can be traced back to a meeting of students in 1957 though it was registered as a welfare organization only in 1989⁽¹⁰⁾. It is a religious reformation movement and is striving to function as an agent of social change through formal and informal educational programs. It is also playing an important role in the dissemination of information on Islam and Muslims in Singapore. Its Publication and Information departments are disseminating Islamic information through publication of magazines and bulletins and seminars, discussions, and forums. In addition, it maintains a Web site that is aimed

at introducing members and non-members to Islamic knowledge and information. Through its Research and Development Department, Muhammadiyah is conducting research on beliefs and understanding of the Muslim community in Singapore and the acceptance of society on the concept of "SUNNAH".

4. Darul Arqam Singapura (Muslim Converts Association of Singapore)

Darul Arqam is a registered association of Muslim converts in Singapore. It strives to project a better understanding of Islam to both Muslims and non-Muslims⁽¹¹⁾. The Association conducts various programs for new believers to develop their spiritual well being. The developmental program areas are as follows:

- * Orientation
- * Registration
- * Attachment to Converts' Officer
- * Introductory Courses on Islam
- * Assessment
- * Certificate of Conversion

Darul Arqam holds classes in a number of languages for new believers. It also conducts seminars and courses to prepare Muslims on the proper approaches of conveying Islam to non-Muslims. It has a number of publications including magazines, books, and brochures and has also produced information on audio and video tapes for educational purposes. It conducts public lectures to attract a wider audience. Darul Arqam also maintains a good library and runs a bookstore of Islamic publications.

THINK TANK GROUPS

1. Angkatan Karyawan Islam Singapura (Association of Muslim Professionals)

The Association of Muslim Professions (AMP) was established in 1991 as a think tank, mobiliser and problem-solver in the development of the Muslim community in Singapore ⁽¹²⁾. AMP's vision is to bring about a model Muslim minority community that is educationally excellent, economically dynamic, socially progressive, culturally vibrant and politically influential. To realize this vision, in addition to its research and training activities, AMP conducts consultancy services and carries out an elaborate seminar series including public seminars, meetings of resources persons, and roundtable discussions. It brings out a number of publications, and maintains a resource center comprising of the following units:

- * Resource Library
- * Media Watch Unit
- * Opinion Polls/Surveys Unit
- * Internet Management Unit

2. CCIS (Center for Contemporary Islamic Studies)

CCIS has recently been established as a research and scholarly organ of Darul Arqam, the Association of Muslim Converts. Its objectives include the study of how Muslims come to terms with the conditions of modern life while remaining true to their faith and retaining their cultural legacy ⁽¹³⁾. CCIS is expected to play an important role in the dissemination of information to intellectuals with its focus on issues concerning Islam from

the perspective of a Muslim community. It uses scholarly seminars as a main tool for dissemination of information through intellectual discourse among invited gatherings of scholars, politicians, and professionals.

SOURCES OF INFORMATION

WEB SITES

Web sites and Home pages are being used as the main vehicle of communication of information by Islamic organization in Singapore. All major Islamic organizations have developed their own home pages. In addition to propagate their activities, links are provided to outside information sources throughout the world. The following list provides URL addresses for selected organizational and personal home pages:

1. KampungNet
(<http://www.pointpub.com/kampungnet/main.shtml>)
2. CyberPerdaus
(<http://www.cyberPerdaus.org.sg>)
3. Darul Arqam
(<http://www.darul-arqam.org.sg>)
4. Centre for Research on Islamic and Malay Affairs
(<http://amp.org.sg/publications.programs.html>)
5. PERGAS
(<http://www.pergas.org.sg>)

6. Islamic Infomap
(<http://www.muis.gov.sg/services/index.html>)
7. Jamiyah
(<http://www.jamiyah.org.sg/wwwboard/wwwboard.html>)
8. Taman Bacaan on the Net
(<http://home1.pacific.net.sg/~bahari/>)
9. The Muhammadiyah Association
(<http://home1.pacific.net.sg/~muhdassn/>)
10. MENDAKI
(<http://www.mendaki.org.sg/Ymweb/html/>)
11. Noordin Dollah's Homepage
(http://sunflower.singnet.com.sg/~noordin/islamic_page.htm)
12. Ustaz Noor Rawi Homepage
(<http://web.singnet.com.sg/~anabil/>)
13. Muslim Society of NTU Home Page.
(<http://www.ntu.edu.sg/studorgn/muslim/>)
14. NUS Islamic Society Web site.
(<http://www.nussu.nus.sg/nussu/Nclubsoc/muslimsoc/>)
15. Nasir's Islamic Home Page.
(<http://www.cyberway.com.sg/~cheh65/>)

PUBLICATIONS

Most of the monographic and reference publications on Muslims in Singapore have been produced by institutions interested in regional studies, e.g., Institute of Southeast Asian Studies and a number of departments at the National University of Singapore. A list of selected publications is given below:

Books and Reference Materials

1. Abdalati, Hammudah. *Islam in focus* 2nd ed. Singapore: Muslim Youth Assembly, 1980.
2. *Islamic banking in Southeast Asia*, edited by Mohamed Ariff. Singapore: Institute of Southeast Asian Studies, 1988.
3. *Islam and society in Southeast Asia*, edited by Taufik Abdullah and Sharon Siddique. Singapore: Institute of Southeast Asian Studies, 1986.
4. Lim, Patricia Pui Huen (comp). *The Malay world of Southeast Asia : a select cultural bibliography* Singapore: Programme on the Cultural Heritage of Southeast Asia,
5. Institute of Southeast Asian Studies, 1986.
6. *Making the difference: ten years of MENDAKI*. Singapore: Yayasan Mendaki, 1992.
7. *The Muslim private sector in Southeast Asia: Islam and economic development in Southeast Asia*, edited by Mohamed Ariff. Singapore: Social Issues in Southeast Asia, Institute of Southeast Asian Studies, 1991.
8. Ahmad Ibrahim, Sharon Siddique, and Yasmin Hussain (Comp). *Readings on Islam in Southeast Asia*. Singapore: Institute of Southeast Asian Studies, 1986.

9. Hussin Mutalib, et al.(Comp.). Singapore Malay/Muslim community, 1819-1994: a bibliography. Singapore: Centre for Advanced Studies, National University of Singapore, 1995.
10. Zuraidah Ibrahim. Muslims in Singapore : a shared vision. Singapore: Published for Majlis Ugama Islam Singapura by Times Editions, 1994.

Serial Publications

All major Islamic organizations in Singapore are publishing bulletins and other serial publications to announce their activities and also document research carried out by them through discussions, talks, and seminars. A list of major serials and other periodical publications is given below:

1. MUIS Publications: In addition to its online publications, Warita and Membina Warisan, MUIS has 14 print publications in Malay and six in English. Most of these publications are targeted for general public and many of them appear with irregular frequency. It also produces a number of leaflets that are made available at the Islamic Center of Singapore and at number of mosques in the city. The following is a list of English publications:

- * Hari Raya Sermon
- * Working papers for Congress on Religious Education
- * A Guide to Haj Application Procedures
- * Muslims in Singapore - A Shared Vision
- * Muslim Diet (Halal & Haram Food & Drinks)
- * Guide to Prayer

2. OPS: The Occasional Paper Series. It is published as a quarterly journal by the Association of Muslim Professionals to document research

papers, research findings and discussion of issues relating to the Muslim community. The following papers were published during the last three years (since 1995 when the program was first launched):

- * Factor Affecting Malay/Muslim Pupils' Performance in Education
- * The New Malay - His Role and Future
- * Self-Help and National Integration
- * The Future of Civil Society in Singapore
- * Keadaan Sosiologi Masyarakat Melayu (The State of Malay Sociology)

3. Karyawan (Professionals). It is a quarterly magazine that highlights achievements as well as issues and concerns of the Malay/Muslim community in Singapore. The magazine also provides a platform to discuss policies that will have an impact on the community as well as the society in general. Karyawan is designed for individuals who want to know about the progress and problems of the Malay/Muslim community in Singapore.

4. Darul Arqam Publications. In addition to its In-House Bulletin, which is published monthly as a circular to members of the Muslim Converts' Association of Singapore, Darul Arqam publishes two quarterly journals entitled Muslim Readers and Teens' Crossroads.

5. Suara Muhammadiyah. It is published by the Muhammadiyah Association quarterly to inform people of the activities of the association and also to discuss various issues confronting the Muslim community in Singapore. A major part of the journal is in Malay but there are sections that carry material in English.

6. Voice of Islam. It is published bi-monthly by Jamiyah Singapura. It carries articles in English, Arabic and Malay. Jamiyah is planning to publish another magazine called Jamiyah Bulletin from next year.

SEMINARS

1. AMP Public Seminar Series. Launched in 1994, the seminar series provides a forum to address issues and developments affecting the Malay/Muslim community. The series also seeks to identify and tap the expertise of researchers and academics both locally and globally. The seminar series revolves around the theme "Malay/Muslims in a Developed Society - Challenges and Prospects".

2. Karyawan Roundtable Discussion Series. Established as a quarterly meeting of resource persons, the roundtable discussion provides a platform for an open discussion of issues affecting the Muslim community.

3. CCIS Seminar Series. Center for Contemporary Islamic Studies conduct seminars for invited gatherings of scholars and professionals on issues of importance to Muslims in Singapore. The following seminars were conducted during 1998:

- * Islamic Law in a Minority Community: A Contemporary Approach
- * Singapore's Muslim Community: Challenges and Opportunities in the Century
- * Women in Islam: A Reappraisal
- * Islamic View of Nuclear Weapons: Pakistan's Entry into the Nuclear Club

LIBRARIES AND RESOURCE CENTERS

1. RIMA Resource Center. The Center for Research on Islamic and Malay Affairs, which is managed by AMP, maintains a resource center that offers a Resource Library, a Media Watch Unit, Opinion Polls/Survey Unit,

and an Internet management Unit. The Library is developed as a niche library to cater to the needs of researchers with a keen interest in Muslim affairs. Utilizing the technology of the Internet, the library seeks to tap into databases and bibliographic references on works relating to the Malay and Muslims. There is a plan to make available the collections of distinguished academics who have studied or written about the Muslims. The Media Watch Unit serves as a feedback mechanism to monitor and respond to reports and issues emerging through the media. The Opinion Polls/Survey Unit performs the role of information gathering for the association. The unit also plays a pivotal role in providing support to applied research projects related to public policy issues.

2. Libraries of Islamic Madrasas. There are more than 50 religious schools in Singapore but the following six full-time madrasahs are more prominent and well established ⁽¹⁴⁾:

- * Madrasah Alsagoff Al-Islamia
- * Madrasah Aljunied Al-Islamiah
- * Madrasah Al-Maarif Al-Islamiah
- * Madrasah Wak Tanjong Al-Islamiah
- * Madrasah Al-Irsyad Al-Islamiah
- * Madrasah Al-Arabiah Al-Islamiah

All these schools have small libraries of rich collections on different subjects related to Islamic studies in English, Malay, and Tamil. The libraries are not well organized and need to be managed with well-thought out collection development programs. However, these libraries are a good source of information on Islam and Muslims in Singapore.

3. Libraries of Islamic Missionary Organizations Darul Arqam maintains a library of reference materials on topics related to Islam and Muslims. Main categories of collection include fiqh, fundamentals, qur'aanic studies, hadith, mysticism, and theology. The library is automated and OPAC can be searched on the Internet.

MUIS and MEDAKI maintain small resources centers mainly holding repository materials and donations, in addition to their own publications. MUIS has developed a special database called Islamic knowledgebase. It is a collection of frequently asked questions that have been collected throughout the years. It may be searched using specific keywords and narrowing search to just the category of interest. The major categories of knowledge base include: Faraid, Halal, Hajj, Zakat, and Umum.

The MENDAKI Resource Center serves as a reference and information resource for all MENDAKI's activities. The resource collection includes materials on educational, social, cultural and economic development of the Malay/ Muslim community as well as that of the other communities.

Islamic Center of Singapore also maintains a small library mainly books gifted by different organizations. Muhammadiya and Jamiya also have basic collection of Islamic resources but not developed through a well-throughout collection development program.

4. Islamic Collections in other Singapore Libraries. Institute of Southeast Asian Studies, National University of Singapore, and community libraries run by the National Library Board of Singapore have basic collection of materials on Islam and Muslims in Malay, English, Tamil, and Arabic languages. But, these materials represent only a small fraction of information material on Islam and Muslims.

CONCLUSION

There are more than 200 Islamic organizations in Singapore. A review of relevant Web sites and interviews with staff and volunteers of various organizations revealed that eight of them are playing an effective role in the dissemination of Islamic information. These include government bodies established to oversee the Muslim affairs, e.g. MUIS and MENDAKI; community organizations like PERDAUS AND PERGAS; missionary agencies like Darul Arqam, Muhammadyia and Jamiyah; and think tank groups of professionals and intellectuals like CCIS and APM. Most of these organizations seem to be focusing on the needs of English and Malay speaking Muslims. Other than a small association, not much activities were found reported for Tamil speaking Muslims.

The Islamic organizations are involved in different types of activities aimed at generating and distributing Islamic information in the country. Their programs are designed in line with the sensitivities of a multi-ethnic society of Singapore and they seem to be taking full advantage of information technology available in the country. The Web technology has become their main tool of information dissemination. They are also using traditional channels of communication and methods of information delivery including publications, seminars, and discussions to reach a wider audience of Muslims and non-Muslims (the potential converts to Islam). Most of the monographic publications and reference materials have been produced by institutions interested in regional studies. The Islamic organization, however, have major share in producing serial publications, which include in-house bulletins, monthly magazines, and quarterly journals.

Surprisingly, materials on Islam and Muslims available in Singapore libraries seem to be inadequate. Large academic libraries, some special libraries, and a number of public libraries have materials in their collection related to Malays and Muslims but it is just a small fraction of Islamic literature. The collections of libraries and resource centers of the Islamic organizations are also not impressive. Most of them have some sort of library or information resource centers but their resources have not been developed properly. These library collections need to be enhanced and better organized.

This study is useful in the sense that no other comprehensive work was found on Islamic information sources in Singapore. However, this work is descriptive in nature and there is a need that future studies of Islamic information sources in Singapore focus on assessment and evaluation of services and resources of the Islamic organizations in the country.

REFERENCES

- (1) Majlis Ugama Islam Singapura. Muslims in Singapore. Singapore: MUIS, 1998. (<http://www.mis.gov.sg/muis/muslims/index.html>)
- (2) Hussin Mutalib, et al.(Comp.). Singapore Malay/Muslim community, 1819-1994: a bibliography. Singapore: Centre for Advanced Studies, National University of Singapore, 1995.
- (3) Mohammad Yusuf Hj Zuhri. "Islamic education - shaping the future generation". FIKRAH: shaping the future. Singapore: Islamic Religious Council, 1995.
- (4) Che Man, W. K. "The administration of Islamic institutions in non-muslim states: the case of Singapore and Thailand". Teaching and Research Exchange Fellowship Report No. 10. Singapore: Institute of Southeast Asian Studies, 1986.
- (5) <http://www.muis.gov.sg/about/index.html>.
- (6) <http://www.mendaki.org.sg/Ymweb/html/>
- (7) <http://www.cyberPerdaus.org.sg>
- (8) <http://www.jamiah.org.sg/wwwboard/wwwboard.html>
- (9) <http://www.pergas.org.sg>
- (10) <http://home1.pacific.net.sg/~muhdassn/>
- (11) <http://www.darul-arqam.org.sg>
- (12) <http://www.amp.org.sg>
- (13) Latif, Asdad. "The global Islaic community: what ummah means to believers". The Straits Times, March 14, 1998.
- (14) "Going to Islamic schools". The Sunday Times, March 1, 1998.

British Military Research on Afghanistan, Iran, and the Arabian Peninsula -the Gazetteer Projects.

Professor Dr. Ludwig W. Adamec^(*)

Abstract

In its effort of imperial control, the British Indian General Staff compiled gazetteers of Afghanistan, Iran, and the Arabian Peninsula. For some fifty years prior to the end of World War I, successive editions were produced which included all the published, unpublished, and secret information available to that time. The gazetteers included an abundance of data relating to the geography, climate, geology, demography, economics, local and tribal history, culture, and politics of these areas. The project was begun to collect intelligence by British Indian government for the guidance of its military and political departments. It was classified and, when South Asia became independent of British rule, the materials remained secret, soon to be forgotten.

In the early 1970s, this writer was able to locate the material and publish the 6-volume Historical and Political Gazetteer of Afghanistan and the

(*) Professor of Middle Eastern Studies Department of Near Eastern Studies University of Arizona. USA

4-volume Historical Gazetteer of Iran (his assistant, Dr. S.A. Scoville, published two of the four-volume Gazetteer of Arabia)

The gazetteers were updated by this writer on the basis of sources available in Afghanistan, Iran, and Western countries, provided with maps at a scale of 250,000 which were the results of US aerial surveys - and published in ten volumes between the years 1952 and 1989.

The gazetteers of Afghanistan and Iran produced by this writer (and the one on Arabia by Dr. Scoville) contain the historical and cultural data accumulated by Britain over the course of a century as well as information produced more recently in the Middle East and the West. Maps at a scale of 1:250,000 were appended to permit the location of entries. The gazetteers are encyclopedic reference works with a wealth of data formerly not available. Thus, research begun for military purposes now serves the peaceful purpose of Middle East area studies.

British Military Research on Afghanistan, Iran, and the Arabian Peninsula -the Gazetteer Projects.

In its effort of imperial control, the British-Indian General Staff compiled gazetteers of Afghanistan, Iran, and the Arabian Peninsula. For some fifty years prior to the end of World War I, successive editions were produced which included all the published, unpublished and secret information available to that time. The gazetteers included an abundance of data relating to the geography, climate, geology, demography, economics, local and tribal history, culture, and politics of these areas.⁽¹⁾

The project was begun as an effort to collect intelligence by the British Indian government for the guidance of its military and political departments.⁽²⁾ It was classified and, when South Asia became independent of British rule, the materials remained secret, soon to be forgotten.

In the early 1970s, this writer was able to locate the material and publish the 6-volume Historical and Political Gazetteer of Afghanistan and the 4-volume Historical Gazetteer of Iran (his assistant, Dr. S. A. Scoville, published two of the four-volume Gazetteer of Arabia).

The gazetteers were updated by this writer on the basis of sources available in Afghanistan, Iran, and Western countries, provided with maps at a scale of 250,000 - which were the result of US aerial surveys - and published in ten volumes by the Akademische Druck- u. Verlagsanstalt in Graz, Austria, between the years 1972 and 1989.

Historical Background

On the last day of the year 1600 (December 31) the East India Company (properly called "The Governor and Company of Merchants of London

Trading in the East Indias") was given a charter from Queen Elisabeth to trade "together with limited authority to make laws and punish interlopers." It coined money and raised an army for the protection of its trade.⁽³⁾

Much of the subsequent history of the Company was an effort to protect its monopoly. The charter was periodically renewed, and by the middle of the 18th century the Company was the de facto ruler of Bengal. Its Board of Control appointed a governor-general as executive who conducted the government for the Company until 1858, when the Crown ended the charter and appointed a viceroy, subject to the control of the London government. (4) The Company concluded treaties with local potentates and waged wars in its attempt to become the paramount power in India; it bore the responsibility for a major defeat in the first Anglo-Afghan war (1838-42).

The Company annexed Sind (1843) and the Punjab (1849) and the government of India (after 1858) expanded the British domains in the northwest in a search for the "scientific frontier." The Dutch had been ousted first and the French and Portuguese limited to possessions in the south of the Indian sub-continent. But Russia was moving into Central Asia, seemingly threatening the British hold on India. Trading relations with Iran, were conducted through Bandar Abbas with Shiraz and Isfahan and a Political Residency was first set up in Bushire in 1763. Trade with Arabia in the 17th and 18th centuries was conducted by way of the Red Sea and from the early 19th century with Najd. British Residents and Agents were established in the Gulf and Iraq, which controlled relations with Bahrain, Kuwait, Muscat, Qatar, and Yemen.⁽⁵⁾

Objectives

British Indian objectives were threefold: To control Afghanistan and Iran as a barrier to Russian expansion; to protect British hegemony in the Gulf; and to control the Red Sea and the coastal areas of Arabia.

Afghanistan was to serve as a natural boundary for the defense of India, either on the crests of the Hindu Kush or on the Amu Daria. But despite two wars, direct control of Afghanistan was not possible; therefore, Britain concluded an alliance with the Afghan ruler which supported him against an attack from Russia but relegated the conduct of his foreign relations to Britain.⁽⁶⁾ This kind of arrangement lasted from 1880 until 1919 when King Amanullah ended Afghanistan's status as a quasi protectorate.

Britain never succeeded in gaining exclusive control of Iran, but with the conclusion of the Anglo-Russian Convention of 1907 and occupation of Iran during two world wars, Britain succeeded in exploring every part of the country. A concession for the exploration of oil in southern Iran, given to the Anglo-Iranian oil company in 1901, led to the discovery of vast amounts of oil and permitted the British navy to switch fuel from coal to oil.⁽⁷⁾ Henceforth the protection of its resources as well as trade became the primary policy objective.

In Arabia Britain was content with control of the coastal areas. Before the advent of aerial warfare the deserts of central Arabia were impenetrable to conventional armies. But her primary objective was control of the sea lanes to India and the protection of the Suez Canal after it was completed in 1869.

The Collection of Intelligence

Prior to the early twentieth century there still existed much *terra incognita* in the Middle East which could only be explored by individuals who ventured into "forbidden" lands. Deserts, mountains, passes, and rivers were strategic assets of the local rulers and the knowledge of the terrain was secret information.

Therefore, the British Indian General Staff began to collect data on the Middle East in case it was felt necessary to carry campaigns into neighboring countries. Material on Afghanistan was compiled from many sources: During two Anglo-Afghan wars (1839-1842, 1878-1881) British occupation forces were able to collect data directly within Afghanistan. Other opportunities were offered when the British Indian government assisted in the demarcation of Afghanistan's borders with India, Russia, and Iran. Sir Mortimer Durand, foreign secretary of the government of India, was instrumental in demarcating the Indo-Afghan boundary in 1893, named after him the "Durand Line." An Afghan Boundary Commission (ABC) headed by Major (later Sir) A. H. McMahon examined the Afghan-Baluch boundary in 1894-95, and Sistan in 1903-05. Other missions inspected the Russian frontier in 1904-05, the Pamir region in 1896, and the Afghan Iranian border in 1870-72.⁽⁸⁾

Data was gleaned from the writings of adventurers like J. P. Ferrier, a French soldier of fortune, G. Forster a traveler and author 1776, Charles Masson who explored the country in 1836-41. British emissaries like Alexander Burnes, Mountstuart Elphinstone, Henry W. Bellew published major works on Afghan geography and culture.⁽⁹⁾ The British Indian

government had a vast pool of subjects who were conversant in the languages of the area and proved to be valuable informants.

British objectives in Iran were to counteract French and Russian attempts to gain influence in the country. Already in 1799 India sent a Shi'a Muslim, Mehdi Ali Khan, to Tehran to win Persian support to forestall an Afghan invasion of India. Captain Malcolm made several visits (1800, 1808, and 1810) to Tehran to conclude an alliance with Fath Ali Shah (1797-1834) which was to keep the French and Afghans in check and to gain permission for British and Indian subjects to settle on the Gulf coast to conduct trade free of taxation.

British influence was to grow quickly: Britishers were involved in the construction of telegraph lines ⁽¹⁰⁾, in the latter part of the 19th century they gained various concessions (Baron Julius Reuter for mining and banking in 1872 and Gerald F. Talbot for tobacco in 1890) which resulted in increasing xenophobia and contributed indirectly to the Persian Revolution of 1905-06. Finally, in 1907, Russia and Britain agreed to a convention which partitioned the country into spheres of influence ⁽¹¹⁾. This greatly increased the possibilities for collecting information on Iran.

Arabia, like Afghanistan, was not open to exploration. British knowledge of the area was confined to the periphery, where the East India Company had established trading links. A handful of Western explorers traveled, usually in disguise, through the Arabian deserts. The British Indian General Staff collated information published by early travelers, like Carsten Niebur, who explored Yemen and published his *Travels in Arabia* in 1762, and 19th century explorers like Jean Louis Burckhardt, who traveled with the

Beduins; William Gifford Palgrave, who crossed Arabia from Jerusalem to Riyadh, Hufuf, and Muscat; Richard Burton, who published his *Pilgrimage to Al-Medinah and Mecca* in 1853; and Charles M. Doughty, whose *Travels in Arabia Deserta* was published in 1888. Many of the above were employees of the Indian government. H.St. John Philby and Gertrude Bell, started out in British government service and became major experts on Arabia. But after the end of World War II the period of exploration had ended. Aerial surveys were able to map the entire area of the Middle East and thereafter it was only necessary to provide the names of geographical features which could only be obtained in collaboration with local governments.

Sources of special interest included, in addition to gazetteers, works on communication, such as *Routes in Afghanistan, Iran, and Arabia*. The military objectives were apparent from such publications as *Plan of Operations in the Event of War with Afghanistan and Mobilization. Routes in Afghanistan* ⁽¹²⁾, volumes on tribes and important personalities were compiled ⁽¹³⁾. The British General Staff produced periodic *Military Reports on Afghanistan, Iran, and Arabia*.⁽¹⁴⁾ Handbooks were produced on *Afghanistan, Iran, and various parts of the Arabian Peninsula* ⁽¹⁵⁾. These Handbooks included chapters on the tribes, communications, terrain, water, local resources, transport and transportation, animals, accommodation, climate, health and sanitation, as well as numerous appendices with illustrations, tables, and maps. Summaries of events were published each year on the various countries with chapters on foreign relations, internal affairs, communications, and military affairs.⁽¹⁶⁾

Until the 1940s, there were few roads fit for motorized transport. Most of the Middle East depended on tracks and caravan routes. Therefore, information was needed on the types and numbers of beast of burden available. Bullocks, donkeys, ponies, horses and camels were employed. Donkeys could easily move in mountainous terrain and carry loads up to 160 pounds. The Afghan camel, superior to the Indian type, was sure-footed and hardy and could travel with ease over mountain tracks. The British army lost 20,000 camels during the first Anglo-Afghan war (1838-42) and 100,000 during the second (1878-79).⁽¹⁷⁾

In the war of the mujahidin against Communist forces in the 1980s, the use of beasts of burden were still of importance, and as animals died, horses and mules had to be imported from Pakistan and as far away as Argentine, and China.⁽¹⁸⁾

Men and animals had to live off the land. British military manuals warned that foraging by cavalry was not possible in many parts. The generally difficult terrain, especially in Afghanistan, gave the tribes numerous opportunities for cutting off British cavalry. They were not only handicapped by the livestock and supplies they tried to carry off, but also by their own horses.⁽¹⁹⁾

British forces included baggage trains, which limited the mobility of the army and were vulnerable to plunder during combat. Local resources in the arid lands of the Middle East were often inadequate and withheld and could be collected only by coercive measures. Therefore, the Indian army depended on a large number of camp followers comprising the servants, suttlers, cantiniers, hostlers, water-carriers, snake-charmers, dancers,

conjurers, and women.⁽²⁰⁾ In February 1839, when a Bengal army of 15,000 men set out for Afghanistan, it was accompanied by no fewer than 85,000 camp followers. A German visitor to India in the 1850s commented: I saw a Captain of the Bengal army, on his way to the army of reserve at Ferozapore, with two large wagons drawn by oxen full of geese, fowls, pigeons, wine, sugar, coffee, tea, and numberless tin cases of delicacies, to say nothing of the goats, sheep, and the camels which carried his tents.⁽²¹⁾

British intelligence tried to assess the water resources of neighboring countries. Some areas, like the Dasht-i Margo and Registan in Afghanistan and the Rub al-Khali in Central Arabia were virtually waterless and provided protection for bands of nomadic tribes. Therefore, the location of oases, rivers, and lakes was of great importance. Few perennial rivers exist in the Middle East, but those that swell seasonally may pose a barrier to the movement of troops. One British officer reconnoitered the location of a ford in a river by offering any villager nearby one rupee if he could walk across the river. The location was duly marked.

The British Intelligence Branch debriefed every traveler who passed through the Khaibar Pass into India. British members of boundary commissions took their time to finish the job. They went on frequent hunting trips to reconnoiter surrounding areas, located passes and fords in rivers, and determined the best times of the year when they could be passed.

In most of the Middle East British conventional forces would face an enemy who was expert in guerrilla war tactics. British military handbooks, referring to Afghan warfare, which was typical of the type of combat faced also in other tribal areas, stated: They do not await assault, but follow a

retiring enemy relentlessly and with utmost boldness. They show great skill in cutting off detachments and in laying ambushes for isolated bodies of troops. They are, however, deficient in some important military qualities. They lack steadfastness in adversity and lose heart when subjected to reverses. They have little cohesion and concerted action on their part cannot be expected. Their forces (*lashkars*) are brought to, and kept in, the field by the exertions of their religious leaders, and each man fights as he pleases. Time is lost owing to lengthy discussions which often precede military action or declaration of policy. Mutual jealousies or blood feuds, which are sunk on occasions..., are apt to reappear during prolonged operations. ⁽²²⁾

An Intelligence Division was set up in 1877 by Lord Salisbury in order to insert a British influence from Turkey to Afghanistan and down the Levant to Egypt. ⁽²³⁾

The Division was

For the purpose of collecting records and rendering available, in the most practical form possible, all kinds of local information that may be useful to an army in the field, or to the military authorities and the Government of India in preparing for any contemplated military operation.... ⁽²⁴⁾

In this task it infringed on the activities of the foreign department of the Government of India which wanted to isolate the functions of the Division from any political influence or policy making. The Division was therefore reorganized in 1891, and a memorandum by Brackenbury to Lord Roberts stated

The work of the intelligence branch in India seems to me to be strictly confined to the recording, collating, compiling, and distribution of information received from the political and military officers in the countries bordering up India; and the preparation of maps and gazetteers of those countries, and to advising upon lines of operation, nature and strength of troops required for action in these countries... it should on no account whatever undertake any political work or express any political opinions, which are the distinct function of the foreign department under the Government of India.⁽²⁵⁾

British research in Middle Eastern area studies continued until the 1930s when the political situation in Europe and the start of World War II led to a change in focus on Europe. Much of what was produced remained in the archives of the India Office and the Public Record Office in London, England, and in the National Archives of India in New Delhi.⁽²⁶⁾

India gained its independence in 1947 as did eventually the Emirates and Kingdoms on the periphery of the Arabian Peninsula. The Suez Canal was nationalized in 1956 and Britain no longer had any military interests in the area east of Suez. India no longer needed to be protected for Britain. The wealth of material amassed in the British archives lost its political and gained its academic value. As the archives were opened for scholarly research, with a closed period of fifty years, which was reduced to 25 years in the 1960s, scholars began publishing studies in all fields of Middle Eastern area studies. The time had come for publications by and for the new independent states.

Gazetteers Produced by Local Governments

Domestic sources on the Middle East were scarce and where they existed were kept secret. Ministries kept cadastral records listing agricultural resources for the purpose of taxation. Each ministry had its own records which were usually not deposited in one central archive, and statistics were at best approximations. Scholars, both native and foreign, usually did not have access to these sources. It was only after the second World War that gazetteers and statistical data were published.

The Afghan government published a *Qamus-i Jughrafiya-yi Afghanistan* in Dari/Farsi and later the same work in Pashtu, entitled *Da Afghanistan Jughrafiya-yi Qamus*⁽²⁷⁾. These were four-volume, geographical dictionaries, compiled by the *Anjoma-i Aryana Da erat al-Ma aref*, and published between 1956-1960. They were similar to the British Gazetteers, but like the latter did not always show correct geographical coordinates. The administrative divisions were dated by the mid-1960s. These works were important for information about the location of religious shrines, local histories, and the nomenclature of geographical features. This writer consulted them in his gazetteer project for the spelling in Perso-Arabic script of names - something which was not indicated in the British publications. The Central Department of Statistics published a survey listing the number of villages, agricultural population, number of landlords, land use, livestock, land under irrigation, and types of crops. No complete census has yet been taken. The Afghan government with the assistance of the Agency for International Development (AID) conducted a national demographic and family guidance survey of the settled population of

Afghanistan and produced a Provisional Gazetteer of Afghanistan in 1975 which, however, listed only place names without any detailed description.⁽²⁸⁾

Iran had its first modern census in the 1950s and the National Geographical Institute, under the editorship of General H. A. Razmara, published the ten-volume *Farhang-i Jughrafiya-yi Iran*, which was a first effort by the Iranian government⁽²⁹⁾. The major deficiencies in Razmara's work were that geographical coordinates were not given and, since its publication in the 1950s, administrative divisions in Iran had changed. But it provided information on the sectarian and ethnic composition of some 40,000 villages which was missing in subsequent works.

The most important publication by the Iranian government was the 27-volume *Farhang-i Abadi-ha-yi Keshwar* that contained a wealth of information based on the census of 1966⁽³⁰⁾. This writer consulted this monumental work for updating his *Historical and Political Gazetteer of Iran*⁽³¹⁾. Numerous publications by Iranian scholars followed in rapid succession, as for example, *Rahnama-yi Shahrestan-ha-yi Iran*, by Ibrahim Islah Arabani, which provides information on the social and economic situation in Iran⁽³²⁾; *Nam o Jam'iyat-i Naqat-i Maskuni-yi Ostan-ha*, which is a convenient source for population statistics about the Ostans and Famarandikols of Iran, published by the Sazman-i Barnama. Markaz-i Amar-i Iran⁽³³⁾; and the *Farhang-i Abadi-ha-yi Iran*, by Lotfullah Mofakham-Payan, which lists some 40,000 places with geographical coordinates⁽³⁴⁾.

Scoville tells the story of American efforts in producing the first maps of Arabia. Since the British government was not very helpful, American Military Intelligence established its own Middle East Branch in 1942. It

used the National Geographic Society's Biblelands map and began to work with members of the Standard Oil Company of California to locate such geographical features as wadis and oases. The material was then taken to the Army Map Service in Maryland where the first maps were produced.⁽³⁵⁾

In the 1950s and 1960s, the Arabian American Oil Company (ARAMCO), the Kingdom of Saudi Arabia, and the U.S. Board of Geographic Names cooperated in producing new maps at a scale of 1:500,000. The Research Division of ARAMCO, under the supervision of George Rentz, brought in native informants and Arabists to establish correct spellings for place names.⁽³⁶⁾

A short gazetteer is part of the National Guide & Atlas of the Kingdom of Saudi Arabia, by Zaki M. A. Farsi at Jeddah, 1409/1989. It contains an excellent map section with an index of cities, towns, and villages. For updating her work, Dr. Scoville utilized the Arabian American Oil Company Place name and Tribal Files at the Research Division and Research Library, Dhahran, Saudi Arabia. For Arab Tribes she consulted the classic, four-volume work *Die Beduinen* by Max Freiherr von Oppenheim with Werner Caskel⁽³⁷⁾; and the Feeder Road Feasibility Studies, and the Agriculture and Water Surveys studies by the consulting firms of Italconsult, Wilson-Murrow, ETCO, Sogreah, and Basil Parsons. These works were commissioned by the government of Saudi Arabia.

Governments contracted with Fairchild Aerial Surveys, Inc., an American company which photographed the entire area of the Middle East, and produced maps that no longer showed any *terra incognita*.⁽³⁸⁾ In Afghanistan, Iran, and the Arabian Peninsula projects were launched to list the names of geographical features and places. This was often difficult as

there were disagreements regarding the name of a river, mountain, village, or district and governments had to decide on a common nomenclature. The case of Afghanistan is typical for the process of demographic surveys: Sources of the ministries of interior, agriculture/irrigation, and public health were consulted. Village lists were compiled and local headmen provided certification of the villager's residence status for registration in the Civil Registration System (Tazkira). Thus it was possible to produce tentative census estimates and a critical mass of statistical data.

In addition to materials published in the Middle East, the U.S. Army Map Service, Corps of Engineers, printed maps of Afghanistan, Iran, and the Arabians Peninsula. The Defense Mapping Agency in Washington, D.C. published Gazetteers of Afghanistan, Iran, Saudi Arabia to provide uniform usage of geographic names. Although these gazetteers do not describe any entries beyond indicating whether it is a populated area or some geographical feature, it gives reliable geographic coordinates. The British Indian General Staff pioneered in the production of maps but the American Topographic Command disposed of the resources to produce state-of-the-art cartographic material.

The gazetteers of Afghanistan and Iran produced by this writer (and the one on Arabia by Dr. Scoville) contain the historical and cultural data accumulated by Britain over a century as well as information produced since in the Middle East and the West. Maps at a scale of 1:250,000 were appended to permit the location of entries. The gazetteers are encyclopedic reference works with a wealth of data formerly not available. Thus, research begun for military purposes now serves the peaceful purpose of Middle East area studies.

Endnotes

- (1) A Gazetteer of Persia was first published in four volumes by the Intelligence Branch by the Quarter Master General's Department in 1885 at Calcutta. It was updated By the General Staff of India in 1910, 1914, and finally at Calcutta in 1918. L/MIL/17/15/1,2,3,4,.
- (2) The Gazetteer of Afghanistan was first published as a secret document in five parts in 1895 and also periodically updated in six volumes until 1914. L/MIL/17/14/1,2,3. The Gazetteer of Arabia was published in Simla by the General Staff of India in 1917. L/MIL/17/16/1. It included an area south of a line drawn from Aqaba through Maan, to Abu Kamal on the Euphrates, including the Basra and Baghdad vilayats. An earlier study resulted in the publication of the Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia , by J. G. Lorimer in 1905 and 1915. Information on tribes and places along the eastern littoral of the Arabian Peninsula was emphasized; Its major weakness rested in the fact that, although the title claimed to include central Arabia within its scope, this region was never visited by the Lorimer expedition. See Scoville, "Historiography."
- (3) In 1889, Viceroy Lord Landsdowne encouraged explorers of "acknowledged utility" to explore the countries neighboring India. He felt that "The topography of the Hindu Kush is to India what the fortifications of a frontier town are to Germany." In 1891 a mountaineer was asked not to "supply any foreign power with information which might be valuable from a military point of view." Corey's Expedition. In British India's Northern Frontier, 1865-95 by G. J. Adler, 1963. The Royal Geographical Society, on the other

hand, wanted openness in exploration to spread knowledge of the world.

- (4) The East India Company operated for about a century together with the New Company (1698-1709) after which a Board of Control was established (1784-1858). From 1858 the Crown took over and the India Office in London, headed by the Secretary of State for India, was in charge until Indian independence in 1947.
- (5) The Government of India Act of 1858 stipulated that "India shall be governed by and in the name of Her Majesty" and promised that "the privileges which the Indians will receive in being placed in equality with the subject of the British Crown, would result in prosperity following in the train of civilization."
- (6) For the history of the British East India Company, see Martin Moir, *A general Guide to the India Office Records*. 1988, British Library, London.
- (7) For Anglo-Afghan relations see, L. W. Adamec, 1967, *Afghanistan 1900-1923: A Diplomatic History*. Berkeley, University of California Press, 1967; and L. W. Adamec, 1974, *Afghanistan's Foreign Affairs to the Mid-Twentieth Century*, 1974, Tucson, University of Arizona Press, 1974.
- (8) See Political and Secret Memoranda C, L/P&S/18/205, Concession granted to Mr. D. Arcy, 28 May 1901, Foreign Office, Sept. 1913. Also see Persia: Admiralty Oil Concession. L/Political & Secret Subject/10/410 File 3654/1913; and Persian Oil: L/P&S/10/143. File 1421/1908, Pts. 1, 2, 3, 4, 5. Also see Persia: protection of Anglo-Persian Oil Co's fields. File 3516/1914, Pt. 11.

- (9) Political and Secret Memoranda, L/P&S/18 A59, Afghan Boundary Commission. Summary of correspondence with the Russian Government. A. W. Moore, March 1885. Secret. And, Afghanistan, L/P&S10/52. File 1880/1904, Pt. 1. Perso-Afghan Frontier: Seistan arbitration. L/P&S/12/1590, Coll 3/37. Perso-Afghan (Seistan) Frontier; Boundary Commission, 1872; Dispute re. Seistan water supply.
- (10) See J. P. Ferrier, 1857, *Caravan Journey and Wanderings in Persia, Afghanistan, Turkistan, and Baloochistan, with Historical Notices on the countries lying between Russia and India*. London, J. Murray, 1857. C. Masson, 1842, *Narrative of Various Journeys in Belouchistan, Afghanistan, and the Panjab; Including a Residence in those countries from 1826-1836*. London, Richard Bentley, 1842, 3 vols. M. Elphinstone, 1815, *An Account of the Kingdom of Cabul, and its Dependencies in Persia, Tartary, and India*. London, Longman, Hurst and J. Murray, 11815. H. W. Bellew, 1879, *Afghanistan and the Afghans*. London, Sampson Low Maiston; and *Journey of A Political Mission to Afghanistan in 1857*, London, 1862.; and *An Enquiry into the ethnography of Afghanistan*. Woking. 1891.
- (11) Information about the telegraph projects can be found under Persian Gulf: Telegraphs, Henjam-Bandar Abbas cable. L/P&S/10/39. File 1408/1904, Pt. 2.
- (12) For the text of the agreement, see J. C. Hurewitz. *Diplomacy in the Middle East: A Documentary Record, 1535-1914*. Van Nostrand, New York, 1956. Also see, L/P&S/10/122. File 2782/1907, Pt. 1.

- (13) L/MIL/17/14/8, 9,10, 11, 12: Routes in Afghanistan, N.E.; N.W.; S.E. ; and S.W. Simla, Calcutta, and Lahore, 1923, 1924, 1937, and 1941. L/MIL/17/14/10: Mobilization. Routes in Afghanistan. 1923, Calcutta (updated to 1937). L/MIL/17/14/21: Plan of Operations in the Event of War with Afghanistan. Pink Plan , Simla, 1933-34. L/MIL/17/15/12, 13: Routes in Persia, 4 vols. Calcutta/Simla, 1918-28; Lahore, 1942. L/MIL/17/16/ Routes in Arabia , Simla, 1915. Also L/MIL/17/16/1: A Handbook of Arabia , vol. 1, General , vol. 2 Routes . London, Intelligence Division, War Staff, Admiralty, 1916-17.
- (14) L/MIL/17/14/ 13: Who's Who in Afghanistan , Simla, 10th ed. 1940 (the first edition was titled Biographical Accounts of Chiefs, Sardars, and Others of Afghanistan, Calcutta, 1888. See also, Ludwig W. Adamec Who's Who of Afghanistan , 1975, Graz, Austria, which is in part based on British archival sources. Political [External] Files and Collections, Persia, L/P&S/12/3451, Coll. 28/46: Leading Personalities in Persia, 1929-32, 1943, 1946 editions. Who's Who in Persia , Delhi/Simla, 1922-1924, 4 vols. Arabia, L/P&S/12/2107, Coll. 6/40: Hejaz/Najd: Personalities.
- Tribes: L/MIL/17/16/9: An Account of the Arab Tribes in the Vicinity of Aden , Govt. Of Bombay, 1909. Iran - L/MIL/17/15/20: Report on the Kuhgalu Tribes , Simla, 1910. Afghanistan - Notes on Nomad Tribes of Eastern Afghanistan , by J. A. Robinson, Peshawar, 1934.
- (15) For example L/MIL/17/14/5: Military Report on Afghanistan , 741 p. Delhi, 1925. L/MIL/17/15/6: Military Report on Persia , 4 vols. Simla, 1923-24. L/MIL/17/15/37: Handbook on the Persian Army ,

- Delhi, 1926. L/MIL/17/16/6: Military Report on the Aden Protectorate , 298 p. Simla , 1915.
- (16) L/MIL/17/14/7: Handbook of Kandahar Province, Simla, 1933. L/MIL/17/15/19: Gazetteer of Kermanshah , Simla, 1907. L/MIL/17/16/1: A Handbook on Arabia , Intelligence Div., War Staff, 2 vols., 1916-17. L/MIL/17/16/12: Handbook of Hejaz , Cairo, Arab Bureau, 1917. L/MIL/17/16/14: Handbook of Yemen , Cairo, Arab Bureau, 1917.
- (17) L/MIL/17/14/6: Summary of Events in Afghanistan , Delhi/Simla, 1922-1940. L/MIL/17/15/40: Persia Intelligence Report , London, 1946. L/MIL/17/16/5: Arabia Intelligence Report , London, 1941.
- (18) See Transport, Military in Adamec Dictionary of Afghan Wars, Revolutions, and Insurgencies , Scarecrow Press, Inc. Lanham, MD, 1996.
- (19) Ibid. Transport.
- (20) Ibid. Foraging. Handbook of Kandahar Province , Simla, 1933.
- (21) Adamec, 1996. Camp Followers. Also see, Stephen P. Cohen. The Indian Army: Its Contribution to the Development of a Nation. Berkeley, University of California Press, 1971.
- (22) Adamec, 1996, Afghans, Methods of Fighting.
- (23) Scoville, British Intelligence in the Middle East, unpublished research. Also W. C. Beaver, Ph.D. Dissertation, 1976, The Development of the Intelligence Division and its Role in Aspects of Imperial Policy Making, 1854-1901.
- (24) Scoville, op.cit. Circular No. 9, to the Secretary to the Government of India, Foreign Department, Simla, 14th of August, 1877.

- (25) Scoville, Unpublished.
- (26) The India Office Library and Records were first located in the Foreign Office in London, then they were moved to Blackfriars Street, and during this summer all the holdings were moved to the newly finished building of the British Library.
- (27) Collaborators in the project included Fazel Abd al-Halim Khan Muallem Panjshiri, Abd al-Hamid Khan Nahif, Aqayi Nawabi, Abd al-Samad Khan Wadad, and Aqayi Humayun Khan.
- (28) Provisional Gazetteer of Afghanistan, 3 vols. Afghan Demographic Studies, Central Statistics Office, Kabul, Afghanistan, 1975; and the four-volume National Demographic and Family Guidance Survey of Afghanistan, Sponsored by the Government of Afghanistan and the Agency for International Development (AID), Government of the United States.
- (29) Tehran, Da erat-i Jughrafiya-i Sitad-i Artish, 1328-1332 (shamsi H) [1949-54].
- (30) Markaz-i Amar-i Iran, Tehran, 1982[?]
- (31) Ludwig W. Adamec, Historical Gazetteer of Iran, 1. Tehran and Northwestern Iran; 2. Meshed and Northeastern Iran; 3. Abadan and Southwestern Iran; 4. Zahidan and Southeastern Iran. ADEVA, Graz, Austria, 1976-89.
- (32) Tehran, 1345 (shamsi H).
- (33) Tehran, 1973.
- (34) Shirkat-i Chapkhana-yi Firdusi. 25 Mehr 1339 shamsi.
- (35) Sheila A. Scoville, Historiography on the Gazetteer of Arabia.
- (36) Scoville, op.cit.

- (37) Leipzig, 1939. Reprinted, Hildesheim, New York, 1983.
- (38) In Afghanistan, the Soviet Union did not permit the Americans to survey the north, therefore, when maps were to be produced, the Soviets worked on the northern part and the Americans on the rest. As a sign of "peaceful coexistence," nationals of both countries cooperated in matching the overlapping parts. The Soviets had extended their grid system into northern Afghanistan, which gave American cartographers valuable data on the Soviet system.

APPENDIX

Files in British archives are organized according to a letter classification. Most files listed in this paper were under the category of L/MIL, Military Department Records^(*), and L/P&S, Political and Secret Department Records^(**). But other categories of files will also contain materials on the Middle East, therefore I will give here the entire List of

Main Classes:

- A Charters, Deeds, Statutes and Treaties, c 1500-c1950
- B Minutes of the East India Company's Directors and Proprietors, 1599- 1858
- C Council of India Minutes and Memoranda, 1858-1947
- D Minutes and Memoranda etc. of General Committees and Offices of the East India Company, 1700-1858
- E East India Company General Correspondence, 1602-1859
- F Board of Control General Records, 1784-1858
- G Factory Records, c 1595-1858
- H Home Miscellaneous Series, c 1600-c 1900
- I Records relating to other Europeans in India etc., 1475-1824
- J Haileybury Records, 1749-1857
- K Records relating to other Establishments, 1809-1925
- [L] Departmental Records
- L/AG Accountant General's Records, 1601-1974
- L/E Economic Department Records, 1786-1950
- L/F Financial Department Records, c1800-1949
- L/I Information Department Branch, 1921-1949

- L/L Legal Adviser's Records, c1550-c1950
- L/MAR Marine Department Records, 1600-1879
- L/MED Medical Board Records, c1920-c1960
- L/MIL Military Department Records, 1708-1957
- L/P Parliamentary Branch Records, c1772-1952
- L/PO Private Office Papers, c1858-1948
- L/PWD Public Works Department Records, c1839-1931
- L/P&J Public and Judicial Department Records, 1795-1950
- L/P&S Political and Secret Department Records, 1756-1950
- L/R Record Department Papers, 1859-1959
- L/SUR Surveyor s Records, 1837-1934
- L/S&G Services and General Department Records, c1920-c1970
- L/WS War Staff Papers, 1921-1951
- M Burma Office Records, 1932-1948
- N Returns of Baptisms, Marriages, Burials etc., 1698- 1969
- O Biographical Series, 1702-1948
- P Proceedings and Consultations of the Government of India and of the Presidencies and Provinces, 1702- 1945
- Q Commission, Committee and Conference Records, c1895- 1947
- [R Records transferred later through official channels]
- R/1 India: Crown Representative s Political Department Records, 1880-1947
- R/2 India: Crown Representative's Residency Records, c1789-1947
- R/3 India: Other Records of the Central and Provincial Governments, 1899-1948
- R/4 India: British High Commission Cemetery Records, c1870-1967

- R/5 Nepal: Kathmandu Residency Records, 1792-1872
- R/8 Burma: Records of the Governor's Office etc., 1942- 1947
- R/9 Malaysia: Malacca Orphan Chamber and Court Justice Records,
1685-1835
- R/10 China: Canton Factory Records, 123-1841
- R/12 Afghanistan: Kabul Legation Records, 1923-1948
- R/15 Persian Gulf: Records of Bushire, Bahrain, Kuwait, Muscat and
Trucial Coast Agencies etc., 1763-1951
- R/19 Egypt: Records of the Cairo, Alexandria and Suez Agencies,
1832-1870
- R/20 Aden: Records of British Administration, 1839-1967
- S Linguistic Survey of India Records, c1900-c1930
- V Official Publications, c1700-1957
- W.X,Y Map Collections, c1700-1960
- Z Registers and Indexes, c1700-1950
- (*) The Military Department Library (L/MIL/17) alone contains about
10,000 items.
- (**) The Political and Secret Records, (L/P&S) 1756-c1950 include some
13,246 volumes/files and 318 boxes.

